



Bibliotheca Alexandrina



0106900



المنظمة العربية للثقافة والعلوم

معهد البحوث والدراسات العربية

فلسطين في خطط الصهيونية والاستعمار
أمريكية في خدمة الدولة اليهودية
١٩٣٩ - ١٩٤٧

الدكتور محمد طربين

أستاذ كرسي التاريخ الحديث بجامعة

[قسم البحوث والدراسات التاريخية والجغرافية]

١٩٧٢

مقدمة

تعتبر هذه المحاضرات الاثنتي عشرة تكملة للمحاضرات التي ألقيناها في العامين الماضيين ، ونشرها المعهد في كتابين اثنتين ، يتناول أولهما المساعي الصهيونية للاستحواذ على فلسطين، انطلاقاً من برنامج بال (١٨٩٧) وتصريح بلفور (١٩١٧) ثم صك الانتداب (١٩٢٢) الذي وضع أسس إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين . ويتناول ثانيهما دور بريطانيا المنتدبة لفلسطين في الفترة ما بين الحربين ، الذي تمثل بالوفاق الانكلو صهيوني الهادف إلى بناء خلفية الدولة اليهودية المزمع إنشاؤها مستقبلاً في فلسطين .

وفي محاضرات هذا العام نتابع مخططات الصهيونية السياسية التي نهضت في هذه المرحلة على أساس نقل مقر عملها المركزي الدولي من لندن إلى واشنطن ، وذلك بعد إصدار الكتاب الأبيض البريطاني (١٩٣٩) الذي زلزل الوفاق الانكلو صهيوني . حين وضع قيوداً على الهجرة اليهودية فحال دون الحصول المتدرج على غالبية يهودية ، وحدد عموماً انتقال الأراضي لليهود ، فحمد الاسقيطان الصهيوني . ولذا اعتبرته الصهيونية ضربة شديدة لآمالها وأهدافها ، وتطلعت نحو أمريكا لتمارس منها الضغط على لندن كيما تتخلى عن الكتاب الأبيض .

على أن الوفاق الانكلو صهيوني لم ينته أبداً عام ١٩٣٩ ، فقد بقي تشرشل رئيس وزارة الحرب البريطانية صهيونياً مخلصاً لا يجاري . كذلك بقي النفوذ الصهيوني قوياً في أوساط حزب العمل ، فقد جاء في البيان الذي أصدرته تنفيذية الحزب عام ١٩٤٤ : « د ليشجع العرب على الخروج (من فلسطين) بينما يدخلها اليهود » . ومع ذلك فالكتاب الأبيض كان يحد ذاته دليلاً قوياً على مدى التدهور الذي

أصاب العلاقات الأنكلو صهيونية . وهنا كان لابد من تركيز جهود الزعامة الصهيونية بفلسطين على تنشيط واستثارة الجماعات اليهودية الأمريكية ذات النفوذ ، لتحل محل التأثير المتناقص للجماعات اليهودية البريطانية . واستغرق تحقيق ذلك خمسة أعوام تم فيها استقطاب اليهودية الأمريكية ودفعها للمشاركة الفعالة في العمل الصهيوني وفقاً لبرنامج بلمتور (١٩٤٢) الذي سجل ادماج معظم الجماعات اليهودية في الأطر الصهيونية ، والذي أعلن أنه لن يقبل بأقل من إشراف صهيوني غير منازع على شؤون الهجرة وانتقال الأراضي في فلسطين ، وتأسيس (كومنولث) يهودي في البلاد بأكملها .

ونحن لو تذكرنا أن الملكية اليهودية للأرض الفلسطينية كانت تقف عام ١٩٤٢ عند نسبة ٠.٥٪ فقط من مجموع مساحة البلاد ، وأن نسبة اليهود إلى مجموع السكان هو ٣١.٢٪ لنا كدنا أن الاستراتيجية الصهيونية التي وضعها بن غوريون وصحبه كانت تهدف إلى إعلان الأقلية اليهودية للاستقلال في فلسطين من جانب واحد ، تماماً على النمط الروديسي (١) .

ولكن إعلان برنامج بلمتور كان الخطوة الصهيونية الأولى ، فالهدف الأول كان السيطرة على البيت الأبيض الأمريكي نفسه ، وكسب تأييده لهذا البرنامج . ومن المحقق أن أحداث فلسطين منذ ١٩٤٢ وحتى اليوم ، قد تأثرت بهذا الإنجاز الصهيوني الناجح في بلوغ هذا الهدف ، أكثر من أي عامل آخر .

وعلى الرغم من دعم الرئيس روزفلت المتزن للصهيونية عموماً ، فإنه واجه المطالب الصهيونية التي لم تستطع أن تحمك حصارها عليه ، لما له من رصيد قومي قوى بفضل ليبرالته نسبياً وتزعمه العالم العربي ضد النازية ، الأمر الذي حد كثيراً من تحرك الصهاينة ضده ، فتمكن من أن يراوغ (الطعم)

(١) انظر Khalidi, W. From Haven to Conquest, Beirut, I.P.S, introduction, p. 52.

الصهيوني . ومن ناحية أخرى رأى روزفلت أن رقعة فلسطين الصغيرة لا يمكن أن تكون العلاج الأوحدمآزق اليهود في أوربة ، إذ يجب أن تشارك دول العالم قاطبة في مسؤولية إيجاد حل لمشكلة اليهود الأوربيين ، من حيث قبولها استيعاب عدد منهم في أراضيها الشاسعة . وبالإضافة إلى تشكك روزفلت بالمبدأ الصهيوني القائل بمقدرة فلسطين الاقتصادية على الاستيعاب ، فإن اهتمامه بالشرق الأوسط كان يتزايد مع متطلبات الموقف العسكرى والسياسى هناك أثناء الحرب ، ومع نمو المصالح الأمريكية النفطية والاستراتيجية في المملكة العربية السعودية . هذا إلى تعهده للملك عبد العزيز آل سعود بأنه كرئيس سوف لن يقوم بأى عمل يرهن على عدااء للعرب ، وبأن الحكومة الأمريكية لن تجرى تغييراً أساسياً في سياستها بصدد فلسطين دون التشاور الكامل والمسبق مع اليهود والعرب .

ومات روزفلت بعد أسبوع ، فباشر ترومان بعد استلامه الرئاسة في البيت الأبيض ، الضغط على لندن . وحض على وجوب رفع الحظر البريطانى عن هجرة اليهود المنكودين في أوربة . وقد شرحنا كيف أن هذا التركيز على موضوع الهجرة استهدف مباشرة إسقاط الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ ، وكيف أن الصهاينة استغلوا بطريقة لا إنسانية ورطة يهود أوربة لتحقيق غرض سياسى لا إنسانى ، هو تمزيق الكتاب الأبيض ، الذى كان هو نفسه خاتمة عشرين عاماً من حشرجة وقع النضال العربى الفلسطينى من أجل البقاء . ومن هنا كانت خطورة دعم ترومان لهذه « المعادلة » الصهيونية التى ترى الى طرح حرب فلسطين خارج بلادهم وغصب حقوقهم ومقدساتهم .

وقد تناولنا الجهود الصهيونية المتنوعة للضغط على حكومة لندن بزعامة أتلى ، كما تناولنا « المواجهة » المسرحية التى تمثلت بتصعيد أعمال العنف ضد حكومة الانتداب البريطانى ، ودلت بوضوح على مدى تغاضى بريطانيا

ومراعاتها لبعض « الثوار » دون بعضهم الآخر ، وخاصة إذا كانت مظلة البيت الأبيض الأمريكي تحميمهم ، وذلك على نقيض معاملتها انفضة الوحشية للثوار العرب في فلسطين ما بين ١٩٣٦ و ١٩٣٩ ١ والحق أن تاريخ النضال القومي لم يعرف أبداً مثل هذا الاغضاء الامتيازى الذى تمتع به « الثوار » الصهاينة فى مساعيهم الرامية إلى الضغط على لندن ما بين (١٩٤٥ - ١٩٤٧) .

كذلك عرضنا لكيفية استقطاب الصهاينة للرأى العام الأمريكى ، ولأعضاء الكونجرس ، وللجمعية التى تتخذ بموجبها القرارات الأمريكية بشأن فلسطين على أعلى المستويات .

ويرجع الفضل إلى فورستال وزير الدفاع الأمريكى فى حكومة ترومان لاذنقل لنا صورة صادقة عن هذه الكيفية ، فى المذكرات التى تركها وبما جاء فيها : « فى نهاية الغداء أثار وزير البريد هانغين موضوع لإدلاء الرئيس ببيان حول السياسة فى فلسطين ، وخاصة فيما يتصل بادخال مائة وخمسين ألف يهودى إلى فلسطين . . قال إنه لا يريد أن يستجعل اتخاذ قرار بوجهه أو بآخر ، ولكنه فقط يريد أن يشير إلى أن مثل هذا البيان سيكون له تأثير عظيم جداً ونتيجة عظيمة على رفع مبالغ التبرعات للجنة الديمقراطية القومية » (١) .

وفى حين كان موضوع الهجرة قد قطع شوطاً بعيداً على طريق تحقيق أهدافه ، كانت الزعامة الصهيونية فى صيف ١٩٤٦ تطرح شروطها الأرضية التى لا تقبل الاخلال لإقامة دولة يهودية فى فلسطين ، وذلك لنسف خطة أجمع عليها الخبراء الانكليز والامريكان فى استقلال اقليمى عربى يهودى

(١) هى اللجنة المنتدبة عن الحزب الديمقراطى لجمع التبرعات الرامية إلى نجاح حملتها الانتخابية ونجاح مرشحها لرياسة عام ١٩٤٨ . انظر .

(١٩٤٦) ، وهي آخر محاولة من العمل الانكلو أمريكي المشترك لحل قضية فلسطين (اللجنة الانكلو أمريكية) . وللتدليل على حسن تعاون الصهيونية وعدم تصرفها ، فانها لم تصر على برنامج بليتهور في دولة يهودية تستغرق كامل فلسطين ، وإنما هي تكتفي بثلاثة أرباعها ، أى بمحدود لجنة بيل مضافاً إليها النقب! وذلك رداً على المشروع العربي الذي ارتأى انشاء دولة فلسطينية موحدة يكون مواطنوها فلسطينيون . وكانت موافقة ترومان على خطة الاستراتيجية الصهيونية الجديدة ، أهم تطور حاسم في سلسلة أحداث التاريخ الصهيوني منذ صدور تصريح بلفور ، لأنها كانت مسؤولة مباشرة عن ابتداء سلسلة من التطورات أدت الى انتهاء الانتداب البريطاني، ودمار السكان العرب في فلسطين في حرب عام ١٩٤٨ ، كما سنرى في محاضرات العام القادم ان شاء الله .

المؤلف

الفصل الأول

من لندن إلى واشنطن

دولة يهودية لا وطن قوى

تمهيد

كتب بن غوريون مقالا تحت عنوان « تطلّعنا نحو أمريكا » ، وذلك بصدد المقررات الصهيونية لعام ١٩٣٩ . وفيما يلي نقتبس من المقال لدلالته ولاهميته في توضيح الاستراتيجية الصهيونية الجديدة بعد ١٩٣٩ :

« كنت مقتنعا أن الميدان الرئيسي لليهودنا - خارج فلسطين - ليس بريطانية وإنما هو أمريكا . وفيما عدا اليسوف * نفسها ، لم يكن تحت تصرفنا أداة أكثر فعالية من الجماعة اليهودية الأمريكية والحركة الصهيونية (١) . »

بدأ بن غوريون مقاله بوصف موقف وزارة الحرب البريطانية المؤلفة من خمسة أشخاص ، من الصهيونية ، فقال إن الوزيرين العاملين بالإضافة إلى تشرشل رئيس الوزراء ، موالون للصهيونية . أما تشمبرلن وهاليفاكس فلا يمكن اعتبارهما من أصدقاء الصهيونية . وقال إن هناك وزراء آخرين مبالين للعرب في هيئة الوزارة الكاملة ، ولكن هناك أيضاً بعض المؤيدين القدامى

* اليسوف كلمة عبرية للدلالة على الجماعة اليهودية في فلسطين .

(١) طالع المقال في مجلة : Jewish Observer and Middle East Review, Jan. 31, 1964 وهو بعنوان : « تطلّعنا نحو أمريكا » . PP.14-16, quoted by W. Khalidi (ed.) From Haven to Conquest, Beirut, The Institute for Palestine Studies' 1971, pp.481 - 488,

للسهيونية من جميع الأحزاب : المحافظين والاشتراكيين والأحرار . وقال بن غوريون أن الوزارة في أفضل تشكيلها لن تنفذ سياسة الكتاب الأبيض ، ولم يكن ثمة ضمانة أنه حتى هذه الوزارة هي ضد الضغط العربي وضد التقليد المعادى لليهود (١) والسائد في بعض فروعها . ولذلك فقد كان من الضروري تحريك جميع قوى الشعب اليهودي ونفوذه ، وهذا — إلى جانب ما يصدر عن اليسوف نفسها — لن يوجد بصنفة أساسية إلا في أمريكا ... وبرغم أن الحركة الصهيونية البريطانية لم تتوان عن معارضة سياسة الكتاب الأبيض ، حتى أثناء أععب شهور الحرب ، فإن تأثير اليهود البريطانيين على سياسة حكومتهم كان لا شىء عملياً .

ومضى بن غوريون يقيّم نفوذ يهود العالم في تلك الآونة (١٩٣٩) ، فقال إن اليهود السوفيت قد أسكتوا منذ الثورة البلشفية ، والجماعات اليهودية في القارة الأوروبية التي لم تكن أبداً ذات أهمية كبرى على المسرح العالمى ، قد شلّتها قبضة النازيين . وباستثناء اليسوف الذى وصل تعدادة إلى حوالى نصف المليون ، فاليهود الأمريكيون فقط كان لهم وزنهم عالمياً إذا صحّت عزيمتهم وتمسكوا من تحريك كامل قوتهم ونفوذهم ، لأن أمريكا منذ اندلاع الحرب كان لها الدور الأهم في العالم .

وذكر بن غوريون أن أمريكا لعبت دوراً حاسماً في الحرب العالمية الأولى ، وكان لليهودية الأمريكية دور هام في استصدار وعد بلفور ، سواء عرفت ذلك أم لم تعرف . ولكن شعب الولايات المتحدة لم يكن مستعداً بعد لتحطيم عزلته ، ومجلس الشيوخ الأمريكى بنفوذه الحاسم رفض مشاركة أمريكا في عضوية عصبة الأمم التي رعاها الرئيس ويلسون للحفاظ على السلام العالمى . ولكن بن غوريون لم يقف عند هذه الصورة الشاحبة لأمريكا وإنما تجاوزها لينظر إلى المستقبل متفائلاً . قال إن واقع الحرب العالمية الثانية فتح أعين الشعب الأمريكى . ففي عام ١٩٤٠ كانت الولايات المتحدة

رسمياً وقانونياً دولة محايدة ، ولكن كان واضحاً للأمريكيين الواعين أن هذه الحرب يمكن أن تقرر مصير أمريكا أيضاً . لأن تحالف ألمانيا وإيطاليا واليابان يمكن أن ينسف حرية أمريكا واستقلالها تماماً . وخلال السنين الخمسين الماضية ، نمت في هذه البلاد ذات الأهمية الحيوية ، أكبر جالية يهودية — ربما أكبرها في التاريخ اليهودي بأكمله — وبرغم أن هذه الجالية لا تتجاوز نسبة ٣٪ من مجموع السكان ، فإنها بسبب تركزها في عدد من أهم الولايات ، أحرزت مكانة سياسية عظيمة .

وهنا يقف بن غوريون ليؤكد أن اليهودية الأمريكية هي الجالية اليهودية الوحيدة التي بوسعها أن تمارس أفضل وربما أحسن ضغط على سياسة بريطانية في فلسطين ، بشرط واحد هو أن تبذل كل قوتها في الصراع من أجل مآدعاه مستقبل الشعب اليهودي في موطنه ، .

وقد أدرك بن غوريون صعوبة توفر هذا الشرط ، وقال إنه في غضون زيارته القصيرة لأمريكا قبل انعقاد مؤتمر لندن (١٩٣٩) ، لم يجد هناك حركة صهيونية متحدة منظمة وقادرة على العمل ، ولا كان موقف الرعاثة الصهيونية الأمريكية في المؤتمر الصهيوني الحادي والعشرين الذي انعقد بعد نشر الكتاب الأبيض بيضعة شهور ، موقفاً مشجعاً جداً .

واستشهد بن غوريون بمعاونه شرتوك الذي رسم صورة شاحبة للحركة الصهيونية في أمريكا ، وذلك برغم اعترافه بأن أمريكا هي البلد الوحيد الذي يتمتع فيه اليهود بقوة ضخمة ، ولكن رأى أن هذه القوة لا تستخدم لمساندة سياسية يهودية : « هناك ملايين من اليهود النشيطين والمنظمين جيداً في أمريكا ، ومكائهم تتيح لهم أن يكونوا أكثر فعالية ونفوذاً . لأنهم يعيشون في مراكز عصب البلد ، ويحتلون مناصب هامة في السياسة والتجارة والصحافة والمسرح والإذاعة ، وبمقدورهم التأثير على الرأي العام ، ولكن قوتهم

لا يحسب بها أحد ، ما دامت غير مهيأة ولا موجهة نحو الهدف الصحيح . إن المنظمة الصهيونية في درك سفل ، فهي عرضة للشقاق الداخلي ، مزقتها المنافسات الشخصية والحزبية . ولقد عبرت الكتل اليهودية عن الشعور العميق والولاء الأساسى الطبعى لقضيتنا ، بيد أن هذا الشعور لا يستغل ولا يوضع فى خدمة غايات عملية .

هناك عناصر كثيرة داخل المجتمع الأمريكى تتطلب التعاون والإرشاد . إن الأجهزة المتباينة يمكن توحيدها فى إطار واسع واحد ، ويوجه نشاطها لمصلحة عملنا فى فلسطين . فلو ينشأ فقط مثل هذا الجهاز اليهودى الفعال الذى يعرف ما يريد ، فيوجه جهوده نحو فلسطين ، فأنا ذلك فقط يكون بمقدورنا أن نختبر ما إذا كان يمكن دفع الحكومة الأمريكية لمؤازرتنا .

« وإلى الآن لم يكن بمقدورنا حتى أن نضع هذا الموضوع على محك الاختبار . وأى آمال تنهض بهذا الصدد ، من وقت لآخر ، تكون قائمة على معرفة شخصية بهذا الشخص أو ذاك بالرئيس روزفلت أو بوجه سياسى آخر . فنحن لم نتوصل بعد إلى فرض ضغط قوى عام فى أمريكا ، باستعمال وسائل لها وزنها فى السياسة الحديثة .

« ربما فرص نجاحنا ليست بكبيرة ، ولكن ينبغي القيام بهذا الجهد . ومن الآن فصاعداً ليست المشكلة هى استحضار النفوذ اليهودى الأمريكى للضغط على الإدارة الأمريكية ، وهى مسألة ذات وزن بحد ذاتها ، وإنما هى مشكلة توجيه نفوذ اليهودية الأمريكية نحو الحكومة البريطانية . وحتى الآن لم نقيم بمثل هذا العمل أبداً . »

واستشهد به غوريون أيضاً بحديث الياهو غولب (مؤسس الهاغانا وعضو قيادتها العليا) وقد رسم صورة أكثر تشاؤماً للوضع الراهن فى أمريكا من حيث تجاوبه مع الأهداف الصهيونية . ونقل عن غولب قوله : « إذا

كان لي أن أنهي إليكم كل ما رأيت في المحافل اليهودية والصهيونية في أمريكا ، فسوف أرسم صورة مخزنة نوعاً . لقد تحدث شرتوك عن آمالنا المعقودة على أمريكا ، وعن القوة اليهودية القائمة هناك ، والمتنظرة أن تنطلق للعمل . يتوجب عليّ أن أقول إن هذه القوة اليوم ليست رغبة ولا قدرة على القتال من أجل الصهيونية . وهذا لا يعني أن اليهودية الأمريكية مجردة من المشاعر الصهيونية ، بالعكس ، فالمشاعر الصهيونية لديهم أقوى كثيراً مما قد يعكسه وضع المنظمة الصهيونية الأمريكية . ومن المستطاع أن تبلور بين اليهود الأمريكيين قوة للعمل السياسي والمعونة الفعلية لقضيتنا . ولكنها حتى الآن لا توجد عملياً — إنها فقط قوة كامنة ، ولإظهارها ينبغي عمل الكثير .

« إن اليهودي الأمريكي يفكر في نفسه أولاً وقبل كل شيء كموطن أمريكي . وهذه حقيقة ، سواء أعجبتنا أم لا . ونحن يذهب اليهودي والصهيوني إلى صناديق الاقتراع فليس موقف المرشح من الصهيونية هو الذي يتحكم باختياره ، لأن يفكر في نفسه أولاً كأمريكي ، معنى " باحتياجات أمريكا ومشاكلها . فالولاء لأمريكا الآن له الكلمة العليا ... ومن المشكوك فيه ما إذا كان لدى يهود أمريكا الرغبة في وضع وزنهم السياسي في الميزان ، وما إذا كان لديهم الجرأة لربط مصالح اليهودية العالمية والصهيونية مع وزنهم السياسي في أمريكا . وهذا هو سؤال رئيسي » .

« وإذا كان لي أن أجيب على هذا السؤال الآن على أساس الحالة الحاضرة للأمور في أمريكا ، لأجبت بالنفي . وإذا سألتهم : هل ثمة أمل في أن نجد بين اليهود الأمريكيين الدعم الذي يتطلبه موقفنا لقلت إن هذا الأمل هو ضئيل تماماً اليوم .

« لقد حلت كوارث مريعة بيهود أوروبا ، فهل أثار ذلك يهود أمريكا لزيادة دعمهم المادي : كلا ! بالعكس تماماً : ولا يستبعد أن دخل الجباية

اليهودية الموحدة - وليس فقط الجباية المشتركة لفلسطين - سوف يتدنّى. والسبب هو شعور بالوهن والانحلال ، شعور بأنه لا يمكن عمل شيء لتفادي وقوع النكبة التي نزلت باليهود ، وهذا شعور واسع الانتشار ...

د وعلى أساس خبرتي في أمريكا وكثير من المناقشات مع اليهود الصهاينة وغير الصهاينة ، اعتقد أن الصراع اليهودي الدائر في فلسطين سوف يثير الاقتناع الصهيوني والعمل الصهيوني . وسوف نكتسب تأييد الرأى العام اليهودي وربما غير اليهودي أيضاً - إما بصهيونية ناجحة أو بصهيونية مقالة .

وقال بن غوريون إن وعنف حالة الحركة الصهيونية الأمريكية الذي ورد على لسان شرتوك وغولاب ، كان صحيحاً بوجه عام فيما يتصل بالوقت الحاضر . ولكنه على ثقة من أن هذه الحالة يمكن تغييرها . وأنها ناجحة إلى حد كبير عن بعد أمريكا عما يجرى في العالم ولا سيما في انكلترا وفلسطين . فاليهود الأمريكيون لم يدركوا بعد الطابع الخاص لهذه الحرب المخيفة ، ولا الخطر الذي تكته لوجود الشعب اليهودي نفسه ، ولا فهمت الحركة الصهيونية كل خطورة الكتاب الأبيض ، وأكد أن مركز القرار قد انتقل من أوربة إلى أمريكا . وختم بن غوريون حديثه بتلخيص مخططة فقال : « علينا نحن أن نوضح للحركة الصهيونية الأمريكية ولجميع المنظمات الصهيونية ، كم هو خيف متجههم صراعنا من أجل مصير الشعب اليهودي بأكمله ، ومن أجل مستقبل فلسطين . علينا أن نوضح لهم عملنا الأساسي في هذا الوقت : ضمان مشاركة الشعب ضد هتلر ، لا كأفراد بلا مسميات ، وإنما تحت راية الجيش اليهودي . وضمان الجهود لتأسيس دولة يهودية حالما تنتهى الحرب . يجب أن ننهي لإيهام أن العمل الأكبر للهجرة والاستيطان ، وإنقاذ ملايين اليهود الذين يعيشون مآسى الغزو النازي ، لا يمكن أن يتم على أيدي الغرباء ، نحن وحدنا يمكننا القيام بهذا العمل . إننى معجب بنضال الشعب البريطاني تحت الزعامة المهمة

لونسون تشرشل ، برغم ما ناسينا من خيات خلال الشهور الأولى من وجود الوزارة . ولكن كنت مقتنعاً أن الميدان الرئيسى لجهودنا - خارج فلسطين - ليس فى بريطانية ، وإنما فى أمريكا . وباستثناء اليسوف نفسه ، لم يكن تحت تصرفنا أداة أكثر فعالية من الجماعة اليهودية الأمريكية والحركة الصهيونية .

والحق أن أهم تطور فى تاريخ الحركة الصهيونية خلال الفترة ما بين ١٩٣٩ - ١٩٤٧ هو نقل الصهاينة قاعدة عملهم المركزيه الدولية Metropolitan من لندن إلى واشنطن . لقد كان الكتاب الأبيض (١٩٣٩) نذير الخطر الذى نبه الصهاينة إلى شكوك لندن نحو النفوذ الصهيونى وتماديه ، قد اقتربت من حد الاشباع .

وهذه كانت وجهة النظر الصهيونية فى فلسطين ، ممثلة فى بن غوريون ومعاونيه . أما وايزمن ، فقد ظل يختلف مع بن غوريون على تقييم دور لندن المقبل ، وكان يعكس أسلوبه المفضل ، والقائم على الاتصالات الشخصية مع كبار الساسة البريطانيين الذين أعجبوا بجاذبيته لسنوات طويلة . وبينما بقى وايزمن يعمل من لندن ، فقد اتجه بن غوريون إلى الولايات المتحدة .

لقد وصف لنا بن غوريون الدور المنوط بقاعدة العمل الصهيونى المركزية فى مسعى الاستراتيجية الصهيونية اليأس للبحث عن بديل للقاعدة البريطانية التى استنفدت استراتيجيتها فى الفترة ما بين الحربين . وقد وضعت الاستراتيجية الصهيونية الجديدة منذ عام ١٩٣٩ لتقوم أساساً بتنشيط اليهودية الأمريكية ، وتنظيم صلات التضامن العفوى مع الجماعات اليهودية ذات الأصول السلافية المتشابهة فى القاعدة الصهيونية المركزية الجديدة (أمريكا) . بمعنى أن الزعامة الصهيونية فى فلسطين يجب أن تستغل الروابط السلافية المشتركة مع اليهود الأمريكين ، فى الضغط على الإدارات التشريعية والتنفيذية الأمريكية ، حتى تمارس هذه بدورها الضغط على لندن كما تندمج فى أطر المخطط الصهيونى .

لقد استغرق وضع وتنفيذ مخطط الاستراتيجية الصهيونية الجديد خمس سنوات لقلب المسرح السياسي الأمريكي قلباً جذرياً يعكس قابلية هذا المسرح الاستثنائية للتأثر بالاستيطان الصهيوني في فلسطين . صحيح أن لندن قد أظهرت قبولاً مماثلاً للضغط الصهيوني في العشرينات والثلاثينات ، ولكن بفارقين رئيسيين : أولهما أن سياسة لندن الصهيونية كانت تقوم على تقييم محسوب وواع المصالح القومية البريطانية في الشرق الأوسط ، مهما كان هذا التقييم مضللاً . وثانيهما أن الضغط الرئيسى على لندن كان يصدر من القاعدة الصهيونية المركزية البريطانية (لندن) . ولكن اعتباراً من عام ١٩٣٩ صارت المخطط الصهيونية تصدر عن المؤسسة الصهيونية بفلسطين ، وتم إنجاحها برغم نصيح ومعارضة الوكالات المتخصصة في الإدارة الأمريكية : وزارتي الخارجية والدفاع .

ولكن عمل بن غوريون لم يكن سهلاً . ولا كانت وسائله ميسورة ، فأمريكا تتمسك بعزلها التقليدية التي ترجع إلى مائة وخمسين عاماً . واليهودية الأمريكية كانت تبدو غير مكرثة . عبر غولمب عن هذا الوضع المحزن العاجز للصهيونية الأمريكية ، ويؤيد وعده للوضع الصهيوني المتردى ، مؤشر نوعي لمستوى تبرعات اليهود الأمريكيين من أجل المؤسستين الصهيونيتين الاستيطانيتين : الكيرين كيمت والكيرين هيسود :

ففي السنوات الأربع ما بين ١٩٣٩ - ١٩٤٢ سجلت هذه التبرعات زيادة طفيفة : ٣,٥٠٠,٠٠٠ دولار (١٩٣٩) ، ٣,٧٠٠,٠٠٠ (١٩٤٠) ، ٣,٥٠٠,٠٠٠ (١٩٤١) ، ٤,٢٠٠,٠٠٠ (١٩٤٢) .

لقد كان أكبر هموم بن غوريون هو كيف يمكن استئثار الصهاينة الأمريكيين ، ومن خلاصهم اليهود الأمريكيين ، لدفعهم نحو العمل الصهيوني . رأى بن غوريون أن خير وسيلة لحل هذه المشكلة الأساسية هي تعريف

الأهداف الصهيونية بحدودها القصوى ، وإقناع الصهاينة الأمريكيين بها وترويضهم عليها ، والتزلف لهم ، في محاولة لاكتساب تأييدهم العالمي لهذه الأهداف والانتصار لها . وهكذا برز برنامج بلمتور (١٩٤٢) كما سنرى ، ويعتبر نقطة تحول خطيرة على تحقيق الهدف الصهيوني ليس في الوطن القومي اليهودي بفلسطين ، فهذه مرحلة منقضية ، لعبت بريطانيا قبل إصدار الكتاب الأبيض (١٩٣٩) الدور الأساسي في رسم خططها وترسيخ جذورها ، وإنما في دولة يهودية تستغرق كل فلسطين . وهذه مرحلة ما بعد بلمتور ، ولتحقيقها تطلع الصهاينة نحو الولايات المتحدة الأمريكية وكان لابد من الضغط الأمريكي على بريطانيا لاسقاط الكتاب الأبيض الذي تضمن تحديد الهجرة ثم وقفها وجعلها مشروطة بعد خمس سنوات بموافقة العرب ، وذلك لكي يمكن متابعة التقدم الصهيوني نحو تحقيق برنامج بلمتور في السيطرة الكاملة على فلسطين . فحين تزيد الولايات المتحدة انحيازها للصهيونية ، تزيد ثقة المؤسسة الصهيونية الأمريكية بنفسها فيزداد ضغطها على الجماعة اليهودية الأمريكية . وبقدرة ما يزداد تحريك الجماعة اليهودية الأمريكية وتنشيطها ، يكون ضغطها أكبر على الإدارة الأمريكية . وازدياد الضغط الصهيوني — اليهودي على الإدارة الأمريكية يزداد انحيازها للصهيونية وأهدافها . وهذه علاقة عضوية يرجع الفضل في ادراك دورها إلى بن غوريون الذي رأى إمكانات نجاحها في أمريكا مستقبلاً ، تماماً كما سبق له أن رأى نجاح مثلها في بريطانيا ماضياً ، هذا هو المستوى الأول للعمل الصهيوني المقبل .

ولكن إلى جانب هذه الجهود الدبلوماسية التي يجب تركيزها على الإدارة الأمريكية في أعلى مستوياتها ، ينبغي اكتمالها بدعم المؤسسة العسكرية الصهيونية في فلسطين كما تستعمل في المستوى الثاني من العملية الثلاثية المركبة ، وذلك لتقوم بأعمال العنف ضد دولة الانتداب في فلسطين بغية مضايقتها والضغط عليها ، كي تضطر إلى التخلي عن قيود الهجرة اليهودية إلى فلسطين . والمستوى

الثالث هو تصعيد المهجرة اليهودية غير المشروعة والقيام بما تتطلبه من حملة دعائية شاملة ضد بريطانية على أساس أن إلغاء الكتاب الأبيض يوفر الحل الوحيد لإيواء اللاجئين اليهود الفارين من الطغيان النازي وفقاً للبادئ الإنسانية البحتة .

إن التنسيق بين هذه المستويات الثلاثة في العمل الصهيوني : دبلوماسياً بالضغط على البيت الأبيض ، ومسرحياً بتصعيد المهجرة اليهودية غير المشروعة وعسكرياً بتنظيم أعمال العنف في فلسطين ، كان وفقاً لخطط دقيقة مركزية . ولا حاجة إلى القول بأن أهمها وأخطرها وحجر الزاوية فيها كان علاقات واشنطن مع لندن ، لا (المواجهة) العسكرية أو المسرحية الصهيونية ضد دولة الانتداب في فلسطين ، لأن معرفة كل من الصهاينة والبريطانيين أين مرتكز العتلة الضاغطة ، قد أعطى الأولين قوة ضد الآخرين ، وجعل العمليات المسرحية (المهجرة غير المشروعة) والعسكرية (فعال العنف) مؤثرة مدمرة . ونحن فيما يلي سوف نعرض لهذه المستويات الثلاثة من العمل الصهيوني ، بادئين بالجهود الرامية إلى خلق المؤسسة العسكرية الصهيونية لأنها تقع زمنياً قبل برنامج بلتيمور الذي يمثل منطلق الجهد الدبلوماسي الذي استهدف البيت الأبيض مباشرة ، ثم البدء باستقطاب اليهودية الأمريكية .

ونحن إذ ننتقل إلى تفصيل خطط وأحداث الاستراتيجية الصهيونية الجديدة نتحدث ما بين ١٩٣٩ و ١٩٤٢ عن المساعي والجهود الصهيونية التي بدأت تنطلق لتحقيق شعار : دولة يهودية لا وطن قومي .

دولة يهودية لا وطن قومي :

بقيت الأهداف والسياسات الصهيونية الأساسية مترابطة ومتحدة منذ مؤتمر بال ١٨٩٧ ، وإن أبدى الزعماء الصهاينة دائماً مرونة مفهومة في رسم

السياسة العملية المثلى . ومع أن بن غوريون قد صرح في آذار — مارس ١٩٤٠ بأنه ليس لديه نية في اتخاذ خطوات فعالة لإنهاء القلاقل التي نجمت عن نشر الإدارة الإنتدائية بفلسطين نظم انتقال الأراضي وتحديدات امتلاك الصهاينة لها ، غير أن هؤلاء عموماً تظاهروا بدعم المجهود الحربى البريطانى ضد النازيين . أى أنهم عملوا على تنفيذ شعار بن غوريون : محاربة هتلر ومحاربة الكتاب الأبيض على حد سواء . رغم تناقض مضمون هذا الشعار . وحتى حزب التصحيحين المتطرف تظاهر بالرضى عن هذا ، السياسة ، ولم ينشق عنه سوى جماعة صغيرة تزعمها ابراهام شتيرن الذى ظل مع جماعته متمسكين بعدائهم الإرهابى نحو الدولة المنتدبة . ولكن بعد معارضة الإدارة الإنتدائية لعمليات الهجرة غير المشروعة ، وما صاحبها من الاستغلال الدعائى الصهيونى ، زادت عمليات الإرهاب ، وقتل شتيرن فى معركة مع قوى الأمن (شباط — فبراير ١٩٤٢) ، واعتقل عشرون من أتباعه . ومع أن الصهاينة كانوا يتهمون شتيرن بادية ذى بدء بالخيانة ولم يتعاونوا معه نظراً لعلاقاته بالإيطاليين الفاشيين ، فإن هذا العداء لم يلبث أن تبدل عام ١٩٤٣ ، بسبب إعادة توجيه استراتيجية الصهيونية السياسية ، وما طرأ على رأى العام الصهيونى بموجبها من تغيير .

ونلص بدايات هذا التغير فى سلسلة من التصريحات والخطب والمقالات لبعض الزعماء الصهاينة البارزين لا فى فلسطين فحسب وإنما فى الغرب ، وخاصة أمريكا ، وذلك فى نطاق المجهود الصهيونى لإعادة تنظيم الصهيونيين فى (الشيئات أو المنفى) ، وضمان تأييد (الأمم الأخرى) غير اليهودية للسياسة الصهيونية الجديدة . فقد نشرت المجلة الصهيونية الأمريكية مقالاً رئيسياً بمناسبة العيد العشرين لتأسيس الصندوق القومى اليهودى (١١ تشرين الأول — أكتوبر ١٩٤٠) بعنوان « دولة فى طريق التكوين » ، وفى العدد نفسه كتب سليخ برودتسكى ، عضو تنفيذية الوكالة اليهودية : « يجب أن نهى سياسة .. يكون له (البشوف)

وللشعب اليهودي بموجبها صفة الأمة والدولة في فلسطين، (١)، وفي ٦ كانون الأول ديسمبر كتب يهودي فلسطيني يدعى زفي فاردي مقالاً في المجلة الصهيونية نفسها وكان أكثر وضوحاً ، فقال : « إن فلسطين يجب أن تعود إلينا ، وهي تصلح لماوى جميع ملايين اليهود الذين يضطرم شوقهم لحياة حرة في أرض حرة. وماذا عن بضع مئات الألوف من العرب الذين يعيشون في فلسطين خارج البقاع الواسعة القليلة السكان في الدول العربية المستقلة ؟ لا نستطيع ، ولا يتوقع منا أن نعطي الجواب ، لأن المسألة لا تعيننا نحن فقط .. وإذا بقي الاتساع ، فيجب أن يطلب من بريطانيا العظمى أن تجعله خارج نطاق الادارة الاستعمارية . وحينذاك ، فإن المسألة العربية التي اصطنع تضخيمها ، ستبدو تافهة ، إذا نظر إليها ، ليس في ضوء المصالح الاستعمارية المحدودة ، وإنما في سياق المسألة العالمية العظمى (٢) . »

وفي كانون الثاني - يناير ١٩٤١ عقد مؤتمر الجباية الموحد لفلسطين (٣) في واشنطن وضم ٢٠٠٠ من ممثلي اليهودية الأمريكية (وتقرر فيه أن يقام في فلسطين كومنولث يهودي) . وقد مررنا أن رئيس الصندوق القومي اليهودي صرح بأن سياسته هي إعاقه أى تقسيم لفلسطين ، وذلك باتباع مناطق الحدود ، ملجأ إلى أن الوقت قد حان للبدء في إقامة دولة يهودية في فلسطين بأكملها . ووايزمن نفسه أعلن في شيكاغو (٢٩ آذار - مارس) أنه بعد انتصار الديمقراطيات ، ينبغي أن يبرز اتحاد عربي يضم البلدان العربية الكبيرة ويمتد من الفرات

Zionist Review, 11 oct. 1940, p. 5.

(١)

ibid.

(٢)

(٣) تأسست الجباية الموحدة لفلسطين وهرمز إليها بـ U.P.A. عام ١٩٢٧ وتغير اسمها عام ١٩٥٣ الى الجباية الموحدة لاسرائيل ومركزها نيويورك ، ومهمتها الأساسية تقوية الهجرة اليهودية الى فلسطين وتنفيذ مشاريع الاسكان فيها .

حتى ليديه ، ومن الممكن أن يقوم كومنولث يهودى جنباً إلى جنب مع الاتحاد العربى (١) . أما الدوافع التى تكمن وراء المطالبة بالدولة اليهودية فقد لخصها برل كاتزنلسون الزعيم الصهيونى العالى بقوله :

« الدولة ليست أهم عنصر فى برنامجنا . لو كان يمكن إيجاد نظام يضمن الهنترة الكثيفة والاستيطان فى فلسطين ، فإن وجود دولة يهودية كهذه يصبح ذا أهمية ثانوية . ولكن تجاربنا فى الأعوام القليلة قد علمتنا أنه فى الفترة الحاضرة من تاريخ العالم لا يوجد سوى نظام واحد فقط يستطيع أن يضمن هذه الأحوال ، وهو دولة يهودية .. وإذا كنا لم نشجع طلبات إقامة الدولة اليهودية فوراً فى الماضى ، فذلك يرجع إلى أننا كنا نشعر أن منجزاتنا حتى ذلك التاريخ لم تكن لتبررها . وكنا نخشى أن طلباً قبل أوانه لإقامة الدولة ، يمكن أن ينجم عنه أذى عظيم .. وحينذاك جاء بعض الساسة البريطانيين فى اللجنة بيل واقترحوا إقامة دولة يهودية . بل أنهم اقترحوا شيئاً كنا نتردد فى ذكره هو نقل السكان . وكثيرون ممن عارضوا مقترحات لجنة بيل فعلوا ذلك ليس لأنهم يحتجون على إقامة الدولة اليهودية ، وإنما لأن التوصيات لم يكن من شأنها أن تخلق الأحوال المؤدية إلى قيام الدولة بعملها .. يجب أن نقول للشعوب العربية : نحن ننوى مساعدة جهودكم نحو الوحدة والاستقلال إذا توقفت عن ازعاجنا واعترفتم بفلسطين كدولة يهودية . على مثل هذا الأساس يمكن لإنجاز التفاهم المتبادل والتعاون . أنا لا أرغب فى أن أدلل على أن مثل هذا الموقف سوف يلقى التأييد الفورى من جانب العرب . لأنهم قد

(١) لاحظ ان وايزمن قال « جنباً الى جنب » لا « ضمن وداخل » الاتحاد العربى المقترح .

يرفضون مثل هذا الاقتراح مرات عديدة ، ولكن في النهاية يمكن أن يقبلوا به (١) .

وفي الوقت نفسه كان ناحوم غولدمان رئيس اللجنة الإدارية لل مؤتمر اليهودي العالمي ، يعرف الحدود المقترحة للدولة أو للكومنولث بأنها تشمل على فلسطين بأكملها ، وعليهم أن يطالبوا بمد نشاطهم إلى شرق الأردن ، حتى ولو كان وضع ذلك البلد مختلفاً عن وضع فلسطين (٢) . أما وايزمن فقد كتب في كانون الثاني -يناير ١٩٤٢ مقالا في مجلة الشؤون الخارجية (الأمريكية) بعنوان « دور فلسطين في حل المسألة اليهودية » ، قال فيه : يجب أن يعلم العرب بوضوح أن اليهود سوف يستجعون على استيطان فلسطين ، وسوف يتحكمون بهجرتهم الخاصة ؛ وأن اليهود الذين يرغبون بذلك هنا ، سيكون في مقدورهم الحصول على حريتهم وحكم أنفسهم بإقامة دولة خاصة بهم . وفي تلك الدولة ستسود المساواة المدنية والسياسية التامة في الحقوق لجميع المواطنين ، دونما تمييز بالعرق أو الدين ؛ وبالإضافة إلى ذلك فالعرب سينعمون باستقلال داخلي كامل في تصريف شؤونهم الداخلية الخاصة . ولكن إذا وجد عرب لا يرغبون في البقاء ضمن دولة يهودية ،

Zionist Review, 14 Nov. 1941, p. 7.

(١)

وبلاحظ أن مثل هذا المقترح بالغامض المتبادل والتعاون مع العرب ، قد كرره بن غوريون أمام اللجنة الخاصة في الأمم المتحدة (٧ تموز - يوليو ١٩٤٧) بقوله : « . . نحن نؤيد أن نجلس معكم ونسوى المسألة بمودة . إذا كان جوابكم هو كلا ، حينئذ سوف نستعمل القوة ضدكم » .

Quoted in Kirk, Survey for 1939 - 1945, note.

Der Tog (New York) 14 Nov. 1941, Quoted in Kirk, ibid. (٢)

وقد قررت المنظمة الصهيونية في أمريكا إجماعاً (٧ أيلول - سبتمبر) أن تطالب بإعادة بناء فلسطين ضمن حدودها التاريخية ، ككومنولث يهودي .

Zionist Review, 12 Sept. 1941

Kirk, ibid.

فستوفر لهم كل التسهيلات للانتقال إلى واحد من البلدان العربية الكثيرة والمتسعة (١) .

جيش يهودى لمحاربون بلا هوية :

وبعد أن عرضنا لتصريحات الزعماء الصهيونيين بخصوص ما يرتأونه حول مستقبل الحركة الصهيونية في فلسطين بعد الحرب ، لا بد أن نلِس فيها دلائل تغير واضحة في التوجيه السياسى للصهيونية . لقد أشار بعض الزعماء غير مرة إلى مسألة خطيرة لن يقبلها العرب ، هى مسألة نقل السكان وتهجيرهم إلى البلدان العربية العديدة والمتسعة ، ولا يمكن أن يخفى مغزى مثل هذا المخطط الصهيونى على العرب : إقامة دولة يهودية في فلسطين برمتها . لقد عاين زعماء الصهيونية المقاومة العربية الضارية لتهويد جزء من فلسطين . ولكن يبدو أنهم كانوا يعدون لكل أمر عدته . فقد نوه بعضهم أنه ليس بد للعرب في النهاية أن يقبلوا بذلك . قالها كاتزنلسون على استحياء أواخر عام ١٩٤١ ، وكررها بن غوريون صراحة عام ١٩٤٧ أمام هيئة الأمم المتحدة ، وهدد بأن اليهود سوف يواجهون رفض العرب لمقترحاتهم بقوة السلاح . وإذن فلا بد من يوم تم فيه المجابهة مع العرب ، ويومذاك سيكون للقوة والنظام والتدريب والسلاح الدور الفعال في فرض الأمر الواقع الذى يتطلع إليه الغالب .

وعليه ، فإن إعادة التوجيه السياسى الصهيونى لا بد من أن يشمل على وضع الخطط لتشكيل قوة يهودية محاربة ومدربة ، إذا كان له أن يتطلع إلى إقامة دولة يهودية في نهاية الحرب العالمية الدائرة . إن التوجيه الجديد للصهيونية يهدف إلى إقامة الدولة اليهودية التى بوسعها أن تحتضن النازحين

اليهود أمام طغيان النازي ، دون اكتراث بالكتاب الأبيض الذي يعتبر سمة من سمات المرحلة البائدة ، بعد أن استنفدت أغراضها بترسيخ دعائم الوطن القوي . فبدأ ابتداء الحرب العالمية الأولى ، حققت الصهيونية السياسية تأييد (الأمم الأخرى) . ولفظة الأمم الأخرى في المصطلح اليهودي تدل على الأمم غير اليهودية ، أو على (الكفار — Gentiles) . وتأيد الأمم الأخرى للصهيونية بشكل مرحلة في برنامج هرتسل ، وقد تم بالحصول على مساعدة الحكومة البريطانية من خلال استقطاب الوزراء والزعماء والسياسيين البريطانيين والأمريكيين . غير أن إصرار الحكومة البريطانية ، وبالذات وزارة المستعمرات ، على الحيلولة دون تدفق سيل المهاجرة اليهودية غير المشروعة والكثيفة إلى فلسطين ، لأسباب استراتيجية معروفة تتعلق باسترضاء العرب في الحرب الدائرة ، قد هز الوفاق البريطاني الصهيوني بعنف ، وخاصة قبل جاوس تشرشل على كرسي رئاسة الوزارة البريطانية ، مما أدى إلى تحول الصهيونية إلى الولايات المتحدة كمصدر رئيسي لدعم (الأمم الأخرى) للصهيونية . ولأنه لمن المثير أن نشير بصدد هذا التحول ، إلى أن المنظمة الصهيونية نفسها التي عقد عليها كثير من الزعماء البريطانيين آمالهم في دعم استراتيجي وسياسي للمصالح البريطانية في الشرق الأوسط ، تحولت الآن دون تردد عن تلك الدولة التي لولا معونتها وحفاظها على وعدها مع الصهيونية ، لأصبحت هذه خبراً من أخبار التاريخ الماضي . وسنرى أن الصهيونية سوف تستغل الجهل العام لدى (الأمم الأخرى) بدقائق المسألة الفلسطينية ، وستقترح تبني برنامج يهدف لإقامة دولة يهودية.

وفي بحث الصهاينة الدائب عن موافقة الحكومة البريطانية والأمم الأخرى ، على مشروع الدولة اليهودية المقبل استعملوا خطة مجازفة . خدمت قضية الصهيونية السياسية خدمة جلي . تلك الخطة هي المطالبة بتشكيل وحدات يهودية مستقلة تخدم في جيوش الحلفاء ضد قوى المحور . ولنبدسط القول في هذه المطالبة بشيء من التفصيل لأهميته في تحقيق الهدف الصهيوني.

واجه الصهيونيون حقيقة بسيطة بحد ذاتها ، وهى أنه من المتعذر تطبيق السياستين اللتين أعلنهما بن غوريون بنفس النجاح : محاربة هتلر ، ومحاربة الكتاب الأبيض . إذ لا يمكن للحرب التى تشنها الصهيونية على الكتاب الأبيض إلا أن تثير شكوك البريطانيين فى الهدف الذى ستسعى إليه الوكالة اليهودية من وراء تشكيل القوة اليهودية المحاربة ، التى كان إيجادها مستحيلا دون موافقة الحكومة البريطانية . ثم أن موقف العرب الصلب فى مواجهة الأهداف الصهيونية لن يكون من السهل تجاهله . ومن يدرى فقد ينجح النازيون فى اختراق الجبهة الليبية ويحتلون مصر والقناة ، وينسحب البريطانيون من فلسطين ، تاركين اليهود فى مواجهة أعدائهم إذن فالمطالبة بقوة يهودية محاربة ترفد مجهود الحلفاء الحربى ضرورة يهودية قبل كل شيء ، والحق أن رجال الإدارة الانتدابية الذين يعيشون فى فلسطين مع العرب ويعرفون - على الطبيعة - وضع الطرفين ، كانوا يرون أن هدف الوكالة اليهودية من إقامة الجيش اليهودى ذو شقين :

أولها محاربة النازيين فى ميادين الحرب الدائرة ، كما أكد الصهاينة . وثانيهما فرض الحل الصهيونى على مشكلة فلسطين بقوة السلاح ، والتهديد ، بل ومحاولة اكتساح البلاد ، حتى ولو أدى ذلك إلى احتمال نشوب حرب أهلية مع عرب فلسطين . ونجرح الحق إذا لم نسجل أن الكتاب الصهيونيين الذين وضعوا مؤلفاتهم عن فلسطين بعد هذا التاريخ ، وحتى قيام إسرائيل ، لم يتركوا أدنى شك فى أن سياسة من طراز سياسة الزعيم الصهيونى التتبعى جابوتنسكى ، هى التى وجهت الوكالة اليهودية ، ومنذ اللحظة الأولى التى طالبت فيها بإنشاء الجيش اليهودى (١) .

ولكن ثمة أسباب أخرى أهم — في نظرنا — وهى أسباب لا يستطيع الصهاينة أن يوضحوا بها ، صحيح أن تجنيد اليهود في فلسطين (الشوف) في وحدات عسكرية سيساعد على تكوين نواة جيش يهودى يمكن أن يجابه المقاومة العربية عندما ينادى بالدولة اليهودية . ولكن الأهم من ذلك من الوجهة السياسية ، أن تقوم الوحدات العسكرية اليهودية بتعشيل الشعب اليهودى رسمياً ، وأن تحارب في ظل راية يهودية (١) . لأن ذلك سيضمن اعترافاً هاماً بمبدأ الدولة اليهودية ، ويكون خطوة في الطريق نحو الاعتراف بها على أساس الأمر الواقع ، كما أن ذلك سيوجه ضربة شديدة إلى اليهود غير الصهيونيين ، في دلالاته الواهمة بأن اليهود يشاركون في الحرب كأمة يهودية لا كمواطنين في الأمم الأخرى (الكافرة) ، وهو وضعهم الحقيقى في الواقع . ونظراً للقيمة المعنوية التى ستكسبها الصهيونية من تشكيل قوة يهودية محاربة ، عمل وايزمن بدأب طوال سنى الحرب للحصول على موافقة الحكومة البريطانية على هذا المشروع .

بدأ الحوار بين الحكومة البريطانية وبين الصهيونية حول تشكيل قوة محاربة يهودية ، على أعلى المستويات السياسية قبل نشوب الحرب العالمية الثانية بعدة أشهر ، ولم ينته إلى نتيجة إيجابية إلا قبل سبعة أشهر من نهاية الحرب . فقبل خمسة أيام من إعلان بريطانيا الحرب في ٣ كانون الأول-ديسمبر ١٩٣٩ كتب وايزمن إلى رئيس الوزارة البريطانية تشمبرلن يعرض عليه استعداد الوكالة اليهودية لإجراء ترتيبات فورية بغية الاستفادة من القوة البشرية اليهودية وقدراتها التقنية ومواردها في سير الحرب . ورد تشمبرلن بكياسة وبغير التزام ، مؤكداً أن في وسع حكومته أن تعتمد على التعاون الصادق من

(١) Cohen, Israel «A short History of Zionism», London 1951
pp. 156 — 7

الوكالة اليهودية . وواضح أن ما قصده وايزمن وزعماء الصهيونية من عبارة (الاستفادة من القوة البشرية اليهودية) يعنى من (تشكيل جيش يهودى) . ولكن تشمبرلن آثر أن يفهم العرض بأنه يعنى التعاون الصادق من جانب الوكالة اليهودية وعدم الرغبة فى خلق المتاعب لبريطانية ، ولكن سياسة الكتاب الأبيض لم تكن مدار بحث طالما كان تشمبرلن رئيساً للوزراء ومكدونالد وزيراً للمستعمرات .

وبعد تولى تشرشل رئاسة الوزارة (أيار-مايو ١٩٤٠) استبشرت الدوائر الصهيونية وأشرق الأمل أمامها من جديد . فالمعروف أن تشرشل ، باعترافه كان صهيونياً دائماً ، وكان على النقيض من أنصار الصهيونية فى البرلمان يظل على صهيونيته سواء أكان فى الحكم أم فى المعارضة . ولم يكن يخشى من المتاعب الهائلة التى تثيرها الصهيونية فى الميدان السياسى . وكانت زعامته للبلاد فى هذه الآونة لاتضاهى ولذا كان تدخله فى أى نزاع سياسى كافياً لقرض الحل الذى يراه ولو موقتاً . بذل وايزمن كل براعته الدبلوماسية للتأثير الفعال على الجنرال روبرت هينينغ نائب رئيس أركان حرب الامبراطورية الذى وعده بأن يبعث بتعليماته إلى الجنرال أرشيبالد ويفل القائد العام فى الشرق الأوسط ، ليسمح بتدريب وحدات عسكرية يهودية . ولكن لم يجر تنفيذ شىء . وفى آب-أغسطس ١٩٤٠ كتب وايزمن إلى تشرشل يطلب مقابلته ، ويضيف أن يهود فلسطين سيتعرضون لمذبحة جماعية على أيدي العرب (١) بتشجيع وتوجيه من النازيين والفاشيين — فى حالة انسحاب البريطانيين موقتاً من فلسطين لا سمح الله . د إن إمكان حدوث ذلك يدعم المطالبة بمحقنا الانسانى الأولى فى حمل السلاح الذى لا يجب إنكاره أدياً على المواطنين المخلصين فى بلاد ما أثناء الحرب . إن اليهود فى فلسطين بمقدورهم أن يحشدوا ٥٠ ألفاً من الرجال المقاتلين ، كلهم فى ذروة القوة ، وهذه قوة لا يستهان بها إذا

أحسن تدريبها وتسليحها وقيادتها، (١). وفي أيلول-سبتمبر ١٩٤٠ فأتش وايزمن-
ثانية - الموضوع أثناء طعام الغداء مع تشرشل وبعض أصدقائه الذين
أظهروا اهتماماً بالموضوع. وكان تشرشل ودياً ومهماً بتفاصيل مشروع
إنشاء الجيش اليهودي. فعدوا جميعاً على وضع برنامج من خمس نقاط، حمل
وايزمن خلاصته ليقدمه فوراً إلى الجنرال جون ديل رئيس أركان
الامبراطورية. النقطة الأولى تدعو إلى (تجنيد أكبر عدد ممكن من يهود
فلسطين لخدمات الحرية لينتظموا في كتائب يهودية أو تشكيلات أكبر، .
النقطة الثالثة تدعو أن يختار ضباط الفرقة اليهودية فوراً من يهود فلسطين،
ويدربوا في مصر. النقطة الرابعة تتعلق بوحدة يهودية صحراوية، والنقطة
الخامسة بتجنيد اليهود الأجانب في انكلترا. أما النقطة الثانية التي وصفها
وايزمن بأنها مشؤومة فقد أضيفت نزولاً عند إصرار وزارة الخارجية على
وجوب مراعاة مبدأ المساواة العرقية بين المجندين العرب واليهود. وبما أن
عدد اليهود سيكون أكبر، فإن الزيادة منهم يجب إرسالها إلى مصر للتدريب
أو في أي مكان آخر من الشرق الأوسط. وتشرشل - كما يقول وايزمن -
كان متعاوناً جداً. وكان وايزمن راضياً عن هذه النتيجة، وبدأ تشرشل
والجميع في حالة انشراح وسرور (٢).

وقد اعتبرت الصهيونية تشكيل وحدات يهودية تماماً وانتصاراً لمبدأ
طال النضال من أجله.. وحدات محاربة يهودية صميعة، ستأخذ مكانها إلى جانب
البريطانيين وحلفائهم... وسيحاربون كيهود وسيمثلون الشعب اليهودي نواته
السياسية الحية في فلسطين، وكذلك جماهير اليهود الغفيرة في أنحاء العالم (٣)

Weizmann, Trial & Error p. 521 (١)

ibid. p. 522 (٢)

New Judea. XVI Sedt. 1940, p. 192, Quoted in Kirk, op. cit. (٣)
p. 239.

وفي ٢ تشرين الأول علم وايزمن أن تشرشل أبلغ مجلس الوزراء البريطاني رغبته في إلغاء الكتاب الأبيض . وهذا التبليغ وإن لم يؤد إلى شيء نظراً لمعارضة الدوائر السياسية والعسكرية ، فإنه يدل على شدة تأييد تشرشل للمطالب الصهيونية التي لم تغادر ذهنه في خضم معركة بريطانية . وأحيط وايزمن علماً بأن مجلس الوزراء البريطاني أقر مشروع إنشاء الجيش اليهودي بصورة نهائية . وكان قد تم إنشاء القوة الفلسطينية في أيلول-سبتمبر ١٩٤٠ عن طريق إضافة فوج فلسطيني إلى كتيبة (إيست كنت) أطلق عليه اسم (بافس Buffs) وكان مشروع هذه القوة الفلسطينية يقضى بادیء ذي بدء بأن تتألف سرايا الفوج على أساس المناصفة بين العرب واليهود . ويبدو أن مبدأ المناصفة وضع لأنه لم يكن منه بد . ولكن عملياً فالدوائر البريطانية تعلم حق العلم بأن العرب لم يقبلوا على التطوع في الفوج لإقبال اليهود .

وبينما كان يتعاظم خطر التهديد الألماني في الصحراء الغربية ، زاد تطوع اليهود في الجيش البريطاني والدفاع المحلي . وقد صرح وكيل وزارة المستعمرات في مطلع تموز-يوليو ١٩٤٢ أن المنظمات الدفاعية اليهودية المحلية تعتبر بمثابة ومعاذلة للحرس الوطني في بريطانيا . وقد سلح بوليس المستعمرات اليهودية ، وسلحت الأجهزة اليهودية الأخرى ، ودربت أحسن تدريب . وقد جرى التوصل إلى اتفاق بين الهاغانا المرتبطة بفرع خاص في الوكالة اليهودية ، وبين فرع خاص في قيادة منطقة الشرق الأوسط يعرف بـ (G.S.I.J.) تعاون بموجبه الهاغانا في العمليات السرية في حالة غزو ألماني لفلسطين . وعلى ذلك جرى « تسليح جماعات الهاغانا وتدريبها على حرب العصابات (١) » ، وأنشأت الإدارة البريطانية مدرسة سرية خاصة لتدريب « عصابات الهاغانا في المنطقة الجردية إلى الجنوب الشرقي من حيفا (٢) » ، والقيام بغارات وراء خطوط

Koestler, A. «Promise & fulfilment», London: 1949, p. 85 (١)

ibid p. 86

(٢)

العدو . وتناضت السلطات البريطانية عن تهريب السلاح ، وفي بعض الحالات أقدمت على « توزيع السلاح على الهاغانا (١) » ومنحت الإدارة البريطانية صفة شرعية إلى (١٥) ألف يهودى كانوا يشكلون قوة البوليس للمستعمرات اليهودية . وقد زود كل واحد من هؤلاء ببندقية بريطانية . وكان جميع أعضاء هذه القوة البوليسية اليهودية « يعملون في خدمة الهاغانا بصورة فعلية أيضاً (١) » . وكان قد تم قبل العمليات الحربية الفاشلة في اليونان وجزيرة كريت ، تدريب عدد كاف من رجال الهاغانا للاشتراك في هذه العمليات . وقامت مجموعة مؤلفة من (٢٣) نفراً يقودهم ضابط بريطاني في شهر أيار-مايو ١٩٤١ ، أى بعد هزيمة بريطانية في اليونان ، وأثناء معركة كريت ، بغارة على ميناء طرابلس في لبنان لتدمير مصفاة الزيت فيها . ولكن القشل كان نصيب هذه العملية ، وقتل جميع المشتركين فيها عن بكرة أبيهم . وكانت هذه العملية بداية تشكيل (سرايا الصاعقة) التابعة للهاغانا ، والمسماة بالمامح . وقامت نفس السلطات السرية البريطانية في الشهر نفسه بعملية أخرى هدفها إلقاء القبض على المفتي الحاج أمين الحسيني في بغداد وخطفه ، أثناء ثورة رشيد عالي الكيلاني ولم يجمع أفراد العملية من الهاغانا هذه المرة ، وإنما جمعوا من أفراد عصابتهم الأرغون ترقائى لثوى . كما قام رجال الهاغانا المدربون في عام ١٩٤١ بأعمال التجسس ونشر الدعايات السرية في سورية ولبنان بتوجيه مباشر من بريطانية أحياناً ، وبتوجيه من مكتب الهاغانا في حيفا بالتعاون مع البريطانيين أحياناً أخرى . وكان أساتذان يهوديان في مدرسة حينما الصناعية يديران مكتب الهاغانا في حيفا . واشترك فضيل من الهاغانا بغزو سورية ولبنان في شهر تموز من عام ١٩٤١ وقام بأعمال الاستطلاع والتخريب في مقدمة الجيش الزاحف ، وقد حوفظ على سرية هذا التعاون الذي تم بين

ibid. p. 70

(١)

ibid. p. 74

(٢)

السلطات البريطانية ومنظمى الهاغانا والأرغون ، فى وقت تهدد مصير الطرفين بالغزو الألمانى الوشيك . ولنسجل هنا أن نطاق التعاون لم يكن متسعاً ، لحشية الدوائر الصهيونية أن تؤدى (الشراكة) العسكرية البريطانية اليهودية فى ظل الإشراف البريطانى الراهن ، إلى تقليص هبة الهاغانا وانتقاص سلطاتها ، وهى من سلطة الوكالة اليهودية أخيراً . هذا من جهة .

ومن جهة ثانية فإن الصهيونية برغم توقعها الشديد إلى جعل هذا التعاون نقطة البداية لقيام الجيش اليهودى المرتقب ، غير أنها لا تزال تشعر بالمرارة لإصرار الإدارة الانتدابية البريطانية ووزارة المستعمرات على تطبيق كامل لبنود الكتاب الأبيض . هذا إلى أن حملات الدعاية العنيفة التى شنتها الوكالة اليهودية ضد بريطانية قد أدى بدوره إلى ظهور مشاعر العداء المكبوت حيناً والصريح حيناً آخر ضد بريطانية ، الأمر الذى أدى إلى توجس السلطات الانتدابية وتزايد حذرهما وشكوكهما . وهو بدوره جعل الصهاينة أقل كفاية على التثبت من مدى مقدرتهم الاعتماد على بريطانية . ولكن تغلب رأى من يسمون أنفسهم بالجناح اليميني والمعتدلين ، والقائل بأن تحقيق الجيش اليهودى إنما يكون عن طريق التدرج والتطور السياسى ، وكان يرى وجوب تطوع اليهود فى القوات البريطانية ، لأن ذلك هو السبيل الوحيد لخلق أكبر عدد ممكن من الوحدات اليهودية المحاربة ، ويومذاك يصبح الجيش اليهودى حقيقة واقعة سواء برضى بريطانية أو بعدمه . وكان هذا رأى الصيوني كذلك مصيباً فى تشجيع نوع من الخدمة العسكرية الفردية وغير المشروطة ، خارج فلسطين ، وعدم إصراره على قيام الجيش اليهودى . إذ أن قيام هذا الجيش كان يتطلب مفاوضات طويلة تعرقل انخراط الشبان اليهود فى الجيش ، فى وقت تشعر فيه القيادة الصهيونية أنها بأمس الحاجة إلى أن يكون لديها عدد كبير من الرجال المدربين عسكرياً . وكان من أثر ذلك أن التحقت أعداد كبيرة من اليهود بالجيش البريطانى ، فقد جند ما مجموعه ٢٧,٠٢٨ يهودى (١١٠٦ فى البحرية الملكية و ٢٦٥٢ فى الطيران و ٢٣,٢٧٠ فى الجيش) .

(٣ م - فلسطين)

وفي أواخر الحرب رخص تشرشل بتشكيل الفيالق اليهودى وكان يضم ٣٥٨ نفرا . وقد توفر التدريب والخبرة لهؤلاء على يد الجنود البولنديين اليهود الثمارين بأسلحتهم ، وتقدرهم المصادر البريطانية برقم (٣٦٠٠) جندي يهودى انضموا إلى الجيش أثناء الحرب العالمية الثانية .

ولكن التطور الذى سجل اتساعاً عظيماً كان تطور صناعة الأسلحة اليهودية . لقد كانت تنتج مدافع الهاون مع قتالها منذ عام ١٩٣٩ .

ولبي الصهاينة فى هذه الصناعة طلبات الجيش البريطانى خلال ١٩٤٤-٤٢ لبيع ما ثمنه ٣٣ مليون جنيه ، وهذه تشمل ٣٦٣٤٠٠٠ لغم مضاد للدروع ، ومركبات دبابات ، وقوارب بحرية صغيرة ، مظلات (١) .

إن الجناح الذى يسمى نفسه باليميني والمعتدل يرجع فى أصوله إلى الهاغانا (الدفاع) وإلى الصراع الذى كان مستمراً بين أجنحتها ؛ ذلك أن الجناح اليميني فى الهاغانا كان يرى أنها لا تعدو أن تكون منظمة مسلحة تضع نفسها فى خدمة اليهود وامتلاكهم فى أيام الأزمات ، كالثورة العربية والاضطرابات . وتكون مكتملة فى عملها لنور القوات البريطانية قوات الأمن العسكرية . أما الجناح الذى يسمى نفسه باليسارى والمتطرف ، فكان يتألف من جماعات يسارية أحسن تنظيماً ، تمثل التفكير السياسى لمنظمة المستدرون العالمية الصهيونية ، وكان ينادى بسياسة جامحة تعطى للهاغانا دوراً أكبر ، وهو أن تكون جيش الصهيونية ، بحيث يتمكن اليهود سياسياً من الدفاع عن أنفسهم ضد جميع الفرقاء . وبحيث تكون الهاغانا منظمة قومية لا محلية ، كأداء فعالة فى يد السياسة الصهيونية ، لا مجرد منظمة لسد حاجات محدودة

Quoted by Khalidi, op. cit., p. 62 introduction. (١)

Sykes, op. cit, pp. 253-4

وانظر أيضا سايكس :

تطوع ماكلابن وايزمن فى القوى الجوية البريطانية ، وفقد أثناء عملية جوية فى عام ١٩٤٢ ،

Weizmann. p. 525

ومسؤوليات معينة . أو بكلمات أحد أنصار هذا الجناح : « نحن نخشى ، أن لا يأخذنا أولئك الذين سنضع الهاغانا — التي تؤلف الجزء الرئيسى من قواتنا الدفاعية — تحت تصرفهم ، بعين الاعتبار ، عندما يصل الأمر إلى الدفاع عن هذه البلاد ، وستقوم حساباتهم المطلقة التي تشمل وحدتنا ، على اعتبار أن فلسطين لا تؤلف سوى نقطة واحدة في خط قتال ضخم وهائل . لكن هذه النقطة تمثل لنا الشيء الأساسى في الحرب . ولو قامت هناك قوة يهودية ، لاختلفت خططها الاستراتيجية تماماً ، فهى لن تقوم بأية عملية لتحليل أهمية خطوط التموين الطويلة أو القصيرة ، إذ أن مهمتها ستختصر في الدفاع عن فلسطين » . وقد قيلت هذه العبارات في ربيع عام ١٩٤٢ ، عندما كان رومل على رأس فيلقه الأفريقى ، يواجه الجيش البريطانى الثامن .

وعلى الرغم من قوة هذا الاتجاه ، فإنه لم يستطع أن يفرض نفسه علنا إلا في ما بعد الحرب العالمية الثانية ، حين ضلعت الوكالة اليهودية بفعال الإرهاب الصهيونى ضد البريطانيين والعرب على السواء ، كوسيلة من وسائل الضغط التكتيكى على بريطانيا ، كما سيرد ذلك في حينه .

وحسبنا الآن أن نصف هذا التيار بأنه كان ذا أثر في هذه الظروف الحرجة — ظروف احتمال تراجع بريطانى عام عن حوض البحر المتوسط الشرقى بكامله . فاذا أضفنا إلى ذلك ما تنشره الدعاية الصهيونية المنظمة حول حادثة الباخرة (ستروما) ، من التشهير والتحريض ، وبث بذور الشك في الأذهان حول نوايا بريطانية ومدى إخلاصها لحلفائها اليهود ، تتضح لنا أسباب الظنون التي سيطرت على اليهود في فلسطين بأن بريطانية لن تدافع راضية عن الوطن القومى اليهودى ، ضد القوى النازية المتقدمة . كما تتضح أسباب موجة المطالبات الصهيونية الملحة بوجوب قيام الجيش اليهودى ، ليس في فلسطين وبريطانية فحسب ، وإنما أيضاً في الأوساط السياسية الأمريكية ؛ فقد طلب شرتوك رئيس القسم السياسى في الوكالة اليهودية من الجنرال أوكينلاك

القائد العام الجديد في الشرق الأوسط ، يسأله فيه مضاعفة التدريب لأفراد القوة البوليسية الفلسطينية ، وتحويل سراياها إلى أفواج ، وتوسيع (الهاغانا الشرعية) من أجل الدفاع عن فلسطين (نيسان — أبريل ١٩٤٢) ، بينما قام وايزمن وبن غوريون وكانا في الولايات المتحدة آنذاك ، بتدعيم جهوده في الخارج . وكانت نتيجة هذا النشاط الصهيوني أن أعلن وكيل وزارة الحرب البريطانية — بعد نقاش في مجلس العموم حول تشكيل القوة اليهودية الدفاعية — عن تحويل سرايا الفوج الفلسطيني إلى اللواء الفلسطيني الذي يتألف من كتائب مشاة يهودية وعربية منفصلة ، للخدمة العسكرية في الشرق الأوسط ، على أن تندمج فيها سرايا (البافس) الفلسطينية ، وقد أمل بتجنيد ١٠ آلاف جندي إضافي ، دون الإصرار على مراعاة المساواة العددية بين الطائفتين العربية واليهودية (١) . وبينما رحب الصهونيون بذلك على أنه خطوة نحو هدفهم ، أعلنوا أنهم سيستمرون في الضغط من أجل الوصول إلى تشكيل قوة محاربة يهودية تحت علمها الخاص (٢) . وأعلن شرتوك أن هذه القوة اليهودية في اللواء الفلسطيني ليست إلا ظلالا لما كان اليهود يريدونه . وبذلك لم يضع اليهود الفرصة المتاحة لهم ، بفضل تأييد تشرشل الذي استمد قوة جديدة لدعم المشروع الصهيوني من تأييد أمريكته له عن طريق الرئيس روزفلت وصنوبريلز والجنرال مارشال . وقد اضطرت الإدارة الانتدابية وقيادة الشرق الأوسط البريطانية إلى القبول بذلك رغبة في ترضية تشرشل ، مع أنها كانت تتوجس خيفة من رد الفعل العربي ، ومن تزعزع ولاء القوات اليهودية ودوام اتسائها بقيادة الهاغانا ، بدلا من القيادة البريطانية العليا ، كما سرى في حينه .

أما في الولايات المتحدة فقد قامت لجنة صهيونية تصحيحية تناصر تشكيل

Parliamentary Debates, 5th Ser. Vol. 285 col. 1271 (١)

Quoted in Trevor, «Under the White Paper» p. 71 (٢)

الجيش اليهودى ، ونشرت بياناً وقعه ١٩٢١ من وجوه المجتمع . وفيهم ثلث أعضاء مجلس الشيوخ ، وكان بينهم الشيخ هارى ترومان من ولاية ميسورى (١) ومهما يكن من أمر فإن التجنيد بقدر ما يخص الإدارة الانتدابية كان طوعياً . وقد انضم ٢٣ ألفاً من اليهود و٩ آلاف من العرب إلى مختلف فروع الخدمة العسكرية ، ولكن النسبة المئوية للمرفوضين من بين العرب ، لأسباب «طبية» كانت أعلى منها لدى المتطوعين اليهود فضلاً عن أن الوكالة اليهودية استعملت سلطاتها الشبيهة بالحكومية ، بحرية ، لحض اليهود على الانضمام للقوات المحاربة ، بحيث أن الإدارة الانتدابية شعرت بوجوب التدخل لمصلحة الحفاظ على مبدأ التجنيد الطوعى ، وعلى ذلك فإن إرادة الأفراد بين الطائفتين للتطوع فى الخدمة العسكرية مع الجيش البريطانى ، لم تكن تعبيراً دقيقاً عن الوضع السائد ، ولم تكن تمثل الدقة فى هذه الأرقام (٢) . وزادت أرقام المتطوعين اليهود مع تزايد الخطر أو ظهوره بمظهر التزايد ، إذ تطوع بين شهرى حزيران - يونيو وتشرين الأول - أكتوبر ١٩٤٢ نحو من ١٩٦٥ من اليهود .

وكان شرتوك يضغط من مقره فى الوكالة اليهودية على الإدارة الانتدابية وعلى حكومة لندن ، ويقول إن التقاعس البريطانى عن تشكيل الجيش اليهودى ، يثبط عزائم اليهود ، ويحول بينهم وبين تقديم أقصى ما يستطيعون . ولكن سلوك الوكالة اليهودية فى الضغط على أفراد طائفتها وحشهم على التطوع وجباية الأموال منهم فى سبيل ذلك ، كان يناقض تمام المناقضة ما قاله شرتوك ويلخص الدكتور يهودا بوير ما حدث نتيجة ذلك : . . . لم يكن البريطانيون فى الأوقات العادية ، أى عندما كانت دبابات الألمان بعيدة عن أبواب الاسكندرية ، فى حاجة إلى عدد كبير من المتطوعين من يهود فلسطين ، أما فى أوقات الشدة ، فإنهم فى حاجة إلى هؤلاء المتطوعين الذين يفدون دون

Chicago Daily News, 16 Dec, 1912

(١)

Barbour, A Survey of the Palestine Controversy,

(٢)

وجود جيش يهودى ، فالجيش حاجة يهودية لا بريطانية (١) ، . وعند اقتراب عام ١٩٤٣ من نهايته خشى الصهيونيون أن يودى تأجيل تشكيل الجيش اليهودى إلى ضياع فرصة اشتراكه فى غزو أوروبا واحتلال ألمانيا وطلبت الوكالة اليهودية (تشرين الثانى - نوفمبر ١٩٤٣) من حكومة لندن ، وحكومة واشنطن ، القيام بعمل فورى . وأوعزت الوكالة إلى أنصارها فى البرلمان البريطانى فتقدم ثلاثة وخمسون منهم فى نيسان - أبريل ١٩٤٤ باقتراح بهذا المعنى .

وفى ايلول - سبتمبر ١٩٤٤ نجح نهائياً الالحاح الصهيونى المتواصل لتكوين جيش يهودى — سواء فى الولايات المتحدة أو فى بريطانيا ؛ وفى العشرين من هذا الشهر أذاعت وزارة الحرب البريطانية أنها قررت أن تساعد فى تشكيل لواء يهودى (٢) على أن يتشكل فقط من يهود فلسطين ، ويتم التجنيد بواسطة الوكالة اليهودية . وعلى الرغم من أن قرار الحكومة البريطانية لم يتضمن تشكيل جيش أو فرقة وإنما لواء ، فقد اعتبر الصهاينة ذلك نصراً كبيراً لمبدأ « وحدات محاربة يهودية صميمة ، ستحارب كيهود ، وستمثل الشعب اليهودى .. » ، ونظروا إلى هذا اللواء اليهودى الصرف على أنه بمثابة إعلان للدولة اليهودية ، لاسيما وأن هذا اللواء حمل أعلامه الخاصة التى رفعت شعار نجمة داود . وقد تم تجهيز اللواء اليهودى بسرعة إذ كان عليه أن يضم السرايا المدربة التى كانت تؤلف الكتيبة الفلسطينية ، وبذلك أصبح مستعداً للعمل فى إيطاليا ، تحت علمه الخاص (٣) ، مع ما يترتب على ذلك من التأكيد على الجنسية اليهودية ، ومع افساح المجال أمامه ليربط بها حقيقة كونه يهودياً بتلك الجنسية . وما له دلالة خطيرة أن علم هذا اللواء كان هو نفسه علم اسرائيل اليوم .

Sykes op. cit p. 278

(١)

Kirk. the Middle East in the war, 1939-1945 p. 321

(٢)

Esco, palestine. II, p. 1032

(٣)

ولقد حقق الصهاينة حلمهم بأن يقاتلوا النازيين تحت علمهم الخاص ،
ولكن المهمة الأكثر خطراً التي اختطها الصهاينة لهذا اللواء ، لم تكن غايتها
المرتقبة تتوقف عندهذا الحد ، وإنما تنتظر نتيجة الصراع الخفي تارة والظاهر
تارة أخرى مع العرب الذين لم يكن بد من الاصطدام بهم يوماً ما . وسنرى ما أعد
الصهاينة من تدريب اليهود ورصد الأموال لتزويدهم بأحدث السلاح ، بالإضافة
إلى إغراء كثيرين من الضباط والجنود البولنديين على الفرار من الجيش
البولندي بأسلحتهم للافادة منهم ومن سلاحهم في عمليات التدريب والتسليح .
ومن جهة أخرى كان الكثيرون من يهود فلسطين الملحقين بقوات الشرق
الأوسط ، قد أوعزت الوكالة اليهودية إليهم أن يعملوا مع الجماعات المختصة
بالتأمين ومخازن الأسلحة على خطوط المواصلات ومناطق القواعد الحربية
فكانت هذه فرصتهم لتهرب الأسلحة إلى فلسطين ، واستغلالها على أوسع
نطاق بإرشاد الهاغانا . كذلك أغرى كثير من جنود الحلفاء والبريطانيين
بالاشتراك في هذا العمل المربح الذي يدرّ الأموال الطائلة . هذا إلى أن
صعوبة تموين قوات الشرق الأوسط عن طريق الدوران حول أفريقيا ،
قد جعل السلطات البريطانية تكلف بعض المؤسسات الصناعية اليهودية في
فلسطين ، بصنع الأسلحة الصغيرة ، ومنها مدافع الهاون ، مما كانوا يتقنون
صنعه ، ولكن بعض هذه الأسلحة أخذت طريقها — بالطبع — إلى مخازن
الهاغانا ، في المستعمرات اليهودية . وقد أوضح زعماء الصهيونية أن الغرض
من اقتناء السلاح هو حماية اليهود لأنفسهم من اعتداء العرب عليهم . هذا
هو الغرض الظاهري المشروع ، ، ولكن دفاع اليهود لأنفسهم فهمته
سلطات الإدارة الانتدابية على أنه يعنى مقاومة القيود الموضوعة على الهجرة
وشراء الأراضي ، وبعبارة أخرى ، مقاومة الكتاب الأبيض البغيض . وقد
كثر تردد الأنباء عن تكديس الأسلحة المهربة في المخابئ ، مما أفضى في أواخر
عام ١٩٤٣ إلى اقتحام بعض رجال الجيش والبوليس مستعمرتين يهوديتين

لتفتيشهما . ولكن قوبلت حملة التفتيش هذه بمقاومة عنيفة .

وسنرى تفصيل ذلك عند الكلام على الإرهاب الصهيوني وما أدى إليه .

خطط المرحلة الصهيونية الجديدة : برنامج بلمور (أيار - مايو ١٩٤٢) :

يفترض بعض الكتاب أن التغير في السياسة الصهيونية إنما كان يمثل موقفاً وسطاً بين سياسة وايزمن التقليدية القائمة على الدبلوماسية الماهرة بالتعاون مع البريطانيين ، وبين نظرة التصحيحين القائمة على العداء للبريطانيين أصحاب الكتاب الأبيض . وهذا التغير هو نتيجة عفوية لحية أمل الصهيونيين في سياسة التوفيق التي كانت رائد القيادة الصهيونية في تعاملها مع بريطانيا،^(١) على أنه يتعذر تصديق هذا الرأي في ضوء الوقائع التاريخية القائلة بأن الانتداب البريطاني خدم مصالح الصهيونية أكثر بكثير مما فعله لإعاقه تلك المصالح^(٢) . بالإضافة إلى أن وايزمن نفسه كان واحداً من أول الذين اقترحوا هذه السياسة الجديدة ، وهو موقف أعاد تأكيده بشكل أوضح في وقت مبكر من عام ١٩٤٢ ، كما مر بنا^(٣) ، والحقيقة أن هذا التحول في السياسة الصهيونية من التعاون الوثيق إلى ما يشبه العداء ، وخاصة منذ مطلع عام ١٩٤٣ ، أملاه بشكل رئيسي تغير في الظروف ، بدا بموجبه هذا التغير أكثر فائدة من أى شيء آخر لتحقيق أهداف الصهيونية .

ولعل أهم عناصر هذا التغير في الظروف القائمة يومذاك كانت مفتعلة

(١) Esso, palestine II, p. 1080

(٢) انظر دلائل ذلك في خطاب بن غوريون أمام المجلس الصهيوني العام بالقدس في ٧ آب - أغسطس ١٩٣٨ . Ben Gurion. op. cit., pp. 89 - 98

(٣) Weizman «Palestine's Role in the Solution of the Jewish Problem, Foreign Affairs Jan. 1942, pp. 324-38

اصطنعتها السياسة الصهيونية في أثناء سعيها الخيث لإسقاط الكتاب الأبيض فمن المعلوم أن التردد كان مسيطراً على تصرف الموظفين البريطانيين في الإدارة الانتدابية بحيث أن بعضهم كان ممزقاً بين نزعة لمروءة اليهود النازحين من أوربة النازية، والذين كانت الصهيونية تلهب ظهورهم بالسيطرة للتوجه بالهجرة غير المشروعة نحو فلسطين، دون أي اعتبار لإنساني حقيقي. وبين حرصهم على دوام هدوء الوضع الداخلي العربي القائم أساساً على حسن تصرف العرب وعلى التوازن الدقيق المعرض للاختلال بسبب أية هجرة يهودية إلى فلسطين. وحين قررت الحكومة البريطانية (تشرين الثاني - نوفمبر ١٩٤٠) عدم قبول أي مهاجرة غير مشروعة إلى فلسطين، كان عليها أن تختار بين إغلاق فلسطين في وجهه النازحين اليهود من اضطهاد النازي. وبين المقامرة بارتقاء الشرق الأوسط في أحضان النازي. ويبدو أن هذا الخيار كان محتوماً في ضوء خطورة الأحداث التي وافقت ثورة رشيد عالي الكيلاني (أيار - مايو ١٩٤١) المناوئة لبريطانية، والتي هددت بتحرير البلدان العربية وأولها فلسطين في أشد الساعات شؤماً على مقدرات الحرب البريطانية آنذاك. لقد استنكر الزعماء الصهاينة بشدة منع الهجرة إلى فلسطين وراحوا يوسنرون صدور اليهود ضد بريطانيا، وهؤلاء الزعماء الذين، لسنوات خلت، كانوا يستعجلون فتح أبواب فلسطين أمام تدفق المهاجرة اليهودية، لم يكونوا يرتفعون فوق استغلال حاجة اليهود الأوربيين إلى الانقاذ والإسعاف. وذلك بقصد إنجاح سياستهم الاستيطانية، وهكذا فإنهم عارضوا بحماسة إرسال اللاجئين اليهود إلى بلاد أخرى غير فلسطين، إذا ما افتتحت على قبولهم النهائي فيها وفي سبيل هذه السياسة الخبيثة المفتعلة، أغرق الصهاينة باخرة أو باخترتين من سفن اللاجئين عمداً^(١) ودون علم هؤلاء المنكودين، وبولغ في تصوير

(١) أنظر A. M. Hayson, « Palestine under the Mandate », London 1950, p. 150.

ذلك بأبشع الصور ، وبولغ فيه أشد المبالغة لاستدراار العطف العالمى ولفقت نظره إلى خطورة المسألة اليهودية ، والضغط على الحكومة البريطانية كي تتخلى عن قيود الكتاب الأبيض .

وقد اعترف باستغلال هذه المسألة الإنسانية من أجل غايات سياسية ، بعض الكتاب اليهود (١) . ولم يتفكر الموعلون فى العماية من الصهاينة فى أن الولايات المتحدة نفسها ، الضخمة برقعها ، والضخمة بمباديتها ومواردها ، والملاطفة الملاينة للحل الصهيونى ، لم تقبل فى أراضيها سوى عدد ضئيل جداً من اليهود منذ عام ١٩٢٣ وما بعدها (٢) . وكان مما يتفق مع الخطط الصهيونية أن تشيع الخوف من تنكر عملاء النازى فى صورة لاجئين ، بما فيهم اليهود ، الأمر الذى دفع الولايات المتحدة إلى تشديد القيود المفروضة على السماح بدخول أراضيها .

والحق أن يهود أمريكا أنفسهم كانوا يعارضون بشدة هجرة إخوانهم بدوافع الأنانية المحضة . وكانوا يرفضون ويحاربون كل إجراء من شأنه أن يزيد من عدد اليهود الموجودين فى الولايات المتحدة ، وكانوا يوم ذاك خمسة ملايين ، حيث كان هؤلاء متمركزين فى المدن الكبرى ومطمئنين إلى استثمارهم بقدر وفير من الرخاء المالى والتجارى مع النفوذ السياسى . وهم من ناحية أخرى يرفضون أن يشاركهم إخوانهم اليهود المهاجرون هذا الرخاء

(١) احتجت صحيفة (ها آرتز) اليهودية فى ٣٠ آذار - مارس ١٩٤٧ بأن «انقاذ ضحايا هتلر قد تحول الى موضوع سياسى بالكلام الكثير على إيجاد غالبية وعلى هجرة الملايين» .
(٢) يقدر اليهود الأمر بكون هذا العدد بـ (١٦٠) ألفاً أى بزيادة ١٠ / ١ بالمائة الى ٣٦ ألفاً وهى نسبة اليهود الى مجموع السكان ، فى حين سجل (٢١٤) ألفاً من مهاجرى اليهود الى فلسطين فى الفترة نفسها ، فزادت نسبة اليهود فى فلسطين من ١٧ - ٣٠ بالمائة مجموع السكان .

Adler & Margalith « With Firmness in the Right », pp. 441 - 3,
& Wischnitzer, « to Dwell in Safety », p. 247

وذلك النفوذ ، ويخشون كذلك من إثارة روح التعصب ضد اليهود في كثير من الأوساط الأمريكية التي كان بعض الذين أوتوا العلم منها يساورهم القلق من تفاقم النفوذ المالى والسياسى اليهودى في كثير الميادين ، واساءتهم استعمال هذا النفوذ ، وتغلغلهم بشئ ألوان الدعاية الماكرة في الأوساط الرسمية والشعبية للتأثير عليها ، وحملها على تأييد البرنامج الصهيونى السياسى . لقد كان لدى المستر أرنست ييفن ، وزير الخارجية البريطانية — فيما بعد الحرب مباشرة من الشجاعة الأدبية والجرأة ، ما جعله يقول بصراحة : إن حكومة الولايات المتحدة تمارس سياسة الضغط لتحقيق هجرة اليهود إلى فلسطين ، وذلك لأن الأمريكيين يرفضون قبولهم في نيويورك^(١) . بل إن معظم أعضاء الكونغرس الأمريكى الذين أيدوا بحماسة الحل الصهيونى للمسألة — وهو فتح أبواب فلسطين للهجرة اليهودية المطلقة — كانوا في الوقت نفسه من أشد المعارضين لإسهام الولايات المتحدة وبريطانيا وغيرهما في تفرجيع أزمة اليهود في أوربة ، عن طريق استيعاب جانب منهم في كل بلد .

وسيكون لموقف الرفض الذى وقفته الولايات المتحدة وبريطانية من قبول أى عدد من اللاجئين اليهود ، ما بعده في تحميل فلسطين هذا الوزر المبهم لكاهلها والمهدد لعروبتها . وسرى ذلك فيما يلى من حديث حول تعضيد الدولتين لفكرة الدولة اليهودية في فلسطين ، بعد إقرار الصهيونية العالمية لبرنامج بلمتور الذى تضمن الخطوط الرئيسية للصهيونية السياسية في مرحلتها الجديدة .

سقوط القناع الصهيونى في مؤتمر بلمتور (أيار — مايو ١٩٤٢) :

في أخرج مرحلة من مراحل الحرب العالمية الثانية وفي شتى جبهات

(١) خطابه في مؤتمر حزب العمال (١٢ حزيران — يونيو ١٩٤٦)
Arab News Bulletin, 28, 6, 1946

القتال على اختلافها من الشرق الأقصى والشرق الأوسط إلى الجبهة الروسية، انعقد مؤتمر صهيوني استثنائي في فندق بلتيمور Biltmore بنيويورك ، وسط تهاويل الدعاية الصهيونية عن نكبة يهود أوربة على يد النازي ، وغرق مئات اللاجئين اليهود بعد نفس البأخرة (ستروما) ، ووسط دلائل الفشل الذي واجهته الصهيونية السياسية في حوارها المتطاوول مع الحكومة البريطانية، حول تشكيل الجيش اليهودي المحارب تحت علمه الخاص . وقد حضر المؤتمر ٦٠٠ من الصهيونيين الأمريكيين ، و٦٧ صهيونياً من البلدان الأخرى ومنها فلسطين، مع عدد من اليهود غير الصهيونيين . ودام المؤتمر من ٩-١١ أيار - مايو ١٩٤٢ ، وكان تنظيمه والدعوة إليه بإشراف ما كان يسمى بـ (لجنة طوارئ للشئون الصهيونية Emergency Committee) ، وهي تمثل مختلف التجمعات الصهيونية الأمريكية . وقد طُرح مشروع تشكيل هذه اللجنة في وقت انعقاد المؤتمر الصهيوني بجنيف (آب-أغسطس ١٩٣٩) قبل الحرب العالمية الثانية بقليل، والهدف منها تنسيق العمل الصهيوني في الولايات المتحدة، ومتابعة الاتصال مع مختلف فروع الحركة الصهيونية في الخارج (١) ، التي قد تجد نفسها منعزلة وعلى غير صلة مع مكاتب الهيئة التنفيذية في لندن أو القدس . وقد نُظمت هذه اللجنة فيما بعد تحت اسم المجلس الصهيوني الأمريكي للطوارئ . وتشكل هذا المجلس من الدكتور وايزمن عن تنفيذية الوكالة اليهودية ، ومن ممثلي أربع منظمات صهيونية رئيسية هي : المنظمة الصهيونية العالمية في أمريكا ، الهاداسا (المنظمة الصهيونية النسائية) ، والبوعالي صهيون (عمال صهيون) والجماعات الصهيونية المتحدة للعمال ، والمزراحي (الجماعة الصهيونية المتدينة) (٢)

Esco, op. cit, II, p. 1078

(١)

(٢) تأسست الهاداسا عام ١٩١٢ على يد المرأة اليهودية الأمريكية الصهيونية هنريتا زولد بهدف نشر المبادئ الصهيونية بين النساء الأمريكيات ، وتشجيع مشاركتهن في ميادين الخدمة العامة والصحية العامة .

أما المزراحي فقد أسسها الحاجام إسحق يعقوب رينز عام ١٩٠٢ واندمجت في المؤتمر

وقد مثلت هذه الجماعات الصهيونية ، بالإضافة إلى الوكالة اليهودية ، في تنفيذية مجلس الطوارئ . وقد عمل مجلس الطوارئ على صعيد وطني ، فسيطر على ٧٦ فرعاً في الولايات والأقاليم الأمريكية كانت تنقسم بدورها إلى حوالي ٣٨٠ لجنة محلية . وجرى توجيه هذه الأجهزة نحو د توعية الرأي العام الأمريكي ، وإثارة حنيطته لصالح إقامة كومنولث يهودي على أرض فلسطين ، (١) . وقد وصفت منجزات المجلس في الميادين التالية :

١ — سعى للحصول على تعاون الدوائر السياسية والصحية والعالية والمهنية ، (٢) .

٢ — استمال الأفراد للانضمام إلى اللجنة الأمريكية لفلسطين ، التي بلغت عضويتها عند نهاية الحرب (١٩٤٥) من الشخصيات العامة ، (٣) .

٣ — أخذ زمام المبادرة في إقامة المجلس المسيحي لفلسطين في أواخر ١٩٤٧ د لسكى يجند مساعدة الكهنوت المسيحي من جميع الطوائف والكنائس . وقد قارب عدد أعضاء هذه الجماعة يوم النصر (١٩٤٧) عضو ، (٤) .

دعا مجلس الطوارئ إلى مؤتمر بلمتور ؛ لأن الصهيونيين أدركوا في أثناء

== الصهيوني . وهي منظمة تضم اليهود المحافظين الذين يجمعون بين الولاء للظواهر الدينية اليهودية التقليدية ، والولاء القوى للصهيونية السياسية .

وبووال صهيون هو حزب منير الأعمال يقع في أقصى يسار السياسة الصهيونية ، ورغم مشاركته لكثير من الآراء الشيوعية ، غير أن قبوله بالمبادئ الصهيونية دعا الأمية الثنائية إلى رفض الحزب من بين صفوفها .

Hurewitz, Jacob, G. «the Struggle for Palestine » N.Y. (١)

1950, p. 201.

ibid, p. 210 (٢)

ibid. (٣)

ibid. (٤)

الحرب الدائرة بأن الولايات المتحدة قد أصبحت الدولة الأكثر نفوذاً وقوة في السياسة العالمية . في الماضي كانت الولايات المتحدة تبدو مصدراً قيمياً لمساعدة الحركة الصهيونية مالياً ، ولكنها برزت خلال الحرب أيضاً كأقوى مركز جديد تستمد منه الصهيونية العون السياسي . ولذا بدأت الصهيونية السياسية تتجه بثقلها من لندن إلى واشنطن ونيويورك . وراحت الأجهزة تنفذ برنامجاً مركزاً لضمان التأييد الرسمي والشعبي لقضيتها ، ومجلس الطوارئ الصهيوني الأمريكي ، شعوراً منه بالحاجة إلى صياغة صهيونية جديدة ، وجه الدعوة لهذا المؤتمر الاستثنائي الصهيوني في نيويورك ، وكان بين الزعماء الصهيونيين البارزين الذين تحدثوا في المؤتمر : الدكتور وايزمن ، رئيس المنظمة الصهيونية العالمية آنذاك ورئيس الوكالة اليهودية كذلك ، ودافيد بن غوريون رئيس اللجنة التنفيذية الصهيونية (في الوكالة اليهودية أيضاً) ، وناحوم غولدمان رئيس اللجنة الإدارية للمؤتمر اليهودي العالمي .

وعلى الرغم من أن المؤتمر كانت تنقصه سلطة المؤتمر الصهيوني الدستورية ، غير أنه تمثلت فيه الآراء الصهيونية كلها على اختلاف مشاربها ، وظهر المؤتمر أقل إلحاحاً على صداقة بريطانيا ، وأكثر مناشدة للضمير العالمي ولمقررات الأمم المتحالفة . وكانت مواقف زعماء الصهيونية العالمية تدل على أنها أحرزت تقدماً نحو الاتفاق على نظرة موحدة وثابتة .

عرف وايزمن المسألة اليهودية بأنها « جزء من عمل ساسة الغد » ، وحث على العمل لاسترقاء نظر الشعب الأمريكي والبريطاني والروسي إلى العناصر الحاسمة في مسألتنا وتشابكها مع استقرار العالم » (١) . وأشار كذلك إلى مبدأ التعاون بين العرب واليهود ، ولكنه أصر على أن مثل هذا التعاون يجب أن

يكون أساسه اعتراف العرب (بالصلة التاريخية للشعب اليهودي مع فلسطين). وأكد ناحوم غولدمان على وجوب بذل المسعى الدائب لإعادة اليهودية الروسية ثانية إلى ميدان المجهود الصهيوني. وكانت خطبة بن غوريون وتصريحاته ذات أهمية خاصة ، فقد طلب أن تمنح الوكالة اليهودية سيطرة كاملة على الهجرة إلى فلسطين ، وأن تطرح جانباً فكرة الوطنية الثنائية إذا استلزمت إعطاء عرب فلسطين تمثيلاً متساوياً مع اليهود في دوائر الحكومة. وكان خطاب بن غوريون بمثابة عرض أساسي للسياسة الصهيونية الجديدة ، لأن تحقيق مطالبه لن يؤدي إلا إلى نتيجة واحدة فحسب — هي إقامة دولة يهودية . ولقد مضى المؤتمر إلى حيث قاده بن غوريون ، وعبر الحاضرون عن رغبتهم في التمسك بتطبيق كامل لبرنامج بال ، وهكذا سقط القناع الآن عن الهدف الخفي الذي رافق السياسة الصهيونية دائماً ، وبدا واضحاً عارياً لا يستر شيء . ولم يبق سوى مهمة صياغة سياسة الإرهاب والاعتصاب الجديدة الموضوعية والمخططة أصلاً ، والشروع في الاستعداد لتحقيق الهدف الأول في برنامج هر تسل .

لا شك في أن هذا المؤتمر يعتبر أهم عمل سياسي صهيوني خلال فترة الحرب العالمية الثانية . ولذلك فإن عرضنا لما دار به يعتبر عنصراً هاماً من إحاطتنا بأهداف الصهيونية ووسائلها في هذه المرحلة التاريخية ، وقد كشفت جلسات المؤتمر عن صراع مرير بين بن غوريون ووايزمن . إن التصريح العلني عن أهداف الصهيونية السياسية وتسجيلها في برنامج صوتت عليه قنات المؤتمر ، يعتبر نصراً على سياسة وايزمن التي كانت تتسم بالحيلة والحذر والتدرج . ومن المعلوم أن القوة الدافعة للحركة الصهيونية منذ نشوئها كانت تتركز في التصميم على تحقيق هدف الدولة اليهودية أو الكومنولث اليهودي في فلسطين بأكملها ، مع شرق الأردن وجنوب لبنان ، فيما بعد .

وكان يوجد دائماً مدرستان للفكر السياسي حول أفضل الوسائل للوصول

إلى هذا الهدف. الأولى عبّر عنها وشرحها جابوتنسكى خلال فترة الانتداب برمتها ، وقد رأت الصهيونية السياسية الجديدة أن الأمل الوحيد يرتكز على الجهر بمطلب الصهيونية كاملاً ، وإظهار محاسن مشروع الدولة اليهودية للعالم كحل نهائى للمسألة اللاسامية ، مع الزعم بأن الدولة اليهودية العتيدة قادرة على استيعاب جميع اليهود غير القادرين أو غير الراغبين فى البقاء فى المواطن الأصلية التى كانوا استقروا فيها وأقاموا (١) . والثانية كانت الرأى الرسمى الذى طالما عبّرت عنه المنظمة الصهيونية حتى نشر تقرير اللجنة الملكية ، وكانت بزعماء وايزمن . وقد رأت أن اليهود الصهيونية يجب أن تنصب فى الوقت الحاضر على المبدأ العمل ، أى على تعاظم مد الهجرة ، وتوسيع بيع الأراضى ، حتى يتطور الاستيطان اليهودى إلى حد يسمح بظهور الكومنولث أو الدولة اليهودية بصورة تلقائية . وفى غضون ذلك يجب أن لا يجهر بالهدف النهائى المنشود أو يعلن عنه صراحة ، أو فى الحقيقة يجب إنكاره والتنصل منه .

ولكن من الجلى أنه إذا كان الرأى العام البريطانى يأخذ إنكار الصهيونية لهدفها النهائى (بالدولة اليهودية) جدياً ، فإن العرب كانوا يدركون مغزى التصريحات الدبلوماسية الملتوية التى كان يدلى بها وايزمن والمنظمة الصهيونية لتهديدته خواطر العرب وطمأنتهم مرحلياً . ثم إن البيانات الرسمية المؤكدة الصادرة عن حكومة لندن للعرب (مثل رسالة هوغارث لشريف مكة الحسين وتفسير وعد بلفور كما ورد فى الكتاب الأبيض لعام ١٩٢٢ من أن الهدف ليس إيجاد دولة يهودية ...) كانت من وجهة النظر الصهيونية وثائق مربكة محرّجة ثم إن نجاح خطط الهدف النهائى لا تتوقف فقط على اطراد الاستيطان الصهيونى فحسب ، وإنما تتوقف أيضاً على تصاعد مقاومة العرب له . هذا إلى أن العرب فى فلسطين وفى الدول العربية المجاورة قد زاد عددهم ونمت ثقافتهم ،

وتعاضلهم تصميمهم ، كما أن الشعور بالتقارب العربي والوحدة العربية يتقوى من يوم لآخر . ولم يعد يمكن محو الثورة العربية الكبرى (١٩٣٦) عن طريق زعمائها بأنها انفجار طارئ حفزه المييجون المحترفون ذوو المشاعر المريضة إن آخر ضربة لسياسة وايز من قد سددها تقرير اللجنة الملكية . ومعلوم أن التقرير صرح بأن استمرار الانتداب ، كما كان في الماضي ، أصبح غير عملي ، وبدلاً عنه اقترح تقسيم فلسطين إلى دولة يهودية في جزء من البلاد ، مع منطقة انتدابية ، ودولة عربية . وسقط التقسيم لأنه بينما رفضه العرب رفضاً باتاً ، كان الصهاينة مستعدين فقط لاعتباره خطوة نحو تأسيس الدولة اليهودية في سائر أنحاء فلسطين . ثم أعلنت اللجنة الفنية عدم صلاحيتها . ومع ذلك فإن الأوساط الصهيونية باركت رسمياً شعار الدولة اليهودية كهدف مشروع محترم ؛ وبدأت سياسة وايز من المتأنية والحذرة للكثيرين أنها لا تؤدي إلى الغاية المتوخاة ، وثبت أنه يوجد حركة متميزة نحو سياسة تدافع عنها المنظمة الصهيونية الجديدة ، ومن هنا أتبع للزعيم الصهيوني بن غوريون أن يفرض رأيه على مؤتمر بلمور . وهذا يجعلنا نفصل شيئاً ما في تحليل خطاب بن غوريون ، لأن مقررات المؤتمر إنما تعتبر خلاصة لآرائه التي تضمنها خطابه لحسب ، وإنما أيضاً لأن ماورد في الخطاب واضح ومعبر وصريح ، وسيرد دائماً على ألسنة المدافعين عن الباطل الصهيوني ويكاد يتضمن جميع حججه . وفيما يلي أهم فقرات الخطاب وعنوانه : اختبار المقدرة على التنفيذ ، (١) :

بن غوريون يرسم السياسة الجديدة :

بدأ بن غوريون خطابه بمقدمة قال فيها : دعونا نختبر مقدرة الصهيونية

على تنفيذ هدفها . هذه الحرب العالمية التي اشتبك فيها كل الجنس البشرى تضع جميع الشعوب والحضارات ، وجميع المؤسسات السياسية والمقاعد أمام تجربة قاسية للحياة . إن شعبنا تفرد بالابادة النازية ، ولكن نعتقد بأننا سنخرج مظفرين ، وسنجيا كشعب ، وحينذاك سوف تواجه الصهيونية أقصى مخنها : محنة التنفيذ .

وكرر بن غوريون نغمة امتلاك العرب لرقعة واسعة من الأرض ، فليس ثمة من مسألة عربية ، إذ لا يوجد شعب عربي بدون وطن ، وليس ثمة من هجرة عربية ، على عكس المسألة اليهودية . والعرب إذا كان لهم أن يشتكوا ، فانهم يشتكون من قلة سكان بلادهم أكثر مما يشتكون من الفائض (١) .

وزعم أن الهجرة اليهودية والاستيطان اليهودي في فلسطين لم يكونا على حساب العرب . وتابع مغالطاته فقال إنه لا يوجد عملياً أية صناعة عربية في ميادين التنمية الصناعية والبحرية . وحتى في الزراعة ؛ فتحت إما أشغلنا الأرض غير المزروعة ، أو ضاعفنا المحصول في الأرض المزروعة بحيث أن نفس المساحة لا تنتج فقط لأجل المستوطنين الجدد ، وإنما تجعل في مقدور المستوطنين القدامى أن يعيشوا في مستوى أعلى من الحياة .

وانتقل بن غوريون إلى نقطة مهمة فقال : « إن الهجرة الكثيفة

(١) استشهد بمجموعه باشا العسكري الذي ذكر في بحث كتبه للجمعية الملكية لآسيا الوسطى وكان رئيساً للوزارة العراقية يومذاك - ١٩٢٦ « أن مساحة البلد هي ١٥٠ ألف ميل مربع أى حوالي ٣ مرات مساحة الكتلة وويلز ، في حين أن سكان البلد ثلاثة ملايين .. إن ما يريد العراق قل كل شيء آخر هو مزيد من السكان » . وقال بن غوريون معلقاً إن هذا المثل ينطبق أيضاً على سورية وشرق الأردن . وقال إن نقص السكان لا يشكل فقط عائقاً اقتصادياً ، وإنما يشكل أيضاً خطراً سياسياً جدياً ، كما تبرهن حالة الإسكندرونة

والاستيطان على أوسع مدى مستطاع ، يمكن أن يتم دون أدنى حاجة لطرد السكان الحاليين . وأكد على نقطتين هامتين حول العلاقات بين العرب واليهود ؛ فقد أنكر بوضوح أن تكون السياسة الصهيونية قد تصورت نقل عرب فلسطين إلى الأراضي الأخرى . وقال : « في حين أنه من الصحيح أن العراق وسورية وبقاع واسعة من الأرض تعاني من نقص سكان ، وأنه بعد الحرب قد ترجو هذه البلدان العربية أن تقوى مركزها الاقتصادي والعسكري بتشجيع المستوطنين من عرب فلسطين ، فإن مثل هذه الهجرة الطوعية إنما هي مسألة عربية داخلية بحته ، نحن نساعد إذا طلب منا العرب ذلك ، ولكن ليس بوسعنا ، ولا ينبغي لنا أن نتخذ أية مبادرة بشأنها . إنها ليست مطلباً مسبقاً للاستيطان اليهودي الواسع المدى ، وتقضى الضرورة والحكمة أن نضع خطط مستقبلنا لإعادة بناء فلسطين على افتراض أننا يجب أن نحسب ونقدر وجود حوالي المليون عربي ، مع حقوقهم ومطالبهم » (١) . وقال بن غوريون إن الهجرة الواسعة والاستيطان على أوسع مدى ، يمكن أن يتم دون أية حاجة ولو طفيفة إلى إجلاء السكان الحاليين . ومن جهة أخرى أكد على ضرورة مواجهة الحقيقة بأن العرب لن يوافقوا على برنامج الهجرة الواسعة ، واستشهد بشهادة المفتي الحاج أمين الحسيني أمام لجنة التحقيق الملكية (١٩٣٦) والتي صرح فيها بأنه لن يسمح بأية هجرة يهودية أخرى إلى فلسطين إذا استلم العرب زمام الأمر في البلاد . وحين سئل المفتي ما إذا كانت فلسطين تقوى على إدماج وهضم الأربعمائة ألف يهودي الذين كانوا سابقاً في البلاد (٢) ، وأجاب كلاماً فسأله

Ben Gurion, ibid, p. 120.

(١)

(٢) العبارة التي وردت في سؤاله رئيس لجنة التحقيق الملكية للمفتي هي : « الذين هم فيها الآن » لا « الذين كانوا سابقاً في البلاد » ، هنا تحريف من جانب بن غوريون .

رئيس اللجنة : إذن لا بد من إخراج البعض منهم ، إما بلطف أو بعنف ،
أجاب المفتي : لنترك ذلك للمستقبل . ويقتبس بن غوريون من تقرير اللجنة
الملكية حول ذلك فيقول : يجب أن تذكر التجربة المريعة للأشوريين
في العراق . برغم ضمانات حمايتهم في المعاهدة الانكليزية العراقية ، وعصبة
الأمم^(١) . وقال بن غوريون إن المسألة العربية تعني المعارضة السياسية
العربية للهجرة اليهودية . وقال إنه لا يعتقد بأن الاستنارة أو « المنافع العملية »
للشعب العربي سوف تخفف من معارضته للصهيونية . كذلك فإن الوطنية
الثنائية bi-nationalism أو مبدأ المساواة Parity بين جميع
السكان يحل المشكلة . ولكن « إذا كان وجود دولة ذات وطنية ثنائية يعني
أن جميع السكان في فلسطين ، يهوداً وعرباً على السواء ، يجب أن يتمتعوا
بالمساواة التامة في الحقوق ، ليس فقط كأفراد ، ولكن أيضاً كجماعات قومية
وهي تعني حق النمو الحر للغتهم وثقافتهم ودينهم وما إلى ذلك ، فحينئذ من
المؤكد أن لا يوجد واحد من اليهود ، بله الصهيونيين ، سيتردد في دعمها .
ولكنني است مقتنعاً تماماً بأن جميع العرب يوافقون على تلك المساواة ،
إذا توفرت لهم سلطة وضع الدستور^(٢) . واستطرد بن غوريون يقول :
« وآخرون يتقدمون (كحل) بالمساواة Parity ، أو ينصون الدولة ذات
الوطنية الثنائية لتعني المساواة ، بحيث إنه بغض النظر عن قوة اليهود أو العرب
العددية ، فيجب أن يمثلوا على أساس المناصفة في جميع دوائر الحكومة
الرئيسية التشريعية والتنفيذية » وقال بن غوريون إنه كان واحداً ممن دافعوا
عن مبدأ المساواة في ظل الانتداب البريطاني ، ولكنه يشك في كون نظام
المساواة دونما انتداب هو أمر عملي . ومرة أخرى فلا يوجد زعيم عربي

Ben Gurion, ibid., p. 121.

(١)

ibid.

(٢)

يوافق على المبدأ سواء بالانتداب أو بدونه ، « ولكن لنفرض أن المساواة في دولة ثنائية يمكن الأخذ بها ، ولنفرض أنه ليس فقط اليهود وإنما العرب أيضاً سيوافقون عليها ، فإن ذلك لا يحل على الأقل المسألة الوحيدة ذات الأهمية : الهجرة اليهودية . إن مثل سويسرا حيث حل بشكل مقبول اختلاف قوميات متعددة ، ليس قابلاً للتطبيق في فلسطين ؛ لأن الموضوع الأساسي ، وهو أصل الاحتكاك كله ليس هو مسألة اليهود أو العرب الموجودين سابقاً في فلسطين ، وإنما هو مسألة القادمين اليهود الجدد . أيجب أن يكون ثمة هجرة يهودية أم لا ؟ هذا هو السؤال . ولا يعني حل جميع مشاكل فلسطين الأخرى شيئاً ، إذ لم يعط جواباً واضحاً وبسيطاً على هذا السؤال الكبير الحيوى .

« يجب مواجهة الحقائق : ليس من عربى يقبل هجرة يهودية . إن موقفنا واضح . إن الهجرة اليهودية لفلسطين لا تحتاج إلى موافقة . نحن نعود إليها كحق . إن التاريخ والقانون الدولى ، والحاجة التى لا تقاوم للحياة ، لا يمكن أن تدمر ، وهذه كلها جعلت من فلسطين الوطن الحق للشعب اليهودى . إن اليهودى ليس غريباً ، ليس دخيلاً ، ليس مهاجراً لفلسطين ؛ إنه في وطنه التاريخ وعلائق التاريخ صلة لا تتحطم لآلاف السنين ، برغم جميع التبدلات وبرغم الطرد تلو الطرد ، قد جعلنا من فلسطين وطننا القريب .

« إن وجود مليون من العرب في فلسطين ، يعتبرون أنفسهم أبناءها ، هى حقيقة تاريخية ، وسواء أحببنا ذلك أم لا . كذلك ثمة حقيقة تاريخية لا يحبها العرب ، وهى أن فلسطين لأكثر من ثلاثة آلاف عام كانت وبقيت أرض إسرائيل بالنسبة لنا .

« وهذا ما صادق عليه القانون الدولى ؛ لأن الانتداب اعترف بوضوح بالصلة التاريخية ، بالعلاقة التاريخية للشعب اليهودى بفلسطين ، وبالأسس

لإعادة تشكيل وطنه القومى . ولكن ثمة شيء أقوى ، حتى من القانون الدولى . وهو المعيشة ، الرغبة اليائسة لقوم ، العودة إلى فلسطين بالنسبة لهم هى الطريق الوحيد لخلاصهم وحياتهم . ولن يمنع اليهود شيء من العودة إلى أرض إسرائيل (٢١) ... ولكل من لا يزال يشك فى ذلك ، ينبغى أن تكون حكاية (باتريا وستروما) وكثير من السفن أخواتهما ، برهاناً نهائياً له . إن معناه الواضح : إما فلسطين أو الموت ، وحالما تنتهى هذه الحرب ، مئات من السفن مثلهما سوف تبحر إلى فلسطين.. إن العرب سوف يذعنون للهجرة اليهودية ، ويلائمون أنفسهم مع الحقيقة الجديدة حينما تصبح حقيقة قائمة . وأتم تذكر أن أنه بعد الحرب الأخيرة ، وافق ممثلوا العرب فى مؤتمر الصلح عليها ، وقبلوا قرار الدول بتنفيذ (فلسطين اليهودية) جزءاً من برنامجهم عن مستقبل البلاد العربية (٢) .

ثم يتساءل بن غوريون ، بعد أن زعم أنه لم يكن ثمة معارضة عربية لوعده بلفور وللفلسطين يهودية ، متى جرت هذه المعارضة إذن ولماذا ١٩ ؟ وهنا يتهم الإدارة البريطانية الانتدابية ذات التقاليد الاستعمارية ، وأجهزتها التى لم تكن تملك لا الفهم ولا الرؤيا والعاطفة ، ولا المقدرة لتنفيذ ما اعترف بأنه عمل معقد وصعب من أعمال إعادة التجميع والتوطين ، ولا يستثنى الزعماء العرب من الاتهام ، فيقول إن بعضهم لم يبطئوا فى إدراك التردد الشبه متعاطف معهم فى التنفيذ من جانب الإدارة الانتدابية البريطانية ، معتقدين أن القرار ربما لم يكن جدياً ، ويمكن إسقاطه بسهولة . واستند بن غوريون إلى قول

ibid, pp. 122, 123

(١)

(٢) أشار بن غوريون الى اتفاقية فيصل مع وايزمن ، دون أن يلاحظ تحفظات فيصل وتعليقه كل ذلك على شرط حصول العرب على الاستقلال التام . ولا فيجب أن لا يكون عندها مقيداً بأى كلمة وردت فى هذه الاتفاقية التى يجب اعتبارها ملغاة لا شأن ولا قيمة قانونية لها .

اللجنة الملكية بعدم قابلية العمل بالانتداب ، فيذكر أن فشل الانتداب لا يعزى إلى كونه بريطانياً ، وإنما لأن الإدارة الانتدابية كانت مشكلة من أجهزة مدربة على إدارة الشعوب المختلفة ، ومعتادة على التعامل مع القبائل البدائية ، حيث كان واجبها الرئيسى هو الحفاظ على النظام القائم ما أمكن . وبعد افته الناكر لجميل بريطانيا العريض عليه وعلى الصهيونية في فلسطين ، يمضى بن غوريون ليمتدح طبيعة الجماعة اليهودية في فلسطين بأسلوب حالم ألفناه فيما سبق من خطابه : « أما في فلسطين فقد ألفت مجتمعاً يهودياً راقياً وتقدمياً ، وحالة متحركة تتطلب المبادرة الدائمة والجهد الدائب والفعالية الخلاقة . » . ويغمز من قناة العرب : « وانها فقط لطبيعة بشرية أن يشعر الموظفون في الإدارة يسر أكثر أثناء تعاملهم مع العرب (١) » .

وهنا يصل بن غوريون إلى يدت القصيد من حيث ضرورة استلام اليهود لشئونهم ضمن دولة أو كومنولث يهودى ، فيقول : « إن الاستيطان الكثيف على مستوى واسع ، سيكون ضرورياً لسد حاجات الهجرة اليهودية ما بعد الحرب . ويتطلب طرْحاً ضخماً لرأس المال من مصادر حكومية . . إن القوانين الأساسية في البلاد ، ونظم الأراضى والمياه ، وإصلاح أوضاع العمال ، والقوانين التجارية والمالية ، يجب أن تغاير لتتلاءم مع الاستيطان السريع ، والسرعة في بناء الصناعات ، ونمو المدينة والقرية . ويجب أن توجه ، لا القوانين فقط ، وإنما إدارتها اليومية بموجب هذا الهدف الآتى .

« إن إدارة يهودية فقط هي القادرة على ذلك ؛ إدارة تعرف حاجات وأغراض المستوطنين اليهود ، وهي مجندة قلبياً لبناء البلد . إن الهجرة

بمجم كبير سينجم عنها ، في المستقبل غير البعيد ، غالبية يهودية متعاطفة ،
وقيام كومنولث يهودى مستقل .

« إن نظرة على أحداث السنوات السابقة ، مع الأخذ بعين الاعتبار
مطالبنا في الفترة التي تلي هذه الحرب مباشرة ، تثبت استنتاجنا الأول ،
وهو أن الانتداب يجب أن يُعهد به إلى الشعب اليهودى ، لا إلى غيره .
ولا أعنى الانتداب الشكلى لعام ١٩٢٢ ؛ إن نظام الانتدابات بأكمله يمكن
أن يعضى ؛ أنا أعنى مسئولية السلطة الحكومية وضرورتها لإعادة بناء
البلد وضمها لإعادة اليهود إليه . وللبدء : ستكون شئون الهجرة والتوطين
من مسئولية الوكالة اليهودية ، عن الشعب اليهودى بكامله . ومن المبكر
التخطيط تفصيلا لتكوين فلسطين ما بعد الحرب . ومع ذلك فمن الممكن
وضع المبادئ الأساسية لتوجيهنا الخاص ، وللعمل السياسى الحالى
للصهيونية ، أن نرى اليهود ، وأن نوجه الرأى العام عموماً ، نحو حل
صهيونى للمسألة اليهودية ومسألة فلسطين .

وهذه المبادئ ثلاثة ، هى :

١ — تأكيد الغرض الأسمى من وعد بلفور والانتداب ، بإعادة
فلسطين ككومنولث يهودى ، كما أوضح ذلك رئيس الولايات المتحدة
في ٣ آذار - مارس ١٩١٩ .

٢ — الوكالة اليهودية كوصية على المهاجرين والمستوطنين ، بحيث
يجب أن يكون لها الإشراف الكامل على الهجرة ، مع سلطة ليس أقلها التنمية
والبناء فى الأراضى الشاغرة وغير المزروعة.

٣ — مساواة تامة ، مدنية وسياسية ودينية لجميع سكان فلسطين . وحكم
ذاتى فى جميع الشئون البلدية ، واستقلال ذاتى للمجتمعات اليهودية والعربية
فى تصريف شئونها الداخلية والثقافية والدينية وما إليها .

وطرق بن غوريون أخيراً موضوع علاقات فلسطين «اليهودية» بوحدة سياسية أكثر شمولاً، فقال إن بقاء فلسطين منفصلة، أو متحدة مع وحدة سياسية أكبر — اتحاد الشرق الأوسط، جزءاً من الكومنولث البريطاني، جزءاً من اتحاد انكلو — أمريكي، أو جزءاً من جامعة دولية أوسع، سوف يتوقف على الأشكال السياسية للعالم فيما بعد الحرب (١).

وصرح بن غوريون خلال خطابه أن اليهود قد جندوا (حتى أيار - مايو ١٩٤٢) ١٢٥٠٠ رجل وامرأة في الخدمات العسكرية (٢)، واكتسب الصندوق القومي اليهودي ١٣٣ ألف دونم من الأرض خلال فترة الحرب. وأقيمت ثمانى عشرة مستعمرة. واعترف أنه برغم مآسى الحرب فقد دخل عشرات الألوف من اللاجئين اليهود في فلسطين منذ أيلول - سبتمبر ١٩٣٩.

وايزمن وبن غوريون — وسائل متباينة وغايات واحدة :

وقع خلاف بين وايزمن وبن غوريون حول الخطط الواجب اتباعها لبلوغ الهدف. ولم يكن الرجلان دائماً على وفاق في سياستهما؛ فبينما كان وايزمن ينادى بسياسة مواصلة المفاوضات المتأنية مع الحكومة البريطانية لحملها على تشكيل الجيش اليهودي، ومع زعماء بريطانية والولايات المتحدة لحملهم على العدول عن الكتاب الأبيض، كان بن غوريون يريد إثارة الرأي العام الأمريكي لحمله على تأييد تبديل سريع وثورى في السياسة الفلسطينية، يرغم بريطانيا على الخضوع والإذعان. وبينما كان وايزمن لا يزال يفكر بجدوى البناء التدريجي الصهيوني البطيء، ويرى أن من الحق المجازفة بمقاطعة بريطانيا في الوقت الذي يفاوضها على إنشاء الجيش اليهودي، كان بن غوريون

ibid., pp. 127 - 128

(١)

(٢) قال بن غوريون إن عددهم سيصل في نهاية الحرب إلى ٢٢ ألفاً. ibid, p. 130

يرى أن الطريقة الوحيدة لكسب تأييد الولايات المتحدة تكون في طرح المشاريع الضخمة المتميزة بالبساطة والاثارة .

ويبدو من نتائج المؤتمر وسياقه أن بن غوريون قرر أن يستغل المؤتمر لتحديد مثل هذا البرنامج الانقلابي الذي يراه ضرورياً لتحقيق أهدافه . واستخدم لذلك مقالا لوايزمن نشر في نيويورك قبل أربعة شهور بعنوان « دور فلسطين في حل المسألة اليهودية » . وردّ فيه وايزمن يومذاك البيانات المألوفة الصادرة عن زعماء الصهيونية ، والداعية إلى إقامة الدولة اليهودية . وذكر أن من الواجب إعلان السياسة الجديدة على العرب من حيث أن اليهود سيسيطرون على مقدرات هجرتهم بأنفسهم وسيقيمون دولتهم الخاصة بهم .

واستخدم بن غوريون مقال وايزمن في وضعه لمشروع قرار بلمنور ، وإن صاغه بعبارة أكثر تطرفاً . وطالب بفتح أبواب فلسطين للهجرة اليهودية ، وأن تخول الوكالة اليهودية السيطرة على الهجرة وعلى تطوير البلاد ، التي ستصبح كومنولثاً يهودياً كجزء من نظام العالم الديمقراطي الجديد . وقد أقر هذا القرار دون معارضة تذكر ، وإن لم يمثل نصراً واضحاً ؛ فقد رفضت اللجنة اليهودية الأمريكية ذات النفوذ ، الاشتراك في المؤتمر (١) ، فضلاً عن أن وفد حزب الماباي الفلسطيني امتنع عن الاقتراع . وقد استاء وايزمن من استغلال مقاله واستخدامه أساساً في قرار المؤتمر . وقال فيما بعد ، إنه لم يقصد من المقال حين نشره أن يمثل حركة سياسية فعلية ،

(١) يذكر سايكس في كتابه « مفارق الطرق إلى إسرائيل » بالانكليزية ص ٢٨٢ أن هذا الموقف كان نتيجة قطيعة متوقعة بين بروسكاور وبن غوريون في السنة الماضية ، حين استاء بروسكاور من لحاف بن غوريون عليه لاستخدام نفوذ اللجنة A.J.C في حل أمريكا على المخرج عن حيادها ودخول الحرب .

ولنما كتعبير عن الأهداف الصهيونية النهائية التي يجب ترديدها بين آونة وأخرى لتظل حية في عقول أتباعه . وأعرب عن اعتقاده في أن خطوة بن غوريون المتهورة قد تحقق استتارة صهيوني نيويورك ، ولكنها ستحطم حتماً المفاوضات الدقيقة التي كان يتابعها مع الحكومة البريطانية (١) .

وقد وصف كيرك في كتابه الخلاف بين الرجلين ، فنعت بن غوريون بأنه (لويد جورج اليشوف) (٢) وأنه المؤيد للديمقراطية الصهيونية ، أما وايزمن فكان بعيداً عن الديمقراطية . وكان بن غوريون ينادى بدرجة كبيرة وفعالة عن المسؤولية الجماعية في جميع مراحل المفاوضات خلافاً لأسلوب وايزمن الذي كان يحاول أن يفرض نفوذه في أحاديثه الشخصية مع زعماء بريطانية السياسيين الذين يشاركونهم في الثقافة والنوق والتقاليد الارستوقراطية . في حين بن غوريون كان يميل إلى الزعامة الجماهيرية ، ويكون في أحسن أوضاعه عندما يستخدم قدرته الخطائية في التحدث إلى الجماهير ، وهو ما كان يأتف منه وايزمن ويزدره . وقد وصل حد الخلاف بينهما لدرجة تبادل الرسائل العنيفة بعد المؤتمر .

ولم يكن ليهود فلسطين ، خارج نطاق الوكالة اليهودية والمجلس الملي ، أن يعرفوا حقيقة ما دار في بلمور ، سوى أن هذا المؤتمر حدد هدف اليهود في قيام الدولة . ولم يكن بهم حاجة للافتراض بأن وايزمن لم يبادر إلى تحقيق هذا الهدف مع بن غوريون وغيره . وبينما عاد بن غوريون إلى فلسطين بعد المؤتمر لضمان مصادقة الجماعات اليهودية على مقرراته ، اتجه وايزمن إلى لندن .

Sykes, Crossroads to Israel, p. 238

(١)

(٢) Kirk op. cit , p. 246 معنى باليشوف yishuv دائماً الجماعة اليهودية في فلسطين .

إعلان الأقلية اليهودية لاستقلالها بجميع فلسطين — على النمط

الروديسي :

ولنعد إلى مؤتمر بلتمور بعد هذا الاستطراد عن سياسة زعيمى الصهيونية ولنكرر أنه ساد شعور بين زعماء الصهيونية الأمريكين بأن ثمة عنصراً جديداً قد استهل ، وأنه يتوجب بهذا الاعتبار ، لإعادة رسم خطط الصهيونية السياسية . وكان المتكلمون مجتمعين على زيادة دعم الهدف الصهيونى ، ووجوب تعريفه بوضوح وصراحة . وكان الاتجاه فى المؤتمر نحو التخلي عن جميع الخطط للتسوية وأنصاف الحلول ، أى التقسيم فى ظل الانتداب أو الدولة ثنائية الوطنية ، وبدلاً من ذلك توجه الحضور نحو تنفيذ كامل لبرنامج بال . وقد ترجم ذلك أنه يعنى وجوب إقامة فلسطين ككومنولث يهودى لا ينفصل عن العالم الديمقراطى الجديد . وقد وجد الاختلاف فى وجهات النظر سبيله إلى بعض النقاط : ما إذا كان يجب إقامة الكومنولث بشكل انتقالى حالما تضع الحرب أوزارها . أو أنه سينمو حسب تطوره وفى الوقت المناسب ، وما هى السلطة الواجب تخويلها للوكالة اليهودية . وما هى درجة وشكل الإشراف الدولى الذى يمكن القبول به ، ولكن كان ثمة إجماع على أهداف أساسية : إن الهجرة الواسعة إلى فلسطين يجب الإلحاح عليها حتى يصبح اليهود أكثرية فى فلسطين فى أقرب وقت ممكن . وهذا يتطلب إعطاء الوكالة اليهودية إشرافاً على الهجرة ، مع ما يلزم من السلطات من أجل التنمية الاقتصادية للبلاد ، وإن مبادئ الديموقراطية ينبغى أن تكون الأساس . وذلك يتضمن أن يعترف الكومنولث اليهودى بالسلطة الدولية من ناحية ، ومن ناحية أخرى أن يعترف بالمساواة الكاملة لجميع الناس فى فلسطين بغض النظر عن العنصر ، أو الدين وما إليهما . إن وجهات نظر المؤتمر الصهيونى الاستثنائى قد صيغت فى عدد من المقررات اتفق عليها فى ١١ أيار - مايو ١٩٤٢

وأصبحت تعرف باسم برنامج بلمتور ، وهي تنطوي على الخطة الأساسية للسياسة الصهيونية الجديدة ، وهي :

١ - إن الصهيونيين الأمريكيين المجتمعين في هذا المؤتمر الاستثنائي يؤكدون من جديد ولائهم لقضية الحرية والعدالة الدولية . وشعب الولايات المتحدة ، متحالفاً مع بقية الأمم المتحدة ، قد نذر نفسه وعبر عن إيمانه في نصر الإنسانية والعدالة نهائياً على الباطل والقوة الغاشمة .

٢ - إن هذا المؤتمر يقدم رسالة الأمل والتشجيع لإخوانه اليهود في الغيتو وفي معسكرات التجميع القائمة في أوروبا التي يسيطر عليها هتلر ، ويرجون أن لا تكون ساعة تحريرهم بعيدة .

٣ - إن المؤتمر يبحث بأحرّ تحياته إلى تنفيذية الوكالة اليهودية في القدس ، وإلى المجلس الملي اليهودي ، وإلى جميع (اليشوف) في فلسطين ، ويعبر عن إعجابه العميق بثباتهم ومنجزاتهم في وجه الموت والمصاعب العظيمة . إن الرجال اليهود والنساء في الحقل والعمل ، وآلاف الجنود اليهود من فلسطين والشرق الأدنى ، الذين أوفوا بعهدهم بشرف وامتناز في اليونان وأثيوبيا وسورية وليبيا ، وساحات المعارك الأخرى ، قد برهنوا أنهم جديرون بشعبهم ومستعدون لأخذ حقوق ومسؤوليات الأمة على عاتقهم .

٤ - في جيلنا ، وخاصة في خلال السنوات العشرين الأخيرة ، صحا الشعب اليهودي وحوّل موطنه القديم (١) من بلد يسكنه خمسون ألفاً في نهاية الحرب الأخيرة ، إلى بلد يضم الآن أكثر من خمسمائة ألفاً (١) : وقد جعلوا مستوطناتهم المهمة تحمل الثمار وأحبالوا الصحارى إلى

(١) من الأمور ذات الدلالة هنا أن عدد الشعب العربي قد أهمل ذكره تماماً . فكأن فلسطين كان لا يسكنها سوى خمسين ألفاً من اليهود ، فأصبحت خمسمائة ألف ، تماماً كما فعلت دعاة التفرقة العنصرية البيض في روديسية وجنوب افريقية .

أزهار . إن منجزاتهم الرائدة في الزراعة والصناعة نجسد النماذج الجديدة والمساعدى المتعاونة ، وقد كتبت صفحة نبيلة في تاريخ الاستيطان .

٥ — وقد شارك جيرانهم العرب في فلسطين في هذه القيم الجديدة التى أوجدها اليهود ، وإن الشعب اليهودى فى مساعاه الخاص لخلاصه القومى ، يرحب بتطور الشعوب العربية وحكوماتها فى الميادين الاقتصادية والزراعية والقومية . إن المؤتمر يعيد تأكيد موقفه الذى تبنته سابقاً مؤتمرات منظمة الصهيونية العالمية ، ويعبر عن استعداده ورغبة الشعب اليهودى للتعاون التام مع الجيران العرب .

٦ — إن المؤتمر يدعو لتحقيق المقصد الأسمى من تصريح بلفور وصك الانتداب الذى يعترف بالصلة التاريخية للشعب اليهودى بفلسطين ، والذى يهيء له الفرصة . كما وضحه الرئيس ويلسون ، لتأسيس كومنولث يهودى هناك .

إن المؤتمر يؤكده رفضه الثابت للكتاب الأبيض الصادر فى أيار - مايو ١٩٣٩ ، كما ينكر شرعيته الأخلاقية والقانونية . إن الكتاب الأبيض يهدف إلى تحديد ، وفى الواقع إلى إلغاء الحقوق اليهودية فى الهجرة والاستيطان بفلسطين . وكما بين المستر ونستون تشرشل فى مجلس العموم (أيار - مايو ١٩٣٩) ، يشكل خرقاً ورفضاً لتصريح بلفور ، إن سياسة الكتاب الأبيض هى سياسة قاسية ، ولا يمكن الدفاع عنها فى إنكارها لإيواء اليهود الفارين من الاضطهاد النازى . وفى حين أصبحت فلسطين نقطة مركزية فى جبهة الحرب للأمم المتحالفة ، وفى وقت ينبغى على اليهودية فى فلسطين أن تقدم جميع الطاقات البشرية المتوفرة من أجل المزرعة والمصنع والمسكر ، تشبكت اليهودية فى صراع مباشر مع مصالح المجهود الحربى الحليف .

٧ — وفى الكفاح ضد قوى العدوان والطغيان التى كان اليهود أول

ضحاياها ، والتي تهدد حالياً الوطن القومى اليهودى ، يجب الآن أن يُعترف بحق يهود فلسطين فى القيام بدورهم الكامل فى المجهود الحربى وفى الدفاع عن بلدهم ، بواسطة قوة يهودية ، تحارب تحت علمها الخاص ، وتحت القيادة العليا للأمم المتحالفة .

٨- يعلن المؤتمر أن نظام العالم الجديد الذى سوف يلى النصر ، لا يمكن إنشاؤه على أسس السلام والعدالة والمساواة ما لم تحل نهائياً مسألة التشرذم اليهودى . (هنا تليح إلى أن الحل الصهيونى هو الحل الوحيد) .

إن المؤتمر يبحث على فتح أبواب فلسطين ، وأن تخوّل الوكالة اليهودية سلطة الإشراف على الهجرة إلى فلسطين ، والسلطة اللازمة للنهوض بالبلاد ، بما فى ذلك تنمية الأراضى غير المأهولة وغير المزروعة ، (معطياً تلك الوكالة بذلك ، سلطة أساسية من سلطات الحكومة ذات السيادة) ، وأن تصبح فلسطين كومنولثاً يهودياً ، داخل ضمن إطار العالم الديمقراطى الجديد ، وعندئذ فقط يُصحّح الخطأ القديم المرتكب بحق الشعب اليهودى (١) .

ويلاحظ من تفحص برنامج بلتمور أنه أحسن استغلال اسم الرئيس ويلسون لاجتذاب رأى العام الأمريكى . كما يلاحظ أن القاعدة المركزية الصهيونية التى انتقلت من لندن إلى واشنطن ، قد بدأت عملها على نحو غير مسبوق . فأمريكا لم تعد مصدر التبرعات السخية والدعم المالى اليهودى للصهيونية فحسب ، وإنما وأهم من ذلك بكثير ، أصبحت مركز الثقل الصهيونى

(١) انظر مقررات بلتمور فى المجلة الصهيونية

Zionist Review, 22 May, 1942.

وقد صرح ناحوم غولدمان ، المصنف الأمريكى فى تنفيذية الوكالة اليهودية ، بعد أربع سنوات ، أن برنامج بلتمور قد رتب على أساس الافتراض بأن ملايين اليهود سوف يتقانون

إلى فلسطين بعد الحرب مباشرة . Zionist Review, 20 Dec. 1946. p. 6

السياسى ؛ ففيها تُحدد الأطر ، وتُرسَم السياسات ، وتُوضع المقررات بشأن فلسطين .

ولكن الفقرة الأخيرة فى برنامج بَلْتَمور هى الفقرة المهمة ؛ فوراء الألفاظ الدقيقة المنتقاة يتضح القصد ويتباور الهدف : الاستحواذ على كامل فلسطين . ليس «وطن قومى لليهود فى فلسطين» ، بحسب صيغة وعد بلفور . وليس «دولة يهودية فى جزء من فلسطين» ، بحسب صيغة لجنة بيل (١٩٣٧) ، ولكن فلسطين ... كومنولثاً يهودياً .

ولو أمعنا النظر فى نسبة السكان اليهود إلى مجموع السكان (٣١,٢٪) من ناحية ، وفى نسبة ملكية اليهود للأراضى (٥,٩٪) من ناحية أخرى ، حتى عام ١٩٤٢ ، لتأكد لدينا أن بن غوريون الذى تزعم خطط المؤتمر فى الواقع ، قد نجح فى ضمان دعم الصهيونيين الأمريكيين ، وحشد وراءهم مقترح سابق للزعيم الصهيونى أورلوسوروف والذى نص على «فترة انتقالية تمارس أثناءها الأقلية اليهودية حكماً ثورياً منظماً» . وبعبارة أخرى واحدة : إعلان صهيونى للاستقلال فى كامل فلسطين ، ومن جانب الأقلية اليهودية ، على النمط الاستقلالى الذى أعلن مؤخراً فى روديسية من جانب الأقلية العنصرية البيضاء ؛ وذلك باستخدام القوى النامية للمؤسسة الصهيونية العسكرية .

ويدو أن الصهاينة كانوا يفكرون بتحقيق هذا الاغتنصاب السياسى للسلطة فى فلسطين بعد نهاية الحرب الثانية مباشرة ، وقد قطع تخطيطهم شوطاً بعيداً فى هذا الاتجاه . وضع ذلك فى نشرة رسمية عام ١٩٤٣ أى بعد عام واحد من إعلان برنامج بَلْتَمور ، وجاء فيها : «ان السلطات الصهيونية تشعر الآن أن الانتداب قد استنفذ فائدته ... الآن . وقد آن لنا أن نطلب ما كنا

نعمل من أجله طوال السنين العشرين الماضية (١) . والنشرة نفسها اقتبست من بن غوريون قوله : « إن إعادة التسوية الرئيسية ... هي إقامة نظام جديد سياسى قانونى إدارى — يوضع خصيصا لتطوير موارد البلاد إلى أقصى حد، ولاستيعاب أكبر عدد من المهاجرين في أقصر وقت ممكن ... فقط لإدارة يهودية يمكن أن تكون كفؤاً لذلك العمل — إدارة تتحقق فيها تماماً احتياجات وأهداف المستوطنين اليهود (٢) » .

إذن فالتركيز هو على السيطرة السياسية، ولها الأولوية حتى على الهجرة، لأن السيطرة السياسية هي الشرط اللازم الكافى للهجرة الكثيفة والاستيطان الواسع . ومن خلال السيطرة يمكن إزاحة الغالبية العديدة العربية بأقصر وقت ممكن ، ومن خلالها أيضا يمكن نزع الملكية العربية بوسائل الخداع والتحايل على القانون ، وقد برهن (الإسرائيليون) أنهم أسياد في هذا الميدان منذ عام ١٩٤٨ .

ويبدو أن الصهاينة تحققوا أن ميزان القوى داخل فلسطين قد رجح جانبيهم ، ولا سيما بعد أن مزق البريطانيون القوة الفلسطينية العربية العسكرية ما بين ١٩٣٦ — ١٩٣٩ ، من ناحية . ومن ناحية أخرى بعد التقدم المتزايد الذى حققته المؤسسة الصهيونية العسكرية أثناء الحرب العالمية الثانية كما سنرى . وعلى أساس تصاعد قوى هذه المؤسسة بنى الصهاينة تقديرهم لإمكانات إعلان استقلالهم بفلسطين كلها .

ولنستبق التسلسل الزمنى فى سردنا لنقول إن الصهاينة وضعوا فى الواقع

The Jewish State Idea in Zionism; Zionist Federation of. (١)
Great Britain & Ireland, 1943, p. 10, Quoted by Khalidi, op
cit; p. 51, Introduction.

ibid p. 11

(٢)

(م . ه — فلسطين)

الخطة العسكرية العامة المعروفة بخطة (أ) في فبراير — شباط ١٩٤٥ لتنفيذ هذه الاستراتيجية على وجه التحديد . وقد افترضت الخطة أن المعارضة العربية ، في ضوء الوضع القائم آتئذ في العالم العربي ، لن تظهر إلا من جانب عرب فلسطين فقط . ولكن الخطة (أ) تكفلت بسحق مقاومتهم والاستيلاء على البلاد . وبعد عدة أسابيع من نهاية الحرب الثانية ، تأكد الصهاينة أن خططهم غير ممكنة التحقيق فوراً ، ولذا فقد التفتوا إلى موضوع الهجرة ، وعسبوا جام غضبهم على الكتاب الأبيض من جديد ، وبذلوا جهوداً جارية لربط اليهودية الأمريكية بالعجلة الصهيونية .

الفصل الثاني

فلسطين والحرب العالمية الثانية (٢)

تطبيق الاستراتيجية الصهيونية لاكتساب التأييد الأمريكي

الجهود المستميتة لربط اليهودية الأمريكية بالصهيونية :

كان لا بدّ لنجاح السياسة الصهيونية الجديدة من حشد قوى الجماعات اليهودية وراء برنامج بولتمور ، في كل من الولايات المتحدة ، وبريطانية ، وفلسطين . وفيما يلي سنعرض للجهود الصهيونية في الولايات المتحدة :

لما كانت السياسة الصهيونية الجديدة التي تمثلت ببرنامج بولتمور سياسة ثورية تختلف تماما عن السياسة المتدرجة المناهضة بالحفاظ على الوطن القومي ، فإنه كان يتوجب على هذه السياسة الإرهابية الجديدة أن تكون على حذر في تعاملها مع الجماعات اليهودية غير الصهيونية المشتركة في الوكالة اليهودية ؛ ذلك أنه حين أعلنت سياسة بولتمور ، علت بالاحتجاج أصوات كثيرة من الجماعات اليهودية في بلاد الغرب . وعلى الرغم من أن تحويل الوكالة اليهودية إلى الخطط الصهيونية لم يكن ذا مغزى ؛ لأن المنظمة الصهيونية ظلت متحكمة بالوكالة ، فإنه يبقى محرّجا أن يسود الشقاق في هيئة يستعملها الصهاينة لاجتذاب يهود العالم واكتساب دعمهم للبرنامج الصهيوني الجديد . ومن هنا حرصت الصهيونية على تأكيد وضعها بأنها تتحدث باسم يهود العالم ، وترفض أي تمييز بين الصهيونية واليهودية . وفي الوقت الذي اندمجت فيه الوكالة اليهودية بالمنظمة الصهيونية ، لأن مجلس الطوارئ الأمريكي الصهيوني ، وهو آنذاك يمثل الأحزاب الصهيونية الأربعة (المنظمة الصهيونية لأمريكا ، وهاداسا ، وجناحي العمال الصهيونيين ، ومزراحي) ، يدعو لبلورة السياسة الجديدة

في مؤتمر بلتمور، ثم يسعى جاهداً لتركيز القيادة الصهيونية على الولايات المتحدة، بعد أن يمد الطريق لنقل مركز الصهيونية من بريلاية إلى أمريكا كما يكون في مقدور الصهيونية أن تحقق أهدافها في إنشاء الدولة اليهودية .

تطلع الصهاينة إلى الولايات المتحدة مدفوعين بعاملين اثنين : أولهما تحقيقهم من أن سياستهم مع بريطانيا ترتطم بصخرة الكتاب الأبيض، وأن استمالة الولايات المتحدة حيوية للضغط على بريطانيا، لاسيما وأن الولايات المتحدة في المرحلة الأولى من الحرب كانت لاتزال مجرد حليف منتظر، وكانت لندن تحرص أشد الحرص على دوام الانسجام التام في علاقاتها مع واشنطن . والعامل الثاني في التطلع الصهيوني نحو الولايات المتحدة هو الرغبة في إحلالها محل بريطانيا في نطاق المسعى الدائب للبحث عن مساندة (الأمم الأخرى) . فضلاً عن أنه ليس بد من صدام الصهيونية مع بريطانيا، فإن دولة وشيكة القيام في فلسطين بعد الحرب، يعني صراعاً مع البريطانيين، لأن قيام الدولة اليهودية لا يعني سوى نهاية الانتداب، وبديهي أن يتركز المجهود الصهيوني الضخم حول هدف (صينة) اليهودية الأمريكية أولاً وقبل كل شيء . فمن المعلوم أن اليهود الأمريكيين دعاة (اندماج وتمثل) بالوراثة (١) ؛ وحتى في عام ١٩٤٣، فإن نسبة اليهود الصهيونيين في الولايات المتحدة إلى مجموع اليهود الأمريكيين كان أقل من خمسة بالمائة (٢) . وقد أوجد هذا الوضع المحرج مشكلة خطيرة لدى الصهاينة، فنودي بتحقيق النقطة الثالثة من برنامج هرتسل — إيجاد مساندة يهودية . وإزاء هذا التحدي سارعت تنفيذية فلسطين إلى إرسال موظفي دعاية عرفوا باسم (شيليجيم) إلى الأوساط اليهودية في الولايات المتحدة بغية إقناعها بأن التوجيه الجديد للصهيونية السياسية

Alfred, M. Lilienthal «What Price Israel» Chicago, 1953, (١)

p. 18, from American Jewish Year Book 1943.

(٢) ibid في عام ١٩٤٣ كان ثمة ٥٩ ألفاً مسجلين كصهاينة في الولايات المتحدة .

يشتمل على الحل الوحيد للأزمة التي تواجه اليهودية العالمية . وسنرى أن المحور العقائدي الذي تدور عليه حجج الصهاينة هو حاجة يهود أوربة المظلومين إلى ملجأ . والحقيقة أن هذا الملجأ المطلوب ، لم يكن أكبر همهم ، وإنما استغلوا ما أشاعوا من الحاجة القصوى إليه ، لتفسير مطالبهم بإنشاء الدولة اليهودية ، عن طريق الربط المغرض بين أزمة يهود أوربة ، وإيجاد ملجأ لهم في صورة دولة يهودية تقوم في فلسطين . وقد رأينا سابقاً وسنرى لاحقاً في فترة ما بعد الحرب ، أن الصهاينة سيرفضون دعم خطط تزويد اللاجئين اليهود بملجأ في (الشتات والمنفى) .

لقد اتبعت الصهيونية السياسية أساليب شيطانية في سبيل (صهيئة) الجماعات اليهودية الأمريكية بغية السيطرة عليها وربطها بعجلتها والكلام باسمها . ولنكرر هنا أن اجتماع النباهة الصهيونية ، وبراعة التكتيك السرطاني الذي مارسه ، مقرونًا بالجهل العام لخصايها سياستها لدى المسيحيين الأمريكيين ، أفضى إلى خلق دعم خطير الشأن لدى (الأمم الأخرى) للصهيونية . وفي التركيز الذي وضعه الصهاينة على الولايات المتحدة ، ساروا في مسارى ثلاثة بوقت واحد لضمان نجاح خططهم : اتجهوا لاكتساب الرأى العام الأمريكي الشعبي ، ولاكتساب الكونغرس ، ولاكتساب الحكومة .

وكانت طبيعة الأمور ومنطقها يقضيان قبل كل شيء بأن تحشد الصهيونية يهود أمريكا وراء برنامج بلمتور ، حتى إذا اطمأنت إلى « وحدة » الجبهة اليهودية الأمريكية ، تغللت بعد ذلك إلى كسب الجمهور الأمريكي غير اليهودي متمثلاً في الشعب والكونغرس والحكومة ، فإذا أعدت وكيف نجحت في حشد مختلف الأجنحة اليهودية الأمريكية تحت رايتها ؟

سعت الصهيونية لعقد مؤتمر يهودى أمريكى لتوحيد المنظمات اليهودية الأمريكية في صف واحد وراء برنامج بلمتور . وقد بدأت ساعيها منذ مطلع

عام ١٩٤٣ بدعوة وجهها هنري مونسكي رئيس منظمة بنى يريث (١) Bnai Britb إلى ٣٤ جماعة يهودية لانتخاب مندوبيها وحضور المؤتمر اليهودي المزمع عقده ، بغية التداول بشأن وعد اليهود بعد الحرب وبناء فلسطين يهودية . ونشرت جريدة (فلسطين الجديدة - Newpalestine) لسان حال الصهيونية الأمريكية تعليمات صريحة إلى قرائها حول أفضل الوسائل لضمان النصر في الاقتراع . وأندز الحاخام اسراييل غولدشتين Goldstein بأنه لا يجوز تقرير المرشحين إلا على أساس سجلهم الصهيوني . وبفضل التنظيم والاعداد الصهيونيين انجملت الانتخابات عن نصر باهر لأعضاء المنظمة الصهيونية الأمريكية ، اذ فازوا بـ ٢٤٠ منتخباً من أصل ٣٧٩ . وظهر من تشكيل الجهاز التنظيمي للمؤتمر أن تعيين اللجان وتحديد أوقات الكلام كان يد الصهيونيين ، وقد أدى هذا الجهاز خدمات جلي لهم ، إذ لم يعترف بالأعضاء (المستقلين) إلا على أساس انتمائهم إلى (كتلة) ، وبذلك لم يبق سوى كتلة واحدة غير صهيونية ، وسيطرت الأحزاب الصهيونية الرسمية وحلفاؤها ، من صفوف الفئات المحافظة والدينية المتعصبة ، مع جماعة بنى يريث المتفاداة للصهيونية ، والمؤتمر اليهودي الأمريكي على أربعة أخماس عدد المقترعين (٢) . وانهقد المؤتمر في نيويورك ما بين ٢٩ أيلول-سبتمبر-٢ تشرين الأول-أكتوبر ١٩٤٣ بحضور الأعضاء المنتخبين لـ ٦٥ منظمة يهودية . بما فيها اللجنة اليهودية الأمريكية ذات النفوذ ، ورفض عدد من الجماعات اليهودية حضور المؤتمر ومنهم المنظمة الإصلاحية الصهيونية الجديدة ، والأغودات

(١) أى أبناء الميثاق بالبرية ، من مساعلي لعقد ميثاق مع العرب بقصد المعيشة معا في دولة ثنائية القومية - هكذا كانوا يزعمون - ورئيس المنظمة اسمه هنري مونسكي Monsky من يهود أوروبا الشرقية ، وكان هواة وتفكيره مع الصهيونية .

(٢) Stevens, R.B. « American Zionism & U.S. Foreign Policy » (٢) N. Y. 1962 p. 10 (47 - 1942)

إسرائيل ، واتحاد الخاخامين اليهود. وقد أيد رئيس اللجنة اليهودية الأمريكية القاضي جوزيف بروسكاور Proskauer قراراً باستمرار الهجرة إلى فلسطين ولكن دون المطالبة بدولة يهودية . وعندما قرر المؤتمر تبني برنامج بليتمور بما فيه إطلاق وحرية الهجرة، حذر بروسكاور المؤتمر من أن طريقة المطالبة بكل شيء من أجل الحصول على بعض الشيء هي طريقة خطيرة جداً^(١). وقال إن جميع أعداء اليهودية يرتقبون تأكيد هذه المطالب القصوى ، كما تشتد معارضتهم لبناء فلسطين نفسها بناءً شرعياً . ثم جرى التصويت على برنامج بليتمور فتماز بأغلبية ٧٤٨ صوتاً ضد أصوات وامتناع ١٩ .

وتعتبر نتيجة هذا المؤتمر نصراً مهماً للصهيونية في مسعاها لربط اليهودية الأمريكية بعجلتها ، وصار بوسع الصهيونية أن تزعم أنها تمثل الأغلبية الساحقة من اليهودية الأمريكية ، وعلى الرغم من نقد الطريقة التي تم بها تشكيل المؤتمر ، والتي لا تبرر دعوى الصهيونية بأن الغالبية تؤيد إنشاء الدولة اليهودية فإن المؤتمر ظل يتمسك بالقول بأنه يمثل رغبة الأكترية . وتذكر الدراسة الجادة أن عدداً كبيراً من اليهود الأمريكيين لم يفلحوا باتخاذ موقف من فلسطين ولم يستطع المؤتمر أن يتحدث بالنيابة عنهم. وطريقة إعطاء الكلام للمتحدثين في المؤتمر نُظمت بدقة بحيث لم يستمع إلا لصوت الكتل والجماعات المنظمة ويدافع الخاخام يهوشوع تراكتنبرغ Joshua Tractenberg عن هذه الطريقة التي اتبعت لسماع كلمات المندوبين في المؤتمر بقوله « إن المؤتمر لم يقصد منه قط أن يكون ممثلاً للطائفة اليهودية الأمريكية ، إذ أن المندوبين لم يكونوا مسؤولين أمام أية طائفة ، بل كانوا مضطرين لتمثيل مصالح المنظمات».

(١) Samuel Halperin «the Political World of American Zionism», Detroit, 1961, p. 238

وقال أيضاً : « إن أولئك المندوبين المنتخبين على أساس الطائفة بأسرها كانوا كالأغنام الضالة ، إذ لم يكن لهم أى صوت إلا بواسطة كتل المنظمات (١) .

وينبغي للباحث أن لا تفوته الإشارة — في هذا الصدد — إلى ضغط الظروف القائمة في العالم يومذاك ، والتي كان أهمها بالنسبة لليهودية الأمريكية أزمة يهود أوربة ، فقد تركت أثراً خطيراً على توجيه سياسة المنظمات اليهودية الأمريكية بحيث انقاد معظمها إلى الحل الصهيوني الذي أشار إلى فلسطين كحل لا يحصى عنه لإيواء يهود أوربة . ومن هنا لم يكن في مقدور أية جماعة يهودية ترغب في الاحتفاظ بمكانتها أن تخرج عن نطاق هذا الربط الدعائي الهادف بين أزمة اللاجئين اليهود وفلسطين ، خشية أن تُتهم بعدم الحرص على استنقاذ اللاجئين . ولولا سيف ديموقليس هذا الذي شهره التكنيك الصهيوني البارع ، لما أمكن التغلب على المعارضة اليهودية (٢) .

وكمثال على استغلال الجدل العام بالقضية الفلسطينية ، ما تضمنه بيان المؤتمر عن فلسطين ، حين دعا « لتنفيذ تصريح بلفور وصك الانتداب الذي نهض المقصد منه على الصلة التاريخية للشعب اليهودي بفلسطين ، ولإعادة إنشاء فلسطين ككومنولث يهودي (٣) ،

وبطبيعة الحال كانت الخطط الصهيونية تشير دائماً إلى أن هذا (المقصد) من وعد بلفور وصك الانتداب إنما يعنى إيجاد دولة يهودية . مع أن ذلك في الحقيقة (مقصد) الصهيونية لا (مقصد) تصريح بلفور ، الذي حمى

Stevens, op. cit, p. 14

(١)

Halperin, op. cit, p. 250

(٢)

Escó, op. cit., II, pp. 1088-89

(٣)

الطائفة غير اليهودية في فلسطين ، وحي كذلك مركز اليهود في البلدان الأخرى بفضل مساعي اليهود غير الصهيونيين في أوروبا وأمريكا آنذاك ، وبفضل هؤلاء أيضاً سميت الوكالة اليهودية لا الصهيونية ، وقد رضخ الصهاينة يومذاك بغية استمالة اليهود في بريطانيا وأمريكا تدريجياً إلى الحل الصهيوني النهائي . وبقيّة المقاطع الأساسية في بيان المؤتمر عن فلسطين لا تخرج عن خطوط برنامج بلمتور مطلقاً ، وهو البرنامج الذي جرى التصويت عليه وإقراره قبل إصدار بيان المؤتمر .

أما المنظمات التي امتنعت عن التصويت فاعتذرت بتباين آراء أعضائها حول مسألة فلسطين . فهناك مثلاً (هاشومير هاتساعير) أي الحارس الشاب ، وضّحت انشقاقها عن مشروع الكومنولث في ضوء وضعها العام الذي يؤيد الهجرة الواسعة ، ويدافع عن مبدأ الدولة ذات القومية اثنتان . أما المجلس القومي للنساء اليهوديات فقد أعلن أن برنامجها لا يتضمن موضوع الصهيونية وأن أعضائه لا يختلفون كثيراً حول هذا الموضوع ، ولكن المجلس حض على إلغاء الكتاب الأبيض ، وأيد الهجرة غير المحدودة ومتابعة تعمير الأراضي ، بحسب روح تصريح بلفور . واللجنة اليهودية للعمل ذكرت أن عدم وجود إجماع بين أعضائها يجعلها لا تتخذ موقفاً من الحالة الدستورية النهائية لفلسطين ، ولكنها حذت حذو سابقتها بسبب الكتاب الأبيض والهجرة والإعمار . وقد اتخذت الجماعات اليهودية المنشقّة عن المؤتمر قرار مهاجمة الكتاب الأبيض بقصد إزالة سمة عداة الصهيونية عنها ، والتي ألصقها بها الصهاينة . وأظهرت البيانات التي أعلنها بروسكاور رئيس اللجنة اليهودية الأمريكية فيما بعد ، رغبة متزايدة في اجتناب ما هو واقع من نزاع مع الصهيونية .

ويبدو أن أهم نقد لبيان المؤتمر اليهودي الأمريكي ، صدر عن هذه اللجنة اليهودية الأمريكية ، التي صوتت ممثلوها ضد بيان فلسطين في المؤتمر

فقد كان لها نشاط واسع في الميدان الإسعافي والاجتماعي اليهودي برغم قلة أعضائها (١)، وقدمت في الماضي جزءاً كبيراً من عضوية اللاصهيونيين في الوكالة اليهودية. وقد صرحت اللجنة عن موقفها في اجتماعها السنوي (١ شباط — فبراير ١٩٤٣) إذ اعترفت في بيانها بأن «فلسطين تشكل بناءً متماسكاً اقتصادياً، وحياة ثقافية وروحية مرضية. وعلى الرغم من أن فلسطين لا تستطيع أن تقدم الحل لمسألة إعادة الاعتبار لليهود فيما بعد الحرب فيمكن الاعتراف بأنها عامل مهم». وأكدت اللجنة رغبتها في التعاون مع اليهود الذين يريدون استيطان فلسطين، واقترحت اللجنة أن يشجع إنشاء كومنولث مستقل استقلالاً ذاتياً، ينمو في فلسطين في الوقت المناسب؛ ولكن بيان اللجنة حذف صفة (اليهودي) عن الكومنولث، لأمر له دلالاته؛ وأقر بيان اللجنة سياسة التعاون بين اليهود والعرب، وحض على اتخاذ كل ما يقيم التعاون المبني على النية الحسنة بين الطرفين. وكان الجزء المحدد من بيان اللجنة هو المطالبة بوعاية دولية على فلسطين، مسئولة أمام الأمم المتحدة. ومهمتها هي:

(أ) ضمان الاستيطان اليهودي والهجرة اليهودية إلى فلسطين، وضمان المدى المناسب للنمو والتقدم في المستقبل إلى أقصى حد مقدرة البلاد الاقتصادية على الاستيعاب.

(١) أنشئت اللجنة في عام ١٩٠٦ بقصد الحيلولة دون المساس بحقوق اليهود المدنية والدينية في أي جزء من العالم، وضمان مساواة اليهود في الفرص الاقتصادية والاجتماعية والتربوية. وأيدت اللجنة سابقاً تصريح بلفور وعملت مع المؤتمر اليهودي الأمريكي في مؤتمر الصلح بباريس عام ١٩١٩، كما أنها صادقت على مبدأ بقاء فلسطين مفتوحة للمهاجرين اليهود إلى حد مقدرتها على الاستيعاب، مع الحيلولة دون اتخاذ خطوات تمنع استمرار نمو الوطن القومي اليهودي في فلسطين، وبرغم أن غالبية الأعضاء كانوا مناهضين لفكرة الدولة الصهيونية فإن اللجنة ككل كانت مبنية لاقامة الحياة اليهودية في فلسطين في وجوها الاقتصادية والثقافية ودعمت أيضاً المبادئ الأساسية التي يتطوّل عليها تصريح بلفور وصك الانتداب.

Esco, op. cit., II, p. 1091

(ب) ضمان وحماية الحقوق الأساسية لجميع السكان .

(ج) ضمان وحماية الأماكن المقدسة لكل الأديان .

(د) تهئية البلاد لتصبح — ضمن فترة زمنية معقولة — كومنولثاً ذا حكم ذاتي ، له دستور ولائحة حقوق تكفل وتحمي هذه الأغراض ، وكافة الحقوق الأساسية للجميع .

وقد وصف القاضي بروسكاور بيان اللجنة بأنه كان (تسوية عظيمة و Great Compromise) وأنه قد هيا المسرح لجميع اليهود : متدينين ، وإصلاحيين ، وراديكاليين ومحافظين ، صهيونيين ولا صهيونيين ، ومعادين للصهيونية وغيرهم للتعاون معاً في بناء فلسطين . والقاضي في إبرازه للبيانات في المؤتمر الأمريكي اليهودي ، نيابة عن اللجنة اليهودية الأمريكية ، رأى أن قرار المؤتمر غير حكيم ، وأنه قد يربك الحكومة الأمريكية ، ويضر بحالة اليهود ، وربما يسيء إلى النمو الممكن والواسع للاستيطان اليهودي في فلسطين . ولم تكثف اللجنة برفض قرار المؤتمر ، وإنما انسحبت منه بحجة أن قرار فلسطين يطلب تأسيس كومنولث يهودي في النهاية ، ويقوم على إخضاع الموضوعات اليهودية الأخرى لمسألة البناء السياسي الفلسطيني ، وهذا ما يناهض مبادئ اللجنة . وقد اتهم الكاهن وايز الرئيس المساعد لمجلس الطوارئ ، ومونسكي رئيس (يئني بيريت) اللجنة اليهودية بمحاولة شق اليهود الأمريكيين ، بينما وصفها صهاينة آخرون بأنها تعمل ضد المصالح المشتركة لليهودية الأمريكية (١) . وقد اتبعت هذه الاتهامات باستقالة جميع الصهاينة من اللجنة ، في محاولة لعزلها وإضعافها ، وهذا تكتيك سيتبعه الصهاينة كذلك مع اللاصهيونيين في بريطانيا ، وفي غضون ذلك طمست مبادئ الوكالة اليهودية التي ارتفع صوتها يوماً ما ، ونُسي تماماً مبدأ صوت

الأقلية والمعارضة المفتوحة ، في جلبسة الانتصار الصهيوني الحاسم الذي استقطب اليهودية الأمريكية على كل حال .

وصدر هجوم حاد آخر على برناتس بلتمور والكومنولث اليهودى عن الحاخامين الاصلاحيين Reformers ؛ ففي مؤتمر عُقد في اتلانتيك سيتى (١ حزيران - يونيه ١٩٤٢) ، أصدر ثمانون من الحاخامين الإصلاحيين بياناً صاغوا فيه ما أسموه ببرناج اليهودية الليبرالية ، وفيه أعلنوا لميمانهم « بالمبادئ الخالدة للعدالة والاستقامة » ، واعتقادهم بأن الحل الأخير لمشاكل الشعب اليهودى إنما يكمن فى « حل المشاكل الكونية للإنسان » . وقد عرفوا اليهودية فى مدلولات دينية كونية ، مع النص ضمناً على أن العالمية الدينية هى متناقضة مع القومية . وقد رفضوا « كشيء خطير وانتحارى ، المحاولة المزعومة من جانب الصهاينة ، لخداع الشعب اليهودى وجبره للاعتقاد بأن فلسطين وحدها تمثل الدواء الشافى لكل الأمراض اليهودية . وقد أصدر الحاخام ولسى Wolsey من فلادلفيا ، بياناً حمل توقيع ٨٧ حاخاماً إصلاحياً ، مناهضاً للصهيونية ، ويصادق على البيان الذى صدر عن اتلانتيك سيتى ، وتقرأ الفقرة المتصلة بفلسطين كما يلى :

« بتحقيقاً من أهمية رد الاعتبار الفلسطينى لأجل خلاص شعبنا البائس من المشاكل الضاغطة عليه ، فنحن نقف على استعداد لمساعدة إخوتنا بالمعونة غير المحدودة فى مساعهم الاقتصادية والثقافية والروحية فى تلك البلاد . ولكن فى ضوء تفسيرنا العالمى للتاريخ والمصير اليهودى ، وأيضاً بسبب اهتمامنا برقاء وأوضاع الشعب اليهودى الذى يعيش فى البقاع الأخرى من العالم ، نحن لا يمكننا أن ندعم أو نشترك فى الإلحاح السياسى الظاهر الآن فى البرنامج اليهودى . ولا يسعنا إلا أن نعتقد بأن القومية اليهودية تميل إلى تضليل إخواننا حول مكاننا وعملنا فى المجتمع . وهى أيضاً تنحرف بمحرصنا الخاص على دورنا التاريخى فى العيش كطائفة دينية . إن مثل هذا الاور

الروحي هو ما جهرت به اليهودية الإصلاحية بوجه خاص ، في تمسكها بالمبادئ التنبؤية الخالدة للحياة والفكر (١) .

وتابع الحاخامون الإصلاحيون جهودهم للرد على مزاعم الصهيونية وأنصارها ، فنادوا (المجلس الأمريكي لليهودية) لإذاعة آرائهم ونشرها . ونجحوا في الحصول على تعضيد جماعة الأثرياء اليهود ، وبعضهم كان على صلة باللجنة الأمريكية اليهودية (٢) . وأعلن الحاخام لويس ولسي من فلادلفيا أن الغرض من تشكيل هذا المجلس هو معارضة إنشاء الدولة اليهودية في فلسطين ، وترويج الفكرة القائلة بأن اليهود جماعة من طائفة دينية . وقال إننا قطعاً مناهضون للدولة اليهودية وللعلم اليهودي أو الجيش اليهودي ، نحن نهتم بتطور فلسطين كملجأ لليهود المضطهدين ، ولكننا نعارض فكرة الدولة السياسية تحت النفوذ اليهودي في فلسطين أو في أي مكان آخر (٣) وترأس ليسنغ روزنوالد المجلس الأمريكي لليهودية ، وأقيمت مراكز المجلس في فيلادلفيا حيث كان له نشاط واسع ودعاية قوية ، وبلغ عدد أعضائه خمسة آلاف في نهاية ١٩٤٤ . ومع ذلك فقد وافق رئيسه على اتخاذ الإجراءات اللازمة لفتح أبواب فلسطين أمام اليهود ، يدخلونها بحرية ، بحجة أن ذلك يتفق مع الأسس الإنسانية ، ومع مبدأ عدم التمييز ضد اليهود .

هؤلاء المعارضون لفكرة الكومنولث اليهودي ، وأوسعهم نفوذاً : اللجنة اليهودية الأمريكية والمجلس الأمريكي لليهودية .. كانوا من الذين يرون أن الهدف السياسي للصهيونية قد بولغ به وتطرف به المتطرفون . ولكن في

Esco, ibid, 11, 1095

(١)

(٢) منهم آرثر هيز - ليزنجر Hays Sulzberger ناشر صحيفة النيويورك تايمس ، وليسنغ روزنوالد Lessing Rosenwald ابن جولوس روزنوالد .

Esco, ibid, 11, p. 1097

(٣)

الجانب الآخر كان هناك متطرفون في الجماعة الصهيونية نفسها ، وفيها من يقول بأن الموقف الرسمي الصهيوني لا يذهب بعيداً بما يكفي لتعزيز المطالبة بالدولة اليهودية . ومن هؤلاء الأكثر تطرفاً : المنظمة الصهيونية الجديدة ، وحزب الدولة ، وهو متحد مع المجلس الأمريكي الصهيوني للطوارئ . وهناك جماعة الأغودات لإسرائيل المناوئة للصهيونية العلمانية والمتطلعة نحو استعادة الدولة اليهودية التيوقراطية ، وغيرها .

ومهما يكن من أمر الخلاف في وجهات النظر ما بين اليهود الأمريكيين على المسألة الصهيونية ، فثمة اتفاق مشترك على برنامج أدنى يتلخص في أن جميع الهيئات اليهودية، بما فيها الهيئات المناوئة للصهيونية كانت آنذاك إجماعاً معارضة للكتاب الأبيض الذي لم ينظر إليه كمنقضى لوعده بلفور والانتداب وإنما كخرق للبادئ الديمقراطية في المساواة . وكثرة اليهود، صهيانية وغير صهيانية ، اتفقوا على :

١ - دخول اليهود الحرّ إلى فلسطين بشكل لا تحدده اعتبارات سياسية، مع عدم التمييز بين العرب واليهود في شراء الأراضي .

٢ - إتاحة الفرصة لبناء الوطن القومي واليهودية بحرية من الوجهة الاقتصادية والثقافية .

٣ - ضمان الاستقلال الذاتي الطائفي والثقافي والديني لليهود والعرب في فلسطين .

وأخيراً فإن المؤتمر اليهودي الأمريكي ، بوضعه قرار فلسطين ، يكون قد أبلغ الصهيونية إلى مبتغاها . ولم يبق في الأفق اليهودي الأمريكي ما يخرج وما يربك خطوات الصهيونية في سيرها الحثيث نحو حشد اليهودية الأمريكية وراءها ؛ ففي غضون أسبوعين من ختام المؤتمر أعلن الحاخام لإسرائيل

غولد شتين الرئيس الجديد للمنظمة الصهيونية الأمريكية بأن مهمة الصهيونية في الأيام التالية ، تنصب على « . . . اكتساب الموافقة الصادقة من الحكومة والشعب الأمريكيين على البرنامج الصهيوني بالنسبة لفلسطين ؛ وهو البرنامج الذي أصبح الآن برنامج جميع يهود أمريكا الممثلين بأعضاء المؤتمر اليهودي الأمريكي المنتخبين انتخاباً ديمقراطياً (١) » . . .

ونظمت حملات توعية لمختلف جماعات اليهودية الأمريكية تمهيداً لإشراكها في العمل السياسي ، وبدأت المنظمة الصهيونية أعمالها بجباية مائة دولار من ٢٥٠٠ شخص تكون حصيلتها نواة (لصندوق الطوارئ) ، وتستعمل في الأغراض غير العادية المتصلة بالعمل السياسي (٢) كما أحيت العضوية الدائمة على الصعيد القومي ، وبذلك استعدت لتركيز نشاطها على الشعب الأمريكي غير اليهودي بما فيه الكونفرس ، وعلى الحكومة .

المساعي الصهيونية لدى الرأى العام الأمريكى - التكنيك الصهيونى الدعائى :

نقصد بالتكنيك ، الجهد المنصرف إلى غاية معينة ، والمنضبط بقواعد حققها بالاختبار ، تكفل بلوغه تلك الغاية من أسلم الطرق وأضمنها وأوفرها نتائجاً . وقد استخدم الصهاينة أنواعاً متعددة من التكنيك الدعائى ، وتفننوا في عرض الموضوعات وتصميم الأساليب لاجتذاب عواطف الأمريكان غير المباليين ، سواء من اليهود أو المسيحيين . والبحث النزيه المجرد يستطيع أن يثبت دون كبير عناء ، أن المقدمات في الدعاية الصهيونية غير كريمة

New Palestine, Sept. 24. 1943, Quoted in Stevens, op. cit., (١)
pp. 15 - 16.

Halperin op cit. p. 246. (٢)

وغير سليمة ، والناتج التي توصل إليها غير شريفة وغير حسيبة ؛ فهي مليئة بالتموض الملتوية والدعاوى المشبوهة التي تتمحّلها الصهيونية فتخرجها حقائق ومسلّات ، وتبنى عليها استنتاجاتها الفجة المريبة . وكل حججها حجج داحضة ، وافتئات على الحق والمنطق ، وتزييف جلي لحقيقة الوضع في فلسطين ، ولطبيعة الصراع بين العرب والصهاينة . والصهاينة وعملاؤهم يعرفون حقاً كيف يمزجون الترهيب بالترعيب ، وكيف يكشفون مواطن الضعف في النفوس ، وكيف يشترون العقول والضمائر ، وينفقون من المال على استغلال مشاعر المواطن الأمريكي وعواطفه ، أبشع استغلال . عشرات الألوف من العملاء الصهاينة ، ينشطون ليل نهار ، لتضليل الرأي العام ، وامتنانته إلى أغراضهم وأهدافهم ؛ مستغلين جهله وبعده عن مسرح الأحداث ، ومستهدمين الضغط والإرهاب الفكري الذي كان ، وما زال يعطل ضمير الأمريكي ، ويلغى عقله وفكره . وبرغم إحاطة المسؤولين الأمريكيين بالكثير عن سلوك الدعاة والعملاء الصهاينة وفعالهم ، لكنهم يسكتون عنها ويتجاوزون ، والسبب سياسى بالدرجة الأولى ، وبكمن في طبيعة الانتخابات الأمريكية ودور الصهيونية الخطير فيها . وتأثير الصهيونية في الانتخابات كان ، وما زال ، يعزى إلى أسباب ثلاثة :

١ - المال الصهيونى وهو عصب الانتخابات وعمودها الفقرى .

٢ - وسائل الدعاية والإعلام ومعظمها تملكه الصهيونية أو تشرف عليه .

٣ - تنافس الحزبين على اكتساب أصوات الأقليات .

فمن المعلوم أن أصوات الحزب الديموقراطى ، رغم تفوقها على أصوات الحزب الجمهورى في الأحوال العادية ، إلا أن أصوات الحزبين يلغى بعضها .

بعضاً ، وهنا يبرز دور الآفليات المرجح، وبما أن الصهيونية تسيطر تماماً على الأقلية السوداء — وهي معها في حدود خمسة وعشرين مليون نسمة^(١) — فهي تشكل قوة مرجحة كبيرة لا يستهان بها ، ومن هنا أهميتها وقوتها ونفوذها ، وخاعنة في غياب الدعاية العربية وتقصيرها وفجاعتها . إن الصهيونية تكسب معظم معاركها بواسطة الإعلام التضليلي وأساليه المخططة المدروسة .

ولا حاجة إلى القول بأن أحداً من الصهاينة وعملاتهم ، لا يعقل أن يعترف بما نشط لترويجهم من ضروب الدعاية الهادفة، ولكن يكفي ملاحظة ما يطرأ من تغيير على اتجاهات الرأي العام ، بين فترة وأخرى ، بفعل عناصر دعائية مثل النداءات ، والحملات الصحفية ، والاجتماعات العلنية ، وتأيد الجاخامين اليهود لها ، لنضع يدنا على آثار وبصمات التكنيك الدعائي الصهيوني في ميادين العلاقات العامة . ومن دراسة نصوص النداءات والخطب والمقالات الصهيونية ، وتلج المحور الذي تدور عليه والغرض الذي تهدف إليه ، يمكن كشف النقاب عن ملامح الشعارات الصهيونية والموضوعات التي استخدمتها الدعاية ببراعة لاجتذاب تأييد الجماهير وكسب عطفها وحشده في

(١) من أمثلة الدعاية الصهيونية الناجحة ، ما اعترف به بن غوريون في كتابه الأخير الذي صدر عام ١٩٦٣ ، بأن إسرائيل ما كان يوسعها الغمائم بمدوانها المبيت على سيناء (١٩٥٦) لو لم تهمل لذلك بإعداد الرأي العام العالمي . وكانت حجتها في الاقتناع تركز في أن نشاط القذائيين المصريين المتزايد عبر غزة ويش السبع ، يهدد أمنها مباشر وسلامتها ، بل بقاءها فلا بد من الدفاع عن النفس بواسطة القذائير الرادعة الوقائية . واستطاعت إسرائيل بتضليلها ، خدام الرأي العام العالمي واجتذابه للعطف على قضيتها التي صورتها الدعايات الصهيونية جنة وارقة طلبية من النور والحضارة والعرفان . واحة صغيرة مستصفاة تحيط بها كتل همجية متوحشة اسمها الدول العربية لا تتوقف عن تهديدها وتشجذ سلاحها لتردد إسرائيل وتشرب دم أبائها . انظر :

D. Ben Gurion "Israel : Years of Challenge" Tel-Aviv-Jerusalem
1963 pp. 151 - 152

(م ٦ - فلسطين)

الوقت المناسب ، للحصول على التأثير المطلوب . أما المطلعون النابهن المنصفون ، الذين لم يخل منهم المجتمع الأمريكي ، والذين أعيى الصهيونية اختلاس مروعاتهم ، فذهبت عيحاتهم القليلة فى هدير المد الدعائى الهائل الذى أشبعه الصهاينة بحثاً واختياراً ، وأعدوا له عدته .

وفى دراسة قام بها الأستاذ إينيس ل . كلود عن الصهيونية حصر مضمون النداءات الصهيونية التى وجهت للمجتمع الأمريكى ، فوجد أنها تندرج تحت عدة مسائل أو جواذب (١):

١ — الصهيونية هى شارة الشرف اليهودى ، وإن ما تحقق من أعمال على أيدي الرواد اليهود فى فلسطين ، هو نجاح عظيم ومثال للجنس البشرى بأسره . وهذه الأعمال التى تحققت فى فلسطين من شأنها أن تقوى عزة النفس اليهودية وكرامتها .

٢ — يشكل اليهود أينما وجدوا شعباً واحداً (١) فهما يحدث لليهود فى بلد ما يؤثر على وضعهم فى البلد الآخر . واللاجئون الأوربيون المنكودون يجب أن يتلقوا المعونة من إخوانهم الأكثر حظاً فى أمريكا . واليهودى الذى يهتم بشعبه هو صهيونى ، لأن فلسطين تعتمد عليه .

٣ — تعنى الصهيونية عملاً متمتعاً ذا مغزى من الناحية الاجتماعية ، كما أنها عمل لقضية لها أهميتها . والصهيونية تعنى الانسجام مع تاريخ الشعب اليهودى ومصيره ؛ فالصهيونية ضرب من ضروب الدراما لأنها تنازل أعداء الشعب اليهودى بينما هى تعيد لإنشاء الدولة والأمة اليهودية .

Inis L. Claude, " National Minorities : An International Problem " Cambridge, Harvard University Press, 1955, pp. 106-9, Quoted in Halperin, pp. 255-6. (١)

٤ — الصهيونية وسيلة ببناء لحل القضية اليهودية؛ لأن تقرير المصير خير من الإحسان المتراصل . فينبغي أن يعتمد اليهود على أنفسهم لا على ضمير العالم وشفقته . وليس ثمة من بلد يريد اللاجئين اليهود سوى فلسطين (١)

٥ — الصهيونية تجعل اليهودية مستمرة وتجعل بقاء اليهود على قيد الحياة كجماعة متميزة عن غيرها . وستكون فلسطين مركزاً ثقافياً يضاف الرخاء على حياة اليهود الأمريكيين . والصهيونية تقوى معنويات اليهود . واليهودى قادر على التعبير عن نفسه بطريقته الفريدة من نوعها ، وهذا لمنفعة الثقافة العالمية فى آخر الأمر .

٦ — وستساعد الصهيونية فى وضع حد للاسامية ، بوضع حد لانعدام وجود وطن قومى يهودى ، وهو أمر غير طبيعى . فعندما تبرز الاسامية إلى حيز الوجود يمكن أن يعوض عنها بشعور اليهود باتمائهم ، وتقوى الصهيونية هذا الشعور .

٧ — الدولة اليهودية أمر لا بد منه . فنبوءات التوراة ، وحاجة العالم الصارخة والأعمال التى حققتها اليهودية الفلسطينية، تطلب جميعها الحل بإنشاء دولة يهودية .

٨ — المعونة لفلسطين معناها الولاء للولايات المتحدة ؛ فلسطين هى فى الخط الأمامى من جهة الحرب ضد النازية . وفلسطين هى حصن الديمقراطية فى قلب الإقطاع — إن الصهيونية تجلب التجديد والتقدم والديمقراطية إلى الشرق الأوسط المتخلف .

٩ — والحل الصهيونى يطالب بالعدالة التاريخية . وما الدولة اليهودية المطلوبة سوى تعويض عن المذابح التى لا تحصى (١) .

(١) انظر مقالة الأستاذ البرت حوراني التى كتبها عام ١٩٤٦ وفند فيها مزاعم الصهيونية فى أنها تحمل القضية اليهودية (مجلة المعرفة بدمشق عدد ٤٩ آذار — مارس ١٩٦٦)
س ١٥٤ — ١٦٧ .

ولا حاجة بنا ، في هذا المقام ، إلى تفنيد ما جاء في هذه الجواذب من بهتان وتضليل ، وإنما سنشرح فيما يلي وسائل ومسار الدعاية الصهيونية . وسنرى أن أهم ما تنهني للصهيونية بين زاهرائ الرأي العام الأمريكي هو قوتها الدعاوية وبلوغها المستوى الفني والعلمي ، واستندامها خير الأساليب النفسية وخير نتائج العلم الحديث . والصهيونية مضطرة إلى أن تولى هذا الجانب الدعاوى حظاً كبيراً من عنايتها ، لأنها ملزمة بتغطية الزيف ، وتعميق الخرافة ، وتثبيت الأسطورة . وهي تطبق استراتيجية سرطانية ذات ألف ذراع وذراع وألف أسلوب وأسلوب ، دون أن يفوتها تشويه أغراض العرب ، ورميهم بالتنكف والوحشية . ومثل واحد نورهده بمجملها عن براعة أسلوبها ، فالصهيونية مثلاً تذهب في ملق الملونين إلى أبعد الحدود . إنها تعقد ملامح الشبه بين اليهود الملونين زلفى وقربى ، أليس لكل من الشعبين تاريخ طويل عريق من الاضطهاد والتبذ الإنسانى والمقاومة ؟ ألم يشرب العبيد واليهود من الكأس الدهاق خلال قرون وقرون ؟ إسرائيل تكسب عطفنا لأنها مثلنا كانت ضحية الاضطهاد ، كذلك تعلم أن يقول (كينتولا) رئيس وزراء نيجيريا الشرقية (١) وكذلك تعلم غيره ، من ملونى الولايات المتحدة .

وبعد ، فما هى وسائل الدعاة الصهيونيون وعمالهم لكسب تأييد الرأي العام الأمريكى ؟

١ - أول هذه الوسائل — الصحافة والمطبوعات (١) : إضافة إلى

(١) أشار إسرائيل كوهين في كتابه « الحركة الصهيونية » المطبوع عام ١٩١٢ ، إلى أهمية الصحافة بين اليهود يومذاك (١٩١٢) بقوله : « لكن هذا الكتاب (تطور فلسطين الاقتصادى والفكرى) ، يمثل ناجية واحدة من نواحي النشاط الصهيونى . أما الناحية الأخرى فتألف من الدعاوية الحادة المستمرة التى تقوم بها جمعيات لاتخصى فى كافة أنحاء العالم ، على الرغم من المنزلات الخمس عشرة التى مضت على التماسك ، الا من قيل أقلية ضئيلة من الشعب اليهودى . وقد أعطيت عملية التمثيل وقتاً طويلاً للبد . الا أن نتائج الانحلال للتححرر الاجتماعى الذى دام مائة عام ، لا يمكن بموقفه بين ليلة وضحاها لكن الفكرة =

الصحف الصادرة باللغة العبرية الحديثة التي بلغ عدد مشتركها حوالى (٤٢٥) ألف أسرة يهودية أمريكية عام ١٩٤٤ ، أى ثلث عدد اليهود الأمريكيين ، قسمة عشرون من أصل ٢٤ مجلة أمريكية معروفة بتحيزها إلى الصهيونية . هذا إلى أن المنظمات الصهيونية نفسها كانت توزع (٢٧) نشرة بالإنكليزية (١) . وجميع الصحف الأمريكية تقريباً ، باستثناء النيويورك تايمس (٢) ، كانت تعيد نشر البيانات الصحفية الصهيونية ، نظراً لصلات الصهيونيين الوثيقة مع محررى هذه الصحف وكبار مراسليها . وقد صرحت المنظمة الصهيونية الأمريكية عام ١٩٤٣ — ١٩٤٤ أنه تم توزيع أكثر من مليون نشرة وكتيب وكراس صهيونى الهوى ، على المكتبات العامة ورعاة الكنائس والمربين والكتّاب والمراكز الاجتماعية وغيرهم من ذوى النشاط الاجتماعى والثقافى والدينى ، كي يتفهموا وجهة النظر الصهيونية ويعملوا على نشرها ، ومن هذه الكتب ، كتاب : فلسطين — أرض الميعاد ، تأليف والتر لودرملك ، وهدف نشره هو تديد مبدأ طاقة الاستيعاب المحدودة لفلسطين ، هذا المبدأ الذى يبق على الكتاب الأبيض وينسف الهجرة إلى فلسطين .

القومية قد حققت انتصارات كبيرة في معاقب التمثيل (الاندماج) الغربية ، وبات تقديمها مهماً بنوع خاص بين صفوف الطلبة اليهود الجامعين . . وأن عمل الدعاية بواسطة الاجتماعات والكتابة والنشر والمصاحفة العالمية . . تشكل السبيل الوحيد الذى سيتخذ الشعب اليهودى من الاندماج » .

Israel Cohen "The Zionist Movement" Berline, 1912, p. 31 & ff.
Quoted in Stevens, op. cit, p. 20

(١) انظر أسماها في : HaIperin. op. cit, p. 257

(٢) أعلن آرثر هيز سلاز برغر صاحب جريدة نيويورك تايمس : « اننى أمقت مقناً شديداً وسائل الصهيونية في لجم الأقوام الممارضة لأهدافها وخطاها ، تلك الوسائل التى لا تتورع عن استغلال الأسلحة الاقتصادية ، وحقى الاغتيال ، في سبيل أغراضها الاجرامية المشوهة » . أعلن ذلك عندما تقبمت الصهيونية عليه ، وشنت حرباً لا هوادة فيها على جريدته لأنها تجرأت فمارست منه مع تقسيم فلسطين عام ١٩٤٦ . ويقصد برغر باستغلال الصهيونية الأسلحة الاقتصادية ، بطمأ حرمان الصحف من أجور الاعلانات ، وهى تشكل مورداً رئيسياً لأية صحيفة . ومن هنا تفوذ الصهاينة ورفض أصحاب الصحف نشر وجهة النظر العبرية .

٢ - وثاني هذه الوسائل الدعاوية - الاجتماعات الحاشدة وتجمعات الاحتجاج : برز استعمال هذا التكتيك الدعاوى منذ استلام الدكتور سلفر للزعامة الصهيونية (آب - أغسطس ١٩٤٣) ، وكان يرى خلق جو من الضغط الذي (يسفر عن نتائج في أرفع الأوساط داخل أريكة وخارجها) . وقد ثبت أن التجمعات الحاشدة والنداءات العامة هي وسائل ناجعة لبلوغ الضغط المطلوب . وفي آب - أغسطس ١٩٤٥ دعت الصهيونية إلى اجتماع حاشد في ماديسون سكوير بنيويورك حضره ٢٠٠ ألف شخص احتجاجا على السياسة البريطانية في فلسطين . وقد نظم هذا النوع من التجمعات مجلس الطوارئ الصهيوني الأمريكي ، وكان يبلغ عددها أحيانا المائة ، يجرى تنظيمها وعقدتها في المدن الأمريكية الكبرى في وقت واحد ، ويكتب عنها مطولا في الصحف ، ويكون لها مغزاها المهم في واشنطن بمناسبة كل أزمة جديدة : الاضطرابات العربية ، المجابهة البريطانية ، اضطهاد هتلر . . كذلك بنى الصهاينة جناحا لفلسطين في معرض نيويورك العالمي ١٩٣٩ - ١٩٤٠ عرضوا فيه منجزاتهم وبرامجهم .

وشهد افتتاحه مائة ألف ، خطب فيهم انشأتين وغيره من الصيونييين ، وانقلبت المناسبة لمظاهرة سياسية شجبت سياسة انكلترا (١) .

٣ - وثالث هذه الوسائل - ربط المدارس اليهودية ورجال الدين اليهود بالأفكار الصهيونية والفلسطينية ، عن طريق تسرب الدعاة والعملاء إلى هذه المدارس والمؤسسات التعليمية . والمدرسة اليهودية مما يتصل بكل كنيس ومعبد يهودي وبكل تنظيم مدني ؛ وهدفها المرسوم هو تخليد بقاء الجماعة اليهودية بتدريس اللغة العبرية ، وقصص التوراة والطقوس الدينية

وعديد من الموضوعات الاخرى ؛ وكانت الشؤون الصهيونية والفلسطينية تحتل مركزاً أساسياً في المناهج التعليمية والتربوية . وكان يرأس هذه المؤسسات التعليمية اليهودية في المدارس الأمريكية الرئيسية مربون «جميعهم دون استثناء صهيونيون وعبرانيون . ومثل ذلك مع تأكيد أكثر يمكن أن يقال عن مدراء وأساتذة التعليم العبري في أمريكا» (١) . وذلك بقصد نشر اللغة العبرية بين اليهود ، والإيحاء للطلبة بحب صهيون ، وتعميق التراث اليهودي في برامج التدريس . وكان الزعماء الصهيونيون يحرصون على عقد مؤتمرات تربوية ، ونادراً ما تكرر مناسبتها دون الإلحاح على ضرورة التربية اليهودية ، سواء في المدارس أو بجمعيات الشباب أو ما يتصل بها من نشاطات مماثلة . ويعلم دائماً أن مستقبل الصهيونية متوقف على رغبة الصهاينة الأمريكيتين في «رعاية صهينة الشباب اليهودي الأمريكي» (٢) .

وجدير بالذكر أن الدعاية الصهيونية في أمريكا قد أحرزت تقدماً سريعاً بفضل حماس بعض رجال اليهود . بل إن معظم الزعامة الصهيونية الأمريكية كانت تتألف من رجال دين يهود مثل : ستيفن وايز وآباهيلل سلفر ، وإسرائيل غولدشتين ، وجيمس هيلر . وكان لهم نموذج واسع على الأوساط اليهودية وغيرها في المجتمع الأمريكي .

وتظهر أهمية دعم الحاخامين للصهيونية في نجاح وفعالية الدعاية الصهيونية التي يقومون بها نظراً للمكانة التي يتمتعون بها في مجتمعاتهم . ويمارس الحاخامون نفوذاً لا يستهان به على الجماعة اليهودية وطرق تفكيرها ، بحيث نادراً ما يجري أى نشاط في الحياة اليهودية دون مشاركتهم وتوجيههم ، لأنهم يحسدون المعرفة اليهودية الأصلية فحسب، وإنما أيضاً لأنهم يعتبرون

Halperin, op. cit, p. 262 (١)
ibid, p. 263 (٢)

كـمـثـاين وسفراء للجماعة اليهودية في المجتمع غير اليهودي ، وكرجال الصف الأول في علاقات بني دينهم ومختلف ضروب نشاطهم . « إن الحاخامين هم بمثابة المحرك الذي يستقطب حوله معظم أشكال القيم اليهودية الإيجابية ، والذي تستمد منه معظم النشاطات اليهودية دافعها واتجاهها (١) . » والحاخامون يحشرون في مواعظهم وصلواتهم وتعليمهم وبرامج مدارسهم ، نبذاً عن التاريخ اليهودي والعقيدة اليهودية ومسائلها ، ويرفعون على العرائض والاحتجاجات وخلافها ، مثل عريضه بعنوان : « دعوة لضمير أمريكا » وقعها ١٠٢٧ حاخاماً (٢) . وبكلمة ، فإن الحاخامين كان لهم صوت مسموع في الأوساط الشعبية . ولذا فإن تأثيرهم كان لا يقل عن تأثير الصحافة والتعليم ، واستطاعوا بالتالي أن يفرضوا آراءهم على جماعتهم وفق خطوط البرنامج الصهيوني .

٤ - ورابع هذه الوسائل - الحصول على التأييد المسيحي : فقد عملت الصهيونية على تشكيل لجنة فلسطين الأدريكية ، ونجحت في تنصيب الشيخ روبرت فاغنر رئيساً لهذه اللجنة ، وهو الذي كان يظهر اهتماماً بجماعات الأقليات ، لا سيما اليهود والكاثوليك (٣) .

والواقع أن مقر قيادة الحزب الديموقراطي في نيويورك اتكل على هاتين الجماعتين . إن أسلوب حشد الشخصيات البارزة لخدمة قضية (إنسانية) قد برهن أنه ناجح جداً وفعال ، وخاصة بفضل غياب أية مادة دعاوية تنشر

Halperin, op. cit., p. 265

(١)

ibid

(٢)

(٣) عرف فاغنر بأنه خطيب المآدب اليهودية . وهو مسيحي بروتستانتي ولكن مساعديه جميعاً كانوا من اليهود ، وربما عاونوه على فهم مشكلاتهم من زوايتهم ، وقد لاحظ كاتب سريرة فاغنر أن تعاطفه الشديد مع الصهيونية إنما يرجع - جزئياً - إلى شعوره بالذنب المورثة من أصله الألماني .

لصالح القضية العربية . وقيل نهاية الحرب تضاعف عدد أعضاء لجنة فلسطين الأمريكية ، فبلغ (٦٥٠٠) من وجوه المجتمع ، وفيهم أعضاء في مجلس الشيوخ والنواب ، ووزراء ، وحكام ولايات ، وكبار الموظفين ، وقضاة ، ورجال دين ، وأساتذة وكتاب وأصحاب دور نشر ورجال صناعة (١) .

وقد ثبت أن بيان لجنة فلسطين الأمريكية حول « النكبة المنجعة التي حلت باللاجئين الهاربين من الاضطهاد ، ولم يجدوا لهم موطناً » ، والذي حظى بتعزيد سبعين من أعضاء مجلس الشيوخ الأمريكي . كان محاولة صهيونية خبيثة لربط مشكلة اللاجئين اليهود بفلسطين ، على أساس أنه الحل الوحيد . وكان سبب ذلك حلياً للغاية : فالكثيرون من الأمريكيين قد لا يؤيدون فكرة إنشاء دولة يهودية ، لأول وهلة ودونما أسباب موجبة تبررها وتفسرها ولكن الأمر يختلف لو أمكن استغلال المشاعر الإنسانية الطبيعية في نفوسهم نحو اللاجئين لمصلحة الحل الصهيوني . وقد ترتب على هذا الربط المخرض أن تبقى مشكلة اللاجئين اليهود بدون حل ، على تصميم من الصهيونيين ، لضمان خلق دولة يهودية في فلسطين ، وسد أبواب جميع البلدان في وجوههم .

وكذلك عمل الصهاينة على إنشاء المجلس المسيحي لفلسطين أواخر عام ١٩٤٢ حتى بلغ عدد أعضائه نحو (٢٤٠٠) في منتصف عام ١٩٤٥ . وقد تلقت هذه المنظمة دعم الكثيرين من زعماء البروتستانت الذين رأوا في مشروع إعادة دولة إسرائيل تحقيقاً لنبوءة التوراة .

يبد أن النشاط الصهيوني الدعاوى لم يظهر أثره الملبوس والفعال إلا بعد إعادة النظر في وضع مجلس الطوارئ من حيث ما كان يسوده من الانقسام

الناجم عن الخلافات الشخصية . والتأرجح في سياسته وعمله ، والافتقار إلى لجنة إدارية مركزية تقرر منهاجاً محدداً للعمل ، وترصد موازنة كافية لتحقيق الواجب الضخم . وبعد تدخل وايزمن ، تسلم الحاخامان سلفر ووايزر الرئاسة الشئانية لمجلس الطوارئ ، مع رئاسة لجنته التنفيذية . وتنتج خطة سلفر نحو خلق جو من الهييجان القومى للصاحب ، عن طريق إثارة الرأى العام على أوسع مدى ؛ فالرأى العام — عنده — هو الذى يقرر مواقف الحكومات وأعمالها فى المجتمع الديموقراطى . ولذا كان سلفر يبحث دعائه وعملائه على عدم الركون إلى الأفراد : « لا تضعوا ثقتكم بالأمرء مهما كانوا أصدقاء وعظماء » ، وإنما يجب أن تتوجهوا إلى جماعات شعوب العالم ، وتحدثوا إلى أمريكة بأسرها ، وتبنوا صداقات فى كل مكان ، وتقوموا بدعاوة فعالة فى محيطكم ضمن إطار نفوذكم وبين أصدقائكم . فهذا ما سيقهيم معنا عندما يحين الوقت لاتخاذ القرارات المهمة التى قد تنطوى على مساهمة أمريكة فى الحل النهائى لمشكلة فلسطين (١) .

وفى رسالة بعث بها الحاخام سلفر إلى وايزمن (٣ آذار-مارس ١٩٤٤) قال: ليس رأينا بالتحديد أن الدبلوماسية الهادئة هى التى سوف تؤدى إلى النتائج المرجوة . أو أننا يجب أن نعلق آمالنا كلية على حسن نية شعب أو شعبين.. إن أصدقاءنا الطيبين هنا الذين نعتمد عليهم كثيراً (يشير إلى الرئيس روزفالت خاصة) لن يتحركوا من تلقاء أنفسهم ، مدفوعين بعدالة قضيتنا ، ولن ينجم عن وساطة بعض أصحاب النفوذ النتائج المرجوة . إن أصدقاءنا يمكن أن يتصرفوا ويتخذوا إجراء محدداً كنتيجة لضغط خمسة ملايين يهودى فى سنة انتخابية حرجية (٢) . وقد حذر سلفر أنصاره أن لا يتظاهروا بتأييد

Abba H. Silver, "A Year's Advance," Oct. 15, 1944, N.Y. (١)

A.Z.E.G. 1914, p 13, Quoted in Halperin, op. cit, p 272

Quoted in Halperin. p. 274 (٢)

حزب سياسى معين ضد الحزب الآخر : « لقد نجحنا فى الحصول على إعفاء ودى من جميع قتات الحياة العامة الأمريكية بسبب طابع حركتنا الاحزبى المطلق . إن الحركة الصهيونية فى الولايات المتحدة لا تلتزم بأى حزب سياسى . وهذه سلعة سياسية ينبغى أن نحافظ عليها بحماسة (١) » .

وقد تأتى للصهيونية أن تنفذ هذه الوصايا فرصت موازنة كافية ، ووجدت زعمامة قوية تشرف على المقر الرئيسى لمجلس الطوارىء ، وتوجه نشاط أكثر من ٤٠٠ لجنة طوارىء صهيونية محلية ، يتكون أعضاؤها من نخبة مختارة ، تعمل على إشراك جماعات اليهودية الأمريكية فى كل مكان بالأهداف الصهيونية .

وكانما أراد مجلس الطوارىء الصهيونى أن يختبر قوته ، ويمتحن مهارة الصهاينة الأمريكين فى القيام بحملة ضد الكتاب الأبيض ، الذى أوصى بوقف الهجرة اليهودية بعد نهاية آذار - مارس ١٩٤٤ ، وهو التاريخ الذى تنتهى به فترة السنوات الخمس للهجرة ٧٥ ألف يهودى إلى فلسطين . وصدرت التوجيهات أولا إلى لجان الطوارىء المحلية لتوطد صلاتها مع أعضاء الكونغرس فى مناطقها بطرق مختلفة . وأوحى إلى الجماعات المحلية للاتصال بغير الرسميين ، وتوجيه كلا الحزبين السياسيين ؛ فقد كان من رأى مجلس الطوارىء أن الكونغرس سيضطر للقيام بالعمل المطلوب ، فقط إذا كان هناك رأى عام كبير جداً ، مؤيد للبروزوع فى جميع أنحاء البلاد ، فزعماء الأمة السياسيون إنما ينتقدون بأراء ناخبهم المحليين (٢) . وكان مصداق هذا الأسلوب

ibid, footnote.

(١)

A.Z.E.G. «An Outline of Activities for Local Zionist

(٢)

Emergency Committees » p. 3

أمرت لجان الطوارىء أن تستبعد على ثقة الزعيم السياسى المحلى الذى هو غالباً صديق لمؤيد مجلس الكونغرس . ويمكن العود إلى ذلك الشخص وإقناعه بأن يلقى بثقله السياسى ،

الدعوى الفعال ، أن أربعين حاكماً من حكام الولايات رفعوا عريضة إلى روزفلت بتأييد إقامة دولة يهودية .

وصدرت تعليمات معينة لاتباع تكتيك يهدف إلى التأثير على الحكومة في الوقت المناسب : « في بعض المناسبات ، سيصبح من الضروري لإجراء ظاهرة مسرحية من الرأي العام الأمريكي . وذلك بإغراق الرجال الرسميين ، وأعضاء مجلس الكونغرس والشيوخ بسيل من الرسائل والبرقيات . وعليكم أن تكونوا مستعدين عند أول إنذار لأن تبدأوا العمل في تنظيم حملات من كتابة الرسائل والبرقيات ، لهذا السبب من المهم كثيراً أن تكونوا على اتصال وثيق بمنظمتكم اليهودية المحلية ، عاملين معها لإعطاء النتائج المرجوة ؛ فالمسؤولون عن رسم السياسة الخارجية الأمريكية ينبغي أن يُحملوا على الشعور بأن يهود أمريكا مناهضون لقضية الكتاب الأبيض ، وأنهم يريدون إلغاء مفعوله . وأن هذا هو شعور ملايين اليهود في مختلف أنحاء الولايات المتحدة (١) » . وضمن مجلس الطوارئ قرارات معارضة للكتاب الأبيض في الولايات المتحدة ، من الجمعيات اليهودية ، والنوادي ، والنقابات وجمعيات الكنائس وغيرها . أما الجماعات التي رفضت معارضة الكتاب الأبيض فقد زيف مجلس الطوارئ إرادتها ، وحسبها في جملة المعارضين للكتاب (٢) ، زوراً وبهتاناً . والواقع أنه تم إرسال مئات الألوف من الرسائل الشخصية والبطاقات والبرقيات إلى واشنطن أثناء الحملة على الكتاب الأبيض . واشترى مجلس الطوارئ بالتعاون مع المنظمة الصهيونية وقتاً إذاعياً من ١٨٢ محطة

إلى جانب الصهيونية . وإذا صادف أن كان الزعيم منتبهاً إلى حزب ما ، فالحزب الآخر لا يجب إهماله ؛ فإذا كان عضو الكونغرس جمهورياً أو بالاكس ، فيمكن ملاحظته في لانتخاب القادم بعضو ديمقراطي ، وهنا يجب الحصول على ثقة هذا الأخير المتوقع فوزه .

(١) A.Z.E.C., ibid, pp. 4-5, Quoted in Halperin, p. 274

(٢) A.Z.E.C., ibid « Confidential Bulletins » Jan. to July 1944

إذاعة أمريكية ومن ٥٠ محطة في كندا . وسمع الأمريكيون في ٤٦ ولاية
أسوات كبار النجوم في أدوار مسرحية من برنامج (فلسطين تتكلم) (١) .
والنجاح الذي عداقته الصهيونية في امتحانها لنفوذها الدعاوى وتأثيره على
المجتمع الأمريكي ، هو الذي أفضى إلى مرحلة أخرى من مراحل العمل
السياسي — على صعيد الكونغرس لإلزامه بقرار ملائم عن فلسطين .

المساعي الصهيونية لكسب الكونغرس :

بينما كانت الصهيونية تمارس استعمال التكنيك الدعاوى الدقيق لكسب
الجمهور الأمريكي على اختلاف طوائفه ، نحو مبدأ إقامة دولة يهودية ، كانت
الجهود الصهيونية تستميت لاجتذاب مجلس الكونغرس إلى القضية الصهيونية .
ولقد مرّ بنا أن الخطوة الأولى الناجحة في هذا السبيل ، تمت حين انضم ٦٧
من أعضاء مجلس الشيوخ و ١٤٣ من أعضاء مجلس النواب ، إلى عضوية
لجنة فلسطين الأمريكية . وفي شهر كانون الأول — ديسمبر ١٩٤٢
استجاب ما يقرب من ثلث أعضاء مجلس الشيوخ إلى ١٥٠٠ من الشخصيات
المعروفة في المجتمع الأمريكي ، للتوقيع على عريضة تطالب بتشكيل جيش
يهودي .

وقد شجع هذا النجاح الأول الذي أحرزته الصهيونية على الاتجاه
بثقة نحو الكونغرس للحصول على تأييده لبرنامج بولتمور . والفضل الأول
في دفع المساعي في هذا السبيل يرجع إلى المساعي الناشطة الجديدة لمجلس
الطوارئ ، فقد حض أنصاره من أعضاء الكونغرس على تقديم مشاريع

(١) ZOA, Forty Seven & Forty Eight Annual Reports, pp. 50-51
& 18 respectively, Quoted in Halperin p. 278 & Stevens,
pp 3-٤6

قرارات بمصادقة المجلسين على برنامج بلمتور . وفي ٢٧ كانون الثاني — يناير ١٩٤٤ 'قدم مشروعاً قرارين متشابهين إلى الكونغرس: قدم النائب الجمهوري كومبتون من ولاية كونيتكت مشروع قرار إلى مجلس النواب ، كما قدم النائب الديموقراطي رايت من ولاية بانسلفينيا مشروع قرار مماثل إلى نفس المجلس . وتقدم كل من الشيخ فاغنر الديموقراطي من ولاية نيويورك ، والشيخ تافت الجمهوري من ولاية أوهايو بقرار مشترك إلى مجلس الشيوخ ، ودفع بمشروع قرار كومبتون ورايت إلى لجنة الشؤون الخارجية في مجلس النواب ، التي بدأت تدرس القرار برئاسة سول بلوم Bloom وهو يهودي من ولاية نيويورك وصهيوني . وقد أمل بلوم في باديء الأمر أن يحظى مشروع القرار بالموافقة عليه دونما حاجة لسماعه ، غير أن المجلس الأمريكي لليهودية المناوئ للصهيونية أصر على سماع القرار ومناقشته (١) . وفي مقابلة صحفية صرح بلوم وهو يخرج من جيبه كتاب الصلوات اليهودي (آغادا — Agada) : « لقد رددت مع والدي خلال السنوات الأربعين الأخيرة القول القديم : لشئوننا في يوراشالايم (أى السنة القادمة في القدس ، وهذا يعني أن القدس كانت أملنا دائماً ، ولماذا لا تكون هكذا الآن ؟ ، (٢) .

أما النص الحرفي لمشروع القرارين المتماثلين فيشير في مقدمته إلى قرار الكونغرس (حزيران - يونيه ١٩٢٢) بالموافقة على إقامة دوطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين ، مع العلم أنه لن يجري ما من شأنه الافتئات على حقوق المسيحيين المدنية والدينية وجميع الطوائف الأخرى غير اليهودية في

(١) تماماً كما فعل اليهود البريطانيون غير الصهيونيين قبل نشر تصريح بلفور ، حين أعيد النظر بمسودة الصهيونية التي وضعتها للتصريح ، بناء على طلبهم الملح ، بحيث أصبح يتضمن اعترافاً بحقوق الطائفة غير اليهودية في فلسطين ، وحقوق اليهود في (الفتات والمنفى) .
(٢) United States Congress House Committee on Foreign Affairs, Hearings ... (Washington Government Printing Office, 1944, pp. 30-104), Quoted in Stevens, p. 40

فلسطين ... ، ثم يشير إلى أن اضطهاد الشعب اليهودي في أوروبا قد أبرز الحاجة إلى وطن يهودي يكون مائلاً لعدد كبير من اليهود المشردين القارين من الاضطهاد. أما مشروع القرار فينص على أنه ، وقد تقرر أن تستعمل الولايات المتحدة وساطتها ، وتتخذ الاجراءات المناسبة بقصد فتح أبواب فلسطين لدخول اليهود بحرية إليها ، وإتاحة الفرصة الكاملة لاستيطانهم ، حتى يتمكن الشعب اليهودي في النهاية من إعادة إنشاء فلسطين كدولة (كومنولث) يهودية ديمقراطية حرة ، (١) . وكان نص مشروع القرار متطابقاً تقريباً مع برنامج بيلتمور باستثناء تغيير مهم له دلالاته السياسية والنفسية. فقد أضيفت إلى كلمة (إنشاء) كلمة (إعادة) لتصبح (إعادة إنشاء) ، بغية خلق الاعتقاد بأن الدولة اليهودية كانت قائمة يوماً ، وأن إعادة إنشائها إلى الوجود أمر تقتضيه طبيعة الظروف القاسية التي يمر بها الشعب اليهودي آنف في أوروبا. كما أن إعادة إنشاء هذه الدولة اليهودية ، أمر مشروع أيضاً لأنه يحقق نبوءة التوراة ، وهو لا يوجد هذه الدولة من العدم !

إن قصة معالجة القرار المقترح في مجلس النواب ، تجعلنا نتفهم الظروف والعوامل المساعدة لنجاح الصهيونية في أوساط الكونغرس . وحين استمع المجلس للقرار ، قدم سول بلول إلى أعضاء لجنة الشؤون الخارجية التي كان يرأسها ، كتيباً كان أعده لتوجيههم نحو النقاط الضرورية المتصلة بالقرار . بيد أن هذا الكتيب خُصص لإجمال الموقف الصهيوني من فلسطين ، واختتم بمذكرة من الوكالة اليهودية تقدح في الكتاب الأبيض (٢) ولم يشتمل الكتيب حتى على تقرير من الخارجية الأمريكية ، وهو أمر عجيب ، لما يترتب على القرار المقترح من تطور خطير في السياسة الخارجية الأمريكية ، تلك التي

Congressional Record, 1 feb., 1944, p. 963 (١)

Frank Charles Sakran, «Palestine Dilemma, Arab Rights (٢)

Versus Zionist Aspirations» Washington, 1948, p. 170

أنط رئيس الجمهورية أمرها بوزارة الخارجية بوجه خاص . ولا بد للباحث أن يشير إلى استغلال بلوم لمنصبه في توجيه النقاش ، بحيث يجنب إحراج الصهيونية (١) ، وإرباك أنصارها أمام معارضتهم . ومن مطالعة محاضر جلسات لجنة الشؤون الخارجية يتضح تطلع بلوم بشوق إلى نجاح القرار ، كما تتضح الحقيقة بأن يحمل الشهادات بما في ذلك الأسئلة والوثائق المؤيدة التي تقدم بها معارضو الصهيونية ملأت ١٠٨ صفحات ، أما الصفحات الباقية وعددها ٢٨٠ صفحة من الشهادات والأسئلة والوثائق ، فقد كانت مؤيدة للصهيونية . وعلى الرغم من التكنيك الاستماعي البارع الذي مارسه بلوم في التظاهر بحسن إصغائه للمعارضين ، فإنه كان يسارع دائماً إلى التهوين من معارضتهم عن طريق الاستشهاد بـ «بيانات» (تاريخية) لدعم الادعاء القائل بأن الولايات المتحدة طالما سبق لها وأيدت إنشاء دولة يهودية . إذ أورد بلوم التصريح المنسوب إلى الرئيس ويلسون القائل بأن الولايات المتحدة أبدت موافقتها التامة على الفكرة القائلة بأنه من الواجب وضع أسس الدولة اليهودية في فلسطين — وهو التصريح الذي ثبت أنه غير دقيق وغير محدد (٢) .

وفي حين كان الكونغرس يبحث مشروع القرار المؤيد للصهيونية ، كان مجلس الطوارئ يقوم بنشاط محموم تجلت خلاله فعالية اللجان المحلية للطوارئ ؛ فقد أغرق الكونغرس بألوف البرقيات والرسائل والبطاقات من سائر مدن الولايات المتحدة ، وأجريت اتصالات متعددة مع كل عضو في لجنة الشؤون

(١) جاء في مجلة The National Jewish Ledger (١٠ آذار - مارس ١٩٤٤ أن بلوم « لم يؤيد القرارين فحسب ، بل لأنه في مناسبات عديدة استطاع أن يستعمل سلطته كرئيس للجنة في تسهيل كل موقف حرج ، أو في تذكير شاهد من مؤيدي فكرة الكومنولث (اليهودي) بوثيقة تساعد بوجه خاص ، أو في توجيه البحث أو السؤال إلى الاتجاه الملائم المتعلق مباشرة بالقرار .

(٢) انظر مناقشة ليلينثال حول هذه النقطة في كتابه :

A.M. Lilienthal « What Price Israel », Chicago, 1953, p. 89

الخارجية ، من دائرته الانتخائية . وقد كان هذا الاهتمام الشديد بمشروع القرار المطروح ، ملفتاً للنظر إلى حدّ أجمع أعضاء مجلس النواب على إبداء استغرابهم ، وأنهم قلبوا شاهدهوا من قبل مثل ذلك الاهتمام العام المدهش بتشريع ما (١) .

ولو وافق المجلسان على القرار المقترح لربط الكونغرس نفسه ببرناج بلتمور . ولكن تدخل المستر ستمسون Stimson وزير الحرية الأمريكي أوقف النقاش في مشروع القرار ، لأن الحكومة الأمريكية نظرت بشيء من القلق إلى تسابق الحزبين الديمقراطي والجمهوري على نيل الخطوة لدى الصهيونية وعلى تأييد مقترحاتها . وقد تخوف روزفلت من موافاة الظروف الصهيونية ، خاصة بعد أن تلقى تحذيراً من وزارة الخارجية الأمريكية تنذر فيه الرئيس من الأثر السيئ الذي قد ينتظر أن يحدثه اتخاذ الكونغرس قراراً بشأن فلسطين في الموقف بالشرق الأوسط .

واستدعى الجنرال جورج مارشال رئيس الأركان الأمريكي للادلاء بشهادة سرية أمام لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ (٢٣ شباط - فبراير) . وقد أشار وزير الخارجية الأمريكية كوردل هل في مذكراته إلى القلق الذي عكسته المساعي الصهيونية في دوائر الحكومة الأمريكية بقوله : « وقد شعرنا في وزارة الخارجية بأنه وإن لم يكن ذاك القراران ملزمين للسلطة التنفيذية عند إقرارهما ، فمن شأنهما أن يولدا النزاع في فلسطين وباقي أجزاء العالم العربي ، فتعرض الجيوش الأمريكية للخطر ، ويصبح من الضروري تحويل القوات من مناطق القتال الأوربية وغيرها ؛ وقد تؤذى أو تقضى على المفاوضات المنتظرة مع ابن سعود لإنشاء خط أنابيب عبر أراضي العربية السعودية ، وهو الخط الذي رآه قادتنا العسكريون ذا أهمية

Stevens, op. cit., p. 42

(١)

(٢٣ - فلسطين)

قصوى لأمتنا . ومن شأنه إثارة مصالح خادعة أخرى للبحث على إدخال قرارات مماثلة بشأن قضايا إقليمية مختلف عليها ، تتعلق ببعض البقاع كبولندا وإيطاليا مثلاً (١) . إذن فالمحرك الأول للسياسة هو المصالح الذاتية والاستراتيجية فحسب .

كشمت الصهيونية غيظها لحبوط مساعيها في حمل الكونغرس على تصديق قرار فلسطين ، ووجهت اللوم إلى مقتضيات الوقت العسكري ، وفي الوقت نفسه انعقد المؤتمر القومي لفلسطين برعاية لجنة فلسطين الأمريكية ومعاونة سبع منظمات أخرى . ويظهر أن المؤتمر كان واقفاً على تحفظ الحكومة بإزاء قرار فلسطين . ولذا جاء في بيانه المؤرخ في ٩ آذار — مارس ١٩٤٤ : « بينما نحن مدركون تماماً للمشاكل والمسؤوليات الملقاة على عاتق زعمائنا العسكريين والديبلوماسيين ، فإننا مقتنعون تماماً بأن تكتيك التهدئة والترضية ، لا يمكن أن يكون أساساً لحل دائم للمشكلة الفلسطينية » (٢) .

ولتعويض الصهيونية عن خيبة أملها الوقت ، استقبل الرئيس روزفلت رئيسي مجلس الطوارئ — سلفر ووايز ، في البيت الأبيض ، ولتهدئة خواطر الصهيونية ، خوّلها نشر البيان التالي باسمه : « لقد رخص لنا رئيس الجمهورية أن نقول بأن الحكومة الأمريكية لم توافق قط على الكتاب الأبيض الصادر عام ١٩٣٩ . ومن دواعي سرور الرئيس أن أبواب فلسطين مفتوحة اليوم أمام الألاحئين اليهود ، وأنه عندما يتم التوصل إلى قرارات في المستقبل ستطبق العدالة من أجل أولئك الذين ينشدون الوطن القومي اليهودي الذي كانت توليه حكومتنا دائماً مع الشعب الأمريكي كل اللطف ، واليوم أكثر من أي وقت مضى ، نظراً للمازق المنمّج الذي وقع فيه مئات

(١) Cordell Hull, "Memoirs," II, pp. 1534-5 (N. Y. 1948)

(٢) Stevens, op. cit., p. 49 footnote.

الأنكوف من اللاجئين اليهود المشردين (١) ، . وكانت الإشارة إلى الكتاب الأبيض لها ما يبررها ، إذ حُدد فيه يوم ٣١ آذار - مارس ١٩٤٤ كآخر موعد لقبول المهاجرين اليهود ، على الرغم من أن وزير المستعمرات صرح يوم ١٠ تشرين الثاني - نوفمبر ١٩٤٣ بأنه لم يدخل فلسطين سوى ٤٤ ألفاً من أصل ٧٥ ألفاً بسبب ظروف الحرب القائمة ، ولذا فالحكومة البريطانية قررت عدم التقيد بالتاريخ المذكور (٢) .

وحين احتجت الحكومات العربية على القرارات المطروحة على الكونغرس ، ثم على تصريح الرئيس روزفلت إلى الزعيمين الصهيونيين ، أوعزت وزارة الخارجية الأمريكية إلى ممثليها الدبلوماسيين في الشرق الأوسط كي تلفت النظر إلى أن بيان الرئيس كان ورد فيه ذكر للوطن القومي اليهودي ، لا الكومنولث اليهودي المنصوص عليه في القرارات المطروحة على الكونغرس . وأنه على الرغم من أن الحكومة الأمريكية ، وهذا أمر صحيح ، ما وافقت أبداً على الكتاب الأبيض ، فإن حكومتها ، وهذا أمر صحيح أيضاً ، ما اتخذت أبداً موقفاً بصدده . وإن من رأى الحكومة أن لا يجرى تغيير أساسي في وضع فلسطين دون التشاور الكامل مع اليهود والعرب كليهما (٣) . عل أن الصيانة ، بفضل مساعيهم الحثيثة والناشطة في أوساط الرأي العام وفي دوائر الكونغرس ، قد نجحوا في التعويض عن هذه النكسة الموقته ، باستقطابهما واستمالتهما وبأية استغلالهما إلى أقصى حدود الاستغلال ، بحيث بات الأمريكيون في معظمهم ، لا يفسكرون في موضوع فلسطين إلا على الأسس الصهيونية ، ولا ينظرون إلى فلسطين إلا

New York Times, 10 March 1944, Quoted in Kirk op. cit. (١)
p. 316

H.C. Debates, 5th Ser, Vol. 393 cols. 1151-2, Quoted in (٢)
Kirk p. 316, footnote

Hull, op. cit., II, p. 1534 (٣)

من منظور الصهيونية . وتبع هذا الكسب الصهيوني للرأى العام وللكونغرس نتيجة حتمية وهى تبنى الحزب الجمهورى والحزب الديموقراطى لبرامج مؤيدة للصهيونية . وفى هذا الوقت أتم الصهاينة بنجاح كبير ، ربط اليهودية الأمريكية بالقضية الصهيونية ، فى أذهان الرأى العام الأمريكى عموماً ، وفى أذهان كثير من الجماعات اليهودية . حتى لم يعد هناك مجال للشك فى أن بمقدور أحد الحزبين الرئيسيين اكتساب تأييد الناخبين اليهود دون أن يؤيد الصهيونية وبرامجها . ومهما يكن من الأمر ، فمن العجيب أن الولايات المتحدة أوشكت أن تلزم نفسها رسمياً — لو صادق الكونغرس على قرار فلسطين — بحركة ذات أثر عالمى ، وذات تاريخ وخفايا لا تكاد تعرف ، أو تفهم . والأعجب من ذلك أن هذه النتيجة ، وهى إيجابية جداً برغم النكسة الضاربة ، كانت حصيلة ثلاث سنوات فقط من التركيز الصهيوني على الولايات المتحدة ، فى محاولة لضمان تأييد (الأمم الأخرى) . ذلك أنه على الرغم من أن صنع الوطن القومى اليهودى فى فلسطين ، مدين بالكثير للرئيس ويلسون ولعدد من الشخصيات الأمريكية اليهودية والصهيونية ، فإن سياسة الولايات المتحدة ظلت غير مهتمة بفلسطين حتى الحرب العالمية الثانية ، حفاظاً على مبدأ العزلة الذى التزمته فى الفترة ما بين الحربين . أما بعد نشوب الحرب الثانية ، فقد أصبحت العزلة شأنًا من شؤون الماضى ، وشهدت السنوات الأخيرة من الحرب ضغطاً مستمراً وقوياً على الحكومة من الكونغرس والرأى العام ، بقصد التوصل إلى حلٍّ أمريكى لمشكلة فلسطين يكون مؤيداً للأمانى الصهيونية . ومنذ عام ١٩٤٤ تبين بجلاء أن الكونغرس الأمريكى قد تم اجتذابه ، ولم يعد بالإمكان التراجع . واعتقد الصهاينة بحق أنه ليس بدّاً من إلزام الكونغرس أولاً ثم الحكومة ثانياً ، بتبنى الأهداف الصهيونية عاجلاً أم آجلاً .

والحق أنه بعد أن تحقق المخطط الصهيونى ، من حيث ربط اليهودية الأمريكية ذات النفوذ المالى والإعلامى ، بالأهداف الصهيونية ، ورست

ذلك في أذهان أعضاء الكونغرس والرأي العام ، سارعت لاستغلال هذه البوادر المواتية كي تضمن تأييد الحزبين لبرنامج فلسطين ، في برامجهما السياسية . وفي أثناء موسم الانتخابات حرص كل من الحزبين الديمقراطي والجمهوري على استرضاء الصهاينة ، عن طريق تضمين البرامج السياسية ما يدعوا لفتح أبواب فلسطين أمام هجرة يهودية غير محدودة ، وأمام الاستيطان اليهودي ؛ فقد دعا برنامج الحزب الجمهوري إلى أن تصبح فلسطين دولة (كومنولث) ديمقراطية حرة وفقاً لمقصد وغرض تصريح بلفور الصادر عام ١٩١٧ ، وقرار مؤتمر الحزب الجمهوري عام ١٩٢٢ .

وإننا ندين الرئيس لتقصيره في الإلحاح على الدولة المنتدبة في فلسطين لتنفيذ أحكام تصريح بلفور وأحكام الانتداب (١) والحزب الديمقراطي نسج على هذا المنوال خشية أن يسبقه الحزب الجمهوري في الفوز بأصوات اليهود . وتلقى الصهيونية بالترحيب البرنامج الديمقراطي لأنه كرّر فعلاً نص برنامج بلفور : . . . إننا نؤيد فتح أبواب فلسطين للهجرة والاستيطان اليهوديين ، ونؤيد السياسة التي ينتج عنها إنشاء كومنولث حرّ ديمقراطي هناك (٢) .

وفي الفصلين التاليين سوف نعرض لتطبيق الاستراتيجية الصهيونية الجديدة بجوانبها الثلاثة المتناسقة : السياسية والدعائية والعسكرية ، في أمريكا بالنسبة للجانب الأول والأهم ، ثم في فلسطين وبريطانية بالنسبة للجانبين الدعائي والعسكري ، وذلك كوسيلة ناجحة في الضغط على بريطانيا لاسقاط الكتاب الأبيض ، وقبوض الهجرة اليهودية إلى فلسطين .

The Times, 30 June, 1944, Esco, op. cit. II p. 1116 (١)

The Times, 22 July, 1944, Esco, ibid. (٢)

الفصل الثالث

تطبيق الجانب السياسى من الاستراتيجية الصهيونية

الضغط على حكومة روزفلت

روزفلت يراوغ الطعم الصهيونى :

لم يكن تفكير وزارة الخارجية الأمريكية التى توجه سياسة البيت الأبيض ، مماثلاً لتفكير الكونغرس بشأن فلسطين فى أى عهد من العهود ، لأنهما كانا يدوران فى فلكين مختلفين . والتصريحات التى أدلى بها رؤساء الجمهورية : ويلسون ، هاردنغ ، كولدج ، وهوفر ، كانت جميعها تعطف على الجهود اليهودية فى فلسطين ، ولكنها لم تؤيد بحال هدف الصهيونية السياسية . ولكن بعد أيار — مايو ١٩٤٢ نشهد تبديلاً فى السياسة التى درجت عليها السلطة التنفيذية العليا فى معالجة الأمور من البيت الأبيض . فقد مال روزفلت عن السياسة التقليدية لأسلافه ، أو على الأقل ظهر كذلك ، على الرغم من أن اتجاه الحكومة الأمريكية نحو تأييد الهدف الصهيونى ، يناقض تماماً المصالح القومية الأمريكية فى الشرق الأوسط من الوجهتين الاستراتيجية والاقتصادية ، وهذه هى قيمة النصر الذى أحرزته الصهيونية ، وهذا هو مداه ، ولا شك فى أن من عوامل نجاح الصهاينة فى الضغط على السياسة الخارجية الأمريكية وتكييفها طبقاً لأهوائهم ومآربهم ، لأنهم كانوا يذهبون التعبير عن آراء الأقلية اليهودية وينطقون بما فى ضميرها . ويومذاك — أى فى الأربعينات — كان هذا الإدعاء اقترافاً صريحاً ثبت

بطلانه . ومن هذه العوامل أيضاً ما كان يحلم به زعماء الحزبين الرئيسيين من كسب الأصوات اليهودية في الانتخابات ، وأهم من ذلك استالة التمويل اليهودي لحملات الدعاية الانتخابية ، وتكاليها مبهظة لكاهل المرشح للرئاسة والمرشح لعضوية الكونغرس على السواء ، فإذا أضفنا إلى ذلك أن الدعاوة الصهيونية كانت تلهب الرأي العام الأمريكي ، مستغلة جهله بحقيقة وضع فلسطين من جهة ، ومستغلة المشاعر الإنسانية بعرضها صورة مشوهة ومضخمة لمحنة اليهود المشردين في أوروبا ، وإرهاق السلطات البريطانية لهم في فلسطين ، فهمنا التأثير الفعال الذي مارسه مجموعة هذه العوامل على الأفكار البريئة التي أصبحت تؤمن أنه من واجب الحكومة أن تتخذ خطوات إيجابية لإنقاذ ضحايا النازية من الجحيم الذي سقطوا فيه . وليس للعرب إلا أن يلوموا أنفسهم بسبب غياب وجهة نظرهم عن أوساط الرأي العام ، وترك الميدان واسعاً لتصول فيه الدعاية الصهيونية وتجوول ، بغض النظر عما إذا كان ما تردده هو الباطل والزيف ، وأن مقابله هو الصواب والحق ، لأن مقياس نجاح الفكرة ليس دائماً في أنها سائبة مستقيمة فقط ، وإنما أيضاً في أنها منتشرة ذاتعة بين أناس قد لا يشعرون بالحاجة الماسة لبحثها واستقصائها .

وهما يكن الأمر فإن روزفلت ظل يعترف بأن فلسطين هي من النشئون البريطانية ، ويبدو جلياً أنه لم يكن لديه فكرة صحيحة عن قضية فلسطين . وتتضح هذه البلبلة في ذهنه من تصوره أن صك الانتداب كان قصده تحويل فلسطين إلى وطن قومي لليهود ، ومن ملاحظته بأن الهجرة العربية إلى فلسطين منذ عام ١٩٢١ قد فاقت كثيراً الهجرة اليهودية . ولا شك في أن هذه الملاحظة المغلوطة قد نقضتها ودحضتها الأرقام

الرسمية لزيادة السكان خلال هذه الفترة (٣٨٨ ألفاً من العرب و ٢٦٢ ألفاً من اليهود (١) .

والواقع أن روزفلت خلط بين شيئين مختلفين تمام الاختلاف ؛ خلط بين تزايد السكان الطبيعي بواسطة الهجرة ، وتزايد السكان الطبيعي بجميع عوامله ، بما في ذلك ارتفاع ملحوظ في نسبة الزيادة الطبيعية بين العرب عنها بين اليهود .

وما قيل في تفسير اختلاط الأمر على روزفلت في مثل هذه القضية الشديدة الحساسية وبالغة الخطورة ، من أنه كسياسي كبير لم يكن ليتسع وقته ، وخاعية خلال الحرب ، لتثقيف نفسه بتنازع مسألة فلسطين ؛ فإن ذلك التفسير لا يعفيه من المسؤولية عن النتائج التي ترتبت على ذلك ؛ لأن الصهيونية تطلعت إلى شخصه وشخص من سبيله على كرسي الرئاسة ، لتنفيذ أغراضها . فقد وجد نيكسون وايزمن أنه أسهل عليه كثيراً أن يقنع « رجل سياسة من الطبقة الأولى » ، من إقناعه « رجال المستوى الأدنى » الذين كان واجبهم هو تفحص مشاريعه بالتفصيل (٢) . وكانت الصهيونية من قبل استغلالها لجهل الرأي العام الأمريكي ، وحتى لجهل الرئيس الأمريكي نفسه ، تلقى العنت والصدود من الموظفين الرسميين في وزارة الخارجية الأمريكية (رجال المستوى الأدنى) الذين كانوا ضد ما اعتبروه تدخلا لا مبرر له من قبل الصهاينة الأمريكيين في إدارة السياسة الخارجية . ويكشف وايزمن عن هذه المعارضة التي وصفها بأنها « شاذة وسرية » بقوله :

Elliot Roosevelt (ed.) "the Roosevelt Letters", London (١)
1949-52, III, p. 264, Quoted in Kirk, p. 312, footnote.
Weizmann, Trial & Error, p. 530 (٢)

د لكن صحو باتنا لم تتعلق بكبار رجال السياسة، هؤلاء كانوا قد تذهبوا جيداً ودائماً أمانينا . . إنما كنا دائماً نلقى المعارضة عنيدة شاذة وخفية من خلف الستار من قبل الصغار ، وهي المعارضة التي جعلت التصريحات العلنية للسياسة الأمريكية لا قيمة لها . وفي جهودنا الرامية إلى تعطيل تأثير تلك القوى العاملة من وراء الستار ، كنا مغلولي الأيدي إلى أقصى حد ، لأنه لم يكن لنا في أوساطها موطئ قدم . . . وكان الأمريكيون الذين يعملون في الشرق الأوسط ، باستثناءات قليلة إما مرتبطين بشركات النفط أو ملحقين بالإرساليات في بيروت والقاهرة . ولأمر أو لآخر ، كانوا يتحيزون ضدنا . . وكل المعلومات الواردة من الشرق الأوسط إلى السلطات في واشنطن كان مفعولها ضدنا (١) .

ومهما قيل في ضعف براعة سياسة روزفلت تجاه الصهاينة ، فإن هؤلاء أحرزوا نصراً لا يستهان به في عهده ، حين أدت تدخلاتهم المستمرة وضغوطهم الدائمة على أعضاء الكونغرس وعلى الرئيس ، إلى تركيز رسم السياسة المتبعة حيال فلسطين في البيت الأبيض بصورة متزايدة . واستمر الصهاينة في اتصالاتهم مع المستويات العليا . وبذلك لم تعد نصائح وآراء المختفين في وزارتي الخارجية والحرية تلعب دورها الاختصاصي السابق ، وتضاءلت أهميتها تدريجياً ، رغم أن آراءها كانت تقوم على أساس المعرفة الكاملة للقضية الفلسطينية ومضاعفاتها ، وارتباط ذلك كله بالمصلحة القومية الأمريكية .

وقد أخذ وايزمن على عاتقه ، مع زعماء الصهيونية الأمريكية ، مهمة كسب مساندة المستويات العليا في الحكومة الأمريكية . وارتحل وايزمن

في سبيل ذلك ثلاث مرات إلى الولايات المتحدة أثناء الحرب العالمية الثانية . وقد حاول في مقابلته الأولى للرئيس روزفلت (أوائل شباط - فبراير ١٩٤٠) أن يستجلى رأيه حول إمكانية معارضة الولايات المتحدة للكتاب الأبيض ، ولكن « أظهر الرئيس نفسه مجرد عديم ، وبين البحث في نطاق النظريات (١) » . وفي المرة الثانية ارتحل وايزمن تلبية لطلب الحكومة البريطانية لينظر في المدى الذي بلغته الدعاية المعادية لبريطانية في الولايات المتحدة ، دون أن يهمل طبعاً القضايا الصهيونية (٢) . ولعل هذا الموقف يقابله موقف الصهاينة المائل في الحرب العالمية الأولى حين تطوعوا لمساندة الجهود الحربية البريطانية عن طريق اجتذاب الولايات المتحدة إلى الحرب ، بواسطة يهود العالم ويهود أمريكا بالذات . ولم ينجم شيء يذكر عن هذه الزيارة ، إلا تنويه وايزمن بمبول صمير ويلز وكيل الخارجية الأمريكية واستعدادة لخدمة الصهيونية .

وفي وقت مبكر من عام ١٩٤٢ قام وايزمن برحلته الثالثة إلى الولايات المتحدة ، تلبية لطلب روزفلت ، لمساعد في تطوير صناعة المطاط كإلواياً ، بعد أن انقطع مدده من مصادره الأصلية . ودامت هذه الرحلة من نيسان - أبريل ١٩٤٢ حتى تموز - يولية ١٩٤٣ . وفي غضون ذلك عمل وايزمن في ميدان الكيمياء ، كما اتصل بالزعماء الأمريكيين لمعرفة ما يمكن أن يتوقع على أيديهم من الخير إلى الصهيونية . وقبل رحيله عائداً إلى لندن أجرى مقابلة مع روزفلت بحضور صمير ويلز ، وصفها وايزمن بأنها إيجابية ، وقال إن روزفلت كان واقفاً على المسألة العربية ، « وقد تحدث خاصة عن ابن سعود الذي يعتبره متعصباً وصعب المراس » . وقال وايزمن

ibid, p. 516

(١)

ibid, p. 522

(٢)

إن القضية الصهيونية لا يمكن أن نتوقف على موافقة العرب : ما دمتم طلبتم موافقة العرب على قضيتنا ، فمن الطبيعي أنهم سيرفضونها . ولكن خالما يعرفون أن تشرشل وروزفلت كليهما يساندان الودان القومي اليهودي (في سائر فلسطين) ، فسوف يذعنون . وفي الوقت الذي يشعر فيه العرب بصدع في هذه المساندة ، فإن موقفهم يصبح سلبياً ومستكبراً وهذا ما . وقد أكد لي روزفلت ثانية عواطفه ورغبته في تسوية المسألة (١) ، وقد حاول صمنر ويلز أن يثير لدى الرئيس استجابة أكثر تعاطفاً ، بتليجه إلى فكرة إنشاء الوطن القومي اليهودي ، مقترحاً دعماً مالياً أمريكياً لإنشائه (٢) . ولكن لم يطرأ على موقف الحكومة الأمريكية أى تعديل ، وكانت تخشى أن يستغل النازيون أية تصريحات مؤيدة للصهيونية أثناء زحفهم عبر شمال أفريقية في أوائل عام ١٩٤٣ ، للإخلال بالتوازن الحساس في منطقة الشرق الأوسط .

وبينما كان روزفلت يولى عنايته قضية الاستقرار السياسي في الشرق الأوسط وشمال أفريقية ، إذا بمشكلة اللاجئين اليهود تبرز بالبحاح . إذ أفلحت الدعاية الصهيونية في تضخيم ما أسمته بمحملات (الإبادة النازية) ضد اليهود في أوروبا ، وظهر (التهريش) واضحاً في عناوين الصحف وبرامج الإذاعة والتلفزيون ، بهدف التأثير على الرأي العام وخاصة الساسة ، والبريطانيين منهم بوجه خاص كي يعملوا على فتح أبواب فلسطين أمام الهجرة غير المشروعة . وفي غضون ذلك تقدم اللورد هاليفاكس سفير بريطانيا في واشنطن . يطلب من الحكومة الأمريكية التعاون مع بريطانيا للتخفيف من نكبة المضطهدين في أوروبا عموماً (كانون الثاني - يناير سنة ١٩٤٣) .

Weizmann, ibid p. 534

ibid p. 535

(١)

(٢)

وانعقد مؤتمر في برمودا للنظر في مسألة اللاجئين (نيسان - أبريل ١٩٤٣) . وتبين أن بريطانية والولايات المتحدة غير راغبين في قبول أى عدد من اللاجئين اليهود في بلديهما ، وكان موقف ممثليهما إزاء جميع المقترحات ، موقفاً سلبياً دائماً . وبالنسبة لفلسطين ، صرح ممثلو بريطانية أن تنفيذ الكتاب الأبيض هو أمر ضرورى من وجهة نظر استقرار الشرق الأوسط . أما كوردل هل وزير الخارجية الأمريكية ، فقد أحاط المؤتمر علماً بأنه لا حيلة في يده طالما أن الكونغرس هو الذى يتخذ إجراء تحديد سياسة البلد بالنسبة لقبول المهاجرين الجدد (١) .

وقرر المؤتمر توسيع اللجنة المشتركة للاجئين ورصد الأموال اللازمة لها ، ومطالبة لجنة فرنسة الحرة في الجزائر بإسكان اللاجئين في جزيرة مدغشقر . ولكن الصهيونية شنت حملة شعواء على إسكان اللاجئين في مدغشقر ، والسبب هو ما أقر به متعاطف مع الصهيونية بقوله : « ولعل الحقيقة في هذه القضية واضحة كل الوضوح ؛ فقد ناقش مؤتمر برمودا الموضوع من الناحية الإنسانية دون الرجوع إلى مطالب الصهيونية السياسية ، ولذا فإن الصهاينة لم يكتروا به ، ولم يأسفوا على عدم تنفيذ الاقتراح الخاص بإسكان اللاجئين في مدغشقر (٢) » .

واعترف وزير الخارجية الأمريكية (هل) أن خطة الحكومة الرامية إلى معالجة مشكلة اللاجئين بمعزل عن القضية الفلسطينية ، لقيت النقد الشديد من اليهود ، وبعضهم يحتمل مراكز رفيعة مثل وزير الخزانة مورغانو الذى اكتشف خطأ يؤسف له في وزارة الخارجية ، ولا سيما عند كل موظف يعالج مشكلة اللاجئين . . (٣) ، ولا يمكن لرجل مثل روزفلت

Esco, op. cit. II, p. 951

Sykes, op. cit., p. 289

Hull op. cit., p. 1539

(١)

(٢)

(٣)

أن يغوته مغزى النقد الصهيوني الشديد لـ «مشكلة اللاجئين اليهود بعيداً عن فلسطين» ؛ فقد شعر روزفلت أن من واجب جميع الأمم تخفيض حواجز الهجرة لقبول جميع اللاجئين من اضطهاد النازي في أوروبا ، بغض النظر عن العرق واللون والدين . ولكن عندما تولى روزفلت تنفيذ هذا البرنامج ، اكتشف بأن الصهاينة كانوا ضده (١) .

وقد أشار موريس ارنست مبعوث روزفلت إلى تشرشل في كتابه إلى فشل خطة روزفلت ، بقوله : « . . . ولكنها لم تنجح ، ولا أقصد أن أنقل عن روزفلت أو حتى المسيح بأن تقديرى لمدى الفشل يتفق بتفاصيله مع تقديره . ولكن بدا لي أن عدم تأييد جماعات اليهود الرئيسية لبرنامج الهجرة هذا بحماس ، حدا بالرئيس أن لا يمضى في تنفيذه آنذاك . وقد تحدثت إلى الكثيرين من أرباب الفعالية في المنظمات اليهودية . وأنا اقترحت الخطة ، ووضحت أنه لا يمكن إرغام اليهود أو غيرهم في أوروبا على الرحيل إلى أى مكان ، وبصورة أكيدة إلى أية أمة محددة ... ولقد دهشت ، بل شعرت أنني أهنت عندما صاح بي زعماء اليهود من أرباب الفعالية ، وهزأوا بي ،

(١) أرسل روزفلت ، موثقه موريس ارنست الى لندن لتأكد من أن حكومتها مستعدة لقبول مائة أو مائتي ألف لاجئ في بلادها . وعاد ارنست بجواب مشجع من تشرشل ونقله الى روزفلت الذى كان يجرى محادثاته الاستطلاعية حول الموضوع ، فتأكد أن الصهاينة كانوا معارضين لخطة . ويرى الفرد ليالينثال في كتابه « عن اسرائيل » رواية أخرى اقتبسها من خطاب ألعام ارنست في مدينه سنسنانى بعد نشر كتابه . وهي تذكر أن روزفلت خاطب ارنست بقوله : لا يمكن عمل شيء في الخطة ، لأن الزعامة اليهودية الأمريكية لن تساعد . وقال روزفلت أنهم على صواب من وجهة نظرهم ، فالحركة الصهيونية تعرف أن فلسطين يجب أن تصبح عاجلاً أو آجلاً الملجأ الأمين لجماعتهم . وعن هذا الطريق يستطيعون جمع الأموال الطائلة من أغنياء أمريكا اليهود وغير اليهود في سبيل تحقيق هذا الهدف قائلين لأولئك المتبرعين بسخاء : « ليس هناك من مكان آخر يمكن لليهود أن يلجأ اليه سوى فلسطين . ولكن في حالة وجود برنامج عالمي لإيواء مشردى العالم في ملجأ سياسي ، أو في عدة ملجأ مختلفة ، فإن يتمكن زعماء الصهيونية من اسدوار عطف المتبرعين . »

وشنوا هجومهم على كاتني خان ، وفي إحدى الولايات أتهمت علناً بأنني أساند هذه الخطة الرامية إلى المزيد من التسامح في الهجرة ، بغية القضاء على الصهيونية السياسية . . . وتلك الجماعات اليهودية التي أيدت فتح أبوابنا لم يجاوز عملها حد القول في تأييد برنامج الرئيس روزفلت ، وأصدقائي الصهاينة كانوا من معارضي البرنامج . . . وسنرى أن هذه المعارضة المبررة سوف تستمر حتى عهد ترومان ، ولن تقبل أبداً مبدأ الفصل في معالجة قضية اللاجئين اليهود بينها وبين قضية فلسطين .

سياسة الحكومة الأمريكية تجاه العرب والصهاينة :

تعرضت الحكومة الأمريكية للضغط الصهيوني داخل الولايات المتحدة ومن ناحية ثانية تعرضت لضغط بعض الجهات الاستثمارية للحصول على امتيازات أخرى للتنقيب عن النفط في السعودية ، وحقوق هبوط الطائرات الأمريكية في المطارات السعودية . ومن ناحية ثالثة ، تلقت الحكومة الأمريكية تقارير من ممثليها الدبلوماسيين في الشرق الأوسط عن ردود الفعل العنيفة التي نجمت عن تصاعد النشاط الصهيوني في أمريكا ورضوخ بعض الدوائر الرسمية الأمريكية أمامه ، وانعكاسها المتزايد على الدول العربية . ومن ذلك تقارير الكولونيل هالفورد هو سكينز أحد الخبراء الأمريكيين الذي أرسلته الأركان المشتركة إلى منطقة الشرق الأوسط عام ١٩٤٢ ؛ فقد كتب عن مخاوفه في ٢٣ كانون الثاني - يناير سنة ١٩٤٣ محذراً من أنه ما لم تبادر الحكومة الأمريكية إلى تخفيض حدة التوتر ، فإن النزاع يمكن أن ينشب في فلسطين بين العرب واليهود ، قبل نهاية الحرب القائمة ، ويمتد إلى سائر أنحاء الشرق العربي (١) .

وقد أرسل الملك عبد العزيز آل سعود إلى الرئيس الأمريكي روزفلت يعلمه (نيسان (ابريل) --- أيار (مايو) ١٩٤٣) أنه أحجم طويلاً عن الاتصال بحكومة الولايات المتحدة بغية لفت نظرها إلى مغبة تبنيها سياسة موالية للصهيونية . وبرغم الإلحاح عليه للقيام بهذا الاتصال ، فإنه رغب في أن لا يربك المجهود الحربي للولايات المتحدة أو الأمم المتحالفة آنذاك . وطلب ابن سعود تأكيدات من الحكومة الأمريكية بأنها لن تتخذ أية خطوات تؤكدية بالنسبة لفلسطين قبل اطلاعه عليها سلفاً (١) . وصرح كوردل هل وزير الخارجية الأمريكية في مذكراته أن الرئيس روزفلت كان يومذاك « منجذباً إلى شخصية الملك ابن سعود القوية ، ويتطلع بشوق للتعرف عليه شخصياً ، وفي ٢٦ أيار — مايو نقل (هل) جواب روزفلت إلى ابن سعود « معرباً عن تقديره لتعاون الملك وتعاطفه معه ، ومعبراً عن الأمل في أن يصل اليهود والعرب المعنيون إلى تفاهم ودي حول فلسطين قبل نهاية الحرب » ، وأضاف روزفلت أنه على أية حال ، فمن رأى حكومة الولايات المتحدة أنه « لا يجب أن يتم التوصل إلى أي قرار من شأنه تبديل الوضع الأساسي في فلسطين دون استشارة اليهود والعرب استشارة تامة (٢) » .

ولعل أمل روزفلت في التوصل إلى اتفاق بين العرب واليهود قبل نهاية الحرب ، كان له علاقة بمقابلة أجراها وايزمن مع روزفلت بحضور صمن ويلز ، وبحث فيها مخططاً وضعه جون فيلبي وحاز على موافقة تشرشل . وبموجبه يتولى ابن سعود زعامة البلدان العربية ، بينما تعلن فلسطين برمتها وطناً قومياً لليهود ، بعد ترحيل العرب عنها ووضع عشرين مليون جنيه استرليني تحت تصرف ابن سعود لإعادة توطينهم (٣) . ولكن هذا الاقتراح الذي

Hall. op. cit., II. p. 1532

(١)

ibid.

(٢)

St. John Philby, "Arabian Jubilee", London 1952 p. 216

(٣)

أبرزه الكولونيل هوسكنز لابن سعود جعله يستشيط غضباً ويصب نقمته وازدراءه على وايزمن واثمه برشوته ، وعلى فيلي لأنه صاحب الاقتراح ويبدو أن اللورد موين كان في كانون الأول - ديسمبر قد جرب أن يسبر غور ابن سعود بصدد الموضوع بإيعاز من الحكومة البريطانية (١) .

ويظهر أن هذه المحاولة الصهيونية الاستعمارية كانت جزءاً من مجهود الصهاينة للحصول على اتفاق بشأن فلسطين عن طريق أقل ما يمكن من المعارضة . وهذا هو التكتيك البارع الذي اشتهر عن وايزمن وسمى بدبلوماسية الباب الخلفي .

ويروى وايزمن أنه قابل جون فيلي والرحالة المشهور في الجزيرة العربية وموضع ثقة ابن سعود ، وتحدث معه عن فلسطين والعلاقات العربية . وقال فيلي إنه يعتقد أن ثمة مطلبين فقط ، هما ضروريان لحل المشكلة الصهيونية . « أول المطلبين أن يحيط المستر تشرشل والرئيس روزفلت ابن سعود علماً بأنهما يرغبان في رؤية برنامجكم قيد التنفيذ . . والمطلب الثاني أنهما يجب أن يساندا نصبه سيدياً على البلدان العربية ، ويعطياه قرصاً لتمكينه من تطوير بلاده (٢) » .

وبعد بضعة شهور أمضى وايزمن عدة دقائق مع تشرشل قبل ساعات من سفر وايزمن إلى الولايات المتحدة ، تلبية لطلب روزفلت للمساهمة في إنتاج مطاط صناعي . ويروى وايزمن أن تشرشل في هذه البرهة القصيرة بادره بقوله : « أريدك أن تعلم أن لدى مخططاً لا يمكن أن ينفذ بالطبع إلا بعد الحرب ؛ أريد أن أرى ابن سعود وقد نُصب سيدياً على الشرق

ibid, pp. 215, 216

(١)

Weizmann, op. cit., p. 526

(٢)

الأوسط — سلطاناً للسلطين ، شريطة أن يتفق معك . ومسألة الحصول على أفضل الشروط الممكنة متروكة لك . ونحن طبعاً سوف نساعدك ؛ عليك أن تحتفظ بالأسر سراً ، ولكن يمكنك نقله إلى روزفلت حين وصولك إلى أمريكا ، فليس ثمة شيء لا يمكن عمله ، إذا استقر رأيه ورأى ، كلانا عليه (١) ، ويتذكر وايزمن محادثته مع فيلي حول الموضوع فيقول : « والآن قد وفقت بين (عرض) فيلي و (مخطط) تشرشل أحدهما بالآخر . »

وحين بحث وايزمن هذا المخطط الذي أنشأه فيلي ، وحاز على رضى تشرشل ، مع روزفلت ، أوعز هذا إلى الكولونل هوسكنز ليقتراح على ابن سعود الدخول في مباحثات بصدده مع وايزمن أو مع ممثل آخر عن الوكالة اليهودية . وفي الوقت نفسه يدعو الملك أو أحد أفراد أسرته لزيارة الولايات المتحدة في المستقبل القريب . وعلى كل حال فقد رفض ابن سعود رفضاً باتاً أن يقابل وايزمن ، وصرح أنه لا يستطيع التحدث عن فلسطين دون مشورة بقية الممثلين العرب الآخرين ، فكيف « يسلم » البلد إلى اليهود ، حتى ولو أراد أن ينظر في الاقتراح ولو لبرهة (٢) ومن الطبيعي أن يحاول وايزمن التلمص من الضلوع في هذه المحاولة الفاشلة بعد الصفحة التي وجهت إليه بالواسطة ؛ فقد روى أن هوسكنز قابل وايزمن بعد عودته من الشرق الأوسط ، وقال : « إنه زار ابن سعود الذي تحدث عني بأشد حالات الغضب والازدراء ، مؤكداً أنني حاولت أن أرشوه بمبلغ ٢٠ مليون جنيه لبيع فلسطين ويسلمها إلى اليهود (٣) » .

ibid., pp. 525-526 (١)
 Kirk, op cit., p. 314 (٢)
 Weizmann, op. cit., p 531 (٣)

ويزعم وايزمن أنه دهش من هذا الخبر ... « وقد صعقت تماماً من هذا التفسير القائم على اقتراح لم أضعه أبداً ، ولكن شكلاً منه كان قدمه إلى ممثل ابن سعود - فيليبي . وأضاف هوسكنز أن ابن سعود ذكر له إنه لن يسمح أبداً للنستر فيليبي أن يعبر حدود مملكته ثانية . وبعد فترة وجيزة يجتمع وايزمن مع فيليبي وينقل له حديث هوسكنز ، فينتفيه فيليبي بقوله : إنه « هراء وضيع » ، والحقيقة أن العلاقات بين فيليبي وابن سعود لم تتحسن مطلقاً (١) . وبذلك يسدل الستار على هذه المحاولة الخيثة المريبة التي ضلعت فيها الصهيونية مع قوى الاستعمار البريطاني والأمريكي . والتي بدأت منذ عام ١٩٣٩ ، ودامت حتى أواسط عام ١٩٤٣ .

والجدير بالملاحظة في سياق الحديث عن موقف السياسة الأمريكية تجاه العرب . هو أن بذل روزفلت وعوداً مهما كانت قوتها إلى الصهيونية ، من جهة ، ووعده العرب ممثلين في ابن سعود بأنه لن يتم الوصول إلى أى قرار بشأن فلسطين دون مشورة العرب واليهود كليهما ، من جهة ثانية ، إنما يسجل بداية التدخل الأمريكي الرسمى في قضية فلسطين؛ فقد تحمل الرئيس الأمريكي بهذين التعهدين ، للصهيونية وللعرب ، مسئولية المساهمة في إيجاد حل لقضية فلسطين باسم الحكومة الأمريكية بعد أن طال تمسكها بالعزلة . ولكن يبدو أن روزفلت هو الذى خرج عن المألوف في السياسة الأمريكية ، وظلت وزارة الخارجية ترى أن أمريكا لا شأن لها بفلسطين . فقد كتب كوردل هل في ١٨ كانون الثانى - يناير ١٩٤٤ إلى الشيخ ماينك عضو مجلس الشيوخ ، رداً على احتجاج له بقوله : « جواباً على استفهامك فإنى أعلن لك بخصوص فلسطين ووضعها إزاء اليهود المضطَّهدين فى أوربا ، أن الحكومة الأمريكية تعتبر فلسطين هذه أمانة فى عنق بريطانيا ، وأنه ليس لنا نحن أن نتدخل

فيها (١) ، . وكان (هل) نفسه قد أكد أيضاً في التاريخ نفسه أن حكومة بلاده لا دخل لها في شئون فلسطين ، وأنها لا تبيع لنفسها أكثر من إظهار القلق على اليهود المضطهدين في أوروبا . وينعكس تبين الموقفين : موقف روزفلت وموقف الخارجية الأمريكية في قول وايزمن : « لقد كان هناك خلاف قائم بين البيت الأبيض في عهد روزفلت وبين صمنر ويلز (وكيل الخارجية) ، ثم بينها وبين الخارجية بسبب قضية فلسطين ، وهذا خلاف لم نجد نحن اليهود شيئاً منه في بريطانيا ، فلقد كان الجميع فيها معنا (٢) » .

وعلى الرغم من أن مضمون ردّ روزفلت إلى ابن سعود لم ينشر ، وأن المحادثات الاستطلاعية التي أجراها الكولونيل هوسكنز لم تكن مثمرة ، فإن اقتراحه بأن توجّل الولايات المتحدة وبريطانيا كل محادثات بشأن فلسطين ، إلى ما بعد الحرب ، وبالتشاور التام مع العرب واليهود كان موضع نظر الحكومتين . حتى إذا تسربت بعض أنباء هذه المقترحات ، وأصبح معروفاً أن روزفلت مضى بخطته لتشمل العرب في التسوية النهائية لمسألة فلسطين ، وأنه يقصد إلى تعاون ابن سعود في هذا الأمر ، اتخذ الصهاينة الأمريكيون موقف العداء . وفي ١٨ آب - أغسطس ١٩٤٣ هدد إيمانويل سيلر - Celler وهو عضو صهيوني في الكونغرس ، رئيس الجمهورية بتحقيق مجريه الكونغرس ، إذا لم تتخذ الاجراءات لوقف إمعان وزارة الخارجية في مناهضة الصهيونية (٣) ، وكانت هذه طريقة غير مباشرة في تهديد الرئيس نفسه . غير أن الصهاينة لم يحرزوا أى تقدم إلا بعد مضى بعض الوقت .

وقد ثار الصهاينة أعضاء الكونغرس عدة مرات ضد ما أسموه بمؤامرة

Manuel, op. cit., p. 310 (١)

Manuel, op. cit., p. 317 (٢)

Kirk, op. cit., p. 314 (٣)

وزارة الخارجية الأمريكية التي تحول بين اليهود وبين فلسطين. ووجه سيلر التهمة إلى هوسكنز وموظفين آخرين بأنهم « ساهموا في تسليم فلسطين » ، وناشد الرئيس « كلاً إجراء يائس أخير » ، بأن يتوسط لدى تشرشل في مؤتمر كوبيك (١٧ - ٢٤ آب - أغسطس ١٩٤٣) لجعل فلسطين وطناً لليهود . . ولكن معارضة وزارة الحرب الأمريكية (١) تأجيل صدور البيان الانكلو امريكي المشترك الذي اقترحه هوسكنز ، وقرار روزفلت وتشرشل في ٢٢ آب - أغسطس أن تناقش حكومتاهما المسألة فيما بعد . وفي ٢٧ أيلول-سبتمبر ذكر روزفلت للكونغرس هوسكنز أنه فكر بوضع فلسطين تحت وصاية مشتركة مؤلفة من يهودي ومسيحي ومسلم ، بحيث تغدو بالفعل الأرض المقدسة للأديان الثلاثة . وقامت الخارجية الأمريكية بدراسة الفكرة دراسة جدية . ولكن تعذر جمع اليهود والعرب معاً على أساس ودي مشترك ... وخطر إثارة عواصف الرمال في الشرق الأدنى بمحاولة غير ناضجة لحل مسألة فلسطين ، جعل من العقل تأجيل العمل بها حتى يحين وقت أكثر ملائمة (٢) . وكما حالت وزارة الخارجية الأمريكية دون إصدار بيان تتكرر فيه الوعود التي قطعها روزفلت لابن سعود ، كذلك عارضت في الوقت نفسه كل بيان يمكن أن يظهر مؤيداً لليهود ، وفي الواقع استمر روزفلت في اتباع سياسة التسويف والتأجيل وفقاً لوعده المقطوع لابن سعود .

وصف (هل) هذا التسويف بقوله : « تحدث الرئيس ، بوجه عام في بعض الأحيان ، في الاتجاهين إلى الصهاينة والعرب ، إذ كان محاصراً من قبل الفريقين . واعتقد الحاخامان وايز وسلفر أن الرئيس سبق أن قطع عهوداً لهما . أما وزارة الخارجية الأمريكية فلم تقطع على نفسها أية وعود (٣) » .

Hull, op. cit., p. 1533

(١)

ibid, p. 1534

(٢)

Hull, op. cit., II, p. 1536

(٣)

ولم تفلح نصائح (هل) للرئيس روزفلت بوجوب التنبيه على الزعماء الحزبيين بأن يحجموا عن الادلاء بأية تصريحات أثناء الحملة الانتخابية ، من شأنها إثارة العرب ، أو الاخلال بتوازن القوى المقلقل في فلسطين نفسها (تموز - يوليو ١٩٤٤) (١) . ومع ذلك ففي ١٢ تشرين الأول - أكتوبر قابل حاكم نيويورك ديوى - وهو المرشح الجمهورى للرئاسة فى انتخابات تشرين الثانى - نوفمبر القادم ، الزعيم الصهيونى سلفر ، وصرح ديوى بعد المقابلة أنه يؤيد تأييداً قليلاً بيان حزبه حول فلسطين ، وكرر أنه مناصر لاعادة إنشاء دولة حرة ديمقراطية يهودية فى فلسطين ، طبقاً لوعده بلفور (٢) . واضطر روزفلت بدوره إلى الحديث عن فلسطين ، نظراً لأهمية أصوات اليهود ، وبذل الصهاينة جهدهم ليثبتوا أن هذه الأصوات تشكل العنصر المرجح الذى سيحسم نتيجة انتخابات الرئاسة القادمة (٣) . فهل بمقدور المرشحين للرئاسة الأمريكية

(١) جرى ذلك بعد أن أبدت الحكومة العراقية قلقها الشديد من تصريحات الحزبين .
New York Times, 13 oct, 1944

(٢) كتب (هل) « إن سياستنا نحو فلسطين هى سياسة البقاء منع تلك المنطقة المتفجرة من ملامسة قطار البارود للشرق الأدنى . إن الشرق الأدنى الاستراتيجى ظل يزود البريطانيين ويزودنا بالنفط الذى نحتاجه كثيراً . وظل بوابة جنوبية لتزويد روسيا دون أن يتطلب ذلك أية قوات إلى تلك المنطقة من مناطق الحرب المصرية فى أوروبا وأفريقيا . ومن اليسير رؤية النتائج الخطيرة على قضية الحلفاء من جراء تحويل القوات المتحالفة إلى الشرق الأدنى بسبب فلسطين فى وقت انسكفأ فيه البريطانيون إلى ما وراء العدين ، أو حين كنا والبريطانيون نقاتل الألمان فى شمال افريقيا . أثر هذه التحركات الألمانية ، بينما أدى إلى ثورة العراق ، وغزو البريطانيين والفرنسيين الأحرار لسورية ، سوف يتضاعف فيما لو نشب القتال بين اليهود والعرب » .
Hull. op. cit. II: p- 1537

(٣) لكل ولاية من الإحدى وخسين ولاية عدد من الأصوات الناجبة الثانوية ، يفوز بها المرشح الذى تنتخبه الأكثرية الشعبية فى الولاية . ويختلف عدد هذه الأصوات الناجبة الثانوية من ولاية لأخرى . ويتطلب الفوز برئاسة الجمهورية ٢٦٩ صوتاً من أصل ٥٣٧ هو مجموع الأصوات الناجبة الثانوية فى الولايات المتحدة كلها . ومن هذه الولايات ، ولايات حساسة سبع أهمها نيويورك التى لها وحدها ٤٥ صوتاً من أصل ٢٦٩ صوتاً المطلوبة للرئاسة ، ولليهود جالبات ضخمة فى أكثر هذه الولايات الحساسة السبع التى تجمع فيها بينها ٢٠٥ صوتاً ،

أن يقاوموا هذا الاغراء ، ويضحوا بالمصلحة الانتخابية مقابل الحفاظ على الصالح العام ؟ في وقت تجهل فيه الجماهير الناحية الأمريكية حقائق قضية فلسطين ، بحيث يمكن للمرشح أن يتجاهل الصالح العام دون خشية من التعرض لنقمة الرأي العام ؟ هذه هي عقدة العقد في الموقف الرسمي الأمريكي من قضية فلسطين .

وقد أثبتت الوقائع التالية مراعاة المرشحين للرئاسة للمصلحة الانتخابية وتواطؤهم على الصالح العام عن علم وتصميم . ومن هنا لم يجد روزفلت ، مرشح الحزب الديمقراطي ، بدأ من مراوغة المخطط الصهيوني ، والتظاهر بالانسجام مع البرنامج السياسي الذي أعلنه حزبه الديمقراطي ، والمتضمن

== صوتا . وقد ينجح المرشح للرئاسة بواسطة الأصوات الثانوية إذا اكتسح الولايات الحساسة ، دون أن تكون له أكثرية مطلقة في مجموع الولايات ، أو حتى أكثرية نسبية تجاه خصمه . هذه هي الحقائق التي لا يسع الطامح للرئاسة الأمريكية أن يتجاهلها ؛ فالذي يضمن ولاية نيويورك يضمن في ولاية واحدة حوالي ٢٠ بالمائة من الحد الأدنى المطلوب للفوز بالرئاسة . ويدل تاريخ الانتخابات في الولايات المتحدة أن جميع رؤساء الجمهورية ، في هذا القرن ، باستثناء اثنين وصلوا إلى الحكم بمجموعة أصوات نيويورك .

وبكلمات القاضي برنارد روزنبلات عن أهمية أصوات اليهود الأمريكيين : « يحق لنيويورك ٤٧ صوتاً انتخابياً ، بينما يلزم ٢٦٦ صوتاً انتخابياً فقط لانتخاب رئيس الجمهورية . وسواء مال صوت نيويورك إلى هذا الحزب أو ذاك (وقد يكون ذلك بنسبة بضعة أصوات من سكان يزيد عددهم على ١٣ مليوناً) فإنه سيحدث فرقاً قدره ٩٤ صوتاً في مجموع عدد الأصوات ، بحيث أنه يفهم بسهولة كيف أن السباق على الرئاسة قد يوقف على الكفاح السياسي في ولاية نيويورك . ولدى درجة أقل في الولايات الكبيرة — بنسلفانيا (٣٦ صوتاً انتخابياً) وإلينوى (٢٧) وأوهايو (٢٣) . ومرة واحدة في ثلاثة أرباع القرن الأخير انتخب رئيس للجمهورية دون الاعتماد على أصوات نيويورك . إن ولايات نيويورك والآنز وأوهايو والولايات المزدهرة مساتشوستس ونيوجرسي ، هي ولايات يشك فيها ، بمعنى أنها قد تتأرجح بين حزب وآخر بفارق بضعة آلاف من الأصوات فقط . . وربما كان ٩٠ بالمائة من اليهود الأمريكيين متركزين في هذه الولايات المشكوك فيها ، إلى جانب ميشيغن وبنسلفانيا التي يعوم الشك سياسياً حولها بدرجة أقل » .

Zionist Review, Nov. 29, 1946, by Bernard, A. Rosenblatt

الموافقة على برنامج بلمنور . وقد بعث روزفلت برسالة في منتصف تشرين الأول - أكتوبر ، بواسطة الشيخ فاعنر إلى مؤتمر المنظمة الصهيونية الأمريكية المنعقد في أتلانتيك سيتي خلال شهر تشرين الأول - أكتوبر ، وعبر فيها عن تأييده الشخصي لسياسة إنشاء الكومنولث اليهودي . وذلك بتضمين رسالته ما جاء عن فلسطين في برنامج الحزب الديموقراطي ، ثم أضاف بأنه : « سوف ينصرف الجهد لإيجاد السبل والوسائل الملائمة لتنفيذ هذه السياسة حالما يمكن تحقيق ذلك عملياً . فإنني أعلم كم مضى من الوقت على الشعب اليهودي ، وكم جاهد وصلى طويلاً وبحرارة من أجل قيام كومنولث حر وديموقراطي يهودي في فلسطين . ولأنني مقتنع بأن الشعب الأمريكي يمنح تأييده لهذا الهدف ، وإذا أعيد انتخاب فسوف أعاون على تحقيقه (١) » .

وفي غضون ذلك كان الشيخ تافت الجمهوري الممالئ للصهيونية وصديق سلفر قد وجه كتاباً إلى ستمسن وزير الحرية الأمريكية يسأله فيه ما إذا كانت الأسباب الموجبة التي استندت إليها وزارته في معارضتها لقرار يتخذ الكونغرس بشأن فلسطين ، لا تزال راهنة ، فأجابه ستمسن في اليوم التالي إن هذه الأسباب الآن لم تعد قوية كما كانت يومذاك (شباط - فبراير ١٩٤٤) وإن الاعتبارات السياسية تفوق الآن في أهميتها الاعتبارات العسكرية ، « وإن الموضوع يجب أن يتقرر على أساس سياسي أكثر منه على أساس عسكري » (٢) .

وبعد انتهاء الانتخابات التي ربح فيها روزفلت للمرة الرابعة ، عاد الصهاينة فأرسلوا وفداً لمقابلته ، مطالبين بالتعويض عما لاقاه الشعب اليهودي من

Esco., op. cit., II, p. 1118

(١)

New York Herald Tribune, 14 Oct 1947, Quoted in Kirk, (٢)
p. 319.

الاضطهاد على يد أوروبا . المسيحية وكان التعويض المطلوب هو إعطاؤهم فلسطين . غير أن روزفلت عاد مرة أخرى فاتبع سياسة الحذر والتحفظ إزاء المطالب الصهيونية . وحذا حذو وزارة الخارجية التي تصدرت للاعتراض بمفردتها الآن ، بعد أن سحبت وزارة الحرية اعتراضاتها لتحسن الأحوال الحرية . وقد اعتزمت وزارة الخارجية أن ترفع يد الكونغرس عن إصدار (قرار فلسطين) وأن تستعيص عن حجة الضرورات الحرية بحجة أخرى سياسية ؛ فأصدرت بيانها في ١١ كانون الأول - ديسمبر وقالت إنها تعتبر أنه ليس من الحكمة الأخذ بقرار الكونغرس وإقراره بسبب الموقف الدولي الحاضر . فقد تدخل وزير الخارجية إدوارد ستيتينيوس - Stettinius شخصياً لدى لجنة مجلس الشيوخ للحيلولة دون تصديقه ، واستجابت اللجنة بأكثرية ١٢ صوتاً إلى ٨ أصوات وتأجل القرار من جديد (١) . وقد فسرت معارضة الخارجية الأمريكية على اعتبار أنها متصلة بتباين آراء الحلفاء حول الموضوعات السياسية الراهنة (المسألة البولندية ، والسياسة البريطانية في اليونان ، ومشاكل الإدارة الحليفة في إيطاليا) ، وحول الوضع المتوتر الذي تفاقم نتيجة استمرار الارهاب الصهيوني في فلسطين ، والذي هدا باغتيال اللورد موين . وعلى الرغم من أن رسالة روزفلت في تشرين الأول - أكتوبر لم تكن مجرد تعبير عن عطف وتأيد فحسب - كما كانت رسائله السابقة إلى الصهاينة ، وإنما تضمنت وعداً بإيجاد الوسائل والسبل التي تفضي إلى تحقيق ما ورد في البرنامج السياسي للحزب الديمقراطي الذي ينتمى إليه الرئيس ، فإن روزفلت بعد الانتخابات رأى التزام خطة وزارة الخارجية المتحفظة بصدد قضية فلسطين . وقد كتب إلى الشيخ فاخر معارضاً (قرار فلسطين) الذي أرجأ الكونغرس المصادقة عليه ، بقوله : « ففى تلك البلاد الآن (فلسطين) نحو نصف مليون يهودى ، ويحتمل أن

مليوناً آخر يريدون الذهاب إليها ، وهم من جميع الفئات — منهم الطيبون والأشرار ، ومنهم من لا يهمهم الأمر . ومن الناحية الأخرى من الصورة ، يوجد نحو سبعين مليون مسلم يريدون ذبح هؤلاء اليهود يوم نزولهم على البر ، والأمر الوحيد الذى أريد اجتنابه هو المذبحة أو نشوء موقف لا يمكن امتحانه بمجرد الأقوال . وكل ما يقال أو يعمل هنا الآن من شأنه أن يضيف الوقود للنار المشتعلة ، وأرجو أن لا يقوم فى هذا الوقت أى فرع من فروع الحكومة بأى عمل ، فكل إنسان يعلم ماهى الآمال الأمريكية ، فاذا أكثرنا الكلام عنها سببنا الضرر فى التحقيق (١) .

أحدث تدخل الخارجية لدى الكونغرس أزمة خطيرة بين الصهيونيين ، فاستقال الحاخام سلفر لأنه كان يريد تنفيذ قرار الكونغرس برغم إرادة وزارة الخارجية ، وبدأ أن الحاخام وايز أكثر اعتدالاً منه (٢) . وكان الصهاينة يعلقون آمالهم على مؤتمر يالطة (٣) ، فلقد كانت الحرب وشيكة الانتهاء ، فعقدوا الأمل على أن يفوزوا من المؤتمر بالتأمين الدولى العام فى مسألة فلسطين ، وبأن الثلاثة الكبار فى يالطة سوف يصدرون بياناً سياسياً عن مستقبل الوطن القومى اليهودى ، ولكن المؤتمر لم يعرض للمسألة إلا عرضاً طارئاً جداً .

وتبع ذلك اجتماع روزفلت بالملك ابن سعود على ظهر بارجة حربية أمريكية فى مياه قناة السويس ، ويقال إن الرئيس الأمريكى كان لا يزال يأمل .

Quoted by Stevens, op. cit., p. 86

(١)

(٢) يقدر عدد أعضاء الجماعات اليهودية التى شكلت بمجلس الطوارئ بـ ٣٠٠ ألف فى نهاية عام ١٩٤٤ . وقد أعيد انتخاب سلفر مع وايز فيما بعد لرئاسة المجلس المذكور .

(٣) بالطة : ميناء سوفيتى على البحر الأسود ، جرت فيه محادثات بين روزفلت وتشرشل وستالين من ٤ - ١١ شباط - فبراير ١٩٤٥ لتنظيم حركات القتال فى ألمانيا ، وتوزيع مناطق النفوذ . وبقيت مقرراته سرية حتى ١٩٤٧ .

أن يقنع الملك في عدالة إقرار اليهود الأوربيين النازحين في فلسطين . ولكن يبدو أن هذا الأمل سرعان ما غادره بعد أن تحقق أن الملك العربي لم يتأثر مطلقاً بالمنافع الاقتصادية والاجتماعية المعروضة . وتذكر المصادر الأمريكية أن ابن سعود احتج بشدة على المزيد من الهجرة اليهودية إلى فلسطين؛ وأنه صرح بوضوح بأن العرب يفضلون الموت على تسليم أراضيهم لليهود (١) .

وصرح عبد الرحمن عزام ، أمين عام جامعة الدول العربية في القاهرة ، بأن ابن سعود لم يهدد بإشعال نار الحرب إذا سلمت فلسطين إلى اليهود فحسب ، بل إن روزفلت : ... قطع عهداً لابن سعود عاهل المملكة العربية السعودية بأنه لن يؤيد أية حركة من شأنها تسليم فلسطين لليهود ... ، وقال عزام إن الملك ابن سعود أخبره شخصياً عن الاجتماع الذي تم فيه هذا التعهد (٢) . ويذكر وليم إدي Eddy المترجم الرسمي في الاجتماع أن روزفلت : ... أعطى ابن سعود تأكيداً مزدوجاً ، كرره ثانية قبل وفاته بأسبوع واحد ، وذلك في كتابه المؤرخ نيسان - أبريل ١٩٤٥ إلى ابن سعود : (١) فهو شخصياً كرئيس للجمهورية لن يفعل شيئاً يكون معادياً للعرب . (٢) وحكومة الولايات المتحدة لن تغير سياستها الأساسية في فلسطين دون التشاور التام سلفاً مع اليهود والعرب . وكانت هذه التأكيدات الشفهية بمثابة حلف في نظر العاهل السعودي (٣) . ومذكرات وزير

(١) Frances Perkins «The Roosevelt I Knew» N. Y. 1946

pp. 87 - 89 وغيره من المصادر الأمريكية

See Stevens, op. cit., d. 88 footnote.

(٢) New York Times, Quoted in Stevens, p. 88

(٣) Eddy, W. A. "Franklin, D. Roosevelt Meets Ibn Saud,"

N. Y. 1954, p. 35, Quoted in Stevens, p. 89 .

الخارجية ستيتينيوس تؤكد بشكل قاطع أن الرئيس تأثر بموقف الملك العربي المعادي للصهيونية ، وأنه كما تقول مراجع أمريكية موثوقة أخرى ، وعده بأن تكون أعماله متطابقة مع روح الصداقة العربية الأمريكية (١) حتى إذا خاب رجاء روزفلت بالتعامل مع ابن سعود لحل قضية فلسطين ، تبين أنه يجب إعادة النظر في السياسة الأمريكية بكاملها إزاء فلسطين ، عن طريق التداول مع زعماء الكونغرس بهذا الخصوص . هذا ما أنهاء روزفلت لوزير خارجيته ستيتينيوس لدى عودته إلى بلاده ، وأضاف قائلاً : « إنه مقتنع الآن جيداً بأنه إذا سارت الأمور سيرها الطبيعي ، فسوف يراق الدم بين العرب واليهود ، ... وينبغي أن تحول طريقة ما لم تُكشف بعد ، دون حرب كهذه (٢) . » بيد أن الصهاينة الذين أهاجمهم اجتماع روزفلت بابن سعود أصيبوا ببخية عنيفة إثر إشارته عرضاً إلى قضية فلسطين أثناء خطابه في الكونغرس (١ آذار - مارس ١٩٤٥) حين قال : « من بين مشاكل الجزيرة العربية فإنني قد تعلمت عن تلك المشكلة برمتها ، وعن المشكلة الإسلامية والمشكلة اليهودية ، بمحدثي لخمس دقائق مع ابن سعود أكثر مما كان بمستطاعني أن أتعلّمه من تبادل دزيتين أو ثلاث دزيتات من الرسائل معه (٣) . » وسكنت خواطر الصهاينة قليلاً عندما قابل الحاخام وايز الرئيس روزفلت (١٦ آذار - مارس) ، وصدر بعده بيان رسمي تضمن قول الرئيس : « لقد وضحت موقفى من الصهيونية في تشرين الأول - أكتوبر ، ولم أغير هذا الموقف ، وسوف أستمّر بالسعى لتحقيقه في أقرب وقت ممكن (٤) . » ومهما يكن الأمر ، فيبدو أن موقف روزفلت من قضية فلسطين ... « سيظل

(١) Stettinius, E. R. "Roosevelt & the Russians, the Yalta Conference", London, 1950, pp. 245-6

(٢) New York Times, Quoted in Stevens, p. 90

(٣) ibid, p. 91

(٤) Manuel, op. cit. 317

سنين طويلة تاريخاً غامضاً يصعب الكشف عن حقائقه . ولكن من ناحية أخرى كان بالتأكيد مطلوعاً على ضيق رقعة فلسطين (١٠ آلاف ميل مربع) بالمقارنة مثلاً مع الولايات المتحدة (٣٦٠٠.٠٠٠ ميل مربع) وكندا (٣٨٥٠.٠٠٠ ميل مربع) وأستراليا (٢٩٦٠.٠٠٠ ميل مربع) . وربما كان يتمثل باطلاعه هذا بمناقشته الجدية حول إمكانية إيجاد وطن قومي يهودي «مكمل» ، يضاف إلى الوطن القائم بفلسطين ، لا يقع في الشرق الأوسط . هذا إلى شك روزفلت الذي أظهره حيال مبدأ الطاقة الاقتصادية للاستيعاب ، في فلسطين .

وصلت ردود فعل عنيفة من العالم العربي على ملاحظات روزفلت ؛ وقبل أسبوع من وفاته ، كرر روزفلت في رده على كتاب ابن سعود تأكيدات السابقة له : « تذكرون جلالتم أن في المناسبات السالفة ، نقلت لكم موقف الحكومة الأمريكية من فلسطين ووضحت رغبتنا في أن لا يتخذ أى قرار يتصل بالحالة الأساسية لذلك البلد دون التشاور الكامل مع العرب واليهود . ولا شك في أن جلالتم تذكرون أنني في محادثتنا الأخيرة أكدت لكم أنني لن أقوم بأى عمل ، بموجب صلاحيتي كرئيس للفرع التنفيذي في هذه الحكومة ، قد يبرهن أنه معاد للشعب العربي . ويسرنى أن أجدد لجلالتكم الوعود التي تلقيتموها منى سابقاً بخصوص موقف حكومتى وموقفي كرئيس تنفيذى ، إزاء موضوع فلسطين ، وأن أعلمكم بأن سياسة هذه الحكومة بهذا الخصوص لم تتغير (١) » . وأرسلت ردود مماثلة إلى بعض الزعماء العرب الآخرين .

يظهر مما سبق أنه حتى وفاة روزفلت في ١٢ نيسان - أبريل ١٩٤٥ وُجد لدى كل من العرب والصهاينة ما يفسر اعتقادهم بأن الرئيس الأمريكى

يحرص على مصالح الطرفين . وقد ادعى صمير ويلز الوكيل السابق لوزير الخارجية الأمريكية بأن روزفلت كان مؤيداً باستمرار للقضية الصهيونية ، وزعم أن اعتراف روزفلت للوزير ستيتينيوس حول وجوب إعادة النظر في السياسة الأمريكية تجاه فلسطين ، بعد اجتماعه بابن سعود ، لم يرحح روزفلت قيد أنملة عن آرائه السابقة ، وأن رسالته الأخيرة لابن سعود ماهي إلا « إجراء شكلي بحث (١) » . ووصف ويلز الرسالة بأنها « كانت دسيسة من وزارة الخارجية ، فهي التي دبرتها ، إذ وضعت الرسالة في أواخر أيام روزفلت ، حين كان ضعيفاً ولا يقوى على عمل من التفكير العميق والدراسة الصحيحة . فوقع الرسالة وليس فيها على كل حال ما يتعارض مع ما سبق لروزفلت أن أعلنه لليهود (٢) » . ولكن ليس ثمة ما يثبت أن هذه السياسة المؤيدة للصهيونية في زعم ويلز ، هي السياسة المقررة المدروسة لروزفلت ، بل يبدو أنها تناقض اعتراف الرئيس لوزير خارجيته ستيتينيوس . فضلاً عن أن روزفلت لم يكن يجهل الأهمية الاستراتيجية والاقتصادية والسياسية المتزايدة للشرق الأوسط ، ولا يمكن فهم مجازفته بالمصالح الأمريكية الحيوية آنذاك ، مع أن الصهاينة يعترفون بأن جميع هذه العوامل محسوبة في مقررات الرئيس الأمريكي وأفعاله (٣) .

وبالبحث أخيراً يرى بأن سياسة روزفلت كانت بدأت تفهم الموقف العربي من فلسطين (٤) ؛ وهو إلى حرصه الشديد على الفوز بالأصوات

Sumner Welles : "We Need Not Fail", Boston, 1948, (١)
p. 30

ibid (٢)

Hurewitz, op. cit., p. 176 (٣)

(٤) كتب الجنرال باتريك ج. هارلي المبعوث الشخصي للرئيس روزفلت إلى الشرق الأوسط : « لقد أظهرت المنظمة الصهيونية في فلسطين التزامها ببرنامج موسع من أجل : =

اليهودية الانتخابية ، بدأ بعد رئاسته الرابعة وكأنه بطل قومي أوصل شعبه للنصر . ولم يكن بمقدور الصهيونية أن تنال من روزفلت برغم « شكه العميق في تحقيق فلسطين يهودية وبرغم لا مبالاته » ، وخير للصهيونية أن تتخذة صديقاً ونصيراً وحامياً ، أو تتظاهر بذلك ، إذ لا يسعها أن تفعل خلافه ؛ وحتى لو عارض الرئيس روزفلت الأمانى الصهيونية أو تجاهلها ، فلم يكن بدّاً للصهاينة من استبعاد سوء الظن به أو تجريحه واتهامه ، ولذلك لم تجزؤ الزعامة الصهيونية على التماذى في معارضته ، فقد « انتخب للمرة الرابعة ، وسيكون في مقدوره وحده أن يصوغ التسوية ما بعد الحرب . فإذا أغضب أو أسىء إليه أو أنكر حبّه ، كان معنى ذلك التقرب من الكارثة التي تحمل بالقضية الصهيونية (١) » . هذا إلى أن المصالح الأمريكية في نفط السعودية كانت على الأرجح مما يحول دون دعم صريح للدعوى الصهيونية من جانب الرئيس روزفلت .

غير أن الصهاينة وإن لم ينجحوا في تعاملهم مع روزفلت النجاح الكامل ، فإنهم في عهده ، ابتدأوا تقليداً يرمى إلى التأثير على السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط من خلال نفوذهم على البيت الأبيض . وقد جنى الصهاينة ثمار هذا التقليد الخطير في عهد رئاسة هارى ترومان ؛ لأن حماس ترومان للصهيونية وتأيده لها نقل الحكومة إلى صف الكونغرس

١ — دولة يهودية ذات سيادة تضم فلسطين وربما فيما بعد شرق الأردن .

٢ — نقل السكان العرب فيما بعد من فلسطين إلى العراق .

٣ — تحقيق الزعامة اليهودية للشرق الأوسط بكامله في مجالات التنمية الاقتصادية والسيطرة .

United States : Foreign Relations of U. S. : Near East & Africa.
(Washington D. C. 1946) Vol. IV. pp. 776 . 7.

American Zionist, Feb 5, 1953, Quoted in Stevens, p. 94 (١)

والجماهير الأمريكية التي لا تعرف شيئاً عن القضية الفلسطينية ، لتسجل للصهيونية نصراً جديداً على طريق صنع دولة يهودية .

وبعد ، فقد شرحنا بشيء من التفصيل المساعي الصهيونية لكسب الرأي العام الأمريكي ، ولكسب الكونغرس ، ولكسب الحكومة في عهد الرئيس روزفلت ، ورأينا أن الصهيونية استغلت ظروف الحرب العالمية الثانية لتحقيق النقطة الثانية من برنامج هرتسل ، وهي اكتساب (الأمم الأخرى) . وأصاب الصهيونية بتركيزها على الولايات المتحدة ، فنقلت مشكلة فلسطين إلى مستوى البرامج السياسية للحزبين الرئيسيين في أمريكا ، وبذلك اقتربت من تحقيق هدفها الذي يشكل النقطة الثالثة في برنامج هرتسل : الدولة اليهودية — وستحققها في عهد ترومان كما سنرى .

ويتوجب علينا قبل تحليل الأوضاع السياسية التي عملت فيها الصهيونية أيام ترومان ، أن نلتفت إلى المسرحين الهامين الآخرين : في بريطانيا ، حيث صعد الصهاينة ضغطهم الدبلوماسي ليرفد ويعاون الضغط الصهيوني الدبلوماسي في أمريكا . وفي فلسطين حيث صعد الصهاينة فعال العنف والإرهاب كوسيلة من وسائل إزعاجهم لبريطانية بقصد الاسهام عسكرياً في الضغط عليها لتتلاءم مع الأطر للصهيونية . ونعرض للوقت العربي في هذه الحقبة أيضاً من تاريخ فلسطين ، لتعرف على الأهواء والبواعث والأغراض التي اصطرعت على أديم الأرض المقدسة ، ولنخلص من ذلك كله إلى تسجيل أهم الوقائع المتصلة في السياسة العربية والسياسة البريطانية ، لكي نعود فنضعها في صعيد تاريخي واحد مع السياسة الأمريكية التي غدت أهم عامل يتوق لحسم الأمور وتحقيق النصر للصهيونية .

الفصل الرابع

تطبيق الوسائل السياسية والعسكرية والدعائية

من الاستراتيجية الصهيونية في فلسطين وبريطانية وقت الحرب

الضغوط السياسية الصهيونية في فلسطين وبريطانية :

لابد من الحديث عن المسرح السياسي الفلسطيني والبريطاني لمتابعة الضغوط الصهيونية المختلفة على الصعيدين الرسمي والشعبي بقصد العثور على احتمالات نفس الكتاب الأبيض ، وإطلاق الهجرة غير المحدودة إلى فلسطين ، واكتساب المزيد من الأراضي فيها ، تمهيداً لإقامة الدولة اليهودية التي كانت تشكل الهدف النهائي غير المعلن للصهيونية قبل مؤتمر بلتيمور (أيار - مايو ١٩٤٢) . وعلى الرغم من أن الصهيونية ، كانت تدرك بحق أنه وإن كانت الولايات المتحدة هي مصدر الدعم الاسمي للصهيونية ، وإن بريطانيا لا يمكنها أن تتجاهل الضغط من واشنطن ، فإن بريطانيا بصفتها الدولة المنتدبة كانت لا تزال مركزاً هاماً للنشاط الصهيوني ، وميداناً متسعاً لتحويل مراكز القوة السياسية البريطانية نحو الصهيونية وأهدافها .

وكانت الحملات الدعائية الصهيونية تلح على أنها موجهة ضد حكومة تشمبرلن وليس ضد الشعب البريطاني . ورغم تظاهر القوى الصهيونية بالولاء لبريطانية أثناء صراعها الجسار مع النازية ، فإن الشكوك كانت تساورها من أخذ السلطات البريطانية بالحد من الهجرة غير الشرعية إلى (٩٢ - فلسطين)

فلسطين ، ولذلك باشرت تطبيق الجانب الدعائي المسرحي من استراتيجيتها الجديدة في الضغط على بريطانية دبلوماسياً ، ودعائياً ، وعسكرياً ، وذلك عن طريق التشهير ببريطانية بسبب موقفها اللاإنساني في إقفال أبواب فلسطين بوجه يهود أوربه . والصهيونية لم تستبعد مطلقاً استخدام القوة للاستيلاء على فلسطين ؛ ففي أوائل الحرب أى في ١٨ تشرين الأول — أكتوبر ١٩٣٩ اعتقلت السلطات ٤٣ يهودياً باللبسة عسكرية بينما كانوا يقومون بمناورات عسكرية ويحملون البنادق والقنابل . وفي ١٨ تشرين الثاني — نوفمبر من العام نفسه اعتقل ثمانية وثلاثون من الصهاينة التصحيحيين بينما كانوا يقومون بمناورات ويحملون أسلحة وقنابل ومتفجرات . وفي ٢٢ كانون الثاني — يناير ١٩٤٠ أسفرت عملية التفتيش في مستعمرة بن شيمون اليهودية عن اكتشاف مستودع للأسلحة والذخيرة (١) . وعثر على عدة مستودعات مماثلة في السنوات التالية ، وتفاقم تهريب السلاح كما سنرى .

وبعد مصادقة البرلمان البريطاني على قانون انتقال الأراضي في فلسطين أعلن اليهود إضراباً عاماً في ٢٩ شباط — فبراير ١٩٤٠ ، وأعقبه أسبوع من المظاهرات والمسيرات الصاخبة في المناطق اليهودية . وقد أشرف (المستدروت) على إعدادها وتنظيمها ، بتعريض من جميع الفئات اليهودية باستثناء (التصحيحيين) . وفي جميع هذه المظاهرات التي اتخذت طابع التحدي والاستفزاز للسلطات البريطانية ، فإن البوليس والقوات المسلحة لم تطلق النار أبداً على المتظاهرين . وعادت الإذاعات العبرية المحظورة بثها — بعد أن سكنت منذ إعلان الحرب — وحملت بشدة على سياسة الحكومة عموماً وعلى البوليس خصوصاً . ولأثر ذلك ألح الزعماء الصهيونيون على طلبهم بتشكيل الجيش اليهودي (٢) .

A Survey of Palestine, I, p. 58

(١)

ibid, p. 59

(٢)

وسعت الحكومة البريطانية إلى تهدئة خواطر اليهود بأن أوقفت الإصلاحات الدستورية التي كانت ترغب في البدء بها وفقاً لترتيبات الكتاب الأبيض ، مراعاة لاستياء (اليشوف) ولترددى الحالة العسكرية عموماً . ولعل حكومة لندن وجدت أن نجاح هذه الإجراءات الدستورية يتوقف على رضو العرب واليهود عنها ، وأنها في الظروف القائمة ربما لا يكتب لها النجاح . هذا إلى أن حكومة تشرشل الائتلافية التي استلمت الحكم في أيار - مايو ١٩٤٠ كانت تضم كثيراً من المعارضين للكتاب الأبيض ، غير أن هؤلاء لم يصرحوا بما يخالف سياسة الكتاب الأبيض النافذة (١) ، ولكن الإجراءات الدستورية الموعودة لم يعمل بها في عهد حكومة تشرشل وظلت نائمة في ملفات وزارة المستعمرات .

والإيمان بتشرشل لم يغادر زعماء الصهيونية طوال فترة الحرب ، مع الاعتماد على كثير من أعضاء البرلمان الموالين للصهيونية . وقد تهيأت لهم الفرصة لاستنكار الكتاب الأبيض وتهيئة الأذهان لقبول فكرة إنشاء الدولة اليهودية بعد الحرب ، كذلك تهيأت الفرصة للطعن في سلطات الانتداب البريطاني ووزارة المستعمرات ، وللحط من شأنهما واتهامهما بإحراج حكومة تشرشل ، والعمل ضد الرغبات الحقيقية للشعب البريطاني وزعمائه المنتخبين الذين كانوا مشغولين بمتطلبات الحرب . وقد مرّ بنا أن الناجين من حادثة غرق الباخرة (باتريا) قد أذن لهم بدخول فلسطين ، خلافاً للنظم المرعية آنذاك ، والتي لم تكن مجردة عن النوازع الإنسانية - كما يحلو للصهيونية أن تتهمها - حين يفهم أن هذه النظم إنما وضعت في الأساس لتحمل الطائفة غير اليهودية ، لا لتضطهد اليهود . وقد سجل السماح هؤلاء بدخول فلسطين بداية التفكك الذي طرأ على النظم البريطانية ، وقد ساعدت هذه المخالفة المعلنة برغم بساطتها على سقوط الكتاب الأبيض فيما بعد .

وقد أعادت الصهيونية السياسية توجيه عملياتها الضاغطة على أعلى مستويات الحكومة البريطانية عن طريق استغلال المؤيدين للصهيونية من أعضاء البرلمان ، وتشجيع إعلان برامج الأحزاب الموالية للسياسة الصهيونية الجديدة في دولة وشيك قيامها . وكان مكتب الوكالة اليهودية في لندن على أوثق اتصال بأعضاء البرلمان المؤيدين للصهيونية ، بوساطة منظمة تعرف بلجنة فلسطين البرلمانية ، وكانت قد أنشئت قبل الحرب . وقد أكد هؤلاء لتنفيذ الوكالة اليهودية أنهم سيدافعون عن القضية الصهيونية في مجلسي البرلمان . وفي غضون ذلك كان وايزمن وزعماء آخرون يعملون للحصول على تدعيم زعماء حزب العمال بشكل ثابت . وكان الحزب قد أعلن في عدة مناسبات ماضية عن عطفه على الصهيونية . وفي أيار - مايو ١٩٢٤ أقرّ الحزب في مؤتمره السنوي قراراً عن الحالة الدولية ، وسجل فيه أيضاً دكره للاضطهاد الذي حل بالشعب اليهودي ، وكرر تصميمه على أنه في النظام الدولي الجديد بعد الحرب ، سيتمتع اليهود بالمساواة المدنية والدينية والاقتصادية وجميع المواطنين الآخرين ، مع منحهم معونة دولية للارتقاء بالوطن القومي اليهودي في فلسطين عن طريق الهجرة والاستيطان (١) .

وفي كانون الأول - ديسمبر ١٩٤١ بذلت جهود لتوسيع قسم الاستعلامات في مكتب لندن للوكالة اليهودية ، وأقيمت لجان محلية في شتى المدن البريطانية بغية نشر المعلومات بين الجماعات غير اليهودية . وكانت الأخبار الصهيونية تصل بانتظام للصحف والمجلات البريطانية ، وتعقد المؤتمرات الصحفية عند الضرورة ، وتمطر الصحف بوابل من الرسائل حول الموضوعات الصهيونية واليهودية ، وتتضاعف المطبوعات والنشرات ، وتقام الندوات والمحاضرات ، وتوجه الدعوة لحضور أفلام عن الوطن

القوى اليهودية يشهدا البريطانيون غير اليهود . وقد امتدت هذه الحملة الدعاوية الصهيونية إلى دوائر حكومات المنفى في لندن للبلاد التي اجتاحتها الغزو النازي ، بقصد تنويرها في نطاق المساعي الدائبة للحصول على دعم (الأمم الأخرى) ، وبلغ النشاط الصهيوني أقطار الدومينيون ، وخاصة في جنوب أفريقية حيث أحرزت الصهيونية نجاحاً بفضل رئيس الوزراء الجزرال جارب كريستيان سمطس الذي كان من أوائل المؤيدين للوطن القومي (١) .

وبعد أن دخلت روسية الحرب إلى جانب الحلفاء في حزيران - يونيه ١٩٤١ ، سنحت الفرصة للدعاية الصهيونية ؛ فقد خففت السلطات السوفيتية من وطأة حظرها التقليدي على اتصال رعاياها مع العالم الخارجي ، إثر التقدم النازي السريع ، بغية الحصول على أكبر قسط من المعونة الخارجية . وتشكلت في موسكو اللجنة اليهودية المناهضة للفاشية (آب - أغسطس ١٩٤١) ، وقد أصدرت اللجنة نداءها الأول بطلب المعونة بوصف أعضائها يهوداً سوفيتيين . كذلك خصص (المستدروت) أسبوعاً لمعونة روسية في تشرين الأول - أكتوبر . وفي مطلع عام ١٩٤٢ تشكلت لجنة دائمة لجمع الطعام والكساء والتجهيزات الطبية والأموال ، لصالح روسية . ولم تتمكن الوكالة اليهودية من الحصول على إذن بإنشاء مكتب لها في الاتحاد السوفيتي ، ولكنها نجحت في إنشاء مكتب في طهران (نيسان - أبريل ١٩٤٢) وبواسطته كان يتم إرسال نشرات عن الحركة الصهيونية إلى الصحف السوفيتية والمؤسسات والمكتبات . وقد تباحث الزعماء الصهاينة مع السفير السوفيتي

(١) صرح سمطس في ذكرى وعد بلفور (٢ تشرين الثاني - نوفمبر ١٩٤١) بأن وضع وعد بلفور قد أصبح أقوى بكثير مما كان ؛ « فوضاً عن الغوف من أحياء الفيقو الجديدة في القرن العشرين ، دعونا ننفذ الوعد ونفتح الوطن القومي على مصراعيه » .
Survey of Palestine, op. cit., I, p. 62.

في لندن (إيفان مايسكي) حول قضيتهم ، ولكن الاتحاد السوفيتي ظل غير ملتزم بشيء (١) .

شعر الزعماء بضرورة إعادة تحديد هدفهم وتعريفه بوضوح تمهيداً لعرض مطالبهم على الحلفاء بعد الحرب . على الرغم من أن مقدرات الحرب لم تكن إيجابية يومذاك . ووجدوا ضرورة لنشر هدفهم وإذاعته بين يهود فلسطين والعالم من ناحية ، وبين غير اليهود من أبناء (الأمم الأخرى) من ناحية ثانية . إن هدف الصهيونية الأول بإنشاء الدولة اليهودية لم يعلن عنه منذ صدور وعد بلفور ، إلا من بعض التصحيحين أتباع جابوتنسكي . وقد ساد الاعتقاد بين زعماء الصهاينة أن نصر الحلفاء لن يحل تلقائياً (المسألة اليهودية) ، ولذا يجب التمهيد لنجاح هذا الهدف بتهيئة الأذهان له ونشره في الأوساط السياسية الخليفة والتخلي عن هدف المرحلة السابقة وهو الارتقاء بوطن قومي يهودي في فلسطين . وكان لابد لأي تغيير أساسي في البرنامج الصهيوني الرسمي من مصادقة الصهيونية الأمريكية ذات النفوذ في الأوساط اليهودية الأمريكية . وقد تابحت تنفيذية الوكالة اليهودية مع المجلس الداخلي العام (٢) حول هذا الموضوع لأكثر من عام كامل . وعينت لجنة في نهاية عام ١٩٤١ لوضع بيان جديد عن الأهداف الواجب تبنيها من جانب الوكالة اليهودية . وقد تقرر أن تطلب الموافقة الصهيونية الأمريكية قبل عرض البرنامج على المجلس الداخلي العام في القدس . وأمام هذه الضرورة ، بادرت لجنة الطوارئ الأمريكية للشئون الصهيونية بالدعوة إلى مؤتمر سياسي استثنائي

Hurewitz, op. cit. p. 145.

(١)

(٢) انتخب المجلس الصهيوني العام في اجتماعه المنعقد في ١٦ آب - أغسطس ١٩٣٧ من بين أعضائه والمنايئين منهم ، المقيمين في فلسطين بصورة دائمة ، مجلساً صهيونياً داخلياً عاماً .. أنيطت به مسؤولية النظر في جميع التوصيات الصادرة عن اللجنة التنفيذية بعدد جميع مشاكل الدعاة التبشيرية « أسفد عهد الرحمن : المنظمة الصهيونية العالمية » من ١٩٢٦ .

في فندق بلتمور في نيويورك (أيار — مايو ١٩٤٢) ، كما رأينا في مكان آخر من هذا البحث .

دما بن غوريون رئيس تنفيذية الوكالة اليهودية بعد عودته من الولايات المتحدة في صيف ١٩٤٢ الأحزاب اليهودية في فلسطين إلى الموافقة على برنامج بلتمور ، وحصل على مؤازرة حزبي الصهيونيين العاملين ، المزارحي ، وعمال المزارحي . وكان لابد من عرض البرنامج على المجلس الصهيوني الداخلي العام وهو المجلس الذي انتخبه المجلس الصهيوني العام (١) من بين أعضائه والنائبين عنهم . والقيمين في فلسطين بصورة دائمة ، وأنيطت به مسئولية النظر في جميع التوصيات الصادرة عن اللجنة التنفيذية بصدد مشاكل الساعة السياسية . وقد تألف المجلس الداخلي من رئيس المجلس الصهيوني العام ، وممثلين عن الفعاد ليثومي (المجلس المالي أو القسومي) و٢٨ ممثلا عن جميع الأحزاب الصهيونية ، كل بالنسبة إلى قوته . وبعد قيام الحرب (١٩٣٩) انتقلت الحقوق الممنوحة للمجلس الصهيوني العام إلى المجلس الداخلي الذي أصبح أهم هيئة صهيونية خلال سنوات الحرب ، ترسم سياسات الصهيونية وتعين ممثلها وتوافق على موازتها .

(١) يتألف الجهاز المركزي للمنظمة الصهيونية العالمية من عدة هيئات ، منها المؤتمر الصهيوني وهو السلطة العليا في الحركة الصهيونية يجتمع مرة كل عام ثم أصبح كل عامين ، وعدد أعضائه يتوقف على دفع رسم العضوية (الشغل - Shekel) ويعادل المارك الألماني آنذاك . ينتخب المؤتمر من بين أعضائه رئيسا ونائبا للرئيس ، واللجنة التنفيذية ، والمجلس العام .

والمجلس العام هو السلطة العليا في غياب المؤتمر ، ويتألف من ٢٣ ممثلا للمنظمات القومية القومية المتعددة ، وخمسة من بين أعضائه يشكلون الأداة التنفيذية الحقيقية . والمجلس العام يجتمع مرة كل ثلاثة شهور لبحث ويقرر في المسائل المتعلقة بالمبادئ الصهيونية . ويتألف المجلس من أعضاء اللجنة التنفيذية ، ويمثل عن صندوق الائتمان اليهودي للاستثمار ، ويمثل عن الصندوق التأسيسي ؛ ويمثل عن الصندوق القومي اليهودي . وبعد عام ١٩٢٧ أصبح من مسئوليات المجلس العام الذي يجتمع كل ستة شهور تحديد ميزانية المنظمة في السنوات التي لا يتعقد فيها المؤتمر الصهيوني

وصدرت المعارضة لبرنامج بولتمور من عدة جهات : فاليهود المهاجرون
الألمان والنمسيون اندمجوا في السياسة المحلية بفلسطين ، وألفوا حزباً أطلقوا
عليه اسم (الهجرة الجديدة) ويدعوا برنامجهم إلى الارتباط بمجهود بريطانيا
الحربي ، وبالتالي ، لإرجاء محاربة الكتاب الأبيض إلى ما بعد النصر على النازية
وقد رفض هذا الحزب برنامج بولتمور ، لاعتقاده بضرورة مصادقة دولة
الانتداب مسبقاً على طلب الصهيونية بإقامة الدولة اليهودية ، وإلا فهذا الطلب
سابق لأوانه ، وقد أيد الحزب السيادة اليهودية في فلسطين واستنكر الدولة
الثنائية (١) .. وتبدو أهمية مؤازرته لبرنامج بولتمور من نسبة عدد اليهود الناطقين
بالألمانية ، والتي تجاوز العشرة بالمائة من يهود فلسطين .

وأكثر من هذا الحزب أهمية هم دعاة الوطنية الثنائية أو الدولة الثنائية ،
ويدعون إلى إقامة دولة عربية يهودية موحدة وذات سيادة ، يتقاسم لإدارة
حكومتها الطرفان بالتساوي . وقد اشتملت برامج أحزاب العمال اليسارية على
مبادئ الوطنية الثنائية ، كما فعلت الجماعات غير الصهيونية في ياناعاتها عن فلسطين .
ومنذ آب - أغسطس ١٩٣٩ اتهم حايم كالفاريسكي - وهو أحد أوائل
المنادين بالوطنية الثنائية - الزعماء الصهيونية بإساءة توجيه اليهود وعدم
الاهتمام بالمعارضة العربية ، وبأن حل مسألة فلسطين يتوقف على انكسرة .
وقد اشترك الجناح اليساري المسمى بحزب الحارس الشباب (هاشومير
هاتساعير) في ائتلاف مع جماعة كالفاريسكي (صيف ١٩٤٢) وشكلوا
عصبة التقارب والتعاون العربي - اليهودي ، وذلك تنفيذاً لمبادئه الماركسية ،
إذ كان ينادى بالوطنية الثنائية كجزء من عقيدته في توحيد عمال العالم ، وقد
تعرضت العصبة لملاحظات قاسية من الصحافة اليهودية الداعية إلى الدولة
اليهودية . ولكن جماعة أخرى أطلق عليها اسم حزب الاتحاد (أيهود)

كانت أقوى من العصبة في معارضة برنامج بلمتور . وقد تألفت في أيلول —
سبتمبر ١٩٤٢ برئاسة يهودا ماغنيس رئيس الجامعة العبرية . وبعد تصريح
ايدن في أيار — مايو ١٩٤١ حول تعضيد بريطانيا للاتحاد العربي ، والوعد
بمنح الاستقلال إلى سورية ولبنان في حزيران - يونيه ، عبر ماغنيس عن رأيه
بأنه إذا اتحدت فلسطين مع جيرانها باتحاد فالمسألة الفلسطينية سوف ترتفع إلى
مستوى آخر من وجهتين على الأقل : أولاها أن خوف العرب من سيطرة
الوطن القومي اليهودي سيتناقض بسبب الأمن السياسي الذي يوفره الاتحاد
العربي الأوسع والأقوى . وثانيهما أن توطين اللاجئين الهاربين من
الاضطهاد يمكن أن يابي بسخاء أكثر . وناشد ماغنيس البريطانيين والعرب
واليهود ، كي يتباحثوا في الأمر حالا ، وحذرهم من عواقب التسويف . وقد
انضمت إليهم هنريتا زولد Zsold مؤسسة الهاداسا (المنظمة الصهيونية
النسوية الأمريكية) ، والأمريكية المولد . وكان دعاة برنامج بلمتور يخشون
من حزب (أيحود) أكثر مما يخشون أي حزب لخصومهم ، ولذا طالبت
اللجنة التنفيذية بطرد أعضاء هذا الحزب من المنظمة الصهيونية ، خشية أن
تفشي علاقات ماغنيس وزولد الواسعة في أمريكا بين أوساط اللاصهيونيين
وغير اليهود إلى صدور الأمريكيين عن تأييد برنامج بلمتور ، وخشية أن تؤدي
مكانة زولد في الهاداسا إلى حبس تأييدها لبرنامج بلمتور ، الأمر الذي
ينقص كثيراً من قوة الداعين إلى الدولة اليهودية (١) . وبما أنه كان على كل
منظمة في لجنة الطوارئ الأمريكية للشؤون الصهيونية أن تصادق على برنامج
بلمتور ، فقد أرجى عرض البرنامج على المجلس الصهيوني الداخلي العام في
القدس ، وكان ينبغي أن تصادق الهاداسا والمنظمة الصهيونية الأمريكية ،
وهما الهيئتان الصهيونيتان الأكبر في الولايات المتحدة ، على طلب إنشاء الدولة

اليهودية، وعلى الانفصال رسمياً عن (الأيحود). ولذلك عقد اجتماع مشترك للهاداسا والمنظمة الصهيونية الأمريكية في نيويورك ١٧ تشرين الأول - أكتوبر ١٩٤٢). وقرر المجتمعون أن أي برنامج ينكر المبادئ الأساسية (في برنامج بلمتور) مثل ما تقدم به الأيحدود أو أية جماعة أخرى. هو غير مقبول لدى المنظمة الصهيونية الأمريكية والهاداسا (١).

إن موافقة غالبية الصهاينة الأمريكيين على برنامج بلمتور، في تشرين الأول - أكتوبر أدى إلى موافقة المجلس الصهيوني الداخلي العام عليه، في تشرين الثاني - نوفمبر، بأكثرية ٢١ صوتاً مقابل ٤ أصوات. كذلك وافقت الوكالة اليهودية عليه ومعظم الأحزاب السياسية اليهودية بما في ذلك التصحيحيين. وفي شهر كانون الأول - ديسمبر شنت الصهيونية حملة دعائية مع الإلحاح على اضطهاد اليهود في أوروبا النازية، والزعيم بأن فلسطين هي الملجأ الممكن الوحيد لهم. وقد صجبت هذه الحملة مظاهرات سببت قلق جميع السكان العرب في فلسطين (٢). لأن العرب لم يخف عليهم أن المخطط الصهيوني يستغل محنة يهود أوروبا ليحصر النزعة الانسانية العامة تجاههم في مجرى واحد فقط هو إنشاء دولة يهودية في فلسطين. وها هو ذا محرر صحيفة النيويورك تايمز يستنكر هذا الاستغلال البشع ويصيح: «ماذا، بحق الله، ينبغي أن يتوقف مصير هؤلاء الناس التعساء على المناداة فقط بإنشاء الدولة اليهودية، ١٩ (٣) وها هو ذا ريتشارد كروسمان عضو اللجنة الانكلو أمريكية (١٩٤٦) وهو معروف بميله الصهيونية، يكتب في يومياته (١٩٤٦): «إن الصهاينة يخفون.. إن همهم الرئيسي ليس انقاذ اليهود الأحياء من أوروبا، وإنما إيصالهم إلى فلسطين وإقامة دولة

ibid. (١)

A Survey of Palestine, op. cit, I. p. 65 (٢)

The Spectator Magazine, 22 July 1960, Quoted in (٣)

Hadawi op. cit., p. 53

يهودية ، (١) . إن المطلعين على بواطن الأمور يعلمون أن حوافز الهجرة اليهودية إلى فلسطين لم يكن مبعثها النزعة اللاسامية التي بولغ كثيراً في وصف شرونها ، وإنما النشاط الصهيوني المحموم الذي ضلع مع النازيين لترحيل اليهود إلى فلسطين فقط دون أي بلد آخر . وعلى ذلك يعلق الكاتب ارسكين تشيلدرز - Childers بقوله : « إن واحدة من أكثر السمات أهمية في الصراع الفلسطيني بأكمله ، هو أن الصهيونية هيأت عن عمد ليكون مأزق البائسين الأحياء من الهتلرية حجة أخلاقية ينبغي على الغرب أن يتقبلها . وقد جرى ذلك مع ملاحظة أن البلدان الغربية لم تفتح أبوابها على اتساعها وفوراً لنزلاء معسكرات النازحين . إنه أمر لا يصدق أن حملة خطيرة وخفيفة كهنه لم تلق إلا إهتماماً ضئيلاً في اعتبارات الصراع الفلسطيني . إنها كانت حملة تشكّل بها حرفياً كل التاريخ التالي . فقد جرت بواسطة مخططات غربية تخريبية مخصصة لإدخال اليهود النازحين (٢) ، (إلى فلسطين) .

هذا عن جهود الصهيونية لإقرار برنامج بلمتور في الأوساط اليهودية بفلسطين ، أما في بريطانيا فقد ظلت معارضة اليهود غير الصهيونيين تقض مضجع الصهيونية السياسية ، ولا سيما حين تذكر هذه أن مساعي اليهود البريطانيين بالذات هي التي أفضت إلى تضمين تصريح بلفور شروطاً تحمي حقوق الطائفة غير اليهودية في فلسطين ، وحقوق اليهود خارج فلسطين . ولكن الصهيونية السياسية شعرت أنها بعد ربع قرن ، أصبحت أقوى مراساً وأمضى عزيمة من ذي قبل . فإن المعارضة اليهودية في بريطانيا لا يمكن تسويتها ولا احتلالها في وقت راجت فيه فكرة دولة يهودية في فلسطين . وللقضاء على هذه المعارضة لجأت الصهيونية إلى خطتين : أولاهما لتوسيع قواعد

Richard Crossman, « Palestine Mission », N. Y. 1947, p. 47 (١)

The Spectator, Ibid,

(٢)

الصهيونية في بريطانيا ، وثانيتهما لتتلاقى معارضة اليهود البريطانيين غير
الصهيونيين ونسف تأثيرهم على الحكومة والرأى العام . وعباً (الاتحاد
البريطاني الصهيوني) صفوفه في حملة لمضاعفة أعضائه ، فنجح ، وأصبح عدده
خمسة أضعاف ، من ٤٠٠ في مطلع ١٩٤٣ إلى ٢٦ ألفاً بعد سنتين (١) .
وتعرض اليهود غير الصهيونيين لحملة الوكالة اليهودية الدعاوية لإحلال برنامج
بلمور بدلاً من الكتاب الأبيض .

ولحسن حظ الصهاينة فإن (مجلس النواب لليهود البريطانيين) وهو أقدم
هيئة تمثيلية يهودية في بريطانيا ، أصبح يضم غالبية صهيونية عام ١٩٤٣ لأثر
الانتخابات لعضوية المجلس ، ومضى ينطق بلسان الصهيونية السياسية في الحال .
ولم يكثر بأعضائه الذين اختاروا أن يحتفظوا بموقف غير صهيوني . وفي
تموز « يوليو » ١٩٤٣ حل ارتباط المجلس بالرابطة الإنكليزية اليهودية التي
كانت تنسق نشاطها في الخارج منذ ١٨٧٨ ، وفي تشرين الثاني « نوفمبر »
١٩٤٤ صادق المجلس نهائياً على مبادئ بلمور . وشكلت جماعة غير صهيونية
انشتقت عن المجلس ، ما يسمى (بالزمالة اليهودية) وتمسكت برأيها في أن
اليهود يشكلون جماعة دينية لا جماعة سياسية قومية ، ولذا فقد استنكرت
بشدة طلب إنشاء دولة يهودية . كذلك رفضت الرابطة الإنكليزية اليهودية
الأكثر نفوذاً ، برنامج الدولة اليهودية وأصبحت بعد ١٩٤٣ الناطقة باسم
الموقف اللاصهيوني . ولكن المجلس والزمالة اليهودية والرابطة ، سالفه
الذكر ، كانت متحدة في الاحتجاج على سياسة الكتاب الأبيض ، وفي الأمل
بأن تمنح فلسطين وضعاً مماثلاً لوضع الدومنيون ضمن الكومنولث البريطاني (٢) .
وربما كان الخلاف بين الصهيونيين وغير الصهيونيين من الناحية العقائدية هو

Hurewitz, op. cit, p. 208

(١)

Hurewitz, ibid p. 209

(٢)

عائل للخلاف بين أنصار الوطنية الثنائية وأنصار الدولة اليهودية في فلسطين. وعلى الرغم من أن الجدل حول برنامج بلمور قد نجم عنه تبلور المعارضة ضد الصهيونية ، غير أن هذه المعارضة لم تكن قوية بما يكفي لإحراز التأثير المطلوب. واستطاعت الخطط السياسية الصهيونية أن تنجح في الترويج لدعاية واسعة كانت الغاية من ورائها تحريك مطالبة عامة بنسخ الكتاب الأبيض .

ومن المهم هنا أن تؤكد استغلال الصهاينة للجهل العام لدى (الأمم الأخرى) بحقائق القضية الفلسطينية ، وذلك حين اقترحوا تبني برنامج بلمور كوسيلة منطقية لنسخ الكتاب الأبيض ، ملزمين بذلك من يصني إليهم بتعزيد لإنشاء دولة يهودية ، كنتيجة لقرارهم في معارضة الكتاب الأبيض . وحقيقة الأمر، أن برنامج بلمور والكتاب الأبيض بقيا نشرتين منفصلتين ، ولكن معظم الناس من غير اليهود ، لم تتضح في أذهانهم حقيقة الموقف ، كي يميزوا بينهما . فظلوا متأثرين بتضليل أجهزة الاعلام الموسعة للوكالة اليهودية في لندن، تمطرهم بوابل من مطبوعاتها ونشراتها ومن الزاوية الصهيونية البحتة ، دون أن يكون ثمة جهاز إعلام عربي يرد على دعاوى الصهيونية، ويفند مغالطاتها باللغة والأسلوب اللذين يفهمهما البريطاني العادي، حتى استطاعت الصهيونية أن تحمل حزب العمال البريطاني على اتخاذ قرار آيار - مايو ١٩٤٤ ، ويدعو العرب للخروج من فلسطين ، في الوقت الذي يشجع اليهود على دخولها .

الضغط والارهاب الصهيوني في خدمة الاستراتيجية الصهيونية :

بعد أن اطمأن الصهاينة إلى تعزيد برنامجهم في الولايات المتحدة وبريطانية وفي أوساط اليهود بفلسطين ، انصرفوا إلى تقوية أنفسهم بكل ما أوتوا من قوة، وبذلوا جهوداً ضخمة لتدريب يهود فلسطين وتسليحهم تمهيداً لاستئناف ثورتهم الدامية على السلطات الانكليزية ، بقصد حملها على تغيير

سياسة الكتاب الأبيض ، والسماح بالهجرة اليهودية غير الشرعية تحت شعار إنقاذ اليهود المبعدين من أوروبا النازية ، الذين لا يشعرون بالأمان إلا في فلسطين . ويتضح التضليل الصهيوني من وصف العرب بممول محورية نازية لا لشيء سوى وقوفهم موقفاً عدائياً من الصهيونية السياسية . ولا حاجة إلى تمييز موقف العرب من موقف الألمان النازيين ؛ فالعرب معادون للصهيونية السياسية كفكرة ، دون أن تكون لديهم دوافع عنصرية ضد اليهود كأبناء جنس أو دين . في حين أن النازية اضطهدت اليهود على أساس نزعة عنصرية بحتة .^(١) واستطاع الصهاينة أن يخادعوا الرأي العام الدولي في استغلالهم المغرض لقضية اليهود النازحين من أوروبا ، من أجل خدمة أغراض سياسية لا إنسانية تهدف إلى إحلالهم محل شعب آخر . كما ظلوا يتخذون من اضطهاد النازيين لليهود حجة مفضلة لكسب الانصار وارغام البريطانيين على الرضوخ ، وفتح أبواب فلسطين . وفي الوقت نفسه مضوا يصورون الكتاب الأبيض وكأنه يحقق أماناً للعرب بينما تثبت مطالعته بأنه لا يردّ الحقوق العربية المقتضية ، وإنما هو يخفف قليلاً من تحيز الانتداب نحو الصهيونية على كره منه . فهو لم يزل غموض فكرة الوطن القومي ، وإنما تضمن المغالطة التقليدية وهي اعتبار اليهود أحد عنصري السكان الأصليين ، وتحدث عن احتفاظ كل منهما بكيانه ، عما يشعر بأنه لم يتخل نهائياً عن فكرة التقسيم .

وربما كان السبب الوحيد للعرب من تنفيذ بريطانيا للكتاب الأبيض هو تحديد الهجرة ، وهو ما كانت بريطانيا ترفض بحمته والنظر فيه باستمرار . وربما كان العرب محقين في رفض الكتاب الأبيض ، لأنهم كانوا يشعرون أن

(١) في أقطار غربي أوروبا عامة يتركز مفهوم كلمة يهودي على أنه يعني الجنس لا الدين ، بدليل أن الاضطهاد النازي تناول أيضاً أولئك الذين ينحدرون من أسر يهودية تنصرت في الأجيال التالية وتحولت إلى الكاثوليكية أو البروتستانتية .

بريطانيا غير جادة في تنفيذ التزاماتها بموجبه، ولم يخف على بعض المطلعين أن لندن ربما وضعت له لإيجاد فرقة بين الوطنيين وبين من تسميهم بالمعتدلين . وقد شرحنا موقف الانتداب من قضيتي الأراضي والهجرة منذ مطلع الحرب الثانية ، وتظاهره بالتزام سياسة الكتاب الأبيض في شأنهما ، كما ألحنا إلى أن الانتداب لم يخط خطوة واحدة لتحقيق التغييرات الدستورية المقترحة في الكتاب على تفاهتها ، فقد ظل الانتداب يمارس الحكم مباشرة كما يفعل في أقل مستعمراته شأناً . ولم تنتقل رئاسة الادارات إلى الفلسطينيين ، وظل أعضاء المجلس التنفيذي والاستشاري من الموظفين البريطانيين . والعرب في غضون الحرب كانوا أقرب إلى المهادنة منهم إلى التمرد والثورة ، ورغم ما يشهدونه من تسويق الانتداب ومطله في تنفيذ الكتاب الأبيض ، وكانوا يأملون أن تحقق بريطانيا تأكيدات المتوالية بأنها ستمضي في وضعه موضع الإجراء والتنفيذ ، غير آبهة بالتهديد الصهيوني ودعاواته العريضة . ومن أدري من بريطانيا بصراحة الحق العربي وتهافت الباطل الصهيوني الذي مكنت له في الأرض المقدسة ، مع أنها تعهدت بعدم الافتئات على الحق العربي أثناء عطفها على الوطن القومي اليهودي .

وأدرك الصهاينة أنه ليس بد من إرهاب وزارة المستعمرات وسلطات الانتداب عن طريق القيام بأعمال العنف والتخريب ، وفي الوقت نفسه لإعداد اليهود في فلسطين وتدريبهم وتسليحهم ليوم الفصل القادم ، وإذا أريد نفس الكتاب الأبيض فلاحيص من سلوك مسلك العرب الذين أدت ثورتهم إلى نفس التقسيم ، ووضع الكتاب الأبيض ، ولكن العرب لم يطعنوا حلفاءهم في أخرج الأوقات وأعصب الظروف كما فعل الصهاينة . وهكذا عاودت المنظمات الإرهابية الصهيونية نشاطها الذي كان قد توقف بوقوع الحرب العالمية الثانية ، متسلحة بروح الملاينة التي ظهرت من الانتداب دائماً

تجاه الإرهابيين اليهود (١) ، ومستهدفة الضغط على السلطات البريطانية المحلية بغية حملها على التخلي عما انتظاها به من الأخذ بالكتاب الأبيض . والمنظمات الإرهابية تعلم حق العلم أن رئيس الوزارة البريطانية تشرشل أعلن في البرلمان (٢٧ أيار - مايو) لاثرتوليه رئاسة الحكومة أنه من العيث إبقاء عشرين ألف جندي للمحافظة على الأمن في فلسطين ، بينما تحتاج بريطانيا إلى كل فرد للدفاع عن نفسها ، كما دهش تشرشل من انشغال عدة سفن بمراقبة سواحل فلسطين لمنع تسال المهاجرين اليهود غير الشرعيين ١١ ولاشك في أن ماضاعف لإيمان الصهاينة بالعمل الإرهابي هو ما يرونه من وقف العمل بالكتاب الأبيض ومن تغاضى القادة العسكريين البريطانيين عن أوامر وزارة الخارجية البريطانية ، وإشراك الكتائب اليهودية في غزو سورية ولبنان (حزيران - يونيه ١٩٤١) وتركها تنهب مخازن الأسلحة الفرنسية لتسليح العصابات الصهيونية (٢) .

ولكن تحيز سلطات الانتداب للصهاينة وعصاياتهم لم يلزم هؤلاء بمبدأ التعاون التام مع البريطانيين في فلسطين طوال فترة الحرب ، برغم أن البريطانيين كانوا يخوضون حرباً صارية ضد عدو قوى توالى انتصاراته يومذاك . والباحث ميال إلى القول بأن خلافاً للمنظمات الصهيونية الإرهابية مع سلطات الانتداب كانت مفتعلة ومنسقة بواسطة القيادة الصهيونية . فمن المعلوم أن الهدف الأول للوكالة اليهودية كان تحقيق برنامج بلمر الذي نال موافقة غالبية يهود فلسطين ، ولذا فهي ترى أن الضغط على سلطات الانتداب أمر مشروع ولو بوسائل إرهابية تجافى منطق العطف البريطاني عليها وتأييده العريق لها ؛ ولكنها لا تستطيع أن تجهر لا بتأييد

Hurewitz, op. cit., p. 164

(١)

Wilson, op. cit., p. 172

(٢)

الإرهاب ولا بشجبه علناً ؛ وإذا وجدت نفسها مضطرة لاستنكار أفعال الإرهابيين ، حرمت كل الحرص على أن اللوم يجب أن يوجه إلى سلطات الانتداب التي حفزت كوامن الحقد أليانس في نفوس شبان أبعدهم فظائع النازية التي حلت ياخوانهم عن الاعتدال ، حتى أصبحوا يؤمنون أن السبيل الوحيد لتحقيق الأهداف هو سبيل القسوة والعنف والإرهاب . وقد ساهمت الوكالة اليهودية بإقرارها لفعال الإرهاب والحرص على لوم البريطانيين ، في تفاقم شروره والقضاء تدريجياً على (الهدنة السياسية) التي أعلنتها ، تعاوناً مع الانتداب في مطلع الحرب ؛ والواقع أنها لم تكف لحظة عن الضلوع في الإرهاب وتنشيط عملياته ومعوثة أفراد سرّاً . وستتضح فيما بعد العلاقة الواشجة بين الوكالة اليهودية وجيشها السري المسمى بالهاغانا ، وبين المنظمات الارهابيتين الأرغون وشيرن .

والحق أن الصحف اليهودية في فلسطين لم تحضّ على وقف موجة الارهاب إلا عندما لاح الخطر المحورى في الأفق القريب ، قيل انتصار الحلفاء في معركة العلمين وتحسن مقدراتهم العسكرية (تشرين الأول — أكتوبر ١٩٤٢) . وقد تراجع الخطر عن فلسطين إثر قيام الحلفاء الأنكلو أمريكيين بطرد القوات المحورية من شمال أفريقيا ، في أقل من سبعة شهور إعتباراً من نهاية عام ١٩٤٢ . وحيث برزت فلسطين إلى المسرح السياسى من جديد ، وعاود الإرهاب الصهيونى نشاطه .

ذلك أن زوال الخطر المحورى عن مصر وفلسطين قد تبعه هبوط أرقام التطوع عند اليهود ، وفزع عملاء الصهيونية من هذه الظاهرة التي تهدد خططهم ، فراحوا يضطهدون المتخلفين عن التطوع ويباقبونهم حتى ويقتلونهم ، تماماً كما كان يفعل أفراد العصابات الفاشية وأفراد القمصان البنية النازيون (١) . وكثيراً ما نسفت البيوت بالقنابل والألغام ، وكثيراً

ما اتبعت أساليب التعذيب التقليدية الأخرى مع المتهمين بالانحراف ، فيجري اختطافهم واحتجازهم ومقاطعتهم وإرهابهم (١) . وهنا أصدرت سلطات فلسطين تشريعاً للدفاع حظرت بموجبه في كانون الثاني - يناير ١٩٤٣ وسائل العنف والإرهاب في إجبار اليهود على التطوع . وقد قاومت الوكالة اليهودية هذا التشريع ، وزعمت بأنه يثبط حركة التطوع اليهودي . وابتكرت الحجج التي توجه اللوم على هذه الفعال لا إلى الإرهابيين بل إلى حكومة فلسطين التي كانت تحاول وقفهم عند حدهم . هذا إلى أن رفضت الوكالة اليهودية معاونة سلطات الانتداب في وقف أعمال الإرهاب التي أخذت بأسباب الانتشار آنذاك ، قد عززت الرأي القائل بأن الوكالة كانت تقرّ الإرهاب وكانت على صلة بمنظّماته (٢) . وقد انتشر هذا الاعتقاد بشكل ملحوظ إثر سلسلة المحاكمات التي انعقدت لمحاكمة المتهمين الصهيونيين بتهريب السلاح ، وإثر حملات التفتيش التي قامت بها سلطات الانتداب بحثاً عن الإرهابيين اليهود ، ما بين شهري آب - أغسطس وتشرين الثاني - نوفمبر ١٩٤٢ . فقد لوحظ في شهر آذار - مارس ١٩٤٣ تزايد ملحوظ في عدد وحجم حوادث سرقة السلاح والمتفجرات من المنشآت العسكرية البريطانية في فلسطين وبعد ذلك كشف النقاب عن وجود عصابة لسرقة السلاح وتهريبه على مقياس واسع ، مرتبطة بالهاغانا ولها فروع في شتى أنحاء الشرق الأوسط (٣) .

وفي ١١ آب - أغسطس حكم على جندين بريطانيين هاريين هما (هاريس وستونز) بالسجن خمس عشرة سنة لاشتراكهما بالسرقة ، وقد وجد في حوزتهما ٣٠٠ بندقية مع ١٢٥ ألف رصاصة . وقد اعترفا في البيانات

Kirk, op. cit., p. 306

(١)

Sykes, op. cit., p- 295

(٢)

Survey of Palestine I, p. 67

(٣)

التي أدليا بها أمام المحكمة العسكرية ، أن زعيم عصاة السلاح اليهودية قد قدم لهما رشوة من أجل الحصول على السلاح والذخيرة من مستودعات الجيش البريطاني ، وأنهما كانا يعملان مع يهوديين من حيفا ، هما وسيطان بينهما وبين يهودا تانبوم ، وهو مفتش سابق في البوليس الفلسطيني . وقد ورد اسم بن غوريون وزعماء الهستدروت والها بوعل (منظمة العمال الرياضية) بين من يرمح ضلوعهم في شبكة التهريب الصهيونية التآمرية (١) .

وقد أشار محامي الدفاع الميجر فيردن Verdin إلى الجنديين ، وقال إنهما كان قد وقعا في شرك منظمة هي من القوة والفظاظة بحيث لم يكن لهما أى مهرب حين أطيقت أنيابهما عليهما . وتابع محامي الدفاع مرافعته باتهام الوكالة اليهودية وقال : « هل يعنى هذا أنه إذا تراجعت الحرب عن حدودهم ولم يعد يجابه يهود فلسطين تهديد معسكرات التجميع ، أن يقع بعض جنودهم تحت سيطرة هذه المنظمة وأن لا يعملوا بعد الآن لمصلحة الأمم المتحالفة ؟ إذا كان الأمر كذلك فهذه حالة ينبغي إزاعتها على الأمم المتحالفة . ولا يمكن تصديق أن هذه الوكالة اليهودية ، وهي مصدر السياسة اليهودية ، التي تناشد الأمم المتحالفة لإفقاد وإغاثة شعبها الذي داسته بالأقدام ، وإشاعة السلام بين جنسها المضطهد ، هي الآن وراء الستار تعمل ضد مصالح الأمم المتحالفة وضد مستقبل الشرق الأوسط (٢) » .

وبدا واضحاً أن الوكالة اليهودية بينما كانت تتعاون في الظاهر مع سلطات الانتداب . فإنها في الوقت نفسه كانت تنفذ مخططاً بارعاً للحصول المحرم على الأسلحة بالسرقة من الامدادات البريطانية . وقد أثار كشف هذا النشاط التخريبي الصهيوني ، موجة من الاتهامات باللاسامية ، تزعمها بن غوريون الذي

Kirk, op. cit., pp. 307, 308

(١)

ibid, p. 308

(٢)

ورد اسمه بين الممكن اتهاهم بالضلوع في هذا النشاط الخطير ، فأكد في حملته على المحكمة بأنها في تصرفها كانت تعمل بتوجيهات لا سامية . واستهل بن غوريون بها مرحلة جديدة في الدعاية الصهيونية التي لا تزال مستمرة حتى يومنا ، وهي نعت كل من لا يشايح الصهيونية ولا يوافق على مخططاتها العدوانية باللاسامية ، وكل من لا يقر المطالب الاقليمية اليهودية بالنازية (١) . وهو انفعال صهيوني متميز تجاه أى شيء مناوئ لمصالح الحركة الصهيونية .

كذلك حوكم اثنان من اليهود لا اشتراكهما في سرقة السلاح وحكم عليهما بالسجن ١٠ سنوات لأحدهما و٧ سنوات للآخر . وصرح رئيس المحكمة إن التحقيق أثبت أنه يوجد في فلسطين مؤامرة خطيرة للحصول على السلاح والذخيرة من قوات جلالة الملك . وقال إن المنظمة التي تكن وراء نشاط المتهمين اليهوديين « يبدو أنها تملك مبالغ ضخمة من المال تحت تصرفها ، وتمتع بمعرفة مستفيضة في الشؤون العسكرية بما في ذلك التنظيم العسكرى » . وقد اغتاز الصهاينة من قع البريطانيين لنشاط تهريب السلاح ، وزعموا أن لهم الحق الأدبي في التسليح ، وزاد في مراتهم أن المحاكمة جرت علنية ، وتناولت الأجهزة اليهودية بشبهات الاتهام أثناء المحاكمة .

وفي ٤ تشرين الأول — أكتوبر قررت الجمعية اليهودية المنتخبة أن المحاكمة هي محاولة للتشهير بالشعب اليهودي ، وأنذرت الحكومة بإمكان حدوث عواقب جديدة ، وأعادت تأكيد عزم يهود فلسطين على « الدفاع عن أنفسهم بالقوة » (٢) ، عند الضرورة . وقد ذكر ضابط مخبرات أمريكي أن حكومة فلسطين كانت تركز في هذه الآونة على عمليات سرقة البنادق ، ولكن لو أن هذا التركيز كان كاملاً ، لامتلات السجون البريطانية

Sykes, op. cit., p 295

(١)

Survey of Palestine, op. cit., p. 68

(٢)

بالمتهمين ، ولم يكن هناك أى يهودى يتقاعس عن محاولة الحصول على السلاح بأى ثمن (١). وكذاب الدعاية الصهيونية دائماً فى صبغ فعالها بصبغة شرعية ، فإنها فسرت دوافع شراء السلاح وتخزينه بأنها ناجمة عن الخوف من بقاء السلاح بيد العرب . واعترف بعض كتابها أن الهاغانا فى إقبالها مع الصهاينة على شراء السلاح من « عملائه العرب والبدو » ، فإنها كانت تستعد لصدام ممكن وقوعه مع العرب والبريطانيين ؛ وقد التقت البدو كميات كبيرة ، من السلاح التى تركتها قوات الحلفاء والمحور فى صحراء مصر الغربية حيث باعوها بمرايح كبيرة ، كما أن سوق السلاح السوداء قد زوّدت بتجهيزات حربية مسروقة من معسكرات الحلفاء ومستودعاتهم (٢) .

وكانت الهاغانا قد أغرت كثيراً من الضباط والجنود البولنديين اليهود بالفرار من الجيش بأسلحتهم ، والاستفادة منهم ومن سلاحهم فى تدريب اليهود والالتحاق بقواتهم كما ذكرنا . بل إن الوكالة اليهودية أقامت دائرة للتجنيد تابعة لها ، فرضت التدريب العسكرى وجملت مدة الخدمة سنة للفتيات والفتيان الذين تتراوح أعمارهم بين ١٧ و ١٨ سنة ، وذلك ببيانات وإعلانات نشرت فى الصحف على مسمع ومشهد من سلطات الانتداب — وهى نفس السلطات التى كانت تحكم بالاعدام شنقاً على أى عربى ، إذا وجدت لديه رصاصة واحدة فى عامى ١٩٣٧ و ١٩٣٨ . وكانت الوكالة اليهودية تخفى هؤلاء الفارين الذين تأثروا بدعايتها وتستفيد منهم ومن سلاحهم .

وفى ١٦ تشرين الثانى — نوفمبر قامت قوات من الجيش والبوليس البريطانى بتفتيش مستعمرة (رامات ها كوفيتش) الواقعة فى وسط السهل الساحلى ، بحثاً عن الضباط والجنود البولنديين الفارين من وحداتهم ، والذين

Sykes, op. cit., pp. 295-6

(١)

Hurewitz, op, cit., p. 197

(٢)

كانوا يقومون فيها بتدريب منظمة يهودية محظورة على مختلف أنواع السلاح، ولكن السلطات لقيت مقاومة عنيفة من سكان المستعمرة وما حولها رجالاً ونساءً، وقد اضطر أحد رجال البوليس أن يطلق رصاصة واحدة من مسدسه فخرج يهودى جرحاً مميتاً (١). ويبدو أن سكان المستعمرة استطاعوا تهريب السلاح الموجود في حوزتهم إذ عثرت السلطات على مخبئه مخفوة تحت قطعة من الأرض أقيم عليها نخيم للشبان اليهود. وفي مواضع أخرى اكتشفت الأسلحة دون العثور على الفارين البولنديين (٢). وشنت الصحف اليهودية حملة شعواء نالت فيها من السلطة واستثارت مشاعر اليهود في تل أبيب، فقاموا بمظاهرة صاخبة وأحرقوا مكاتب الحكومة فيها. وقد خطب (موشه شرتوك) رئيس القسم السياسى في الوكالة اليهودية، وكذلك فعل (الياهو غولمب) قائد الهاغانا في الشهر التالى. وهددا بالمقاومة المنتظمة إذا استمرت حملات التفتيش في المستعمرات، وقد أذعنّت السلطات لهذا التهديد واضطرت إلى التراجع والانعضاء، وألغت الحظر الذى فرضته على بعض الصحف اليهودية (٢).

وثبت أن تراجع الحظر المحورى عن الشرق الأوسط قد قلب ولاء اليهود للسلطات البريطانية خلال ١٩٤١ - ١٩٤٢، إلى ولاء لأهدافهم الخاصة فحسب. وقد وصف القائد العام البريطانى في الشرق الأوسط هذا الوضع الجديد الذى حفزته محاربات السلاح وحملات تفتيش المستعمرات بقوله: «عندما استهل شهر كانون الثانى - يناير ١٩٤٤ كان موقف الوكالة اليهودية من الحكومات قد تصلب إلى الحد الذى دفعها إلى معارضة ومقاومة أى عمل مناوئ لبرنامج بلتمور أو مؤيد للكتاب الأبيض. وكانت الوكالة اليهودية من بعض الاعتبارات تتنحل لنفسها صلاحيات ووضع حكومة يهودية مستقلة. ولم تعد

Survey of Palestine, op, cit., 69

(١)

Hurewitz, op, cit., p. 197

(٢)

تحاول إنكار وجود مخايء السلاح ، ولكنها كانت تدعى لنفسها الحق لا في حيازة الأسلحة بقصد الدفاع عن النفس فحسب ، وإنما لمقاومة أية محاولة من جانب السلطات القانونية للكشف عنها (١) ، ولم تفلح إجراءات السلطة لمكافحة سرقة الأسلحة ، ولا حالت المحاكم العسكرية دون وقوع سرقات أخرى ، ومنها سرقة جرت من مستودع للتدريب في رحوبوت ، حصل الصهاينة فيها على ٢١٨ بندقية و ١٥ مدفعاً رشاشاً ومخزناً كبيراً للذخيرة . ولم تستطع السلطة أن تكشف جميع مخايء السلاح اليهودي ، وإن لم يخف عليها مدى القوة والاستعداد اللذين تحول بها اليهود من حالة إلى حالة ، والذي ظهرت آثاره الخطيرة في تفاقم أعمال الإرهاب عام ١٩٤٤ . لقد كانت الصهيونية عازمة على أن لا تترك فرصة واحدة إلا استغلتها ، في تدبير خططها حتى لا تلحق بها هزيمة في أية ناحية ، كما قررت أن لا تترك باباً إلا طرقته : من إرهاب متطرف وتحدٍ سافر ، إلى استجداء وبكاء وعويل واستعطاف ، إلى التلويح بالتهديد أو التظاهر بالاعتدال والتبرؤ من الإرهاب والإرهابيين .

وعلى الرغم من أن بريطانيا التي مكنت لهم واحتضنتهم على حساب الشعب العربي في فلسطين ، كانت تخوض غمار حرب مصيرية ضد النازيين الذين كانوا أعداء اليهود الألداء ، فلم يتردد الصهاينة في ضرب البريطانيين وطعنهم من الخلف في ثورة استمرت ثلاث سنين ونصفاً منذ ١٩٤٤ إلى خريف ١٩٤٧ ، كانت تقف وقفات ترقب واستجمام ، وكانت عنيفة محكمة التنظيم ، ولكنها لم تكن ثورة دائمة ذات عصابات مسلحة مستمرة النشاط كما كانت ثورة العرب ، بل كانت وقائع وكائن ترتب وتنفذ ثم تتوقف لتستعد لميلائها ، أو لتستوحى من الظروف والأحداث ؛ وكان الذين يقومون بها من اليهود يعودون إلى أعمالهم العادية ويختفون في أندية التدريب والمعسكرات المنتشرة في المستعمرات .

وفي هذا الجو الذي اتجهت فيه الجهود الصهيونية ضد سلطات الانتداب، عاودت المنظمات الإرهابية نشاطها وبدأت العمل إثر بيان منظمة الأريغون الذي أعلنت فيه وقف الهدنة مع سلطات الانتداب، لأن «الحكم البريطاني أكد خياناته المعيبة للشعب اليهودي، وليس ثمة أى أساس خلقى لوجوده فى أرض إسرائيل.. فليس من هدنة بعد الآن بين الشعب اليهودي والإدارة البريطانية التى تقوم بتسليم إخواننا إلى هتار.. ونحن الآن فى حالة حرب مع هذا الحكم، حرب إلى النهاية. ومطلبنا نقل الحكم فوراً إلى أيدينا، فيجب أن تكون هناك حكومة عبرية موقته.. لن تراجع، فإما الحرية أو الموت (١)».

أما عصاة شتيرن فقد بُعثت من جديد باسم (المقاتلون من أجل حرية إسرائيل) فى أوائل صيف ١٩٤٣. وهى منظمة فى خلايا، وأعضاؤها العشرة لا يعرفون من سواهم، واهتمت بتجنيد الشبان الذين لا يجاوز منهم ٢٥ فى صفوفها من بين التصحيحيين، واليهود الشرقيين (السفارديم)، والقادمين الجدد من المهاجرين غير الشرعيين. واهتمت شتيرن فى نشرتها السرية (هى - هازيت أى الجبهة)، التصحيحيين والوكالة اليهودية بالاعتماد على ديمقراطية العالم وبريطانيا. واهتمت اليساريين الصهيوين بالاتجاه نحو دعم البروليتاريا العالمية وروسيا السوفيتية، واقترحت شتيرن أنها ستستعمل أية وسيلة للوصول إلى أهدافها المحددة، بدلا من استعمال المضابط والمعاريض والمحاضرات والاجتماعات والتصریحات والائتلافات التى اتبعتها السياسة الصهيونية دون جدوى. وأعلنت شتيرن أنها طليعة الجيش اليهودى السرى، وأشهرت الحرب ضد البريطانيين «المحتلين»، من أجل تحرير فلسطين وشرق الأردن «اللتين يملكهما اليهود وحدهم». وقالت إنها «سوف تنشئ معونة أية

قوة هي في نزاع مع عدونا السياسي ، . واعتقد أعضاء شتيرن أن الإرهاب يقوم بمنجزات عظيمة طالما أنه يستقطب انتباه العالم لقضيته ، وهدفهم طرد البريطانيين من فلسطين باغتيال كبار موظفيهم في الإدارة الانتدابية . وقد تدعمت العصاةة في خريف ١٩٤٣ بفرار عشرين من أعضائها القدامى من معتقل اللطرون ، ومنهم ناتان فريدمان يالين Yallin وهو بولاندى أصبح زعيم العصاةة ، وربما كان عدد أفرادها في أوائل عام ١٩٤٤ ما بين ٢٥٠ - ٣٠٠ (١) .

أما الأرغون ترفاى لثومى (المنظمة العسكرية القومية) فكانت أكبر حجماً من شتيرن بخمسة أضعاف على الأقل ، وكان زعيمها رازيل Razel قد قتل في أيار - مايو ١٩٤١ أثناء عملية تخريب قام بها لمصلحة الجيش البريطانى في ضاحية بغداد . وكلتا المنظمتين ترجع في أصولها الى بولندة حيث برزتا من الجناح المتطرف للصهيونيين التصحيحيين . وقد تأثرت هذه العناصر المتطرفة ، وخاصة الشباب منهم بالنموذج الفاشستى الديكتاتورى ، فحملوا معهم نزعاة التعصب والسنخ على كل نظام قائم ، والاعتقاد بأن العنف هو الأداة السياسية الواجب ممارستها ضد بريطانيا ، التى لاتسمح بالمجرة اليهودية الواسعة ، أو بخلاق غالبية يهودية فى فلسطين إلا تحت القوة القاهرة . ويقول مناحيم بيغن قائد الأرغون أنه استوحى أفكاره من جابوتنسكى اليهودى البولندى المتطرف الذى طالب بتوحيد ضفتى الأردن وإقامة دولة يهودية فيها تنسج للملايين المهاجرين اليهود ، دون حاجة لإخراج العرب . وادعى أن العرب سوف يعيشون فى مستوى أعلى من مستواهم الأول ، فى ظل الدولة اليهودية ١١

وزعم أفراد شتيرن والأرغون أن تطرفهم موجه ضد البريطانيين لا ضد

العرب الذين كان يمكن تسوية الخلافات معهم لو لم تضعهما بريطانيا الواحد في مواجهة الآخر . والحق أن مثل هذه الدعاوى والحيل لا تنطلي على أحد من العرب . فإذا كان أعضاء المنظمات الارهابية الصهيونية شتيرن والأرغون وبعد ذلك الهاغانا يعتدون على البريطانيين ، فلأن هؤلاء البريطانيين - في زعم الصهاينة - لا يقدمون لهم مساعدة كافية لهضم حقوق العرب واغتصاب بلادهم ، أى يتظاهرون بالحد من الهجرة اليهودية غير الشرعية خشية انتفاض العرب عليهم في زمن الحرب . فالإرهاب اليهودى موجه ضد العرب في الأصل والمبدأ والنهاية .

وبعد تأزم العلاقات بين الأرغون والتصحيحين في آيار « مايو » ، ١٩٤٣ انفصلت عنهم الأرغون واقتربت من شتيرن في اعتناقها لجذوى الإرهاب . ودعت الأرغون شبان اليهود للتطوع في صفوفها، وبشئت دعايتها في نشراتها السرية وصحيفتها الشهرية (حيروت) ومن إذاعتها السرية . وقد ملأت الأرغون خزائنها بما تنبيه وتسرقه وتسطو عليه ، وما تتلقاه من المعونات من الوحدات العسكرية البولندية التي كانت تدين بالولاء لحكومة بولندية في المنفى (لندن) ، والتي كانت شديدة المناوئة لروسيا ، ثم أصبحت تدريجياً مناهضة لبريطانيا المتحالفة مع روسيا (١) . وكان الضباط البولنديون يسمحون للجنود الفارين من اليهود البولنديين بالانضمام إلى صفوف الأرغون ، والتدريب على الإرهاب والتخريب . كما يسمحون لهم بنقل السلاح والذخيرة في العربات العسكرية البولندية ، ويقدمون الملجأ في مساكنهم لأعضاء منظمة الأرغون الفارين من قوى الأمن . وقد سمح لواحد من الجنود اليهود البولنديين ،

(١) تصور مناحيم يغن ، الذى كان يتجه بالولاء نحو حكومة بولندية في المنفى المقيمة في لندن ، أن بريطانيا تخلت عن تأييد هذه الحكومة البولندية ، وأن الجيوش السوفيتية ستدخل بولنده وتقيم فيها نظاماً آخر . فقرر أن يقاتل البريطانيين . واستفاد كثيراً من وجود الفرقة البولندية في الأردن فأمدته سراً بالسلاح .

وهو مناجيم ييغن ، بالتغيب عن وحدته في آيار مايو ، ١٩٤٤ لاستلام قيادة الأرغون العليا ، وهو محام في الثلاثين من عمره (١) . وتذكر المصادر الصهيونية أنه بينما كانت شتيرن تؤيد سياسة العنف الذي لا تميز فيه ضد أي شخص بريطاني أو مؤسسة أو مصلحة بريطانية ، كانت الأرغون تختلف عنها — فيما زعم — بدرجة العنف الواجب استعماله ، فهي والحالة هذه تتبنى سياسة تنظر إليها على أنها شكل من أشكال ضبط النفس . وتزعم المصادر الصهيونية أن الأرغون امتنعت عن ضرب أية منشآت عسكرية طالما كانت الحرب دائرة ، وإنما كان نشاطها التخريبي موجهاً ضد المؤسسات المدنية اللازمة لاستمرار الإدارة الانتدابية . ويرى قادة الأرغون أنهم بذلك يحققون هدفاً مزدوجاً : وهو مواصلة الكفاح ضد الكتاب الأبيض دون الإضرار بالمجهود الحربي للحلفاء .

وقد جرت اتصالات بين عصابة شتيرن وعصابة الأرغون في مطلع عام ١٩٤٤ ، واتفقتا على استئناف الإرهاب ضد السكان العرب والمنشآت البريطانية على السواء . وتذكر المصادر الرسمية البريطانية أن هاتين العصابتين كانتا مسؤولتين عن فعال الإرهاب والاعتداء عام ١٩٤٤ ، وعن سيل لا ينقطع من المنشورات المضلّة التخريبية . وترى أن رفض اليهود التعاون مع السلطات بما يؤدي إلى توقيف الجناة والارهابيين ، كان يعزى جزئياً إلى الخوف منهم ، وخاعة إلى مشاعر التساند القومي والتأييد للأهداف الأساسية الصهيونية . كما ترى أن الهيئات اليهودية الرسمية كان شجها الأعمال الإرهاب يرجع إلى سوء توقيته الذي قد يؤدي القضية الصهيونية في ذلك الوقت العصبية ؛ ولكنها علناً تصرح بأن هذه الأعمال كانت نتيجة محتومة لاستئثار حنق اليهود من قبل الإدارة الانتدابية (٢) .

ibid, p. 199

Survey of Palestine, op. cit p. 71

(١)

(٢)

بدأت حملة الارهاب الصهيوني مجدداً في نهاية شهر كانون الثاني - يناير ١٩٤٤ بوضع متفجرات في حظيرة السيارات التابعة لمصلحة النقل الحكومي في يافا . وأثناء تبادل إطلاق النار قتل حارس عربي واثنان من رجال البوليس وعربي ويهودي ، وجرح اثنان من البوليس البريطانى (١) . وفي يوم الأحد ٣ شباط - فبراير فوجيء يهوديان وهما يحاولان وضع آلة تدمير على مدخل كاتدرائية سان جورج الذى سيمر منه المندوب السامى في طريقه للصلاة . كما وضعت في ١٢ شباط - فبراير قنابل مجهزة بالساعات في دوائر الهجرة في القدس وتل أبيب وحيفا ، وأصابتها بأضرار فادحة . وبعد يوهين قتل ضابط بوليس وكونستابل بريطانيان رمياً بالرصاص في شوارع حيفا . وفي ٢٤ شباط - فبراير انفجرت قنابل في مباني البوليس في حيفا وسببت إصابات بين أفراد البوليس . وفي ٢٦ شباط - فبراير دُمرت دوائر ضريبة الدخل في القدس وحيفا وتل أبيب . وخلال شهر آذار - مارس جرت حوادث اغتيال لأفراد من البوليس البريطانى . وفي ٢٣ آذار - مارس اغتيل ثمانية من أفراد البوليس البريطانى بالرصاص والقنابل ، ولحققت الأضرار الفادحة بمباني البوليس في المدن الأربع الرئيسية في فلسطين . وقد أعقب ذلك فرض منع التجول وعقوبة الموت لمن يحمل السلاح . .

وفي ١٧ أيار - مايو جرت محاولة لاقتحام محطة الاذاعة في رام الله بغية مباشرة البث الإذاعي الصهيوني . ويوم ١٤ تموز - يوليه هوجمت دوائر البوليس ودوائر تسجيل الأراضي في القدس وتضررت بأضرار جسيمة بالمتفجرات والنار ، كما أصيب عدد من رجال البوليس وأتلقت سجلات الأراضي . وجرت في ١٨ آب - أغسطس محاولة مدبرة لاغتيال المندوب السامى مكياكل بينما كان مع زوجته ومرافقه في طريقهم إلى يافا لحضور حفلة وداعية أقامتها له بلديتها

بمناسبة انتهاء فترة ولايته ، فأطلقت عليه نيران الرشاشات، وأصيب مرافقه وسائق سيارته البريطانيين بجروح بالغة ، وكان أقصى ما فرضته السلطات من عقوبة هو غرامة ٥٠٠ جنيه فرضت على مستعمرة جيفات شاول التي أوت الارهايين ، ولم يندل سكانها أية معونة أثناء المطاردة والتفتيش (١) . وفي ٢٢ آب - أغسطس هوجمت ثلاثة مباني للبوليس في يافا وتل أبيب ووقع فيها عدد من البوليس قتلى . وفي ٢٧ أيلول - سبتمبر هاجم الارهايون أربعة مراكز للبوليس ، وقعت خلالها إصابات بين أفراد البوليس الفلسطيني . وفي ٢٩ أيلول - سبتمبر اغتيل ضابط كبير للبوليس أثناء توجهه نحو مقر عمله . وفي ٥ تشرين الأول - أكتوبر هوجمت مخازن دوائر الصناعات الخفيفة في تل أبيب من قبل عصابة الأرغون التي سرقت من النسيج ما قيمته ١٠٠ ألف جنيه فلسطيني حسب تقديرات السلطات .

وفي ١٠ تشرين الثاني - نوفمبر أصدرت حكومة الانتداب وقائد القوات البريطانية في الشرق الأوسط بياناً رسمياً مشتركاً جاء فيه أن فلسطين نجحت في السنوات الخمس الماضية من أهوال الحرب بفضل الجهود والتضحيات التي قدمتها القوات البريطانية والمتحالفة . ولكن منذ أوائل عام ١٩٤٤ أصبحت فلسطين مسرحاً لسلسلة من الاعتداءات وجرائم العنف التي يقوم بها الإرهابيون اليهود بقصد إجراء تغييرات بالقوة تهدف إلى تحقيق أهدافهم السياسية . وهذه الأحداث تجرى جنباً إلى جنب مع أقصى مرحلة للقتال المصيري الناشب بين الأمم المتحالفة وألمانيا النازية .. إن المجرمين في فلسطين مع مؤيديهم الناشطين والسليبين ، يعيقون الجهود الحربية لبريطانيا لإعاقه مباشرة ، بينما تخوض كفاحها الحيوي ضد هتلر . إنهم يعاونون العدو ، وهذه الحقائق لا يمكن للرأى العام في العالم المتمدن أن يتجاوز عنها . وقد ناشد

البيان الجماعية اليهودية بأكملها أن تبذل ما بوسعها لمعاونة قوات القانون والنظام في استئصال شأفة الشر من وسطها .. عن طريق إعطاء المعلومات التي تفضي إلى وقف القتل والضالعين معهم . وطلب البيان من الجماعة اليهودية في فلسطين وزعمائها وهيئاتها التمثيلية أن تعترف بمسؤولياتها تجاه الإرهاب والإرهابيين، حرصاً على حسن سمعة اليهود (١) .

ولا حاجة إلى القول إن البيان يشير بأصبع الاتهام إلى الهيئات اليهودية الرسمية وإلى الجماعة اليهودية عموماً ، ويطلب منها أن تتخذ موقفاً ثابتاً من الإرهابيين . وكعادة الصهاينة في مثل هذا الموقف، فقد احتج المجلس الداخلي الصهيوني العام على البيان الذي يحمل « الشعب اليهودي » المسؤولية المشتركة عن أعمال الإرهاب ، ويتجاهل المساهمة الملموسة التي قدمها يهود فلسطين إلى المجهود الحربي (٢) ١١ وبلغ الإرهاب اليهودي متناه عام ١٩٤٤ باغتيال اللورد موين وزير الدولة البريطاني في الشرق الأوسط (٦ تشرين الثاني - نوفمبر) ، وذلك حين أرسلت عصابة شتيرن اثنين من رجالها إلى القاهرة حيث اغتالا الوزير وسائق سيارته ، وقد قبضت السلطات المصرية لحسن الحظ على القاتلين متلبسين وهما يحاولان الفرار ، وحوكما أمام محكمة مصرية قضت بإعدامهما شنقاً . والباحث يسجل على الإدارة الانتدابية البريطانية في فلسطين أنها لم تتخذ من الاجراءات القمعية بحق اليهود ما سبق أن اتخذته بحق العرب حين اغتيل الكولونيل اندروز حاكم الناصرة قبل سنوات ، واتجهت الشبهة نحو العرب دون أن يكون من دليل قاطع على اتهامهم . ومع ذلك قامت السلطات الانتدابية بتشريد المواطنين العرب ، وحل الهيئة العربية العليا، ونفى وسجن زعمائها مع المئات من العرب، ونسف المنازل وفرض الغرامات، الأمر الذي يشكل اتهاماً صارخاً للانكيز ، ودليلاً صادقاً على مبلغ تحيزهم .

ibid, p. 73

(١)

New York Times, Quoted in Kirk, p. 323

(٢)

إن الانكليز يعلمون جيداً أن اليهود في فلسطين مسئولون عن جرائم الإرهاب : أحزابهم وهيئاتهم ومنظماتهم ، من حزب التصحيحين إلى المجلس القومي (الملى) إلى الوكالة اليهودية . . . بدليل أنها عندما عازمت على وقف الإرهاب مؤقتاً كان لها ما أرادت ، لأنها خشيت من تغيير نصيرها تشرشل عليها . ومن لإحراجها أمام مجلس العموم حين يعرض مشروعاً موافياً للأهداف الصهيونية ، وخاصة بعد خطابه الذى ألقاه فى المجلس المذكور (١٧ تشرين الثانى — نوفمبر) وقسا فيه على السفاكين والإرهابيين عن قصد ، ليس فقط بغية إنذار الصهاينة من عواقب تطرفهم فحسب ، وإنما أيضاً دفعاً لحجج المعارضة التى تهمه بالتأييد المطلق للصهيونية . ويبدو من خطابه مدى ضلوعه فى المؤامرة الصهيونية على فلسطين : « إن هذه الجريمة المخجلة قد هزت العالم ، ولم يتأثر بها شخص أكثر منى ، لأنى كنت فى الماضى صديقاً وفاقاً من أصدقاء اليهود ، ومن المخططين الدائمين لمستقبلهم . وإذا كان لأحلامنا الصهيونية أن تتبدد مع دخان مسدسات القنلة ، وإذا كان لمساعدينا من أجل مستقبلها أن تنجب مجموعة جديدة من الأشقياء الذين تصلح لهم ألمانيا النازية ، فإن الكثيرين مثلى سوف يتعين عليهم أن يعيدوا النظر فى الموقف الذى التزمناه باستمرار ، ولوقت طويل فى الماضى . ولئن كان هناك أمل بالسلام وبمستقبل ناجح للصهيونية ، فلا بد لهذه الأعمال الشريرة من أن تتوقف ومن أن يقضى على المسئولين عنها ، أصلاً وفرعاً (١) . » وأعلن تشرشل أن لحكومته الحق فى أن تطلب وتلقى العون الكامل من الجماعة اليهودية لنبد أفراد هذه العصابة المخربة وإنهاء الإرهاب بسرعة (٢) . وكان تشرشل قبل عشرة أيام قد استنكر اغتيال موين ، ووصفه بأنه « صديق شخصى وخادم أمين للدولة ، وقال إن هذا الاغتيال يجب شجبه نظراً

Survey of Palestine, op. cit., p. 73

(١)

ibid. & New York Times, Nov. 18, 1944, Quoted in Esco, (٢)

op. cit., II, pp. 1047-48

للحقيقة الواضحة بأن اللورد موين قد نذر نفسه طوال العام لإيجاد حل
للسألة الصهيونية ، وأن اليهود في فلسطين لم يفقدوا صديقاً أفضل ولا أكثر
دراية منه إلا نادراً .

وكان يسهل على الهيئات اليهودية الرسمية في فلسطين أن تندد بالإرهابيين،
وكانوا يزنون وغيره من « المعتدلين » قد « استهجنوا » في عدة مناسبات
عمليات الأرغون وشنيرين على أنه من الضروري أن نشير هنا إلى أن
بن غوريون ، وهو الذي أصبح أكثر الزعماء الصهاينة نفوذاً في فلسطين ،
قد رفض بشدة أن يقوم بأي عمل معاد لمحركي الفتن اليهود في الفترة الأولى
من الحرب كما رأينا . وسنرى فيما بعد أن الوكالة اليهودية ستضلع علناً مع
الإرهابيين الذين تظاهروا باستنكار فاعلمهم ، وستشارك منظماتها العسكرية
(الهاغانا) في عملياتهم ، وكانت محاكمات السلاح التي أشرنا إليها سابقاً قد
كشفت عن تواطؤ الهاغانا وزعماء الوكالة اليهودية في الحصول على المحرم
من الأسلحة المسروقة من المعسكرات البريطانية . ومن جهة أخرى فقد
خطب بن غوريون في قسم الشباب بحزب الماباي (أيلول - سبتمبر ١٩٤٤)
حول ضرورات الثورة اليهودية ، وطلب من الشبان اليهود ولاءً فورياً للثورة
اليهودية ؛ ولاءً بالمشاعر والإرادة ، بالفكر والعمل . . وبالحياة . وأشار
إلى بطولة بار كوكبا اليهودي الذي كانت ثورته ضد الرومان أخرج جده شجاع
لاسترداد الحرية بالسيف ، كما أنه باضطهاد اليهود في كثير من البلدان الأوروبية
بسبب يهوديتهم وبسبب اختلافهم عن بقية الشعوب الأخرى ، « وبرغم كل
تلك الفواجع احتفظوا بتميزهم » (١) . أليس هذا التميز الذي يخص اليهود
أنفسهم به هو الذي جر تلك الفواجع عليهم ؟ أليس يغري هذا الخطاب
بانتزاع السيادة على فلسطين بحمد السيف ، ومتابعة الإرهاب حتى تضطر
بريطانيا للسماح بالهجرة وإطلاق يد اليهود بأكثر مما فعلت ، في فلسطين .

إن موافقة الهيئات الرسمية اليهودية على فعال الإرهاب الصهيوني تبدو أيضاً من خلال وصف كاتب لا ينقصه التعاطف مع الصهيونية ، لما جرى بعد اغتيال موين ، وذلك في ساعة تجلّ فيها سخطه كبيراً على هذه الجريمة النكراء . يقول سايكس :

« وراحت الوكالة اليهودية تخرج على سياستها السابقة فتعرض الآن تعاون الهاغانا الكامل مع بوليس الدولة المنتدبة في تعقبها للإرهابيين . وتم في غضون الشهور الستة التالية اعتقال ٢٧٩ من أعضاء شتيرن والارغون وإبعادهم عن البلاد (إلى أرتيرية ثم إلى السودان) . وطلبت الوكالة من يهود فلسطين أن يلبثوا عن أعضاء العصابتين إلى الهاغانا ، وأن يرفضوا إيواءهم ولكن لم يكن في وسع اليهود ، حتى من البعيدين عن اتجاه شتيرن والارغون إطاعة هذا الأمر ، فقد كان التبليغ عنهم يعنى اعتقالهم ، وهو يعنى بدوره تسليم (يهود) إلى عقاب (الآغار) ، مما يتعارض مع الروح العنصرية المتأصلة في نفوس اليهود ، ومع طريقتهم في الحياة ، وأدى هذا الموقف الذي تمثل في رفض تقديم المعونة الفعلية إلى البوليس في حملتهم ضد الارغون وشتيرن ، إلى إقناع السلطات المنتدبة على جميع المستويات ، باتساع العنصر الإجرامى بين اليهود ، بأن هذا العنصر يلقى عوناً أوسع من الشعب اليهودى كله ، (١) . ولم يلبث الإرهاب أن هدأ مؤقتاً نتيجة تصميم الموجهين الحقيقيين له على وقفه ، وهم زعماء الصهاينة ، لما أثاره من سخط تشرشل وحكومته ، ولما أثارته فعال الإرهاب من الاشتزاز ، أكثر من نتيجة التدابير التي تظاهرت باتخاذها الهيئات الرسمية اليهودية في فلسطين .

ومهما يكن من أمر دوافع اغتيال موين ، فربما كان واحداً منها ما وصف بأنه بيان صريح مناهض للصهيونية في مجلس اللوردات ، وذلك حين صرح

بأن فلسطين قد استوعبت أكثر من طاقتها ، وإن مشكل إحضار مزيد من اليهود إليها كمثل محاولة وضع ثلاثة قذور في قدر واحد تماماً . وقال موين في خطابه : « إذا أمكن التغلب على المخاوف من السيطرة اليهودية ، فإن سورية ولبنان وشرق الأردن يمكن أن تقدم بعض الإمكانيات لاستيعاب المهجرة اليهودية » ؛ ولكنه استدرك فقال : « إن هذه البلدان قد وصلت إلى حدّ الاشباع في سكانها أيضاً (١) » .

وقد اتهم كاتب صهيوني اللورد موين بأنه كان مشغولاً بإعداد (الجامعة العربية) كقوة مناهضة للصهيونية . وبأنه عندما كان وزيراً للمستعمرات عامي ١٩٤١ و ١٩٤٢ عارض بشدة المهجرة اليهودية ، وأعلن في مجلس اللوردات (٩ حزيران - يونيو ١٩٤٢) أن اليهود ليسوا من نسل العبرانيين القدامى ، وليس لهم أية دعوى مشروعة في الأرض المقدسة ، وأن موين كان العدو الحاقد على الاستقلال العبراني ، (٢) .

وقد جاء في نشرة وزعتها عصابة شتيرن في تل أبيب يوم ١٦ تشرين الثاني — نوفمبر ١٩٤٤ أنها اتهم اللورد موين بأنه عدو لأمانى الشعب اليهودى فى الحرية داخل « بلاده » . وصرحت النشرة أن موين « كان يحاول — كوزير دولة بريطانى مقيم فى القاهرة — أن يحصر السكان العرب على مهاجمة الشعب اليهودى ، وذلك لتسويغ وتبرير السياسة البريطانية المعادية لليهود . وإن عملاء موين قد بدأوا يوزعون السلاح على العرب حتى يتمكنوا من القيام بهجوم على اليهود » (٣) . وهذا زعم لا يستحق الردّ المفصل ؛

Parliamentary Debates, Lords. cols. 196- 200, Esco,ibid. (١)
pp. 1030 - 31

Zaar, Isaac, « Rescue & Liberation » : America's Part in (٢)
the Birth of Israel. (N.Y. 1954) p. 115

Kirk, op. cit., footnote, p. 324

(٣)

فلو كان موين عدواً للصهيونية لما عينه تشرشل الضالع مع الصهيونية دائماً، والمتفاخر بخدماته لها، وحرصه على تأييدها، وزيراً للدولة في الشرق الأوسط، إثر تقاعده ريتشارد كيزي في شهر نيسان — أبريل ١٩٤٤، وهو منصب أوجده تشرشل نفسه.

وزعم صهيوني آخر يرى أن مكتب وزارة الشرق الأوسط في القاهرة كان يضم عدداً من الموظفين المعادين للصهيونية والقادرين على توجيه السياسة البريطانية. وإن ايلتيد كلايتون المعروف باطلاعه على الشئون العربية وبميله للعرب، كان صلة الوصل بين هؤلاء الموظفين البريطانيين، وبين الساسة المجتمعين يومذاك للداولة في الوحدة العربية. وإن عهد موين قد شهد مؤتمر الاسكندرية الذي عقده الزعماء العرب في شهر تشرين الأول — أكتوبر ١٩٤٤، والذي صدر عنه بروتوكول يدعو الحكومة البريطانية للتعاون على أساس الكتاب الأبيض، ويهدد بعدم التعاون معها في حالة تخليها عن هذا الكتاب. كما أشار البروتوكول إلى وعود الحكومة البريطانية المتعلقة بوقف الهجرة اليهودية^(١). ولكن هذا الزعم يتهاافت بما ثبت من أن مؤتمر الاسكندرية — برغم أن الدعوة لتحقيق خطواته الأولى على طريق الاتحاد العربي كانت بوحى بريطانيا وتوجيهها — إلا أن بريطانيا لم تتول إدارته وتوجيهه. وسنرى أن بريطانيا لم تستطع أن تفرض مخططاتها للمنطقة العربية لفترة ما بعد الحرب، على الزعماء العرب، وذلك حين سنشير إلى علاقة موضوع فلسطين بتلك المخططات. وليس من دليل واحد على انحياز اللورد موين او كلايتون للعرب، إلا إذا كانت الصهيونية تعتبر أن قيامهما بأعباء وظيفتهما ومتعضياتهما يدمغهما بهذا التحيز. بالعكس، فهناك ما يثبت أن موين كان منحازاً لليهود مؤخراً، ليس فقط لما شهد به تشرشل عن تغييره

وتطوره — مع أن ما قاله بصدد اليهود ودعواهم في فلسطين لوصحّ لكان
أمراً يدل على منطقته السليم وعدم تأثره بالدعاية الصهيونية المضلّة - وإلّا
أيضاً بما هو معلوم عن اجتماعه بأحد قادة عصاة الارغون البارزين اجتماعاً
ودياً ، اطلع موين خلاله الإرهابي الصهيوني على نوايا بريطانيا الطيبة تجاه
اليهود (١) ومن فاحية أخرى رفض موين أن يدعو كلايتون أحد موظفيه
المرموقين في مكتب وزارته بالقاهرة ، إلى حفلة العشاء التي أقامها موين للورد
غورت Gort المندوب السامي الجديد في فلسطين ، حين مرّ بالقاهرة وهو في
طريقه الى مقرّ عمله الجديد في فلسطين ، وقد خشى موين أن يوحى كلايتون
للمندوب السامي الجديد فيتحيز ضد اليهود (٢) .

* * *

الفصل الخامس

فلسطين ما بعد الحرب

بين تفكك الجبهة العربية وتماسك الاستراتيجية الصهيونية

بريطانية والعرب وفلسطين :

وصف تشرشل اللورد موين لوايزمن بأنه « تغير وتطور خلال السنين الماضيتين » ، وحضه على مقابلة موين في القاهرة أثناء رحلة وايزمن الوشكة الى فلسطين . وقد جرى هذا الحديث في ٤ تشرين الثاني — نوفمبر ١٩٤٤ أى قبل يومين من اغتيال اللورد موين ، وذلك أثناء طعام الغداء الذى تناوله وايزمن فى منزل تشرشل الصيفى فى تشيكرز ، وحضره أيضاً شقيق تشرشل المستر جون ، والسير جون مارتين ، وسكرتير تشرشل الميجر طومسون . وفيه أكد تشرشل لوايزمن من جديد تأييد الحكومة البريطانية لمشروع سيادة اليهود الكاملة على جزء مستقل من فلسطين ، وذكروا وايزمن أن تشرشل قال له آنذاك إنه مؤيد أيضاً لإدخال (النقب) فى الدولة اليهودية المقترحة (١) . وقد سجل وايزمن كذلك أن تشرشل كان قد أبلغه فى مطلع شهر أيلول — سبتمبر ١٩٤٣ قرار اللجنة الوزارية الخاصة ، بشأن سيادة اليهود على جزء من فلسطين . وذكروا ساكر الصهيونى الذى شهدناه سكرتيراً خاصاً لوايزمن أثناء اتصال هذا بلجنة بيل فى فلسطين ، أن تشرشل كان قد شكل لجنة وزارية لتضع خطة لتقسيم فلسطين ، تكون على نسق خطة

بيل^(١) (١٩٣٧) . وبعد ذلك صرح أوليفر ستانلي وزير المستعمرات في مجلس العموم أنه تقرر تقسيم فلسطين إلى منطقتين عربية ويهودية ؛ على أن تكون المنطقة العربية منهما (إذا شاء سكانها) جزءاً من بلاد عربية أخرى ، وعلى أن تحتفظ بريطانيا بإدارة (جيب) في القدس . ويظهر أن المشروع الذي لم تشر تفاصيله رسمياً ، يشابه مشروع بيل مع ميل أكثر لتلبية المطالب اليهودية .

ولكن مكتب الوكالة اليهودية في لندن اعترض على مبدأ التقسيم في مذكرة بعث بها إلى وزارة المستعمرات (تشرين الأول - أكتوبر ١٩٤٤) ، وناقشها وايزمن مع تشرشل ، فأجاب هذا أن مراجعة قضية فلسطين ستجرى بعد نهاية الحرب مع ألمانيا . وطلبت المذكرة أن تصبح فلسطين كومنولثاً يهودياً ، وفلسطين هنا هي جميع ما يقع غربي نهر الأردن . وقد عبرت المذكرة عن الأمل في أن الدولة اليهودية « سوف ترتبط ارتباطاً عضوياً مع الكومنولث البريطاني » . أما التقسيم فالوكالة « سوف تنظر بالأسى العميق إلى أية محاولة لبعثه » ، ففي رأيها : « ان التقسيم سيكون ممتناً لحياة الدولة اليهودية » ، وأنه سوف يفرق جميع فرص التنمية الواسعة . ويبدو من هذه العبارة أن الوكالة اليهودية لم تغلق الباب بقوة أمام مناقشة التقسيم كأساس ممكن للتسوية ؛ وقد بدأ تصريح الوكالة الرسمي وكأنما أملته اعتبارات المساومة الدبلوماسية القادمة ، إذ ليس من الحكمة أن تلزم الوكالة اليهودية نفسها بمشروع معين للتقسيم في مؤتمر الصلح المقبل^(٢) . وقد أظهر تشرشل وستانلي عطفهما على المناقشة الرقيقة التي وردت في صيغة الاحتجاج ، وأوضحا لوايزمن أن التقسيم هو أقصى ما يستطيعانه دون تحطيم سياسات

Sacher, Harry « Israel, the Establishment of a State » , (١)
London 1952, p. 26

Hurewitz. op. cit. p. 204

(٢)

الترضية التي تجد الحكومة البريطانية نفسها ملزمة باتباعها في البلدان العربية الأخرى . ومن ناحية أخرى فإن بريطانيا كانت ترغب في حل مسألة فلسطين ضمن إطار نظام سياسي تقيمه لدول المنطقة العربية ، وتمارس الجماعات اليهودية في نطاقه نوعاً من الاستقلال . ذلك أن السياسة البريطانية بدأت تعد خطتها لمستقبل علاقاتها مع بلدان الشرق الأوسط عموماً ، والشرق العربي خصوصاً ، بعد أن ابتعد خطر النازي نهائياً عن المنطقة العربية ؛ وبعد أن برزت الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي كدولتين متنافستين ، ومنافستين لبريطانيا .

ولم يخف على بريطانيا أن القومية العربية في وضعها الراهن يومذاك كانت لا تقدر على جمع شمل دول الشرق العربي ، لما بين رؤساء العرب وملوكهم وحكامهم من تنافر وفرقة . ولكن مصلحة بريطانيا في التظاهر بتأييد قيام نظام اتحادى عربى من نوع هزيل وقد افترضت أنها سيوا إليها - واضحة لا تحتاج إلى دليل ؛ فالموصلات الامبراطورية ، والبترول العربى والإيراني ، والصلاات الإمبراطورية الأخرى كلها يتوقف مصيرها على مصير الشرق العربى . فإذا تسركت أقطاره السبعة تسير وفق أهواء حكامها ، فالنتيجة لن تكون في صالح بريطانيا التي تحرص على استقرار الأمر لها وحدها في المنطقة ، كما تحرص على ارتباط أقطاره بها ، إزاء أى طارق أجنبي يطمع في أسواقها ومواردها الطبيعية وموقعها . بشرط أن لا يؤدي ذلك إلى توثق العلاقات الاتحادية العربية ، فتهدد بريطانيا التي لا تزال تعتبر أن أى وحدة عربية هي بمثابة تهديد خطير جداً لجميع مصالحها الأساسية . وعداؤها للوحدة العربية واضح لا يحتاج إلى دليل ، وهو صحيح اليوم كما كان صحيحاً أيام محمد على عزيز مصر الذى أوجد دولة موحدة من أقطار الشرق العربى بحكم الأمر الواقع ، فسارعت بريطانيا إلى إسقاطه .

ولعل بريطانيا تحققت بعد تجاربها المريرة في فلسطين أن مشكلتها سوف تبقى عاملاً من عوامل الاضطراب في الشرق الأوسط لفترة غير محددة ، حتى تدخل الدول العريضة بمجموعها لتقترح حلاً تتحمل نتائجه ، فتخرج بريطانيا من «دوريتها» وتطلقها من مسئوليتها لإزاء العرب فحسب ، وإنما أيضاً لإزاء الصهاينة والدوائر العاطفة عليهم في انكلترا والولايات المتحدة . ويبدو أن معظم خبراء الشرق الأوسط من البريطانيين أجمعوا على أن حل مشكلة فلسطين يتوقف على اندماج فلسطين في اتحاد عربي ، يستحسن أن تكون أول مرحلة فيه اتحاد أقطار سورية الأربعة : سورية ، لبنان ، شرق الأردن وفلسطين ، على وجه لا يشكل خطراً على المصالح البريطانية في المنطقة العربية .

إن استقرار المنطقة العربية في هيئة نظام اتحاد عربي يهيء لبريطانيا فرص انقاص إشرافها السياسي ، وتحقيق ما تصبو إليه عن طريق الربط والتفسيق معه ، ومن هنا أوحى بريطانيا إلى ممثليها السياسيين في المنطقة كي يعملوا سراً على تلبية نداءات مشاريع الاتحاد الجزئي الصادرة من عمان وبغداد : سورية الكبرى أو الهلال الخصيب فبرز مشروع سورية الكبرى ومشروع الهلال الخصيب في جو المباحثات والمداولات التي كانت تدور يومذاك للوصول إلى صيغة اتحادية مرضية يقبلها جميع الزعماء العرب المشتركين فيها . ولكن طرح هذين المشروعين أشاع جوّاً من عدم الثقة وضاعف من نزعة الحذر والتوجس بين الزعماء العرب في المداولات . وأسهم جدياً في إخراج الاتحاد العربي على النحو المهمل الذي ظهر في شكل جامعة الدول العربية (١) .

وبهذه في المشروعين اللذين تقدم بهما الهاشميون في شرق الأردن والعراق

(١) انظر « أحمد طربين : الوحدة العربية في تاريخ المشرق المعاصر » (١٨٠٠) —

(١٩٥٨) دمشق

آنذاك ، أن أولهما - سورية الكبرى - تضمن الاعتراف باستقلال الدولة السورية الموحدة التي تشتمل على سورية الشمالية ولبنان وشرق الأردن وفلسطين مع إدارة خاصة مع لبنان القديم ، وفي فلسطين لحفظ حقوق الأقلية اليهودية وإلغاء وعد بلفور ، أو تفسيره تفسيراً يلغى مخاوف العالمين العربي والإسلامي. وثانيهما (إهلال الخصب) بمنح اليهود بموجبه شبه حكم ذاتي في فلسطين ، ويكون لهم الحق في إدارة أقاليمهم في المدن والريف ، بما في هذا المدارس والمؤسسات الصحية والبوليس ، مع الخضوع لإشراف الدولة السورية التي تتوحد من جديد وتضم سورية ولبنان وشرق الأردن في دولة موحدة ، ثم تنشأ جامعة عربية تنضم إليها العراق وسورية مباشرة ، ويمكن أن تنضم إليها الدول العربية الأخرى متى شاءت . وبذلك تعود فلسطين إلى مكانها كجزء من سورية التاريخية ، وبذلك لن يستبد الخوف بعرب فلسطين من التوسع اليهودي ، كما ستحس الجماعات اليهودية المقيمة الآن في فلسطين بطمأنينة أكثر ، ويمكن أن تمنح قدراً كبيراً من الحكم الذاتي المحلي ، في ظل شكل من أشكال الضمان الدولي إذا اعتبر هذا ضرورياً . وتكون القدس مدينة ، لمعتنق جميع الأديان حق الدخول إليها للحج والعبادة ، وتنشأ لجنة خاصة مؤلفة من ممثلي الأديان الثلاثة لضمان مثل هذا الأمر .

هذا إلى أن بعض المصادر الصهيونية أو الضالعة معها تشير إلى وجود مذكرة وضعها خبراء مكتب وزارة الدولة للشرق الأوسط (البريطانية) في القاهرة ، وهي تلخص الفلسفة السياسية التي يرى هؤلاء الخبراء اتباع خطوطها في تعامل دولتهم مع دول الشرق العربي وقد وزعت المذكرة على مؤتمر رابطة الشعوب البريطانية (الكومنولث) في شهر شباط - فبراير ١٩٤٥ (١) في لندن . ويورد الكاتب اليهودي الصهيوني ساكر بعض فقرات هذه المذكرة

(١) Sykes. op. cit., p. 304 وانظر ساكر - Sacher, op. cit., p. 30

في كتابه ، ولا ينسى أن يشن حملة شعواء على واضعيها ، الخبراء البريطانيين ،
« أصدقاء العرب » !

تبدأ المذكرة بمسألة بديهية تقول إن امتلاك الشرق الأوسط بالنسبة لفتح
عسكري يضع في يده مفتاح القوة العالمية . وتستنتج منه أن أهميته بالنسبة
لأنكلترا هي استراتيجية بحثة ، ولذا يجب إبعاد أية دولة قوية كبرى عنه .
وتجابه السياسة البريطانية لإزاء الشرق الأوسط بثلاثة احتمالات : حمايته ووقايته ،
احتلاله ، تشجيع الدول الصديقة القوية بما يكفي للدفاع عن نفسها بمعونة
بريطانيا ، دون أن يحتمل ذلك أن تشكل خطراً جدياً على بريطانيا . الاحتمال
الثالث هو المفضل ، ويتلخص بأن السياسة البريطانية يجب أن تهدف إلى خلق
جماعة متحدة من الدول العربية المستقلة ، المترابطة جماعات أو فرادى ببريطانيا
بالمعونة المتبادلة كي تحافظ على سلامة أراضيها . وتلك السياسة تنطوي على
نتيجتين — طرد الفرنسيين من سورية ولبنان ، والحيلولة دون قيام دولة
يهودية في فلسطين . ويسمح العرب لليهود « بوطن ثقافي وروحي » ، إذ يبدو
أنه يوجد سبب وجيه للاقتراض بأن نتائج استعادة حالة معقولة في أجزاء
العالم الأخرى ، هي إعادة تهجير أساسية لليهود من فلسطين . وينبغي لبريطانيا أن
تضع سلسلة من المعاهدات مشابهة للمعاهدتين الانكلومصرية والانكلوعراقية
الحاضرتين لأنه « من المهم أن لا تغيب عنا درجة النجاح التي وصلنا إليها من
السياسة التي تعبر عنها هذه المعاهدات » . وقالت المذكرة إن نجاح مؤتمر
الاسكندرية (١٩٤٤) الذي أفضى إلى إنشاء جامعة الدول العربية . إنما يعزى
إلى أنه نتيجة خطاب شباط — فبراير ١٩٤٣ الذي ألقاه إيدن وزير الخارجية
البريطانية . وعن فلسطين ترى المذكرة أن القوميين العرب سوف يقبلون
الآن بالكتاب الأبيض ككامل ، ويجب أن تبقى فلسطين بلداً عربياً : « إن
الحكومة البريطانية تحاول أن تجد تسوية ، ولكنها في الحقيقة قد وجدت
التسوية الممكنة الوحيدة . اليهود يجب أن يقنعوا بما حصلوا عليه ، ويجب أن

يفتشوا في أمكنة أخرى عن حل لمسألة اليهودية الأوربية . إن الصهاينة لن يقبلوا رسمياً الكتاب الأبيض أبداً ، ولكن كثيرين منهم سوف يدعون إذا جرى تنفيذه بعزم . ويجب أن يدعم مركز بريطانيا العظمى بمفاوضات مع الدول العربية تخول بريطانيا استعمال المواقف القوية فيها . ويجب أن يوجد أداة للرقابة ولربط السياسة البريطانية في الشرق الأدنى . ولذا يجب إبقاء مركز وزير الدولة البريطاني في القاهرة (١) .

ومهما يكن من أمر ، فإن هذه واحدة من الخطط البريطانية الموضوعة لمواجهة مشاكل المنطقة العربية في فترة ما بعد الحرب . ومن الطبيعي أن يرسم الخبراء البريطانيون في وزارة الشرق الأوسط بالقاهرة ، صورة لما يرونه أقرب إلى تحقيق أهداف السياسة البريطانية ومصالحها في المنطقة العربية . والحق أن هذه الخطة تنطوي ، من الزاوية البريطانية ، على كثير من الحصافة وبعد النظر ولكنها لا يمكن بالضرورة أن تمثل ما يدور في خلد تشرشل وحكومته آنئذ ؛ ليس فقط بسبب ما قام به تشرشل من شجب خفي للكتاب الأبيض ، والحيلولة دون تنفيذ أمين لبندوه في الهجرة والأراضي والتقدم نحو الحكم الذاتي فحسب وإنما أيضاً ، وأهم من ذلك ، بسبب ما أعلنه تشرشل رسمياً (أيلول - سبتمبر ١٩٤٤) من أن اللواء اليهودي الذي استلمت الصهاينة في الضغط على الحكومة البريطانية لتسمح بتشكيله ، « لن يشارك في القتال بأوروبا ، وإنما في الاحتلال الذي سيتلوّه » . إن خلق اللواء اليهودي كان يدل على الشعور بالسائد بين أعضاء الوزارة البريطانية الذين لم يعودوا يفكرون بدولة فلسطينية موحدة - بحسب الكتاب الأبيض - وإنما بإنشاء دولة يهودية مستقلة في جزء من فلسطين على الأقل . وربما كان هذا عربوناً على نوايا ما بعد الحرب للحكومة البريطانية (٢) . وكل هذا يتناقض مع المساندة البريطانية لمساعي الاتحاد العربي القومي الذي قاومته وما زالت تقاومه حتى اليوم بكل إمكانياتها .

وقد رأينا أن منح هذا اللواء اليهودي، الذي عمل في إيطاليا، عليه الخاص، قد أتاح له أن يكون شعاراً للقومية اليهودية، وأن مكتب الوكالة اليهودية في لندن طلب في تشرين الأول - أكتوبر، وهو الشهر الذي تلا الإعلان عن اللواء اليهودي، من الحكومة البريطانية أن تقيم حكومة يهودية في فلسطين وأن تأذن بدخول البلاد للمليون ونصف من اليهود، وذلك لتوفير أغلبية كافية للمناداة بالدولة (١).

وبعد هذه المذكرة الصهيونية إلى الحكومة البريطانية، ناقش وايزمن الخطة المقترحة بعناية أكثر مع تشرشل في منزله الصيفي، ونجح وايزمن في هذا الاجتماع في الحصول على موافقة رئيس الوزراء البريطاني على فكرة الدولة اليهودية، وإن لم تكن في فلسطين كلها. وقد ذكر وايزمن في سيرته أن تشرشل سأله: «عما إذا كنا نعتزم إدخال أعداد كبيرة من اليهود إلى فلسطين، فقلت إننا نعتزم إدخال نحو من مائة ألف في السنة، ولمدة خمسة عشر عاماً. وتحدثت أيضاً عن العدد الكبير من الأطفال اليهود، الذين لا بدّ من نقلهم إلى فلسطين، وعلق تشرشل على ذلك بأن من واجب الحكومات المعنية أن ترعى هؤلاء الأطفال، وأن تقدم لنا المعونة المالية، وقد أجمعت بأن المشكلة المالية تغدو ثانوية الأهمية إذا اتضح الأفق السياسي (٢).» على أنه لو بقي المحافظون في الحكم، فمن المحتمل أن تعترف الحكومة البريطانية بالادعاءات الصهيونية بأقامة دولة في جزء محدد على الأقل من فلسطين، لا سيما وأن تشرشل قد أعلن لوايزمن عن تأييده لإدخال النقب في الدولة اليهودية المرتقبة (٣)، وما نصيحته لوايزمن بأن يعرج على القاهرة في طريقه إلى فلسطين لمقابلة اللورد موين، إلا من قبيل دراسة جميع جوانب مشروع

ibid., p. 205

(١)

Weizmann, op. cit., p. 536

(٢)

ibid

(٣)

الدولة اليهودية أو الوطن القومي اليهودي، كما كان يدعوه تشرشل، ولتكشف كل ما يتصل به، ولضمان النجاح. ولا عبء بظنون الإرهابيين الصهاينة من عصاة شتيرن وشبهاتهم في موين، لأن شهادة تشرشل به واعتماده كوزير في حكومته، وتوصية وايزمن بمقابلته، كل ذلك يفضي إلى الاستنتاج بأنه كان لثقة تشرشل بموين وبعدم تحيزه ضد الصهيونية ما يفسرها ويبررها.

وكان على وايزمن أن يقوم بزيارة فلسطين التي غاب عنها منذ عام ١٩٣٩، كي يعاين بنفسه ما جدّ على مسرحها، وكى «يحد» من موجة الإرهاب، ويقنع جماعات اليهود بأن بريطانيا ما زالت الصديقة الوفية الراغبة في خير اليهود. ويحدثنا وايزمن في سيرة حياته أنه أراد أن يمضى في فلسطين عيد ميلاده السبعين بعد غيابيه الطويل عنها. ورحل إلى فلسطين بعد يومين من اجتماعه بالمستر تشرشل، وبعث إليه بعد مصرع اللورد موين رسالة تستنكر الإرهاب، وتؤكد عزم يهود فلسطين على استئصال الشر أصلاً وفعراً من وسطهم^(١). وقال وايزمن إن اغتيال موين، وأن الإرهاب برمته لا تكن في عواقبه تغيير نوايا الحكومة البريطانية، وإنما أكثر من ذلك، في تزويد أعدائنا بمعذرة مناسبة، وفي معاوتهم على تبرير سلوكهم (تجاهنا) أمام محكمة الرأي العام^(٢).

ووصف وايزمن عودته إلى فلسطين وما جدّ من انحراف وتطرف لا مبرر لهما في سلوك جماعات اليهود. فقال: «كانت عودة رائعة بكل ما يتمناه القلب، أو لعلها كانت كذلك لولا وجود بعض الظواهر التي أورتني قلقاً خطيراً». ويستطرد وايزمن إلى امتداح ثبات يهود فلسطين أيام الخطر النازي الفاشي المتقدم نحو فلسطين. وأطرى المنجزات التي تمت

Weizmann, op. cit., p.538

(١)

ibid

(٢)

منذ غيابه ، في مجالات التقدم السياسى والاقتصادى ، إلى أن يقول : « وإلى جانب هذه التطورات كان ثمة مظاهر سلبية ، تنصل بها بعض الشيء ، نجمت عن الكبت المرير للأمال المشروعة . ثمة تراخ في الأخذ بنقاوة الخلق الصهيونى التقليدى القديم ، لوثة من النزعة العسكرية ... وهذا وهناك ما هو أسوأ — اللجوء الفاجع والعقيم وغير اليهودى إلى الإرهاب ، والانحراف عن الوظيفة الدفاعية البحتة للمهاجنا . وأسوأ من ذلك كله ظهور الاستعداد — فى بعض الأوساط — للإسهام فى الشر ، والإفادة منه على الصعيد السياسى . واستنكاره أو التقاعس عن استنكاره ، وعدم اعتباره لعنة تصيب الوطن القومى ، بل ظاهرة يمكن أن يكون لها فوائد » (١) ، ١

وبقى وايزمن فى فلسطين ١٦ أسبوعاً ، يلقي الخطب ويعقد المؤتمرات الصحفية . وكان توافاً بشكل خاص إلى تبديد الوهم السائد بأن دولة يهودية سوف تقوم حالاً فى فلسطين ، مع التأكيد بأن المرحلة النهائية لبناء الوطن القومى ستستمر فى طريقها المتدرج . وكان يريد إقناع اليهود بقبول مشروع التقسيم الذى كان بحث فيه مع تشرشل ، ومضى يقول لساميه ما قاله لتشرشل من ضرورة وجود فترة انتقالية لخمس سنوات أو عشرة ، قبل قيام الدولة اليهودية ، وفى أثناء هذه الفترة تستمر الهجرة اليهودية بمعدل مائة ألف سنوياً . وكان يرغب كذلك فى إعادة الفئات اليهودية التى رفضت برنامج بلمور إلى الخطيرة ، « ليلبدو يهود فلسطين موحدين غير منقسمين » ، فى هذه الساعة الحاسمة (٢) . وكان يسعى لتحسين العلاقات اليهودية مع بريطانيا ، فحاول أن يؤكد لساميه غير مرة أن تشرشل « هو رجل مخلص لنا » ، وذلك فى أعقاب خطاب تشرشل الذى أعلنه فى مجلس العموم وقال فيه إنه وأمثاله سيعيدون النظر فى موقفهم المؤيد للصهيونية إذا واصلت الصهيونية تأييدها

ibid. p. 539

(١)

Hurewitz, op. cit., p. 206

(٢)

لمثل هذه الجرائم ، وكان يشير إلى اغتيال اللورد موين . كذلك وصف وايزمن تشرشل بأنه « رجل يفتى بعهوده للصهيونية » .

ويبدو أنه طرأ تحسن على العلاقات بين الصهاينة والانكليز خلال زيارة وايزمن لفلسطين ، فقد سرّ اليهود خاصة من قرار المندوب السامي الجديد غورت ، وموافقة وزارة المستعمرات في شباط - فبراير ١٩٤٥ ، على السماح للاجئين اليهود غير الشرعيين الذين نقلوا إلى موريشيوس في ايلول - سبتمبر ١٩٤٠ باستيطان فلسطين^(١) . ولكن زيارة وايزمن لم تحقق أهدافها ؛ فدعوته لوحدة الصف اليهودي لم تسفر عن شيء . إذ ظل المنشقون عن برنامج بلمتور في موقفهم ، والإرهابيون رغم وقصم المؤقت لأعمال العنف كانوا يقومون بدعاية واسعة ، وأهم من ذلك أن وايزمن لم يستطع إقناع تنفيذية الوكالة اليهودية بسياسة المراحل « المعتدلة » التي كان يمارسها ويدعو إليها . واهتلت التنفيذة فرصة دفاع وايزمن عن خطته لزمها ، وأعلن شرتوك أن الوكالة اليهودية قدمت مذكرة إلى الحكومة البريطانية تعارض فيها تقسيم البلاد ، كما اقترح المجلس الملي (القومي) الفعاد لثومي في ٦ أيلول - سبتمبر على مشروع قرار بهذا المعنى ، فقال أكثرية ساحقة ، وقبل عودة وايزمن إلى انكلترا (آذار - مارس ١٩٤٥) نصح المجلس الداخلي الصهيوني العام أن لا يكون متشائماً ولا متفانلاً بغير ضرورة . وعبر عن اعتقاده « بأننا نقرب من أيام أفضل ، وأنا مقتنع بأن الشبان منا سوف يعيشون في دولة يهودية في فلسطين » . ولكن بن غوريون تحدث عن « كومنولث يهودي في وقتنا » . وذلك أثناء تقديمه وايزمن إلى مؤتمر انعقد في تل أبيب في نهاية كانون الأول - ديسمبر ١٩٤٤ ، وقال : « أرجو أن أصرّ على أن ما نحتاجه ليس هجرة على الطريقة القديمة ، ولكن نقل سكان ، ليس حركة بطيئة ، وإنما نقل سريع ،

(١) سمحت السلطات لـ ١٣٥٠ من اللاجئين اليهود الذين احتجزوا في موريشيوس إلى فلسطين واحتسبوا من الكوتا المحددة في الكتاب الأبيض بالعودة (Survey of Palestine, p. 81)

لا جزئياً بل كلياً ، (١) . وانضم الى بن غوريون غالبية حزب الماباي ، ومعظم الفئات المناهضة لوايزمن بما فيهم بعض التصحيحيين . وبدأ وايزمن وكأنه يتزعم الأقلية التي تعارض بن غوريون رئيس تنفيذية الوكالة اليهودية ، وبرناج بلمور الداعي لاقامة الدولة اليهودية فوراً .

والحق أن ما أضعف أسلوب وايزمن « المتدرج » ، هو الدعم الجديد وغير المتوقع الذي لقيه دعاة الدولة اليهودية وأنصار بن غوريون من حزب العمال البريطاني ؛ فقد أصدر حزب العمال الذي يؤيد عادة وجهة النظر الصهيونية ، قراراً موافقاً للصهيونية في مؤتمره السنوي (كانون الأول - ديسمبر ١٩٤٤) في نفس الشهر الذي أيد فيه الفعاد لثومي برناج بلمور في فلسطين ، وفيما يلي نص القرار وهو بعنوان : « من تصريح بشأن « التسوية الدولية بعد الحرب » سنة ١٩٤٤ ونصه : « لقد اتخذ مؤتمر حزب العمال البريطاني هذا القرار ، في كانون الأول - ديسمبر ١٩٤٤ :

«هنا نحن أولاء قد وقفنا في مفترق الطرق حائرين بين السياسات المتناقضة . ولكن الشيء الأكيد هو أنه لا أمل ولا معنى لـ (وطن قومي لليهود) مالم نكن على استعداد للسماح لليهود (إن هم رغبوا) في دخول هذه البلاد الصغيرة (فلسطين) بأعداد كبيرة لكي يصبحوا أكثرية ، لقد كانت هناك دعوى قوية لهذه الغاية قبل الحرب . وتوجد اليوم دعوى لا تقاوم الآن ، بعد وقوع الفظائع التي لا توصف لخطوة النازي المرسومة عمداً لقتل جميع يهود أوروبا . ويوجد هنا في فلسطين بالتأكيد أيضاً دعوى تقوم على اعتبارات إنسانية لإنجاح استيطان ثابت ونقل السكان . فليشجع العرب على الخروج بينما اليهود يدخلون . وليجزل لهم في التعويض عن أراضيهم ، وينظم استيطانهم بعناية في أماكن أخرى ويمول بكرم . أن للعرب مناطق واسعة تخصهم وحدهم ،

فيجب أن لا يطالبوا بإخراج اليهود من فلسطين الضيقة والتي تقل عن مساحة ويلز، وبالحقيقة يجب علينا أن نعيد دراسة امكانية توسيع حدود فلسطين الحالية بالاتفاق مع مصر وسورية وشرق الأردن . وبالإضافة الى ذلك يجب أن نسعى لكسب عطف وتأييد كل من الحكومتين الأمريكية والروسية في تنفيذ هذه السياسة الفلسطينية ، (١)

وكذلك تضمن بيان حزب الأحرار الصادر عن مؤتمر لندن (شباط - فبراير ١٩٤٥) خطة مواتية للصهيونية زعمت أن الشرف البريطاني والمصلحة يتطلبان إسقاط الحكومة لسياسة الكتاب الأبيض . وتنفيذ التزاماتها بأمانة نحو صك الانتداب ، ووعدها بلفور (٢) .

ومهما كان من شأن انحياز تشرشل الى الصهيونية ، فلم يكن بمقدوره آنذاك أن يمتنع إلى أبعد من حدود مشروع التقسيم الذي وضعه أوليفر ستانلي وزير المستعمرات . بل إنه كان مضطراً - في حالة تقديمه المشروع إلى البرلمان - لقبول بعض التعديلات التي لا يرضاها . وقد ثبت بعد زيارة وايزمن لفلسطين أن مثل هذا المشروع سيرفضه يهود فلسطين ، بعد قرار حزب العمال في بريطانيا ، وبعد المصادقة على برنامج بلمتور في الولايات المتحدة وبريطانيا وفلسطين ، مما دفع الهيئات اليهودية في فلسطين نحو التطرف وعدم القبول بأقل من إقامة دولة يهودية فوراً (٣) . ولا شك في أن حزب العمال الذي سوف يستلم السلطة في بريطانيا بعد سنة ونصف كان يفقد لبعد النظر الضروري للاحاطة بأحوال المنطقة العربية عامة . إن يانه يسدى

(١) الوثائق الرئيسية - المصدر السابق ص ٣٤٤ مع بعض التصرف في الترجمة من الأصل الانكليزي من الباحث .

Hurewitz op. cit.. p. 215 (٢)

Sykes. op.cit..p. 313 (٣)

الاستعداد لركوب المركب الخشن تجاه حق عرب فلسطين في أن يعيشوا حيث عاش آباؤهم لقرون خلت . إن حماية « حقوقهم المدنية » قد أكدتها صك الانتداب ووعد بلفور ، الأمر الذي يدل على عمالية سياسية تامة وعدم تبصر بالعواقب التي سيخلفها هذا البيان المنحاز في نفوس العرب القوميين الراعين .

ولا مراة في أن حزب العمال قد وضع نفسه في هذا المأزق السياسي بإصغائه إلى الأباطيل المنمقة والأضاليل البارة المتشبهة التي أقسمت بها خطب الأعضاء اليهود في حزب العمال (١) ، تماماً كما جرى في الولايات المتحدة حيث اجتذب الصهاينة كلا الحزبين إلى مناصرة برنامج بلمور . وبينما تملكت الخارجية الأمريكية آنذاك . وضائق بمناورات الصهاينة لدى الحزبين الجمهوري والديموقراطي التي تهدف إلى توريث الأمريكيين في مأزق معقد يتنافى مع المصلحة الأمريكية العليا ، فإنها وصفت بيان الحزب الجمهوري الذي صدر في حزيران - يونية ١٩٤٤ بأنه غير مسئول وغير بناء (٢) ؛ كذلك سيكون موقفهم من بيان الحزب الديموقراطي الذي صدر في تموز - يولية أيضاً . وقد عبرت حتى الصحف البريطانية المستقلة عن تبرمها بسبب موقف التحيز الذي اندفع إليه حزب العمال بشكل يفوق ما توقعه الصهيونية نفسها آنئذ ، وبسبب البيانات اللامسؤولة التي صدرت عن الحزبين في الولايات المتحدة . وقد أذرت صحيفة بريطانية حزب العمال بأن أية محاولة لتنفيذ مقترحاته ستؤدي إلى مواجهة بريطانيا للحرب في الشرق الأوسط ، كذلك عكست بعض الصحف البريطانية ازعاج البريطانيين من معالجة الدوائر الأمريكية الرسمية والسياسية لقضية فلسطين ؛ فقد لاحظت صحيفة الإيكونوميست

Kirk. op. cit. p. 318

(١)

Christian Science Monitor 28 June 1944

(٢)

أن الكونغرس في مناقشته للقرارات المؤيدة للصهيونية « قد منح نفسه ترف النقد من حيث لانيّة لديه للعمل البناء ، وهو إنما يقترح الحلول الايجابية دون أن يكون لديه لا القوة ولا النية لفرضها » . وصرحت صحيفة التايمس أن « بنى الجمهوريين والديموقراطيين لبرامج موالية للصهيونية ، قد استوحى من التأيد الاصيل لليهود ، وكذلك من الضرورة البديهية لضمان نيويورك (١) » .

صورة الجبهة العربية خارج فلسطين وداخلها :

نشط العرب في سبيل حل قضاياهم وخاعة قضية فلسطين ، أثناء الحرب الدائرة ، ولكن جهودهم في هذا النشاط كانت مبعثرة من ناحية ، ووقائية من ناحية أخرى . فبينما كانت الصهيونية تكتل اليهود حول شعار وجوب توطين يهود أوروبا المحتشدين في المعسكرات ، في فلسطين ، كانت معظم الأقطار العربية لا تشعر بفداحة الخطر على عروبة فلسطين كما يشعر بها أبناء فلسطين .

وبينما كانت المخططات والشعارات الصهيونية تشكل نغمة دائمة في النشاط الدعاي والدبلوماسي على النطاق الشعبي والبرلماني والرسمي ، في الولايات المتحدة وبريطانيا وفي بعض العواصم الأوربية خارج النفوذ المحوري ، فتبرع في عرضها وشرحها وتلفيق الشواهد عليها ، وتثيرها بتصميم وعناد وصفافة ، دون ملل أو ضجر . مراراً وتكراراً ، كانت المواقف السياسية العربية تتصف بالصفة الوقائية والدفاعية ، تاركة الميدان فسيحاً للناورات والمبادرات الصهيونية ؛ فالصهيونية منذ تسالت إلى فلسطين بحماية الاستعمار البريطاني ، كانت تثير في العرب القضية تلو القضية ضاربة على هذه النغمة

أو تلك ، ويقف العرب إزاء هذه الحملات موقفاً وقائياً دفاعياً محضاً ، فلا يحركون القضايا في وجه الصهيونية السياسية ومن يؤازرها ، بقدر ما يردون على مبادراتها وافتراءاتها ودعائياتها حين توحى لهم بالخطر وسوء العاقبة . وعندئذ يظهر العسرب القلق والاضطراب ، ويسارعون إلى الاستنكار والاحتجاج ، عن طريق حكوماتهم وبرلماناتهم وهيئاتهم . فعل العرب ذلك حين وصلتهم أنباء النشاط الصهيوني المركز في الكونغرس الأمريكي ، حيث قرر مجلسا النواب والشيوخ مساندة الصهاينة في إقامة دولة يهودية . وفعلوا ذلك حين وصلهم نبأ قرار حزب العمال البريطاني الذي دعا إلى توطين اليهود في فلسطين وإخراج العرب منها .

وكان النشاط العربي المضاد يبرز حين تجرى السنة الصهاينة الخطباء بمطامعهم ومزاعمهم في التصريحات السياسية أو في المؤتمرات الصهيونية وما إليها . وقد بذلت بعض الجهود في بعض العواصم العربية للحد من النشاط الصهيوني في أقطار سورية ولبنان والعراق ومصر ، تضم بعض الرجال البارزين ، كرؤساء الوزارة والوزراء السابقين وأعضاء البرلمان ؛ وقامت بجهود دعائية مضادة متواضعة في الدفاع عن الحق العربي وإرسال مذكرات الاحتجاج والاستنكار دون أن تفضي إلى وقف التحيز السافر للصهيونية ومخططاتها إلا فيما تسجله من تظاهر بتوضيح موقف سالف ، ووعد بإجراء العدل ، بين الطرفين . وقام بالدفاع عن الحق العربي أيضاً فريق من أبناء الجاليات العربية في أمريكا الشمالية ، ونشط مسلبو الهند في الاحتجاج على بريطانيا بالتزام جانب العدل والمنطق السليم . وفي الوقت نفسه عقدت مؤتمرات شعبية في العراق والأردن وأعلنت تأييدها لعروبة فلسطين واستعدادها للتضحية في سبيلها .

وفي فلسطين بذل من يق من زعمائها ما وسعهم لاستنكار النشاط الصهيوني والاستعماري ، على الرغم من أن الزعامة الفلسطينية الرئيسية كانت غائبة عن المسرح السياسي ، مشردة أو منفية (الحاج أمين الحسيني لاجئاً الى برلين ، تلاحقه الدعاية الصهيونية الماكرة في محاولة يائسة لسمعه بالصلوع مع المحور . وجمال الحسيني وأمين التميمي وغيرهما من المنفيين في سيشل ، تحول المساعي الصهيونية الحثيثة للتيسل منهم كيلا تسمح لهم السلطات البريطانية بالعودة إلى فلسطين) .

والحق ان عرب فلسطين ، والعرب عموماً ، فشلوا في معظم المعارك التي خاضوها لإيقاد عروبة فلسطين ، باعتبار أنهم كانوا غالباً ما يثقون بسياسة « المطالبات » : مطالبة بوقف الهجرة اليهودية ، مطالبة بمنع انتقال الأراضي لليهود ، مطالبة بإلغاء الوطن القومي اليهودي ، مطالبة بإبطال الانتداب ، ومطالبة بالاستقلال . . . وكأنما غاب عن العرب أن مثل هذه الأمور الحيوية لا تطلب وإنما تؤخذ . وما انفك العرب - جميع العرب - يطالبون ، منذ إصدار وعد بلفور حتى منتصف الأربعينات ، وما بعدها ، ولا أحد يصنئ إليهم ، أو يكلف نفسه عناء دراسة مطالبهم ووجهات نظرهم . وقد علم العرب يومذاك ، في فلسطين وخارجها ، أنهم لم يدركوا بعض ما طالبوا به إلا عندما كفوا عن المطالبة ، وبدأوا النضال السياسي الشعبي والثوري ، لانتزاع حقوقهم بأنفسهم (ثورة ١٩٢٩ والكتاب الأبيض الذي تلاها ١٩٣٠ ، وثورة ١٩٣٦ - ١٩٣٩ والكتاب الأبيض الذي أعقبها ١٩٣٩) . وبما أن المشكلة الرئيسية في رأى عرب فلسطين هي مشكلة الاستقلال - إستقلال فلسطين ، فقد قرر مؤتمر البلديات المنتخبة ، « المطالبة » بالسير في المراحل الدستورية الموعودة في الكتاب الأبيض . وكان المؤتمرون على حق في تركيزهم على الاستقلال ، لأن العرب طالما كانوا يشكلون غالبية السكان في فلسطين ، فإنه يغدوا بمستطاعهم مع مراعاتهم لوضع الأقلية اليهودية - أن يلزموها باحترام حقوقهم وبالنصياح إلى آرائهم الغالبة في مشاكل أخرى لا تقل أهمية عن

الاستقلال ، وهى مشاكل الهجرة ويوع الأراضى وسواها . أما اليهود فلم تكن مشكلة الاستقلال هى الرئيسية لديهم ، وإنما مشكلة الهجرة التى يطمحون بواسطتها أن يصبحوا غالبية .

وربما فسر البعض فشل العرب فى ساوك سبل النضال التى أثبتت جدواها ثوراتهم الماضية ، بحرصهم على عدم إحراج بريطانيا فى الحرب الدائرة يومذاك ، ولإشارهم للاقتناع بحسن نواياها وقرب إنصافها وتغير سياستها . هذا إلى فقدان الجماهير الفلسطينية للزعامة والقيادة الموجهة ، وما شجر من النزاع المؤسف بين الأحزاب الفلسطينية المتعددة ، فركد نشاطها ، وشلت حركتها ، وصرفت جهودها فى معارك هامشية أورثت أتباعها خصومات صغيرة ، وصدوع حالت دون وصولهم إلى تشكيل هيئة توحد جبهتهم وتعلو شأنهم وتسهل عسيرهم .

وهذا الواقع المفجع هو الذى شجع بريطانيا على مناصرة التزاماتها فى الكتاب الأبيض ، بالإضافة إلى واقع الدول العربية الأخرى التى تتبرع دائماً بالنصرة لفلسطين . ولا شك فى أن الدولتين الكبيرتين بريطانيا والولايات المتحدة ، كانتا على مثل اليقين بأن الدول العربية إن افترض إجماعها على خطة فاصلة بصدد قضية فلسطين ، فإنها لن تجرؤ على تنفيذها طالما كانت هذه الدول ، فرادى ، أو مجتمعة فى الجامعة العربية ، تعتمد على تقديم المذكرات الدبلوماسية اللبقة والناعمة ، ومناقشة السياسة البريطانية الأمريكية مناقشة فقهية وحقوقية مستمدة من كتب القانون الدولى .

ومهما قيل فى استعادة بريطانيا لنفوذها فى أقطار المشرق العربى ومصر بعد انحسار الخطر المحورى ، فمن غير المفهوم مطلقاً كيف رضيت الدول العربية أن يكون فى فلسطين يهود مسلحون أقوياء يتدربون ، وعرب عزّل ضعاف يتفرقون ، وهى تعلم تماماً أن العرب عرضة للعدوان اليهودى الغادر عليهم فى كل ساعة ، وتعلم أن مصلحة العرب أن تحسب بريطانيا لهم حساباً

وتخشى غضبهم وثورتهم ١٩ ومن غير المفهوم كذلك سبب تقصير الدول العربية في إنشاء منظمات شعبية واسعة في كل بلد عربي تغذى المشاعر القومية وتلهب الغيرة نحو فلسطين، وتجمع التبرعات، وتنظم المظاهرات والمؤتمرات القومية الكبرى، بما يفوق أو يضاهي ما يقوم به الصهاينة في الولايات المتحدة وغيرها لكسب الرأي العام فيها. ولماذا لاتشرف هذه المنظمات على تشكيل فرق من الشبان مدربة ومسلحة على غرار المنظمات الصهيونية الإرهابية، تدخل المعركة حالما تصدر لها الأوامر، علماً بأن ما يمكن أن تقوم به هو العامل المؤثر الأكبر في السياسة البريطانية والأمريكية الحريصة على سلامة مصالحها في الشرق الأوسط ١٩ هذا ما كان يجب أن يصدر عن الحكومات العربية يومذاك، وهذا ما كان يضج به صدر كل عربي مخلص لاستنقاذ فلسطين المهددة. ولكن ما جرى في الواقع كان مختلفاً جداً؛ وفيما يلي أهم أحداثه على الصعيدين العربي والفلسطيني:

لم يطرأ تغيير يُذكر على الأوضاع السياسية في الاقطار العربية خلال العامين الأولين من الحرب، ولا جرى بحث القضية الفلسطينية خلالها. وقد حرصت بريطانيا على استرضاء العرب تدليلاً على حسن نواياها تجاههم في تلك المرحلة التاريخية الخطيرة التي تمر بها مقدراتها، فتظاهرت غير مرة بمكافحتها للهجرة اليهودية غير الشرعية. وأوفدت الكولونيل نيوكومب إلى بغداد عام ١٩٤٠ فعقد مشروع اتفاق مع جمال الحسيني وموسى العلي لتقريب أجل الاستقلال، وتقصير فترة الانتقال التي حددها الكتاب الأبيض بعشر سنوات؛ وقد تم التوصل إلى هذه الاتفاقية بمبادرة رسمية من الحكومة البريطانية.

وتفصيل ذلك أنه عند ما أمسكت ألمانيا في تموز - يوليه ١٩٤٠ بشاطئ الأطلسي من النزويج حتى أسبانيا، وعند ما بدا واضحاً أن إيطاليا تحت الخطى نحو الاسكندرية بعد أن استولت على سيدى برانى قرب الحدود

المصرية الليبية ، بادر الكولونيل نيوكب لإجراء مفاوضات جديدة مع زعماء العرب بتكليف من حكومة لندن . ولما وصل إلى بغداد طلب من رئيس الوزراء نوري السعيد أن يتيح له مقابلة جمال الحسيني وموسى النعلبي وكافا يقيان في بغداد آنئذ . وقد أنهى نوري السعيد إليهما أن نيوكومب مبعوث رسمي من حكومة لندن للتفاوض مع صلاحيات مناسبة . وأحيطت السفارة البريطانية في بغداد بموضوع المباحثات يوماً فيوماً ، وهي بدورها كانت توصل نتائجها إلى وزارة الخارجية البريطانية . وقد توصل الطرفان إلى اتفاق لم يكن أكثر من تنفيذ سياسة الكتاب الأبيض تنفيذاً فورياً ، ودونما انتظار لنهاية الحرب ؛ وبموجب الاتفاق ينبغي للإدارة الانتدابية الفلسطينية أن تنتقل إلى الزعماء الفلسطينيين ، بينما يبقى المندوب السامي البريطاني على رأس الدولة الفلسطينية حتى ما بعد نهاية الحرب بستة شهور . وحيث تجري في فلسطين انتخابات لاختيار رئيس الحكومة فيها . والمخالفة الوحيدة لبنود الكتاب الأبيض (١٩٣٩) كانت تحديد فترة الانتقال بعشرين سنين . وقد صيغت بنود الاتفاق كتابة ووقع عليها الطرفان بالآحرف الأولى . والحكومة العراقية من جانبها وافقت على أن تضع نصف حجم قواتها المسلحة تحت تصرف قيادة الشرق الأوسط البريطانية ، للخدمة خارج العراق . وقد ظل رئيس الوزارة العراقية - خلال سير المباحثات - على صلة وثيقة بزعيم المعارضة جميل المدفعي ، والسير بازيل نيوتون السفير البريطاني في بغداد ، حتى أصبح الطريق معبداً لإعلان الحرب رسمياً على المحور . ولأجل أن تظهر الحكومة العراقية حسن نواياها وصدق استعدادها ، فإنها أعلنت الحرب فور توقيع الاتفاقية . ثم غادر نيوكومب بغداد إلى القاهرة ، بعد أن وعد بأنه خلال بضعة أيام سوف يستدعي الفرقاء المعنيين إلى فلسطين لتنفيذ الاتفاقية . ولكن الأيام امتدت إلى أسابيع ، وليس ثمة إشارة لا من نيوكومب ولا من حكومة فلسطين . ولما سئل السفير البريطاني في بغداد عن

تفسير ذلك ، أجاب أنه ليس لديه ما يفضى به حول ذلك . وحضر الرئيس العراقى إلى القاهرة فسأل عن الموضوع ، ولكن قيادة الشرق الأوسط لم تكن تعلم شيئاً باستثناء عليها بزيارة نيوكومب للعراق ، ثم سفره إلى لندن . وهناك ظلت المسألة نائمة حتى ١٣ تشرين الثانى - نوفمبر ١٩٤٥ حين أصدرت حكومة العمال المنتخبة بعد نهاية الحرب ، بياناً عن سياستها بصدد فلسطين ، كما سنرى .

ويبدو أن تشرشل رئيس الوزارة البريطانية ونصير الصهيونية الأكبر ، قد حال دون تنفيذ الاتفاقية التى جرى التوقيع عليها فى بغداد . لأنها تتنافى ونقده المبدئى للكتاب الأبيض ، كما تتنافى مع ضلوعه الكامل واشترائه فى رسم السياسة الصهيونية الفعالة . وتشعر بريطانيا بحرجة موقفها خاصة بعد حركة رشيد على السيلانى ، واضطرارها إلى إعادة الملكية إلى العراق على أسنة الحراب ، فتتظاهر بدعم المركز الهاشمى فى المنطقة العربية واستباق تطور أحداث ما بعد الحرب ، على أن المشروع البريطانى الرامى إلى تجميد الشرق العربى ، يصطدم بالجمهوريين السوريين ، كما يصطدم بالخاوف السعودية والمصرية ، وينجم عن ذلك كله جامعة الدول العربية ، لم يسجل تشكيلها أى خطوة نحو هدف قومى وحدوى معين ، بقدر ما كانت مشروعاً مضاداً لإبطال مفعول المبادرة الهاشمية والمحافظة على الوضع الراهن . ولا حاجة إلى القول أن مشاريع المبادرة الهاشمية كما وضحتها ، قد اهتمت بإيجاد تسوية لمشكلة اليهود فى فلسطين ، بحيث تكون سائغة مهضومة غير منفرة ، يرضى بها اليهود والعرب على السواء .

وتشكلت جامعة الدول العربية بعد مشاورات بدأت فى تموز - يولييه ١٩٤٣ بين الحكومة المصرية والحكومات العربية ، وانتهت المشاورات إلى وضع ميثاق تحضيرى فى الاسكندرية عرف باسم بروتوكول الاسكندرية

(تشرين الأول — أكتوبر ١٩٤٤) وقعه ممثلو حكومات مصر والعراق والسعودية وسورية ولبنان وشرق الأردن ، أما فلسطين فقد مثلها موسى العلي بعد أن اختارته أحزابها ببالغ الصعوبة . وبهمنا ما أدلى به العلي أمام الوفود العربية في مؤتمر الاسكندرية ، إثر الموافقة على اقتراح الحكومة العراقية بشأن إنشاء مكتبين للدعاية أحدهما في انكلترا والثاني في الولايات المتحدة .

مضى مندوب فلسطين يسرد ملخصاً مؤثراً لوضع العرب في فلسطين ، ومسايعهم للاستقلال ضمن الوحدة العربية ، وبجاءتهم الحكم البريطاني المبني على صك الإنتداب وعلى سياسة إنشاء الوطن القومي الصهيوني . وتحدث العلي عن الهجرة الواسعة اليهودية واستيلائها على أجود الأراضي الزراعية ، وعن سياسة الكتاب الأبيض الذي أقسمت بريطانيا بلسان رئيسها مكدونالد على تنفيذه بكل أمانة وإخلاص . سواء أقبل العرب واليهود هذه السياسة أم لم يقبلوها . ولكنها لم تنفذ هذه السياسة . وقال إن هجرة اليهود لم تقمع بدليل الزيادة الفاحشة التي فاقت أربعة أمثال ما كان مقرراً أن يدخل من اليهود خلال الخمس سنوات التي تنتهي في (آذار — مارس ١٩٤٤) . حيث توقف الهجرة تماماً ، وفي تشرين الثاني - نوفمبر الماضي ألغت هذا التحديد في الزمان . هذا عن الهجرة ، وعن الأراضي ، فكذلك لم ينفذ الكتاب الأبيض لا بروحه ولا بنصه . أما مشروع السياسة التي شرحت بعدئذ في الكتاب الأبيض فقد رفضته جميع الوفود العربية في مؤتمر لندن (١٩٣٩) ؛ لأن الاستقلال التام كان معلقاً على رضى اليهود . ثم شرح العلي مفاوضات بغداد بين نيوكومب وبين زعماء فلسطين بوساطة نوري السعيد . وقال العلي بحق إن البلاد العربية بمستطاعها أن تعمل لفلسطين وللمحافظة على عروبتها أشياء كثيرة دون اللجوء إلى دولة أجنبية . وذلك بأن تعمل على صون ما تبقى من الأراضي في أيدي العرب . وبعد أن أوقف سامعيه على بعض أساليب

الصهيانية في الاستحواذ على أراضى فلسطين بعد شرائها من الملاك العرب . قال إن عملية نحو القرى العربية مستمرة ، لم تقف منذ خمسة وعشرين عاماً ، مما سيكون له نتيجة واحدة محتومة ، وهي زوال فلسطين العربية لمصلحة إسرائيل .

« أما لو سألتوني ما هو الظرف الذي سمح بذلك ، لقلت لكم بكل احترام ، هي ترك إخواننا لنا نخوض هذه المعركة العالمية وحدنا وهم واقفون ينظرون . قد امتلك اليهود السهول والوديان ، وأكثرت الأراضى الزراعية الحصبة . قد أخذوا جهة البحر ، وأخذوا جهة الشمال وسدوا ما بيننا وبين سوريا ولبنان . قد أخذوا الشرق وكادوا يسدون ما بيننا وبين شرق الأردن وعراقنا المحبوب . وهامم يأخذون الجنوب ليقطعوا ما بيننا وبين مصر العزيزة ، فأخذوا السهول وطوقونا بالجبال . وهم يضيقون علينا الخناق ، فهل يبقى إخواننا صامتين ، ؟ ! »

واقترح العلمى تأسيس صندوق قومى عربى عام ، تشارك فيه جميع البلدان العربية ، وتشرف على إدارته ، فتوقف للعرب أراضى فلسطين الباقية لتبقى أبداً فى أيديهم . وتابع العلمى حديثه الصريح عن صناعات اليهود واستهلاكها فى الأسواق العربية ، على أسف ، وعن الهجرة غير الشرعية عن طريق بعض الدول العربية . وقابل بين أحوال الزعماء العرب المشردين وأصواتهم المسكوتة ، وبين نشاط زعماء اليهود واتصالاتهم بأوروبا وأمريكا ، وقال : إن هناك مفاوضات بين اليهود والانكليز إما :

١ — لتقسيم فلسطين .

٢ — أو لجعلها كائتونات بين العرب واليهود على قدم المساواة ، مع إمكان زيادة عدد اليهود ليكونوا أكثر من العرب .

٣ — أو لإبقاء فلسطين وحدة كاملة بشرط فتح باب الهجرة الواسعة ، على أن تبقى للعرب الأثرية الإسلامية ، يوضع عشرات الألوف زيادة عن اليهود . . (١) وتعلن الدول الحليفة بعد الحرب أحد هذه الحلول الثلاثة وتقرضه على العرب .

وأصاب مندوب فلسطين كبد الحقيقة حين قال إن الدافع الحقيقي لاتجاهات الدول الكبرى هذه ، هو ما يعتقدونه من أن العرب متخاذلون ، ولذا فقد اقترح أن تقرر اللجنة التحضيرية لإرسال وفد يمثل الدول العربية إلى لندن وواشنطن وموسكو للاتصال بالدول الحليفة فوراً وقبل فوات الأوان ، ليسين لها أخطار هذه السياسة الجديدة . ويزيل كل شك قد يكون عالقاً في ذهنها عن تخاذل العرب بخصوص فلسطين . ولكن هذا الاقتراح على صوابه ، لم يلقى تأييد اللجنة ، وإنما وافقت على الاقتراح التالى الذى احتواه بروتوكول الاسكندرية باسم ملحق فلسطين ، ونصه :

« ترى اللجنة أن فلسطين ركن معهم من أركان البلاد العربية ، وأن حقوق العرب لا يمكن أن تمس من غير إضرار بالسلم والاستقرار فى العالم العربى ، كما ترى اللجنة أن التعهدات التى ارتبطت بها الدولة البريطانية والتى تقضى بوقف الهجرة اليهودية والمحافظة على الأراضى العربية والوصول إلى استقلال فلسطين هى من حقوق العرب الثابتة التى تكون المبادرة إلى تنفيذها خطوة نحو الهدف المطلوب ، وهو استتباب السلم وتحقيق الاستقرار . وتعلن اللجنة تأييدها لقضية عرب فلسطين بالعمل على تحقيق أمانهم المشروعة وصون حقوقهم العادلة . وتصرح اللجنة بأنها ليست أقل تألماً من أحد لما أصاب

(١) عبرت صحيفة الأيسكونومست عن هذا رأى فقالت : « وفقاً لهذا المشروع — سورية الكبرى — يسمح لليهود أن يصبحوا مساوين لعرب فلسطين ، حتى إذا بلغوا ذلك يمكنهم أن يزيدوا عددهم مع أية زيادة عددية للعرب .

اليهود في أوروبا من الولايات والآلام على يد بعض الدول الديكتاتورية ، ولكن يجب أن لا يخلط بين مسألة هؤلاء اليهود وبين الصهيونية ، إذ ليس أشد ظلماً وعدواناً من أن تحل مسألة يهود أوروبا بظلم آخر يقع على عرب فلسطين على اختلاف أديانهم ومذاهبهم .

وأجالت اللجنة التحضيرية الاقتراح الخاص بمساهمة الحكومات والشعوب العربية في (صندوق الأمة العربية) لإتقاذ أراضي العرب في فلسطين إلى لجنة الشؤون الاقتصادية والمالية لبحثه من جميع وجوهه . كما نصت على تفويض الرئيس المصري لمواصلة مساعيه للإفراج عن الزعيمين جمال الحسيني وأمين القيمي وغيرهما من المبعدين .

وبما يؤسف له أن اللجنة التحضيرية لم تستجب للمطلب المندوب الفلسطيني، وعندى أنها لو أوفدت الوفد المقترح إلى دوائر السياسة الخليفة في عواصمها ، لكان لذلك وقع أبلغ مما لو سمعت هذه الدوائر باشتراك مندوب فلسطين في أعمال اللجنة التحضيرية للوثمر العربي ، إذ يدل على مقدار الجهود ومدى الاهتمام الذي تبذله اللجنة عملياً في هذا الصدد . صحيح أن وجود مندوب فلسطين دليل على التضامن بين الدول العربية والتأييد لمسألة فلسطين . ولكن إيفاد الوفد دليل أقوى ، يعني أن الدول العربية لا تكتفي فقط بما يعمل سفراؤها ووزراؤها المفوضون في عواصم الحلفاء من أجل هذا الجزء الغالي من ديار العروبة ، وإنما تخطو خطوة أخرى ، آيتها هذا التلهف المتواصل لإعادة حق عرب فلسطين إلى نصابه ؛ لا سيما وأن الظرف الحربي والسياسي كان موافقاً آنذاك ؛ فالعرب لا يزال لهم وزنهم في خطط ما بعد الحرب التي يرسمها دول الحلفاء منفردة أو مجتمعة . وإرسال الوفد المقترح لا يثبت لدول الحلفاء وحدة الشعور العربي لإزاء فلسطين فحسب ، بل يبرهن أيضاً على أن الآراء السياسية للدول العربية المجتمعة في الاسكندرية، ولو تباينت بخصوص الوحدة العربية ، غير أنها منسجمة ومتفقة بخصوص استنقاذ فلسطين . ومن

المرجح أن اللجنة التحضيرية أو بعض أعضائها ، قد تصوروا أن المصلحة تقضى بتجنب ما يجرج ويربك السياسة الحليفة عموماً ، والبريطانية خصوصاً ، يعد أن سبى وتحدث في موضوع فلسطين بعض الملوك والرؤساء العرب إلى المراجع الحليفة العليا . ومع ذلك فهذا كله لا يبرر رفض اقتراح مندوب فلسطين ، وظل العطف العربي على فلسطين عطفاً دافلاً طويلاً .

ودعيت الدول العربية لدرس مشروع ميثاق جامعة الدول العربية ، فوافقت عليه في ٢٢ آذار — مارس ١٩٤٥ ؛ وخرجت الجامعة إلى حيز الوجود وهي لا تمثل الشعوب والجمهير العربية الوطنية وتطلعاتها ، وإنما تمثل دولها وحكوماتها ؛ وكانت تجسيدا للوضع الراهن الانفصالي حين أقرت ميثاقها أن كل دولة في الجامعة تحتفظ بكامل سيادتها في جميع شئونها الخارجية والداخلية ، ولا تلتزم بتنفيذ قرار إلا إذا وافقت عليه . وبذلك خيدت الجامعة بشكلها الراهن آمال جماهير الشعب العربي الواحد التي طالما حنت إلى صلة الروح مع أشقائها وراء الحدود المصطنعة . وصلت كهدى ومسكن لها ، بل إنها صلت لتكون البديل المرتقب للوحدة العربية الأصلية والحقيقية ، ولتكون بمثابة السكاج الذي يحد من مد النزعات القومية الوحشية التي تلح على الأذهان ، بدلا من أن تكون المنطلق والحافز لتحقيق تقارب أوثق واتحاد أقوى . وذلك عن طريق رفع شعار المصلل بأن الأوضاع الحاضرة في معظم البلدان العربية الداخلة في الجامعة ، ما كانت تسمح بإنشاء روابط أوثق من روابط الميثاق . والأصح من ذلك أن نقول إن ضعف الوعي القومي بين الجماهير العربية آنذاك قد حال دون إلزام الزعماء العرب المشتركين في المداولات العربية بشكل أقوى من أشكال الاتحاد والوحدة ، بقدر ما حالت الأناية وضيق الأفق لدى الحكام العرب وقوة المطامع الشخصية والأسروية ، دون إدراك قيمة الفرصة الذهبية السانحة ، في وقت كان للدول العربية فيه وزن خطير في ميزان السياسة الدولية ، بسبب

ما تملكه من الطاقات البشرية العربية ومواردها الطبيعية والنفطية ، وحيوية موقعها الاستراتيجي . بل إن النفط العربي وحده ، وحاجة الحلفاء إليه أقوى ما تكون أثناء الحرب ، كان لابد أن يفضي التلويح بقطعه وإلغاء امتيازاته إلى حل قضايا العرب ، وأخصها قضية فلسطين . ناهيك عما كان للأقطار العربية من أهمية مركزها الاستراتيجي ، والتوحي العظم .

إن الذين جلسوا على مائدة المداولات في الأربعينات من أجل تحقيق « الوحدة العربية » كانوا يمثل حكومات لا تمثل شعوب ، وهم فضلا عن اختلاف مثلهم القومية العليا ، لم يكونوا يمثلون عقائدهم القومية الذاتية ولا أمانهم الحقيقية العميقة . إن ترجمة فكرة الوحدة العربية إلى بناء سياسي قومي محسوس ، قد أحييت بسبب ظروف المرحلة التاريخية إلى عهدة السلطات الرسمية الحكومية ، ولذا فالفكرة العربية الوحيدة قد اتخذت شكلا جديداً يختلف تمام الاختلاف عن تطلعات الجماهير . إن تمثل الحكومات والدول العربية المجتمعين ، كانوا بسبب طبيعة مسألة الوحدة العربية ، متأرجحين بحساسيتها بين دفع وجذب المصالح الحكومية الداخلية ، والشكوك المتبادلة . والبناء الذي أقاموه كن على الأقل نتيجة هذه العوامل الضاغطة ، ونتيجة الجهود المضنية للتوفيق بين النزعات المتباينة . إن ثمار المداولات المستفيضة التي جرت بين الحكومات العربية كانت تجافي آمال الجماهير والكتل الشعبية مجافاة تامة ، كما تكشف عنها مدونات تلك الفترة ؛ إن منشورات الأحزاب السياسية ومطالعات الصحافة وشيوع الآراء والأفكار ، وتوجيه الرسائل إلى المؤتمرين من قبل الأفراد والجماعات ، وما سجله المفكرون والكتاب العرب آنئذ ، كله يشهد بعمق الهوة التي كانت تفصل بين ما يرتنيه الرسميون ، وما يتطلع إليه الشعب والجمهور .

وقد حق حوار في فكرة الوحدة العربية الأصلية أن ينظر إلى هذه الجامعة بعين السخط والنقد ، لأنهم لمحوا فيها خطراً مزدوجاً :

١ — أشفقوا من نتائجها النفسية ، خشية أن يؤدي الرضى الجزئى أو الكلى بها ، إلى أن تكون بديلا عن الوحدة .

٢ — قلقوا من أن يفضى مبدأ تكريس سيادة كل من دول الجامعة الذى أيدته الميثاق ، وتمسك هذه الدول بما يترتب على ذلك من حسد وغيره فيما بينها فى مطلع عملها الاستقلالى ، إلى تأييده وتحليله من جانب كل دولة . ذلك أن التسليم بالسلطة والمصالح يغدوا أكثر صعوبة فى مراحل قادمة . وخاصة بعد أن تتمتع الحكومات العربية فى البداية بهذه السلطة والمصالح لبعض الوقت .

ويعيننا الآن معرفة ماقرره ميثاق جامعة الدول العربية بشأن فلسطين ، ورد ذلك فى ملحق خاص صيغ بقالب حقوقى صرف ، ونصه : « منذ نهاية الحرب العظمى الماضية سقطت عن البلاد العربية المنسلخة عن الدولة العثمانية ، ومنها فلسطين ، ولاية تلك الدولة ، وأصبحت مستقلة بنفسها غير تابعة لأي دولة أخرى . وأعلنت معاهدة لوزان أن أمرها لأصحاب الشأن فيها . وإذا لم تكن قد مكنت من تولى أمورها ، فإن ميثاق العصبة فى سنة ١٩١٩ لم يقرر النظام الذى وضعه لها إلا على أساس الاعتراف باستقلالها . فوجودها واستقلالها من الناحية الشرعية أمر لا شك فيه ، كما أنه لا شك فى استقلال البلاد العربية الأخرى . وإذا كانت المظاهر الخارجية لذلك الاستقلال ظلت محجوبة لأسباب قاهرة ، فلا يسوغ أن يكون ذلك حائلا دون اشتراكها فى أعمال مجلس الجامعة . ولذلك ترى الدول الموقعة على ميثاق الجامعة العربية أنه نظر الظروف فلسطين الخاصة ، وإلى أن يتمتع هذا القطر بممارسة استقلاله فعلا ، يتولى مجلس الجامعة أمر اختيار مندوب عربى من فلسطين للاشتراك فى أعماله » .

ويبدو من الملحق أن دول الجامعة تعتبر فلسطين بلداً مستقلاً، ولا تعترف بالتطورات السياسية التي جرت فيها منذ سقوط ولاية السلطنة العثمانية عنها، كرفض الانتداب عليها، ومحاولات صنع الوطن القومي اليهودي فيها. وكان يحسن بالميثاق أن يجابه ظروف هذه التطورات بصراحة أثناء عرضه لآسس قضية فلسطين ومقدماتها من الوجهة الشرعية، وأن لا يكتفى بالقول إن فلسطين ستكون ممثلة بالجامعة برغم أنها عملياً غير مستقلة. وفي الوقت نفسه تقرر تأسيس وتنظيم مكاتب الدعاية العربية، ووعدت الحكومات العربية بإمدادها بالمال اللازم^(١)، كما تقرر بحث الطرق الفعالة لإنقاذ أراضي فلسطين وإزالة الأسباب التي قد تدفع صاحب الأرض إلى بيع أرضه للصهاينة، في ضوء الدروس المستفادة من تجارب (صندوق الأمة) الذي تأسس منذ ١٩٣٥.

هذا عن الجبهة العربية خارج فلسطين، وأما في داخل فلسطين، فمن المعلوم أن أكثر الأحزاب الفلسطينية العربية قد تألفت قبيل ثورة ١٩٣٦، وقد تحالفت هذه الأحزاب للمرة الأولى عام ١٩٣٦ تحت ضغط الرأي العام في فلسطين، ومثلت في (اللجنة العربية العليا) التي كان يرأسها الحاج محمد أمين الحسيني مفتي القدس ثم حلت السلطة اللجنة العربية العليا، واضطهدت رجالها وأبعدت أكثرهم، والتجأ الباقون إلى البلاد العربية المجاورة، وبذلك شلت حركة الأحزاب، ولم تعاود نشاطها وتنظيمها إلا في عام ١٩٤٣. وكان أوسع هذه الأحزاب انتشاراً وأقواها نفوذاً هو الحزب العربي الفلسطيني، وهو حزب المفتي والحسينيين، ويضم أكثر الوطنيين صلابة في مقارعة الإدارة الانتدابية والصهيونية، وقد أسهموا مساهمة كبرى في الثورة، ويرأس هذا الحزب جمال الحسيني، ومن أبرز أعضائه إميل الغوري. والحزب المعارض الذي يزعم أنه ملتزم بمبادئ الاعتدال، هو حزب الدفاع، حزب

(١) دعم العراق ١٠٠ ألف جنيه، وسورية ٤٠ ألفاً، ولبنان ٢٠ ألفاً، وتبرع عرب فلسطين بـ ٢٥ ألفاً، أما الحكومة المصرية فلم تساهم بشيء.

النشاشيبيين ورئيسه نقرى النشاشيبي ، وقد دعاه خصومه (حزب رؤساء البلديات) لأنه كان يضم كثيراً من الموظفين .

وحزب الاستقلال برئاسة عوفى عبد الهادى ، والكتلة الوطنية برئاسة عبد الكريم صلاح ، وحزب الإصلاح برئاسة الدكتور حسين الخالدى ، وحزب مؤتمر الشباب برئاسة يعقوب الغصين . وهذه أشبه بتجمعات ظهرت بمظهر الحزب . وهناك عصبة التحرير الوطنى وهى منظمة يسارية خلفت الحزب الشيوعى الفلسطينى بعد أن انفصل فيه اليهود عن العرب عام ١٩٤٣ لاختلافهم على قضية الهجرة اليهودية .

وقد جرت محاولات متعددة لتأليف لجنة جديدة تحول محل اللجنة العربية العليا ، وخاصة حين بدأت مشاورات الوحدة العربية ، فلم تلق أى نجاح بسبب ما كان بينهما من ضغائن سابقة . وأخيراً اكتفى رؤساء الأحزاب بالتداب مومى العلمى ليمثل فلسطين فى تلك المشاورات .

وقد شهد شهر نيسان — أبريل ١٩٤٤ عودة الزعامة إلى الحزب العربى الفلسطينى وعهد برئاسته إلى توفيق صالح الحسينى ، وأعلن الحزب معارضته لما يطالب به حزب الاستقلال من الالتزام بسياسة الكتاب الأبيض ، وراح يطالب بتصفية الوطن القومى اليهودى . وعلى الرغم من هذا النشاط المحدود ، فقد ظلت فلسطين مفتقرة إلى قيادة موحدة توجه نشاطها الميامى فى تلك المرحلة الخطيرة من تاريخها .

وكانت وحدة الجبهة اليهودية فى فلسطين يقابلها تفكك صف الزعامات العربية ، ولذا ظل الميدان السيامى مزعزع الأركان ضيق المدى ، ويجب أن نتنظر حتى منتصف شهر تشرين الثانى — نوفمبر ١٩٤٥ لنشهد اهتمام مجلس الجامعة العربية بهذا الخطب الجلل ، لاسيما وأن دولة الانتداب بدت وكأنها تبحث عن حل نهائى لقضية فلسطين ، الأمر الذى جعل الحالة ملحة إلى قيادة

موحدة في فلسطين . وقد توجه جميل مردم رئيس الدورة الثانية لمجلس الجامعة العربية ، إلى فلسطين صحبة تقي الدين الصلح وخير الدين الزركلي ، وبذلوا جهودهم في التوفيق بين الأحزاب . وقد نجم عن هذه الوساطة الناجحة أن فوض رؤساء الأحزاب جميل مردم باختيار لجنة ، فاختار توفيق صالح الحسيني، وراغب النشاشيبي، وغوثي عبد الهادي، والدكتور حسين الخالدي ، وعبد اللطيف صلاح ، ويعقوب الفصين ، (وهؤلاء يمثلوا الأحزاب الستة التي كانت ممثلة في اللجنة العليا المنحلة ، وهم أنفسهم كانوا أعضاء فيها باستثناء توفيق صالح الحسيني الذي كان يتولى وكالة رئاسة الحزب العربي نيابة عن أخيه جمال المنفي في رودسيا) . واختير مع هؤلاء أحمد حلي عبد الباقي ورفيق التميمي وموسى العلي وامييل الغوري ويوسف صهيون . وبكلمة أخرى احتفظ الحزب العربي بخمسة مقاعد من المقاعد الإثني عشر ، واحتل كل رئيس حزب من أحزاب ما قبل الحرب الخمسة مقعداً واحداً ، وشغل موسى العلي مقعداً واحداً وحلي عبد الباقي مقعداً آخر . وبقي مقعد الرئاسة شاغراً وقد حجز للمفق . ونيابة الرئاسة تتعاقب بين مختلف زعماء الأحزاب دورياً . وقد اختارت اللجنة وفداً عنها شهد بقية جلسات دورة مجلس الجامعة العربية وتقرر أن تشرف اللجنة العربية العليا ، لالعلي وحده ، على مكاتب الدعاية ، وعلى مشاريع تحسين أحوال القرية العربية والفلاح العربي باعتبارها الباعث على بيع الأراضي العربية .

وفي ٢٩ تشرين الثاني — نوفمبر ١٩٤٥ أفرج عن جمال الحسيني ، وقدم من جنوب رودسيا إلى مصر في ٢٢ كانون الأول ديسمبر وارتحل منها إلى بيروت بعد أربعة أيام ولكن الإدارة الانتدابية لم تسمح له بدخول فلسطين (١) . وقد أحاطت اللجنة العربية العليا الجديدة المندوب السامي الجديد الجنرال السير

آلان كينغهام بتشكيلها ، وكان قد وصل إلى فلسطين في ٢١ كانون الأول — ديسمبر لاستلام عمله خلفاً للورد غورت الذي استقال لأسباب صحية ، وقالت اللجنة إنها استلمت مسؤولية توجيه الشؤون السياسية والقومية باسم عرب فلسطين ، وطلبت تأييد المنسذوب السامى واعترافه بتمثيلها عرب فلسطين ، وتم لها ذلك في ٨ كانون الأول — ديسمبر (١) .

ومهما يكن ، فقد كانت البيانات السياسية التي صدرت عن فلسطين في الولايات المتحدة وبريطانيا ، ثمرة حملات التضليل التي تتعمدها الصهيونية كلما حان موعد لها ، لشحن ذاكرة العالم الغربى بماضى الماضى القريب ، ولبث الشعور فى ضمائر أبنائه بأن إنشاء الدولة اليهودية فى فلسطين هو حقّ لليهود ، وأنها العِوض عما أقرّفه النازيون الآورييون فى حقّ اليهود .

وقد غلامرّجل الغضب فى صدور عرب فلسطين بسبب التحيز القاضح الذى انطوى عليه بيان حزب العمال (٢) ، بينما اغتبط يهود فلسطين به إذ جاوز كل توقعاتهم . وقد عكست الصحافة العربية استياء العرب واتهمت حزب العمال البريطانى بأنه يطلب أكثر مما يطلبه الصهاينة أنفسهم فى تلك المرحلة . وأرسلت برقيات الاحتجاج إلى زعماء البلاد العربية المجاورة وإلى أعضاء الوزارة البريطانية .

ibid. p. 84

(١)

(٢) يورد هارى ساكر اليهودى الصهيونى ومساعد وايزمن ، فى كتابه سالف الذكر أن خطاب دالتون عن تنفيذية حزب العمال فى مؤتمره السنوى ١٩٤٥ قد دأفم عن الهجرة اليهودية إلى فلسطين دون التزام بالقود الماضية . « وقد وضحتنا بحلاء تام أنه من الضرورى أن يوجد اتفاق وثيق وتعاون بين الحكومات البريطانية والأمريكية والسوفيتية . وفى رأى يجب اتخاذ الخطوات بالمشاورة مع هاتين الحكومتين أنرى ما اذا كا لا نستطيع الحصول على ذلك التأييد المشترك لسياسة سوف تعطينا دولة يهودية سعيدة حرة مزدهرة فى فلسطين » .

Sachêr op. cit, p. 29

وتزايد حق العرب كذلك من تصريحات المتنافسين على الرئاسة الأمريكية روزفلت وديوى ، ولاحظت الصحف العربية أنه إذا كان المرشحان المذكوران قلقين من جراء اضطهاد اليهود في أوروبا وتقتيلهم ، فيجب أن يبرهنوا على قبول اللاجئين اليهود في الولايات المتحدة نفسها . إن الحزبين الأمريكيين يعدان اليهود بهجرة غير محدودة إلى فلسطين ، وهو إجراء لا يشمل عليه صك الانتداب ، ليبادلوا عليها بأصوات ، بلداً لا يمتلكونه . إن هذه هي المكافأة المستحقة للعرب مقابل ولائهم للأمم المتحالفة أثناء الحرب . إن السياسيين الأمريكيين مستعدون من أجل ضمان الأصوات الانتخابية لحرق مبادئ ميثاق الأطلسي والحريات الأربع الخ (١) ... إن الحملة على فلسطين التي تضمنتها البيانات الحزبية تشكل مخططاً عدوانياً طالما أنها تنطوي على فرض شعب على شعب بلد واحد . وهذا لا يعني سوى طرد العرب من بيوتهم ومحسوس فلسطين العربية ، وإنشاء دولة صهيونية على أنقاضها . إن مثل هذا العدوان سوف يقاومه العرب والمسلمون بجميع إمكانياتهم (٢) .

وقد حاول ممثلوا الارساليات التبشيرية ووكلاء المؤسسات الصناعية الأمريكية أن يهدنوا من سورة غضب العرب بقولهم : إن وعود المرشحين للصهيانية أشبه بوعود المرشحين في مصر وغيرها خلال الانتخابات سرعان ما تنسى بعد انقضاء مناسبتها . ويدكر كروسمان أن الممثلين الدبلوماسيين

(١) جرائد فلسطين - ١٤ تشرين الأول - أكتوبر ١٩٤٤ / المقطم ١٠ تموز - يوليه / البلاغ ١٠ تموز - يوليه / فلسطين ٢٥ تموز - يوليه ، ١٤ تشرين الأول - أكتوبر / الدفاع ٢ آب - أغسطس ، ٢٣ تشرين الأول - أكتوبر / الأهرام ٢٧ تموز - يوليه ، الوفد المصري ١٨ تشرين الأول - أكتوبر . p. 217. Quoted in Hurewitz; op. cit.
(٢) بيان جمعية الوحدة العربية بمصر في ٢٧ تموز - يوليه ١٩٤٤ ، واحتجاج حزب الكتلة الوطنية في فلسطين ٢١ تشرين الأول - أكتوبر ، ومقالة في جريدة الدفاع ٢٢ منه .

الأمريكيين في الشرق الأوسط كانوا مكرهين - لأسباب داخلية - على حصر أنفسهم في نطاق التأكيدات السرية للعرب ، بأن الدعم الأمريكي للصهيونية هو مجرد كلام يهدف فقط لتهدة الناس داخل أمريكا (١) .

والحق أن تأكيدات روزفلت لابن سعود قد طمأنت بعض العرب ، ورغم إيمانهم بأن الولايات المتحدة متحازة للصهيونية ، غير أنهم لم يفقدوا الأمل نهائياً بأن يتغير الأمريكيون ، وكانت فرضيتهم في هذا الأمل تقوم على أساس القضية العربية في فلسطين قضية واضحة كالشمس في رابعة النهار ومن شأن ذلك أن يستتبع تأييد أصحاب النوايا الحسنة في العالم أجمع للموقف العربي المفتات عليه في فلسطين . وربما لم يخطر ببالهم ما تقوم به أجهزة الدعاية الضخمة والمتنوعة في جميع أوساط الرأي العام الغربي ، ولم يتحققوا من أن لكل شعب مشاكله ومتاعبه واهتماماته وأنه لا يهتم من القضايا الخارجية إلا بقدر ما يصل إلى علمه عنها وعن أحداثها ؛ وإلا بقدر ما تمس وجدانه ومشاعره الإنسانية ومعتقداته ، سواء كان ما يوصله عنها صحيحاً أم لا .

إن موقف عرب فلسطين من اليهود لم يتغير ، هذا ما صرح به كاتب صهيوني صميم . قال : إن العرب أعلنوا أنهم يرجون باليهود ، ولكنهم لا يقبلون الصهيونية السياسية التي تتاجر فقط باضطهاد يهود أوروبا . وحينما تنتهى الحرب ، وتزول النازية ، فاللاجئون اليهود ، بل كثيرون من يهود فلسطين سيكونون تواقين للعودة إلى بلادهم الأصلية . إن فلسطين ليست كبيرة لتكفي العرب واليهود . إن الصهيونية خطر على جميع الشرق العربي ، لأن صناعها تهدف إلى السيطرة على أسواقه (٢) .

Grossman, op. cit., p. 122

(١)

Hurewitz op. cit., p. 218

(٢)

أما موقف اليهود من الجهود العربية المزدوجة لإنشاء الجامعة العربية ولبعث الحركة العربية وتنظيمها من جديد في فلسطين ، فقد اتسم طبيعاً بالتشكيك والتثييط ؛ فقد مضت الصحافة اليهودية تزعم أن حركة الوحدة العربية إنما هي اختراع بريطاني ، وأنه يبدو متعذراً أن تعطى جماعة من الأمم فكرة قومية تأتيا من الخارج لتحوّلها إلى سياسة عملية ، حين يكون رجاء تحقيقها غير واضح بما يكفي من الداخل . كذلك تجلّى الحقد الصهيوني في ما تنبأت به صحيفة صهيونية غداة مؤتمر الاسكندرية بأن عقوداً من السنين سوف تنقضى قبل أن يصوغ العرب وحدة سياسية اقتصادية أو حتى وحدة اقتصادية . وبعد التوقيع على ميثاق الجامعة ، حذرت الصحيفة الصهاينة من أنهم لا يناهضون إلا كسب قليل حين يبرهنون أن المحاولات العربية للتقارب لا يتوقع لها إلا نصيب ضئيل من التحقيق . . . بالعكس فقد تبيّن لنا أى إلحاح على إخفاق هذه الجهود ، يصلح كنوع من (حقن) طاقة جديدة في جسيم السياسة العرب (١) . والموقف الصهيوني من أية محاولة تجرى للوحدة العربية معروف مسبقاً ؛ موقف المقاومة الشعواء خفية ودون ضجة حتى لا تنكشف المخططات الصهيونية التي لا يمكن تنفيذها إلا في حالة الضعف الناجم عن التجزئة .

وقد لخص موشه شرتوك الناطق السيامي باسم الوكالة اليهودية موقف الصهيونية الرسمي من الوحدة العربية في نهاية الحرب ، أثناء جلسة مشتركة عقدها المجلس الصهيوني الداخلي العام ، والجمعية المنتخبة في كانون الأول - ديسمبر ١٩٤٤ فقال مناوئاً : « إن وحدة الأراضي العربية البحتة هي من الشؤون العربية ، فإذا اتجهت الحركة اتجاهاً بئساً ، فالوكالة مستعدة لمعاونتها على أساس الاعتراف المتبادل والمنفعة المتقابلة ، ولكن نظراً للعداء الذي أبدته الحركة

نحو المشروع اليهودى فى فلسطين ، فالصهاينة مضطرون ، فى الوقت الحاضر على الأقل ، لتحسين أنفسهم ضدها .

ولفت شرتوك انتباه الزعماء الصهاينة إلى وجوب التفريق بين عداء الدول العربية للصهيونية ، وبين الأمانى الإيجابية لهذه الدول فى التعاون بينها لتنسيق شئونها الداخلية . وأعلن شرتوك مؤكداً أن الشعب اليهودى ليس له تطلع نحو البلدان المجاورة لفلسطين ، فضلاً عن أن الحركة الصهيونية هى مناهضة تماماً لتبعثر المواطنين اليهود فيها ، (١) .

دليل العمل الصهيونى ووسائل استراتيجيته الثلاثية لتحقيق الدولة اليهودية :

هذه التصريحات التى يطلقها بين حين وآخر زعماء الصهيونية كانت ، وما زالت ، من قبيل التضليل الصهيونى الذى يقوم على الغموض من ناحية ، وعلى المخادعة من ناحية ثانية . فالغموض يصبح وضوحاً ساعة تشاء الصهيونية ليرضاها ، والمخادعة بالنسبة لخطط المستقبل تحدث عند إعلان التنظيمات المخدرة أو الوعود الكاذبة ، مع العزم الأكيد على النكث بهذه أو التكرار لتلك ، وفق مبدأ المرحلية الذى يعنى : التشبث الدائم بالهدف النهائى مع السعى لتحقيقه تدرجاً وبالتفسيط ، وفق قواعد المرونة لاختيار شكله وصيغته ، فالصهيونية تتظاهر فى كل مرحلة أن هدفها المعلن هو كل ما تطمح إلى تحقيقه ، إن وايزمن وبن غوريون مثلاً كانا منسجمين مع نص وروح بيان حزب العمال الذى دعا إلى (ترحيل) العرب عن فلسطين و (تهجير) اليهود إلى فلسطين . على الرغم من تنصل بن غوريون بعد سماعه البيان بأن الصهيونية ليس لها يد فيه (٢) ، وذلك تبديداً لاثام العرب وخشية تفاقم غضبهم آنئذ ؛

Hurewitz op. cit. p. 220

(١)

Ben Gurion, « Israel, Years of Challenge », op. cit., p. 19

(٢)

وعلى الرغم من خطبه العلنية المتعاقبة من أن فلسطين يمكن أن تستوعب اليهود والعرب على السواء مع تمتع الجميع بالحقوق المتساوية .

إن الخطة الصهيونية المباشرة لإخلاء السكان ، هي تماماً كالخطة الصهيونية المباشرة للتوسع الأقليمي الأرضي ، لم تكن بذت عام ١٩٤٨ ، وإنما ترجع أصولها إلى زمن قيام الحركة الصهيونية قبل سبعين عاماً ، وفي مطلع كل حقبة تاريخية ، تحدد الحركة الصهيونية هدفها المرحلي لتلك الحقبة ، فيكون الحد الأقصى لذلك الهدف ما تسمح به الأوضاع الواقعية . وما أن تستنفذ جميع أغراضها وأهدافها من مرحلة ما ، حتى تبدأ في التمهيد (للتصاعد) نحو المرحلة اللاحقة ، حتى تعود مرة أخرى إلى تعيين وتحديد هدفها المرحلي الجديد ووسائلها الجديدة .

فلا عجب إذا وجدنا أن السياسة الصهيونية تغلفها (الأخلاقية) التي لا ترسخ لأي وازع أدبي أو وجداني ، بل تتوسل بكل وسيلة ما دامت تضمن هدفها ، ومقياسها الوحيد هو النجاح العملي في طريق خدمة أهدافها النهائية . لقد ظل إنشاء (وطن) في فلسطين مطلب الصيوني وهدفها المرحلي مدى عشرين عاماً إلى أن سنحت الفرصة خلال الحرب العالمية الأولى للحصول على وعد بلفور (١٩١٧) .

وتجلت الواقعية والمرونة أيضاً عام ١٩٤٢ حين أقرت الصهيونية برنامجاً بليسمور . وقد نصت إحدى موادها — كما نعلم — على تحويل فلسطين بأكملها إلى (كومونولث يهودي) . والدافع لاختيار هذه العبارة الجديدة أن بعض الهيئات اليهودية الأمريكية كانت لا تزال تعارض شعار (الدولة) ذات المعنى الواضح سياسياً وحقوقياً ، وتفضل شعار (الكومونولث) الأقل منه وضوحاً ، والممكن التوسع في تأويل غموضه في حقبة قادمة حسب

مقتضيات مصلحتها فالغرض هنا ، مع الحيلة والحذر ، ضرورات حتمية
كي لا يجمع الأعداء على ضرب الصهيونية ، والقضاء على هدفها قبل
الأوان .

وفي جميع ما شهدناه من وجوده العمل المرحلي الصهيوني كان مبدأ
(الواقعية) منطلقه الأساسي . فالواقعية الصهيونية تجارى الواقع دون أن
ترضخ له ، لأنها تسيره كي تنقلب عليه وتنفلت من رقبته ، ومهما اشتمل هذا
الواقع على مشبطات العمل الصهيوني ، فهي لا بدّ من أن تجد فيه ميدانا للعمل
مهما كان ضيقا وصعبا . إن المرحلية الصهيونية في سعيها الحثيث لبلوغ
هدفها تبدو غير مستعجلة وإنما تتذرع بالصبر التكتيكي . وحين تواجه هدفها
وترى أنها قادرة على تحقيقه ، تعمل فوراً على بلوغه ولا تقبل عنه بدىلاً .
وإذا بدا لها أن إمكانياتها تجاهه محدودة ، فهي إما أن ترجى هدفها الأكبر ،
وتقبل بجزء منه ، دون أن تتنازل عن الأجزاء المتبقية منه كضمن للجزء أو
الأجزاء المطلوبة آتياً ، أو تتدرج نحوه في مرحلة منظمة تسمح بالتقدم دائماً ،
ولكنها لا تسمح بالتراجع أو التوقف . هذا هو أسلوبها المفضل غير المتبدل
منذ نشأة الحركة الصهيونية ووضع برنامجها في مؤتمر بال (١٨٩٧) .

ومن هنا ينتفى التمييز بين (الاعتدال) و (التطرف) ، ويفقد هذا
التمييز قوته ومعناه في ضوء هذه المرحلية الصهيونية . وقد ذكرنا غير مرة في
سياق عرضنا لتباين الآراء بين بعض زعماء الصهيونية ، سواء في مؤتمراتهم
أو تصريحاتهم ، بأن الاعتدال في الصهيونية وهم كبير ، لأن كل صهيوني
ملتزم لا بدّ من تمسكه بهدفه . ولا سقطت عنه صفة الصهيونية . (فالتطرف)
هنا هو الذى يرى أن الظروف مواتية لبلوغ هدفه ، فيصرّ على بلوغه
فوراً ، ومرة واحدة ، في حين يقبل (المعتدل) بإرجاء الحصول عليه
مؤقتاً ، وبالتسيط . ولقد قيل بحق إذا شئت أن تستبق الزمن وتكشف

عن مطالبات الصهيونيين (المعتدلين) بعد بضعة سنوات ، فإليك إلا أن تصنعي إلى ما يطالب به (المتطرفون) الحوار مع من تصهينة اليوم (١) .

وبعد هذا الاستطراد لتوضيح التكتيك الصهيوني الذي يتخذ مظاهر مختلفة وألواناً متباينة لبلوغ الهدف المرسوم ، نذكر من أمثله ما كان بين بن غوريون ووايزمن من « خلاف » حول الأسلوب الواجب اتباعه ، إذ بدأ وايزمن بوجه (المعتدل) المتأني ، وبدأ بن غوريون بوجه (المتطرف) الثائر . ولوطبقنا القاعدة التي أشرنا إليها لكشف مطالب وخطط (المعتدلين) وأصغينا إلى بن غوريون الذي تطور تفكيره من التدرجية الوايزمانية إلى التطرف الجابوتنسكي التصحيحي ، لوجدناه يقول في مطلع عام ١٩٤٤ : « إن اليهود لا يمكنهم التخلي عن شبر من الأرض في فلسطين ، حتى عن قم الجبال وعن كنوز البحر » . وأعلن كذلك في آذار — مارس من العام نفسه : « أن الصهيونية قد رسمت سياستها ، وأن فلسطين يجب أن تصبح دولة يهودية » . وقد صدر هذان التصريحان قبل رفض التقسيم في مؤتمر القدس الذي انعقد في كانون الأول — ديسمبر ١٩٤٤ .

يقين من ذلك أن الميل إلى اختصار المراحل هو الذي سيطر على الهيئات الصهيونية الرسمية ، لاسيما بعد أن نفتحت الليات الرسمية الأخيرة في الولايات المتحدة وبريطانيا بشحنة جديدة ، فاشتدت سواعد الصهانية إثر هذا الاندفاع باسم المبادئ الإنسانية في الأوساط الأمريكية خاصة ، وراودتها الآمال والرؤى ، وأصبحوا يضعون شروطاً لقبولهم بحل المسألة الفلسطينية .

وعلى الرغم من تأييد بيان حزب العمال للصهيونية ، فإن هذه وجدت فيه آنذاك ما يجاوز متطلبات المرحلة الصهيونية التي تحرص على إخفاء نواياها الأخيرة حرصاً تاماً — وهي هنا طرد العرب وتهجيرهم من فلسطين .

(١) فايز صايغ — الدبلوماسية الصهيونية ، بيروت ١٩٦٧ ، ص ١٢٩ ، ١٣٠ .

ولذا فإن خطأ بيان حزب العمال كان صراحتة المتناهية التي تصور بموجبها إختفاء العرب من فلسطين، وهو خطأ في التوقيت لاني المضمون . فالصهيونية التي هي الإيمان بالوحدة القومية لجميع يهود العالم — الذين يتم تعريفهم على أساس السلالة المشتركة (١) — لا على أساس الدين واللغة — لا بد من أن يترتب عليها ثلاث نتائج : الانغلاق العنصرى والتمييز العنصرى والتفوق العنصرى وهذه النتائج نفسها هي بمثابة المبادئ الأساسية للأيدولوجية الصهيونية (٢) . وتحقيق الانغلاق العنصرى الصهيونى — الذى يعتبر الأساس فى تحقيق (الخلاص القومى) اليهودى — يتطلب إجراء عمليتين متقابلتين :

١ — تهجير جميع يهود العالم من (أرض الشتات أو المنفى) إلى أرض (التجمع اليهودى) أى فلسطين .

٢ — زوح غير اليهود — ولو كانوا يشكلون الأغلبية الساحقة من سكان البلد الأصليين — عن أرض (التجمع اليهودى) . وفى ظل الانغلاق العنصرى التام يظهر التفوق العنصرى (اليهودى) . فالشعب المختار لا يستطيع تحقيق (خلاصه وبقائه وذاته) إلا عندما يجرى تجميعه بكامله فى وطن خاص به لا يقيم فيه سواه ، ولا يشاركه أحد فى سكناه (٣) .

(١) ان السلالة وهى الحقيقة البيولوجية المحقة المبينة على التعذر من يهود آخرين ، هى التى تجعل الشخص (يهودياً) فى نظر الصهاينة .

(٢) صانغ — المصدر السابق — ص ٣٠ .

(٣) وصف كروسمان فى يومياته تحول اليهودية الأمريكية إلى الصهيونية المتعصبة ، بأنه أضعف مركزها فى الولايات المتحدة ، ذلك ان جماعة اليهود التى كانت جادة فى طريقها نحو التمثل والاندماج ، تشعر الآن بنفسها أنها منفصلة عن سائر المواطنين من أى وقت مضى ، وتلك كجماعة أقلية قومية . وبأن كيد الصهاينة على حقوق اليهود فى إقامة دولة يهودية إنما يلحون مجدداً على التعريف العنصرى لليهودى ، وهو التعريف الذى وضع أساساً فى قوانين نورمبرغ (التشرع ضد اليهود) . وتكرار الصهاينة لعدى تصردم كآمة ، فإنهم يعملون أنفسهم أقل إحساساً بأنهم فى وطنهم أمريكا ، ويعملون اخوتهم الأمريكين أكثر إحساساً بيهودية اليهود . إن اليهود المناهضين للصهيونية الذين شهدوا أمام اللجنة (الانكلو أمريكية ١٩٤٦) فى واشنطن كان مقدورهم ان يشيروا بشكل مشروح إلى هذه النتائج الخطيرة للتحول الجماعى إلى الصهيونية ، ويجادلون بأن خلق دولة يهودية سوف يزيد الاسامية الأمريكية ولا ينقصها .

ولإذا رضى دعاة (التمييز العنصرى) من الأوربيين المستوطنين في آسيا وأفريقيا ، التعايش مع أبناء البلاد الأصليين مع تكليفهم بما يحقرون من أعمال ووظائف ، فقد عبر اليهود المستوطنون الصهاينة في فلسطين عن (تفوقهم) الموهوم على عرب فلسطين عن طريق (عزلهم) في البداية ، ثم إجبارهم على الزواج فيما بعد (١٩٤٨) . واكتفاء الصهاينة بعزل عرب فلسطين في البداية اعتمد على القيام بمقاطعة منظمة للمنتجات العربية والأيدى العاملة العربية — في الفترة التى أعياهم خلالها طرد عرب فلسطين من أرضهم وأرض آبائهم . بيد أن الاكتفاء بمقاطعة العرب لم يكن بدلا عن طردهم ، وإنما كان مجرد تكتيك مرحلى وتجميد مؤقت للبدا الصهيونية فى التمييز العنصرى ، فرضته ظروف المراحل الأولى من الاستعمار الصهيونى .

وإذا كان قلق زعماء الصهاينة من صراحة بيان حزب العمال ناجماً عما اعتبروه تسرع البيان وتجاوزه مقتضيات (المرحلية) التى توائمت عليها فيما بينهم ، فإنهم فى الوقت نفسه نعتوا الخطة السياسية التى أنتجتها الحكومة الائتلافية البريطانية منذ (١٩٣٩) بالجمود ، إن لم يكن بخيانة (المرحلية) التى وجهت خطوات الصهيونية السياسية والإمبريالية البريطانية فى الفترة ما بين الحربين لخلق الظروف الملائمة للاستعمار الصهيونى الاحتلالى (١) .

(١) ما أن تغيرت الحكومة البريطانية فى مطلع ١٩١٧ حتى أو عزت للصهاينة بتجديد مساعيهم ومحاولاتهم من أجل ضمان الدعم للسيطرة الصهيونية على فلسطين ، بعد أن قضى الاتفاق الانكلو فرنسى ١٩١٦ بتدويل معظم الأراضى الفلسطينية . وكان دافع بريطانيا لالقاء التدويل هو الخطر الذى تمثل لها نتيجة اقتراب فرنسا من الحدود الشرقية لقناة السويس بموجب الاتفاق المذكور . حتى إذا تم ربط المصالح المتقابلة بين الإمبريالية البريطانية العالمية ، جرى استخدام النفوذ الصهيونى فى الأوساط الفرنسية والأمريكية لإلغاء التدويل ، باعتبار أن تنفيذ النهج الصهيونى الاستعماري يتطلب وجود حكم بريطاني فى فلسطين ورعايته . وقام كل من الفريقين المتآمرين بنصيبه من الصفقة على غير وجه ممكن ، حتى أصبح مجتمع المستوطنين الصهاينة فى منتصف الثلاثينات (دولة ضمن دولة) . وظلت بريطانيا طوال

وإزاء المعارضة المتعاضمة التي أبدتها الدول العربية ، رأت بريطانيا أن تلزم بعض التحفظ في دعمها الحثيث للنهج الاستعماري الصهيوني ، فقامت بالشد في الاتجاه المعاكس لتخفيف الاندفاع الصهيوني نحو خلق الدولة اليهودية التي من شأنها أن تجعل الوجود البريطاني في فلسطين غير ضروري أو غير مرغوب فيه . ومن جهة مقابلة وجدت الصهيونية السياسية ، كما شرحنا سابقاً ، في الولايات المتحدة قوة لها وزنها العالمي ولها مصالحها الاقتصادية والاستراتيجية في الشرق الأوسط ولها أوساطها السياسية المتجاوبة مع الصهيونية ، حليفاً غريباً بديلاً في المرحلة الجديدة الحاسمة للاستحواذ على فلسطين . ولاشك في أن خروج بريطانيا منهوكة القوى من الحرب ، وقرب نوال شبه القارة الهندية لاستقلالها ، قد أدى حتماً إلى تضائل الأهمية النسبية لأغراض التحالف الانكلاوي صهيوني . فكان أن قامت الولايات المتحدة بالدور الذي رسمته لها الصهيونية السياسية بعد أن استنفذت أغراضها من دعم بريطانيا لها ، وحل التحالف الصهيوني الأمريكي محل التحالف الصهيوني البريطاني منذ منتصف الأربعينات بشكل غير مسبوق . ولنسرع إلى القول بأن هذا التغيير التكتيكي في التحالف لا يعني أن الصهيونية تخلت عن استراتيجية التحالف مع الإمبريالية البريطانية . وسنرى أنه عندما حان الوقت لتعديل الاستراتيجية البريطانية الإمبريالية ، في ضوء الظروف العالمية المتغيرة ؛

== ثلاثين عاماً ممتدة في صفاقتها بادعاء عدم الانتهاك على حقوق عرب فلسطين في سياق النمو السريع للاستعمار الصهيوني وتدعيمه هداوسلاحاً وأرضاً، بينما كانت تحرم العرب من وسائل حماية النفس وتوقعت بريطانيا أن هذا التحالف مع الصهيونية سيخدم أغراض الامبريالية البريطانية بالدرجة الأولى . ولكن الصهيونية كانت في هذه الآونة تحاول أن تعمل لحسابها هي . وهنا يبدأ بعض التنافس ؛ إذ كلما صعدت الصهيونية إلى التعجيل في عملية بناء الدولة (وهم عملية تفعلهم بعدم ضرورة استمرار الوجود البريطاني من وجهة النظر الصهيونية) ، كانت بريطانيا تقوم بالشد في الاتجاه المعاكس لتخفيف الاندفاع في هذا الاتجاه فإنا نأري في الثلاثينات على الانتهاء حتى بدأ الصدام بين الطرفين ؛ خفياً في معظم الوقت ، مما أدى في النهاية إلى انحراط التحالف الانكلاوي صهيوني مؤقتاً في أواسط الأربعينات ، دون أن يقضى عملية القضاء المبرم ، لأن ارتباط الصهيونية مع الامبريالية هو ارتباط مصيري تتوقف عليه حياة الصهيونية .

سعت بريطانيا إلى بعث تحالفها بقوة مع الاستعمار الاحتلالي الصهيوني الذي بدأ يعمل لتحقيق أهداف توسعية جديدة بعد إقامة الدولة الصهيونية . وعاد التواطؤ من جديد وبالاشتراك مع فرنسا وتمثل في غزو مصر عام ١٩٥٦ .

تضاعف النشاط الصهيوني السياسى فى الأوساط الأمريكية العليا على اعتبار أنها الوحيدة التى بمقدورها ممارسة الضغط على الحكومة البريطانية ، للتسليم بالمطالب الصهيونية . ومع الحكومة البريطانية ، اعتمدت الاستراتيجية الصهيونية على ثلاث وسائل لتحقيق أهدافها :

أولها الوسيلة الدبلوماسية المألوفة فى الضغط التكتيكي عن طريق الوكالة اليهودية والفئات الضاغطة المناصرة للصهيونية فى بريطانيا وذلك تكمة للضغط الاساسى الصادر من واشنطن .

وثانيتهما هى الوسيلة الارهابية ، وبموجبها يقوم الصهاينة بتصعيد عمليات الارهاب وتدير ضربات موجعة للإدارة الانتدائية ، بغية حملها على التسليم بمطالبهم .

وثالثتها هى الوسيلة الدعائية المسرحية كوسيلة من وسائل الضغط أيضاً ، وتهدف إلى التشهير ببريطانيا واتهامها باللامسانية بغية لفت نظر الرأى العام العالمى إلى ما يسمونه بحالة اليأس القاسى الذى وجد يهود فلسطين فيه أنفسهم ، بعد تضخيم ما فعلته النازية ياخوانهم فى أوروبا ، وبعد اتهام بريطانيا بأنهم حالت دون نجاة الكثيرين ممن كان بمستطاعهم الفرار من الاضطهاد النازى والهجرة إلى فلسطين ، لولا تمسك بريطانيا بقيود الهجرة فى الكتاب الأبيض .

وهذه الوسائل الثلاث (الدبلوماسية والارهابية والدعائية) ، متناسقة متكاملة قُصد منها أن تؤدي معاً إلى تحقيق الأهداف الصهيونية المرسومة .

وسنرى أن الوسيلة الأولى والأهم سوف تفلح في اجتذاب رجل من طراز الرئيس هارى ترومان الأمريكى إلى صفها، وبذلك ستضمن الضغط المناسب على بريطانيا . فى حين سيخيب ظنها بحكومة العمال التى ستولى الحكم فى بريطانيا لأنها لم تستطع أن تتجاوب سريعا وتوأمع ما يطلبه الصهاينة بسبب ظروف ما بعد الحرب ؛ برغم أن حكومة العمال دعت الولايات المتحدة إلى الاشتراك معها فى مسؤولية رسم سياسة فلسطين، حتى إذا اختلفت وجهات نظرهما بين الاندفاع الأمريكى والتردد البريطانى ، فضلت بريطانيا أن تلقى عبء المسؤولية فى فلسطين على عاتق الأمم المتحدة، وكان ذلك التبرؤ المغرض من أعباء الانتداب أول خطوة عملية هامة فى طريق صنع الدولة اليهودية . هذا هو الاطار العام ، وفيما يلى التفصيل :

اتخذت الاحتفالات بيوم النصر (٧ أيار - مايو ١٩٤٥) شكل مظاهرات أقامها العرب فى فلسطين رافعين الأعلام العربية ومعبرين عن شعورهم القومى . وكذلك فعل اليهود فرفعوا الأعلام وألحوا على فتح باب الهجرة غير المحدودة أمام اليهود الأوربيين ضحايا الاضطهاد النازى (١) . وبينما جرى اضراب عام من قبل أحزاب فلسطين العربية تعبيراً عن التأييد لسورية بعد قصف الفرنسيين دمشق ، وبينما شكلت لجان عربية لجمع التبرعات وتسجيل المتطوعين لمعونة سورية فى نضالها الاستقلالى المشروع ضد الاحتلال الفرنسى (٢) ، كانت الوكالة اليهودية تتقدم فى نفس ذلك اليوم (٢٢ أيار - مايو ١٩٤٥) بمذكرة إلى الحكومة البريطانية وصفت بأنها قاسية ، تطلب قبول بريطانيا بمضمون برنامج بلتنور . وكتب وايزمن المذكرة إلى تشرشل ، شعوراً منه بأن الصهاينة لم يعدوا يقبلون (اعتداله وصبره وإيمانه فى بريطانيا) بعد يوم

Survey of Palestine, op. cit, p. 79

(١)

ibid.

(٢)

النصر الذى أزال آخر عقبة أمام بحث الأزمة فى فلسطين (١) . وجاء فى المذكرة أن اليهود لم يقبلوا أبداً بالكتاب الأبيض ، وأنهم لا يسمحون باستمراره بعد نهاية الحرب . وطلبت المذكرة اتخاذ (قرار فورى) لإقامة الدولة اليهودية فى فلسطين ، ونقل صلاحية تنظيم الهجرة وتنمية موارد البلاد إلى الوكالة اليهودية . وطلبت أيضاً إمداد الوكالة بتسهيلات دولية لنقل اليهود الذين يريدون التوطن فى فلسطين ، وتزويدها بقروض دولى ، تكمله تعويضات عينية من ألمانيا . وكإجراء أولى ، أقترح أن يضع اليهود يدём على جميع الأملاك التابعة للرعايا الألمان فى فلسطين . وفى حزيران - يونيه ردّ تشرشل بأن مصير فلسطين لا يمكن أن يقرر « قبل أن يجلس الحلفاء المنتصرون نهائياً حول مائدة الصلح » .

وبعثت الوكالة بمذكرة أخرى فى أواسط شهر حزيران - يونيه طلبت فيها إصدار مائة ألف شهادة هجرة على الفور لتمنح إلى يهود أوروبا . ويبدو أن توقيت المذكرة ، من وجهة النظر البريطانية ، لم يكن مناسباً ، ولذا فلم تترك أى أثر ! فقد انقضى عقد الائتلاف الوزارى فى بريطانيا ، وبوشر فى الانتخابات ، وانشغلت لندن بمعالجة التوتر الناجم عن الأزمة الناشئة بين سورية ولبنان وبين فرنسا ، كما انشغلت فى الحرب اليابانية فى الشرق الأقصى ، وخرج تشرشل من الحكم ، وأفسح المجال لوزارة عمالية فى أواخر تموز-يوليه ، فأعرب اليهود عن ابتهاجهم بالنصر الذى حققه العمال . وبعد أسبوع واحد من إعلان فوز العمال فى الانتخابات انعقد مؤتمر صهيونى فى لندن (آب - أغسطس) ، وبدأ بوضوح أن الصهيونية كانت عازمة عزمها أكيداً على استغلال كل فرصة وإحكام كل تدبير حتى لا تلحق بها هزيمة فى أية ناحية مهما قلّت قيمتها . وقد عبّر وايزمن فى المؤتمر عن

اغتيال اليهود بفوز حزب العمال ، وقال إنه يعتقد أن التعاون مع الحكومة البريطانية الذي كان قد مارسه لتوجيه السياسة الصهيونية منذ أيام وعد بلفور ، سيكون له فرصة أفضل وحزب العمال في الحكم ، خاصة أن المعارضة يقودها صديق قديم للصهيونية يتمثل في شخص تشرشل (١) .

واقضت الاستراتيجية الصهيونية آتشد أن لا ينفرد وايزمن في استمالة الحكومات الغربية بالدعوى الاستعطافية ، وبخداع المسؤولين بعدم تأييده للعنف والإرهاب ، وإنما ارتأت أن يلوح بن غوريون بالتهديد والوعيد واغتصاب المزايا بالقوة من السلطات البريطانية إن ركب رأسها . فقد أئذ بن غوريون سامعيه من مغبسة التفاؤل الذي لا مبرر له . وقال إن رضى الصهيونية عن حكومة العمال رهن بالسياسة التي ستبعتها لإزائها ، فعليها أن تعلن إلغاء قرارات الكتاب الأبيض ، وتبيح الهجرة دون قيد أو شرط . ودعا إلى « المقاومة السلبية الفعالة ضد تنفيذ سياسة الكتاب الأبيض في شكلها الحاضر ، أى في أى شكل معدّل (٢) » . وأعلن الخاخام آباهيل سيلفر رئيس المنظمة الصهيونية في أمريكا أن الصلات الدبلوماسية الشخصية أمس ، والتي استعملها وايزمن — هي غير مناسبة البتة اليوم ، وأكد أن ذروة الحصفاء السياسية تكون في الابتعاد عن الحصفاء ، في إعداد الجماهير اليهودية لأى طارئ . والحفاظ على روحها المقاتلة ، بحيث لا تخلط أبداً بين الصهيونية وهدفها الدولة اليهودية بمجرد الهجرة وتأمين الملجأ ، وقال شرتوك رئيس القسم السياسى فى الوكالة اليهودية أنه لا يوجد أمل فى الوصول إلى اتفاق مع العرب على أساس البرنامج الصهيونى ، وأن قضية فلسطين تهم أساساً الدول

Zionist Review, 3 August 1945, Supplement, p. 4 (١)

(٢) خلال زيارتهما لولايات المتحدة أعلن أنه اذا كانت بريطانيا حازمة على التمسك بالكتاب الأبيض وقرسه ، فيجب أن تستخدم وسائل البطش والإرهاب الدموى . Kirk «The Middle East 1945-50» , p. 191 note.

الكبرى واليهودية العالمية ، وعرب فلسطين . أما بقية العالم العربي فليس له وضع راهن في القضية خلاف ما تتيحه له عضويته في الأمم المتحدة (١) .

وقد انقسم المؤتمر الصهيوني الذي حضره أكثر من ١٠٠ مندوب ومراقب من ١٧ دولة ، إلى قسمين كالعادة ، بين مناصرين لوايزن من الداعي إلى التدرج والطرق الدبلوماسية ، وبين غوريون الذي ألح على العمل الفوري ضد بريطانيا إذا لم تسقط الكتاب الأبيض .

ولكن (المتطرفين) لم يهيمنوا على المؤتمر لأن تأييد حزب العمال للصهيونية قد شدد عضد (المعتدلين) مؤقتاً ، رغم أن عبارات المقاومة والمركة والهجوم والصراع كانت السائدة في جو المؤتمر . وهكذا تقدم الصهاينة بمطالب جذرية من الحكومة البريطانية ، تهدف إلى تهويد فلسطين برمتها ، دون أن يغيب عنهم أن الوكالة اليهودية بدأت بفضل الدعم البريطاني المستمر تكتسب خصائص الحكومة المستقلة عند نهاية الحرب ؛ أو بتعبير الكاتب الصهيوني آرثر كوستلر :

« . . . ولقد تطورت الوكالة اليهودية ، بقوة الظروف ، إلى حكومة ظل ، إلى دولة داخل دولة . فقد تحكمت بالقطاع الاقتصادي اليهودي في البلاد ، وكان لها مستشفياتها وخدماتها الاجتماعية . وأدارت مدارسها وجهاز استخباراتها الذي كان جميع موظفي الحكومة اليهود — عملياً — مخبرين لديه . وضبطت منظماتها العسكرية الخاصة ، وهي الهاغانا المشهورة ، نواة جيش إسرائيل في المستقبل » (٢) .

Zionist Review, 24 august 1943, p. 10

(١)

Koestler, Arthur, «Promise & Fulfillment - Palestine

(٢)

1917 : 49. N.Y. 1949, p. 21

وكانت النتيجة الفورية لمؤتمر لندن ، أن قدم وفد برئاسة بن غوريون ، طلباً إلى وزارة المستعمرات بلمحة قوية ، بوجوب إعداد ١٠٠ ألف شهادة هجرة على الفور لليهود أوروبا ، وإعلان فلسطين دولة يهودية ، وهو نفس الطلب الذي قدم في منتصف حزيران — يونيو إلى تشرشل . وقد تمت هذه المقابلة قبل مضي عشرة أيام على وصول حزب العمال إلى الحكم ، وجرت خلالها مطالبة وزير المستعمرات المستر جورج هول بتسديد جزء من (الكميالة) التي تعهد حزبه بدفعها إلى الصهاينة في ياباته المشهور . وذهل وزير المستعمرات من هجة الطلب ، وقال في مجلس العموم : « إن سلوك زائريه كان يختلف تمام الاختلاف عن كل ما كان يتوقعه (١) » .

ولم يرد الوزير على هذا الطلب إلا في ٢٥ آب — أغسطس ، وبعد أن تلقى تحذيراً من مكتب الجامعة العربية في لندن يقول إن الجامعة لن تقبل بجعل فلسطين وطناً لليهود . وأعلن عبد الرحمن عزام أمين عام الجامعة في أواسط آب — أغسطس ، تصريحاً رسمياً من القاهرة باسم الجامعة العربية ، بأن تأييد الغرب للصهيونية لا يمكن أن يؤدي إلا إلى حرب صليبية جديدة . وجاء رد وزير المستعمرات على الطلب الصهيوني بعرض ٢٠٠٠ شهادة هجرة المتبقية من الرقم المحدد في الكتاب الأبيض ، ووجوب استعمالها أولاً ، وربما 'تطلب موافقة العرب على استمرار الهجرة اليهودية بمعدل (١٥٠٠) شهرياً . ولكن الوكالة اليهودية رفضت هذا العرض بكثير من الغضب .

(١) Hansard's, Partiametary Debates, Commons, 23 April 1947 « من الضروري أن أقول بأن سلوك واتجاهات رجال الوفد كان يتأثر كل ما عرفته من قبل ، فهم لم يطلبوا من حكومة جلالة الملك النظر في قرارات المؤتمر الصهيوني ، بل أنهم طالبوا بأنه يجب على حكومة جلالة الملك أن تفعل ما تريد الخطة الصهيونية منها أن تفعل » . وجدير بالملاحظة أن السفر حول لم يبق طويلاً كوزير للمستعمرات ، وإنما حل محله المستر كرينش جونز المؤيد للصهيونية .

— ٢١٣ —

وفي غضون ذلك كان الرئيس ترومان الذي خلف الرئيس روزفلت المتوفى (١٢ نيسان - أبريل ١٩٤٥) يتعرض لضغط صهيوني شديد أدى إلى غرضه ، وطالب ترومان بعده السماح بإدخال ١٠٠ ألف يهودي فوراً إلى فلسطين ، وكان ذلك نتيجة جهود صهيونية ملحّة تشكل بعدها الموقف الأمريكي المؤيد للصهيونية ، والذي كان له أكبر الأثر في المجري الفاجع الذي اتخذته بحث مسألة فلسطين .

* * *

الفصل السادس

الاستراتيجية الصهيونية تحقق هدفها المرحلي

بداية التدخل الأمريكي لمصلحة الصهيونية

ترومان والتوفيق بين الاضداد :

جابه الصهاينة بانهاء الحرب العالمية الثانية مسألة وضع برنامج بليتمور موضع التطبيق والتنفيذ الفعلي ، إثر الجهود الضخمة التي بذلوها في الولايات المتحدة بحثاً عن مساندة (الأمم الأخرى) ، وضمناً لتحقيق النجاح النهائي ، في التوصل إلى الدولة اليهودية . ولم تكن مساعيهم قد نجحت مع روزفلت ، غير أنها ابتدأت تقليداً جديداً يقصد إلى التأثير على السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط من خلال البيت الأبيض ، وسرى أن مناوراتهم جاءت بنتائج حسنة ودائمة ، لأنه بنحس ترومان انضمت الحكومة إلى أوساط الكونغرس والرأي العام المؤيد للصهيونية ، وضمنت نفوائد المطلوبة لإحراز النصر .

بدأت الصهيونية جهودها بسرعة بعد بضعة أيام فقط من استلام ترومان سلطاته ، بقصد تعريفه بأنفسهم ومخططهم ، وذلك حين طالب مقابلته الخاخام ستيفن وايز رئيس مجلس الطوارئ الصهيوني . وقبل المقابلة يومين تلقى ترومان رسالة من وزير الخارجية ستيتينيوس تستبق الاجتماع في الظاهر ، وتذكر : « أنه من المتوقع جداً أن تبذل جهود من قبل بعض الزعماء الصهاينة للحصول منكم في وقت مبكر على بعض التعهدات لمصلحة البرنامج

الصهيوني الذي يلح على هجرة يهودية غير مقيدة إلى فلسطين ، وتأسيس دولة يهودية فيها . وكما تعلمون ، أن حكومة وشعب الولايات المتحدة يكتفون كل عطف نحو اليهود المضطهدين في أوروبا ، ويعملان ما في وسعهما لتخفيف شقايتهم ، إن مسألة فلسطين هي — على كل حال ، مسألة مقددة جداً ، وتنطوي على مسائل تتجاوز كثيراً ورطة اليهود في أوروبا . وهناك توتر مستمر في الوضع بالشرق الأوسط كنتيجة رئيسية للمسألة الفلسطينية . وبما أن لنا مصالح في تلك المنطقة الحيوية للولايات المتحدة ، فنحن نشعر بأن الموضوع بأكمله يجب أن يعالج بمنتهى العناية ، ومع مراعاة المصالح البعيدة لأمريكا (١) .

وبكلمة أخرى وضح ستيفنسون أهداف الصهيونية للرئيس ترومان قائلاً إنها ترى إلى الهجرة اليهودية غير المقيدة إلى فلسطين وإقامة دولة يهودية هناك . وكانما قصد وزير الخارجية إلى تنبيه الرئيس إلى الفارق الكبير بين هذين الهدفين . ونظراً للملاحظات التي أبدتها ترومان فيما بعد من خلال الأحداث التالية التي سجلها في مذكراته ، يبدو جلياً أنه لم يكشف العلاقة الأساسية بين هذين الهدفين المتكاملين ، وهي علاقة سبب ونتيجة ، كما نشأت في التفكير الاستراتيجي الصهيوني .

ولم يكتف ترومان بقلق وزير خارجيته ، وبعد أسبوعين تلقى ترومان مذكرة أخرى من نائب وزير الخارجية جوزيف كرو Grew ، عن الموضوع نفسه ، تقول إن روزفلت الراحل برغم عطفه على بعض أهداف الصهيونية ، غير أنه أعطى العرب أيضاً تأكيدات اعتبروها «ارتباهاات صريحة» (٢) ، وأرفقت مذكرة كرو بنص آخر رسالة كتبها روزفلت إلى ابن سعود قبل

Truman, Harry Solomon, « Memoirs » 2 vols. N.Y. 1955, (١)
Vol. I, pp. 68-69

Truman, ibid, II, p. 132

وفاته بأسبوع واحد ، مع خلاصة حديث الرئيس مع الملك ، وفي المذكرة إحاطة للرئيس ترومان بأن روزفلت كان قد خول الخارجية الأمريكية أن تؤكد لمختلف حكومات الشرق الأدنى أنه من وجهة نظر هذه الحكومة ، فلن يتخذ أى قرار يغير الحالة الأساسية في فلسطين دون استشارة العرب واليهود استشارة كاملة . . وقد حذر كرو الرئيس ترومان « أن الولايات المتحدة إذا اتبعت سياسة ترجمت بأنها معادية للعرب ، فيكون من المتعذر الحيلولة دون لجوئهم إلى السلاح للدفاع عن ما يعتبرونه بلداً عربياً (١) » .

والحق أن الصهاينة تلقوا أول دعم رسمي من حكومة ترومان أثناء انعقاد مؤتمر سان فرانسيسكو (نيسان - أبريل ١٩٤٥) ، حين كانوا قلقين نظراً لأن بحث الأمم المتحدة في نظام الانتخاب سيجرى مع الإعلان الرسمي لموت عصبة الأمم . وكانوا يخشون من مساعي الدول العربية الخمس الأعضاء في الهيئة الدولية . وقد أثمرت المساعي الملحة للصهاينة حين طلبت الخارجية الأمريكية من هيتين صهيونيتين هما المؤتمر اليهودي الأمريكي واللجنة اليهودية الأمريكية أن يعملوا بصفة مستشارين للوفد الأمريكي ؛ وسارعت الوكالة اليهودية إلى توزيع مذكرة على وفود المؤتمر طلبت فيها أن لا يتخذ أى إجراء يتنافى أو يضر بحقوق الشعب اليهودي ، وفقاً لوعده بلفور وصك الانتخاب ، وطلبت أن يكون لها ممثلون في كل لجنة تشكلها الأمم المتحدة لمعالجة قضية فلسطين .

وحين فشط المندوبون العرب لإجباط المساعي الصهيونية ، صرح ستيفينوس وزير الخارجية الأمريكية أن المؤتمر سوف ينظر فقط في المبادئ العامة للصيانة ، وليس فيما يتعلق بمناطق معينة . وعلى الرغم من أن المنظمة الصهيونية لم تنجح في الحصول على الاعتراف بدولة يهودية من الأمم المتحدة ،

غير أنها نجحت في معارضة التغيير الذي اقترحه المندوبون العرب في نص
فقرة الوصاية التي تقرأ كالتالى :

« باستثناء ما قد يتم الاتفاق عليه في الترتيبات الخاصة بكل وصاية ،
من حيث وضع كل منطقة تحت نظام الوصاية ، لا يجوز تفسير أى نص
وارد في هذا الفصل بمقتضى ذاته لتغيير حقوق أية دولة أو شعوب في أية منطقة
بصورة من الصور . »

وكان المندوبون العرب يرغبون في إحلال كلمة (شعب أى منطقة)
محله كلمة (شعوب) التي أصرت عليها الوكالة اليهودية ، لأنها تنطبق على
(الشعب) اليهودى القاطن في فلسطين .

وبعد أن تسلم ترومان مقاليد الرئاسة الأمريكية نشط الصهاينة من جديد
في أوساط الكونغرس بقصد لفت نظر الحكومة لإقامة دولة يهودية . وقد
جاء في النداء الصهيونى الموجه إلى ترومان — الذى لم يكن مطلعاً على حقيقة
الصراع في فلسطين وعلى أصوله ونقاطه الدقيقة — توكيد على (التاريخ)
و (حسن النية) ومأساة اليهود. وكان الحرص شديداً على أن يُسترعى اهتمام
ترومان بهذه الاعتبارات لاستيعابها والتسلح بها من قبل حضوره مؤتمر
بوتسدام واجتماعه بالأقطاب الآخرين (تموز — يولييه — آب — أغسطس
١٩٤٥) (١) . وقبل مطلع تشرين الأول — أكتوبر بذل الصهاينة جهوداً
أكبر للحصول على مصادقة الكونغرس على قرارات موالية للصهيونية تتعلق

(١) ناقش ليمرشل في مؤتمر بوتسدام ، ثم آل إلى باعتباره رئيس الحكومة الجديدة ،
قضية فلسطين مع الرئيس ترومان. على أمل الوصول إلى سياسة أكثر أمريكية مشاركة ، دون
جدوى . لأن الرأى العام في الولايات المتحدة الأمريكية كان يؤيد عموماً « جلب الأولاد
إلى وطنهم » ، وكان مناهضاً لأية التزامات غربية أجنبية تناقض ذلك .

فلسطين . وفي ٦ تشرين الأول — أكتوبر صوت عدد كبير من أعضاء مجلس النواب الأمريكي بالموافقة على هجرة يهودية غير محدودة إلى فلسطين وإقامة دولة يهودية (١) .

وكانت لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ الأمريكي تنظر في مشروع قرار عن فلسطين ، فتلقت اقتراحاً صهيونياً بضرورة سرعة البت فيه ، لأن إقراره « من شأنه تقوية موقف ترومان ويبرز في مباحثاتها مع أتلي الذي سيزور الولايات المتحدة في بحر الأيام العشرة أو الأسبوعين القادمين (٢) » . وبعد أن وجدت اللجنة أن قرار فلسطين معترض عليه جدياً ، رفضته ، فسارع مجلس الطوارئ الصهيوني واقترح نص قرار جديد لفرضه على اللجنة . وكان القرار المرفوض قد وافق على خطته رضى عنها ترومان ، وهى البحث بالاشتراك مع بريطانيا في الموقف الفلسطيني برمته ، على يد لجنة تحقيق انكلو أمريكية . وقد اعترض مجلس الطوارئ على ذلك واعتبر أن الموافقة على لجنة التحقيق يضر بموقف الصهيونية ، إذ يعنى مزيداً

(١) بينما كان هذا النشاط الصهيوني قائماً ، فليولون هم الذين نجروا على رفع أصواتهم بالمعارضة . وقد كتبت فرجينيا غيلدرسليف المربية الأمريكية المشهورة قائلة : « من بين الغائل الذين كانت لديهم معرفة حقيقية بالظروف لم يكن بينهم ولا واحد تقريباً راغباً في الكلام علناً ضد أي مشروع للصهيانية . فالمشتغلون بالسياسة خافوا من أصوات اليهود ، وغيرهم خافوا أن يتهموا باللاسامية ، والجيم تقريباً كان عندهم شيء من الشعور بالذنب في غمرة عطفهم على اليهود بسبب المأساة المروعة التي أنزلها هتلر باليهود . إلا أنه بدا لي أنه لا بد لشخص ما أن يتحدث بصراحة ضد سبيل الجبن غير الأخلاقي الذي تحت أمثاله على سلوكه » . وبناء على ذلك وجهت غيلدرسليف كتاباً مفتوحاً إلى جريدة نيويورك تايمز نشر في عددها الصادر (٩ تشرين الأول — أكتوبر ١٩٤٥) وهو بحث الولايات المتحدة على أن تسمح بدخول ٢٠٠ ألف يهودي إلى أراضيها بدلاً من أن تفرض اليهود بالقوة على العرب . وقالت بعد ذلك .. « لقد جاء هذا الكتاب بزوبعة على رأسي ، إذ أن كثيرين من الصهيانية هاجوني بقسوة ، وبعضهم هددني باستعمال العنف ضدي » . راجع كتاب : *Many a Good Crusade* ،

من عرقلة الهجرة اليهودية . وأثير الاعتراض أيضاً على استعمال عبارة (النفوذ السلي) للولايات المتحدة مع دولة الانتداب ؛ فقد اعتبر هذا غير ضروري ، لأنه قد يوصى « بأن ثمة حاجة إلى التوضيح بالتخصيص بأن التدخل العسكري ليس مقصوداً ، . ونظراً لكرهية الرأي العام التدخل العسكري ، فقد ارتوى أنه من الأفضل اجتناب ذكر هذا الاحتمال بإبدال عبارة (النفوذ السلي) بعبارة (نفوذ) الولايات المتحدة . كذلك اعترض مجلس الطوارئ بشدة على عبارة وردت في قرار مجلس الشيوخ الذي جاء فيه أنه من الضروري السماح لليهود بالدخول إلى فلسطين « لأقصى حدّ عملي ، من إمكانات البلاد الاقتصادية . فقد اعتبر الصهاينة هذا المقياس مبهماً وخطراً ، واقترح بعضهم أن من الضروري أن يدخل اليهود فلسطين « إلى أقصى حدود إمكاناتها الاقتصادية ، . وأخيراً تم رفض العبارتين « وطن قومي يهودي ، و « الدولة الديمقراطية ، ، اللتين كانتا متداولتين قبل مؤتمر بلمنور . وكان الهدف الذي رمى إليه مجلس الطوارئ من اقتراحاته المقابلة ، هو اكتساب تأييد الكونغرس للأهداف الصهيونية دون لبس أو لبهام .

ومع تصاعد النشاط الصهيوني في دوائر البيت الأبيض ، سارعت الخارجية الأمريكية إلى تحذير ترومان من الآثار الضارة التي قد تنشأ عن تأييده للمطالب الصهيونية تأييداً كاملاً . فقد جاء في مذكرة وضعتها في أيلول - سبتمبر ١٩٤٥ : « ليس في وسع أية حكومة أن تؤيد سياسة تدعو إلى الهجرة الواسعة ، إلا إذا كانت على استعداد للمساعدة في توفير قوات الأمن اللازمة لذلك ، وتوفير البواخر اللازمة لنقل المهاجرين والمساكن لإيوائهم ، والضمانات لإنقاذهم من البطالة .. ولهذا الأسباب التي تقدم ذكرها ، يتحتم على الولايات المتحدة أن تمتنع عن تأييد أية سياسة تقوم على أساس الهجرة الواسعة إلى فلسطين (١) . »

على أن التكنيك الدعائي الصهيوني إذا نجح في اكتساب الرأي العام الأمريكي نحو الاهتمام بيهود أوروبا ، غير أنه لم يكن اهتمامه مضموناً بإقامة دولة يهودية ، إذا اقتضى منه ذلك استعمال القوة لفرضها على عرب فلسطين. ونتيجة الإلحاح الصهيوني الصلب قررت لجنة العلاقات الخارجية اتخاذ قرار إجماعي ١٦ بالتأييد . وبينما وُصف رأي ترومان بأنه مؤيد لفكرة إيجاد فلسطين حرة مع هجرة غير محدودة ، إذا به يذكر أنه يعارض إقامة دولة يهودية لأنه لم يوافق على ضرورة إقامة أية دولة على أساس ديني أو عنصري. وسارع نصيرا الصهيونية الشينخان فاغنر وتافت لإنكار أن القصد هو إقامة دولة دينية أو على أساس التمييز العنصري ، وأكدوا أن القصد هو توفير الضمانة لجميع من يشاء من اليهود الدخول إلى فلسطين، وهذا من شأنه أن يجعل فلسطين دولة يهودية بمعنى أن أكثرية السكان فيها ستكون يهودية . وكان من رأي ترومان أن كل قرار يتخذه الكونغرس يكون أبداً أثراً بعد انتهاء تحقيق اللجنة الأنكلو أمريكية التي سبق الاتفاق على تشكيلها بين بريطانيا والولايات المتحدة (تشرين الثاني - نوفمبر ١٩٤٥) . أما الصهاينة فكانوا يرون أن موافقة الكونغرس على قرار فلسطين ضروري قبل انتهاء تحقيق اللجنة ونشر قرارها لأن قرار اللجنة سينتشر بالدعم الأمريكي لتحقيق اليهود المقطوعة للصهاينة من الحزبين عام ١٩٤٤ . ولذا تقدم الشيخ فاغنر في ١٢ كانون الأول - ديسمبر ١٩٤٥ بمشروع قرار إلى مجلس الشيوخ دعا فيه إلى أن تكون فلسطين وطناً قومياً لليهود. وفي ١٧ كانون الأول - ديسمبر وافق مجلس الشيوخ على مشروع القرار ، وتبعه مجلس النواب في ١٩ منه . وفيما يلي نص القرار الإجماعي للكونغرس الأمريكي المتخذ في اجتماعه التاسع والسبعين بتاريخ ١٩ كانون الأول - ديسمبر ١٩٤٥ .

• حيث أن الكونغرس في اجتماعه السابع والستين يوم ٣٠ حزيران - يونيه ١٩٢٢ قرر بالإجماع (أن الولايات المتحدة الأمريكية تجبّد لإنشاء

وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، على أن يعلم بجلاء أنه سوف لا يعمل شيء من شأنه أن يمس الحقوق الدينية والمدنية للمسيحيين والطوائف غير المسيحية الأخرى في فلسطين، وأن الأماكن المقدسة والمباني والمواقع الدينية في فلسطين سوف يحافظ عليها بعناية).

وحيث أن اضطهاد اليهود المجرد من الرحمة في أوروبا قد بين بوضوح الحاجة إلى وطن لهم يتخذ كملجأ للأعداد الكبيرة من اليهود الذين أصبحوا بلا وطن نتيجة لهذا الاضطهاد؛ وحيث أن هذه الحاجة الماسة قد أيدتها طلب الرئيس بالسماح حالاً لمائة ألف لاجئ يهودي إضافي بالدخول إلى فلسطين قد أدى إلى تحسن أحوالها الزراعية والمالية والصحية والاقتصادية بصورة عامة (كذا) وحيث أن الرئيس، ورئيس الوزارة البريطانية قد اتفقا على تعيين لجنة تحقيق أمريكية إنكليزية مشتركة لتحري الأوضاع في فلسطين بالنسبة لمشكلة الهجرة اليهودية والوضع اليهودي في أوروبا، ووضع تقرير في مدى مائة وعشرين يوماً، لذلك فإن المجلس الممثل للأمة يقرر بالاتفاق أن الاهتمام الذي أبداه الرئيس في حل هذه المشكلة كان في محله، وأن الولايات المتحدة سوف تستعمل مساعيها الحميدة لدى السلطة المنتدبة لجعل أبواب فلسطين مفتوحة لدخول اليهود بحرية إلى ذلك القطر إلى أقصى قدرته الزراعية والاقتصادية، وسوف تتوفر هناك فرصة كاملة للاستعمار والتنمية، بحيث تكون لهم الحرية في استئصال بناء فلسطين كوطن قومي، وبالاشتراك مع سائر عناصر السكان لجعل فلسطين كومنولث ديموقراطي حيث يكون الجميع، بغض النظر عن الجنس والمذهب، متساوين في الحقوق (١).

وقد أشرنا إلى أنه يجب التمييز بين ما تمليه الاستراتيجية الأمريكية من مواقف تجاه الصهاينة، وما تمليه على السياسة الأمريكية عوامل داخلية بمحنة

تصل بتنظيم المجتمع الأمريكي وتركيبه . فقد يجتمع رأى الخبراء على سياسة تقنعها اعتبارات المصلحة القومية ، ثم يفشل الخبراء بإقناع أجهزة الحكم التنفيذية والتشريعية بتبني هذه السياسة . والملاحظ أن خبراء الخارجية الأمريكية — كغيرهم من خبراء الخارجية في دول أوروبا الغربية — كانوا يقفون تماماً على حقيقة الوضع في فلسطين ، غير أنهم كانوا يصطدمون دائماً بالبيت الأبيض . ولذا كان الأسلوب الصهيوني المرحلي يطمئن أولاً إلى عدم معارضة البيت الأبيض وإحاطته بستر محكم من التجويز ، ثم تقوم بمحملتها في أوساط الرأى العام والكونغرس لتصل إلى الضغط اللازم على الحكومة أخيراً . وما يسهل على الصهيونية مهمتها أوضاع النظام السياسى الأمريكى ، كالتخابر رئيس الجمهورية ، وثنائية الحكم الأمريكى — استقلال السلطة التنفيذية عن السلطة التشريعية والعكس — الأمر الذى يفسح المجال لتوسط الفئات الضاغطة بين السلطين ، واستغلالها الواحدة ضد الأخرى ومع تطور النظم الرأسمالية في الغرب الأوروبى والأمريكى هذا التطور الصناعى الاحتكارى ، أصبحت دور الصحافة والنشر ووسائل الإعلام الجماهيرية شركات احتكارية كبيرة وصلت في المجتمع الأمريكى ذى الاقتصاد الحر إلى درجة مذهلة من الآلية ، بحيث غدت الشعارات السياسية تستعمل وكأنها سلع تتولى شركات الدعاية مهمة بيعها وترويجها ، مقابل رسوم باهظة وبصرف النظر عن المحتوى والمداول ، خاصة إذا قدم هذا المحتوى بقلب إنسانى يعتمد على جهل الطبقات الشعبية بأصوله وأغراضه (١) . وقد تفلقت الصهيونية في مثل هذه الأجواء الموانية تعيث فيها فساداً دون أى عائق ، وظلت تضرب على نغمة اضطهاد اليهود الأوربيين المشردين ، وعذابهم ، وفنائهم ، وتبدأ القصة من

(١) فى عام ١٩٤٥ كان أقل من ثلث الشعب الأمريكى يعرف أن فلسطين تحت الانتداب

البريطانى .

Bailey, Thomas, A. « The man in the Street » N. Y. 1948

p. 132 quoted by Stevens, op. cit., p. 125

منتصفها ، وكان غير اليهود في التاريخ لم يعذبوا ولم يضطهدوا . والحق أنه يصعب على المحقق المنصف الذي خبر أحاييل المرحلية الصهيونية وطرقها الملتوية ، أن يتجنب الانفعال والغضب ، وهو يدون وقائعها وأساليبها ونفوذها ويميز في نفس الباحث دائماً أن الصهيونية التي لم تغير أبداً طبيعتها العدوانية التي نشأت عليها منذ البداية ، تحاول أن تتحاذع ضمائر الناس البسطاء وتزرع فيهم أنها حركة إنسانية ديمقراطية متمدينة أولاً ، وذلك بتزوير التاريخ والتلاعب بأحداثه ووقائعه ، وبالبكاء وذرف الدموع أسمى ولوعة على ظلم الإنسان للإنسان ، وبندب حظ اليهود المنكودين ، بينما هي خالقة ذلك الحظ والمحرضة عليه .

ويضيق بنا المجال عن شرح حملات التجهيل والتحايل والتزييف التي نفذتها الصهيونية على أعلى المستويات الأمريكية وأدناها - من ذلك على سبيل المثال لا الحصر ، ما أكدته المنظمة الصهيونية العالمية في أواسط عام ١٩٤٥ : « لا حل للتوأمية غير المتفصلة لمشاكل الشعب اليهودي وفلسطين ، إلا بعمل فلسطين دولة يهودية متحدة وغير منقوصة ، طبقاً لمقصد وعد بلفور . وأى تأخير في حل المشكلة . وأى محاولة لأنصاف الحلول ، وأى قرار مهما كان مؤيداً يبقى على الورق ولا ينفذ بسرعة وأمانة ، لن يلتقي مع مأساة الساعة ، وسيزيد فقط من آلام الشعب اليهودي ومن التوتر في فلسطين (١) » . وبطبيعة الحال فإن جميع الصهاينة يعنون بعبارة (مقصد وعد بلفور) إيجاد دولة يهودية ، مع أن ذلك في الحقيقة مقصد الصهيونية لا مقصد وعد بلفور الذي حمى الطوائف غير اليهودية في فلسطين . وهذا يجرنا إلى الحديث عن مدى فهم ترومان للصهيونية وأهدافها ، وذلك بعد أن عرضنا لمسعاها ونجاحها في الوصول إلى قرار ملأهم لها في الكونغرس الأمريكي ، لنرى كيف تدخل ترومان وحكومته لمصلحة صنع الدولة اليهودية .

وعلى الرغم من توضيح ستيتينوس وزير الخارجية الأمريكية للرئيس ترومان غداة استلام سلطاته ، أهداف الصهيونية بأنها ترمى إلى « هجرة غير محدودة إلى فلسطين وإنشاء دولة يهودية فيها » ، ولكن الملاحظات التي أبدتها ترومان فيما بعد كشفت عن تجاهلها للعلاقة التكتيكية الواشجة بين هذين الهدفين . ويصرح ترومان في مذكراته إنه كان على علم بعداء العرب للاستيطان اليهودي في فلسطين ، ولكنه ، مثل كثيرين غيره كان يشعر بالأسى لما حل باليهود في أوروبا . ولعل اندفاع ترومان المتزايد في خدمة الصهيونية وأهدافها يصبح واضحاً في ضوء عدة عوامل . منها أنه بوصفه ليبرالي النزعة كان متحمساً بشكل عفوى لكل ما يفضى لخدمة اليهود أو أية أقلية أخرى . وهذه واحدة من وسائل فهم « صهيونية » (الأمم الأخرى) ، على الرغم من أن الفكرة الليبرالية الحرة ، منطقياً ، ولسخرية القدر ، تهدف إلى تحقيق مبدأ الاندماج بين العناصر والأجناس بغض النظر عن وضعها المذهبي أو الديني ، بينما تعتمد الصهيونية على فرضية أن « الاندماج » ، محال ؛ فباركة الصهيونية لذلك تعنى الإقرار بفشل الغرب في مكافحة حقده العنصرى .

وكان مرتبطاً بالأساس الليبرالي لانجذاب ترومان نحو الصهيونية ما ألحنا إلى عطفه على اليهود النازحين من أوروبا (١) ، فسمح للصهيانية هنا أيضاً أن يخادعوه بأن ربطوا بين مسألة إنسانية هي انقاذ هؤلاء اليهود ، وبين مسألة سياسة محضة هي تحقيق برنامج هرتسل ، وكان هذا نتيجة حملات الدعاية الصهيونية التي روجت وقت الحرب للفكرة القائلة بأن الصهيونية كانت الحل النهائي لمشكلة اللاجئين اليهود . وقليل من الناس وقف يتفكر فيما إذا كان وجود اللاجئين اليهود ، يبرر بالضرورة الصهيونية وما تعتمد من حجج ومعاذير ، لا سيما وأن المفهوم الصهيوني « للحل النهائي للمشكلة العربية » في فلسطين ،

Truman, 11, op. cit., 132

(١)

(م ١٥ — فلسطين)

والمفهوم النازي ، للحل النهائي للمشكلة اليهودية ، في ألمانيا ، يتكونان من عامل أساسي واحد ، هو القضاء على العنصر البشري غير المرغوب فيه وتصفيته !

وثمة تفسير آخر لاجتذاب ترومان نحو الصهيونية ، هو اللبس الذي شاب تفكيره حول معنى مبادئ ويلسون في تقرير المصير وتطبيقها على وعد بلفور . فقد جاء في مذكرات ترومان أنه شعر دائماً بأن وعد بلفور كان متفقاً تماماً مع مذهب ويلسون في تقرير المصير (١) . ولكنه بينما طبق حق تقرير المصير على « الشعب اليهودي » ، إذا به لا يطبق هذا الحق نفسه على الأقلية العربية في فلسطين . فالحقيقة تثبت أنه ليس فقط لاعلاقة مطلقاً بين وعد بلفور وتقرير المصير ، فحسب ، وإنما أيضاً همامتنا قضان لا يلتقيان . فلو طبق مبدأ تقرير المصير على فلسطين ، لاستبعدت إمكانية بناء دولة يهودية هناك ، لأن الغالبية العظمى من السكان كانت غير يهودية يوم أعلن ويلسون نقاطه الأربع عشرة . فضلاً عن أن ناقدى الصهيونية قد وصفوا الخطوات والأحداث التي أفضت إلى صنع إسرائيل بأنها انتهاك صريح لمبدأ تقرير المصير .

وحاول ترومان أن يفسر كذلك عدم اكترائه بالمشورة التي قدمها له خبراء خارجيته ، أصحاب السراويل المخططة ، بتأكيد أن اهتمامهم لم يكن كافياً بمصير الأشخاص النازحين في أوروبا (٢) . وإذ لم يكن للرئيس ترومان سمعة سلفه واحترام العالم له ، ولا ثاقب نظره ، لذا فقد تورط في تصريح حمله الحاخام وايز لثمر مقابلته للرئيس ترومان (نيسان - أبريل ١٩٤٥) ، بأنه « لن يحميد قيد شعرة عن البند الخاص بقضية فلسطين في برنامج الحزب الديمقراطي الذي سيعرض في المؤتمر الانتخابي للحزب ، والذي ساعد كل

ibid. p.133

ibid. p. 69

(١)

(٢)

منا في وضعه (١) ، ، وإذا قيل عن الرئيس ترومان بأنه يختلف عن سلفه الرئيس روزفلت في صراحته ، فإن ذلك القول لا يستقيم دائماً ؛ ففي بادئ الأمر وأصل لعبة روزفلت في المناورة والخديعة ، برغم عطفه الصريح على الأهداف الصهيونية . ففي رديعه به إلى رئيس وزراء مصر النقراشي باشا ، جدد ترومان التأكيد الذي درجت حكومة سلفه على تكراره ، وهو أنها لن تتخذ أى قرار بشأن الموقف الأساسى فى فلسطين دون التشاور التام مع العرب واليهود على السواء . وإذا فسر (التشاور التام) بأنه يعنى إطلاع العرب على الخطوات الأمريكية الواجب اتباعها ، وأن تصريح ترومان هذا كان متفقاً مع عطفه على الألمانى الصهيونية ، فإن الذى لا شك فيه أن تأكيدات ترومان للزعماء العرب (٢) . تكشف عن مدى مواربتها وإلتوائها إن لم يكن تناقضها . وفى ١٦ حزيران — يونيه جددت الخارجية الأمريكية توصياتها إلى ترومان ، وبناء على ذلك جدد التأكيدات التى أعطاها سلفه فى رسائل إلى الحكومات العربية (٣) .

ما أن أستقر ترومان فى البيت الأبيض حتى أطلق رسالته الأولى لمصلحة الصهيونية باتجاه لندن . وكانت الرسالة المؤرخة فى ٢٤ تموز — يوليو وموجهة إلى رئيس الوزراء تشرشل الذى كان يلح على وايز من الضغط على روزفلت لمعالجة قلة أكترائه بالصهيونية . ولكن الانتخابات البريطانية أسفرت عن فوز العمال وأتلى بالحكومة . وقرأ أتلى الفقرة الأولى من الرسالة ، فإذا بها تقول : « ثمة اهتمام عظيم فى أمريكا بمشكلة فلسطين . ان التحديدات المفجعة المفروضة على الهجرة اليهودية فى الكتاب الأبيض الصادر فى مايو — أيار ١٩٣٩ لا تزال تستثير الاحتجاج الحار من جانب الأمريكين الذين ينصب

Kirk «The Middle East in the War» 1939-45 p. 329 (١)

Hurewitz, op cit., p. 226 (٢)

Truman, op. cit. II, pp. 131-135 (٣)

اهتمامهم على فلسطين والمسألة اليهودية . إنهم يحضون بجملة على رفع هذا الحظر الذي يذكر على اليهود بعد تشريدهم دون رحمة على يد الطغيان النازي ، الدخول إلى البلد الذي يمثل بالنسبة لكثيرين منهم ، أملهم الوحيد في البقاء . وبينما أدرك صعوبات التوصل إلى تسوية محددة ومرضية للمشكلة الفلسطينية ، وأنه ليس بمستطاعنا أن نتوقع مناقشة هذه الصعوبات مطولا في لقائنا الحاضر ، فإنني أشك بعض الشيء في أن هذه الصعوبات سوف تتناقص بالتأجيل المطول . ولذلك آمل أن تنهى إلى ، في أبكر وقت مريح لك ، أفكارك عن تسوية مشكلة فلسطين ، حتى نستطيع في وقت لاحق غير متأخر جداً ، أن نناقش المشكلة بعبارات محددة ، (١) .

كان تركيز رسالة ترومان إلى أتلي على موضوع الهجرة ، وفقاً للطموح الصهيوني في إسقاط الكتاب الأبيض الذي لا يزال ينكر لجوء اليهود الفارين من الطغيان النازي . وهذا الخط نفسه قد ورد في برنامج بلمور وتبناه الرئيس الأمريكي على نحو لا يمكن تفسيره بلغة المنطق والعدل . فالحرب العالمية الثانية قد وضعت أوزارها ، وتم سحق النازية ، كم تم نقل نزال معسكرات الاعتقال إلى مراكز الاسعاف المختلفة ، تحت إشراف الجيوش المتحالفة ، بما فيها الجيش الأمريكي ووحدات الفيلق اليهودي الفلسطيني .

وأمرىكة نفسها تجاهلت الاعتبارات الإنسانية بصدد إيواء اللاجئين اليهود الأوربيين في بلادها ، ومواقف الكونغرس والفئات الضاغطة الأمريكية الأخرى تشي بتسكرها وسليتها تجاه قبول هؤلاء اليهود الذين كان مأزقهم وصمة في ضمير المسيحية الغربية .

لقد تخير الرئيس ترومان موقفه من الصهيونية في ضوء المتطلبات السياسية

الانتخابية القادمة . فهو لم يحترم التزامات سلفه روزفلت لابن سعود ، ولا نظرية المسؤولية الجماعية لحل المشكلة اليهودية التي تبناها أيضا سلفه روزفلت وإنما ، النخوة التشرشلية لعام ١٩٢٢ وهو بعيد جداً عن المسرح الفلسطيني .

إن رسالة ترومان إلى أتلي (٢٤ تموز - يولييه ١٩٤٥) قد حققت عدة أهداف : فهو قد بدد مخاوف زعماء الكونغرس والرأى العام الأمريكي من أن الولايات المتحدة سوف تتحمل « وحدها » صدمة الغزو الناجمة عن هجرة ٣٠٠ ألف من يهود أوربة . وهو كذلك قد حرر زعماء اليهود الأمريكيين من عمل مزعج يقتضى منهم الإلحاح لقبول الألوف من أبناء دينهم الأوربيين في الولايات المتحدة . وأخيراً لا آخر ، فهو قد اكتسب قلوب الزعامة الصهيونية .

أجاب أتلي على رسالة ترومان في ٣١ تموز - يولييه ١٩٤٥ إجابة مختصرة ، قال فيها : « قرأت مذكرتكم ... بصدد فلسطين وإنكم لتفهمون بالتأكيد أنى لا أستطيع أن أدلى بأى بيان عن السياسة حتى يشوف لنا الوقت للنظر فى الموضوع . وأردت فقط أن أحيطكم علماً بأننا سنولى مذكرتكم العناية والاعتبار المبكر ، (١) »

ولا بد من القول إن حزب العمال البريطانى ، وهو الآن فى دست الحكم ، كان مؤيداً للصهيونية بحماسة . ووزير الخارجية ارنست بيفن نفسه كان له علاقات وتقاليد عمل طويلة مع المنظمة الصهيونية البريطانية ، تعود إلى مطلع الثلاثينات ، حين كان تدخله لمصلحة التراجع عن الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٠ عاملاً حاسماً أدى إلى توحيد موقف لورد باسفيلد وزير المستعمرات

آنذاك ولكن بريطانيا ما بعد الحرب العالمية الثانية ، اكتسبت في تعاملها مع الصهيونية خبرة ٢٧ عاماً .

وكان لها سياسة مرسومة متنوعة الوسائل والغايات ، وكانت تحتاج إلى بعض الوقت ، تستعيد خلاله أنفاسها في فترة ما بعد الحرب ، لتفكر في ما ينبغي أن تكون علاقاتها في العالم العربي ضمن الظروف الجديدة التي برزت على المسرح السياسي العالمي . فضلاً عن أن بريطانيا ، وهي متأكدة تماماً من آثار مرواوغتها ووقع وفاقها غير المعلن مع الصهاينة منذ عام ١٩١٧ . كانت ترى بوضوح شدة حساسية مشكلة فلسطين في العالم العربي والإسلامي . ولذلك فبريطانية لم تكن متعجلة كما يريد الصهاينة والأمريكيون .

والزعامة الصهيونية من ناحية أخرى كانت لا تطيق هذا الموقف المتأن البريطاني . كان لديها كثير من الأسباب الموجبة للعمل السريع المتعجل . فهي تعلم أن الأوساط الدولية ما بعد الحرب يمكن أن تتقبل التعديلات الأرضية . والرأي العام العالمي كان في ذروة مقاطعة مع يهود أوروبا المنكودين ومع الصهيونية ، أياً كان فهمه لها . ولا بدّ من استغلال اندفاع الرئيس ترومان واليهودية الأمريكية قبل أن تفتت حدة ، وجامعة الدول العربية التي تأسست حديثاً التزمت بالحفاظ على الوجه العربي لفلسطين ...



ابتلع ترومان (الطعم) الذي ألقاه الصهاينة على البيت الأبيض ، وكان روزفلت قد راوغه وتملص منه . وحين أمسك ترومان بالطعم توجب عليه أن يوفق بين الأضداد ويوجد علاقة بينها في وقت واحد . كان عليه أولاً أن يوفق بين متطلبات (المثالية) التي لا بدّ أن يظهر تمسكها أمام الرأي العام الأمريكي والعالمي ، وبين متطلبات الصهيونية . وكان عليه ثانياً أن يوفق بين محاباته للصهيونية وبين تطلعه لتجديد انتخابه للرياسة الأمريكية أطول

مدة ممكنة . ولا حاجة إلى القول إن ترومان رأى مثاليته تتحقق بربطه بين هجرة اليهود الأوربيين إلى فلسطين ، بدوافع إنسانية تدعوه إلى أن يضغط على بريطانيا كما ترفع الحظر المفروض على الهجرة .

وحين ابتلع ترومان (الطعم) الصهيوني . أصبح مثلاً يحتذىه الرؤساء الأمريكيون في رسم سياسة البيت الأبيض تجاه فلسطين (وخاصة جونسون ونيكسون) ، وبذلك باشر القيام بعملية لا تقاوم . هذه العملية التي خطط لها بن غوريون ومعاونوه لفرض الحصار على الرئاسة الأمريكية ودفعها للاندماج في الأطر الصهيونية على نحو غير معروف قبل الآن . وقد سبق للصهيونية أن مارست هذه العملية في بريطانيا فلفت كل نجاح ، وكان بن غوريون بعيد النظر حين رأى إمكان تكرارها وبفاعلية أكبر في أمريكا . ومعادلتها في العملية بسيطة : حين تزيد أمريكا انحيازها للصهيونية تزايد ثقة المؤسسة الصهيونية الأمريكية بنفسها (وكانت في حالة متردية من التفكك والانقسام واللامبالاة بسبب قوة الصدمة التي تلقتها وتمثلت بمحنة يهود أوربة) . وبقدر تزايد ثقة المؤسسة الصهيونية بنفسها ، بقدر ما يزيد اندفاعها في الضغط على الجماعات اليهودية الأمريكية . وبقدر ما يزداد تشييط وتحريك الجماعات اليهودية الأمريكية ، يكون ضغطها أكبر على الإدارة الأمريكية الراحية لها . وبقدر ما يزداد الضغط على الإدارة الأمريكية الراحية ، بقدر ما يتصاعد انحيازها إلى المطالب الصهيونية .

وبن غوريون بذلك حقق الهدف الأول من الاستراتيجية التي قصد منها في البدء نقل مقر العمل الصهيوني المركزي من لندن إلى واشنطن . وحين عاينت الجماعات اليهودية الأمريكية انحياز الإدارة الأمريكية في البيت الأبيض وتأييدها للصهيونية ، تزايدت الثقة بالصهيونية ، وتمثل ذلك بقفزة مفاجئة غير مسبقة سجلتها التبرعات والهبات اليهودية الأمريكية لمنظمتي

الاستيطان الصهيونيتين : الكيرن كيمت والكيرن هيزود، من ١٤,٧٠٠,٠٠٠ دولار عام ١٩٤٥ إلى ٢٦,٨٠٠,٠٠٠ دولار عام ١٩٤٦ (١).

هذا هو الإطار العام ، وفيما يلي بعض التفاصيل :

لقد كان مؤتمر بوتسدام هو فرصة الصهاينة الأولى لممارسة الضغط الأمريكي على الحكومة البريطانية ، من أجل الإذعان لمضمون مذكرة الوكالة اليهودية التي قدمتها في ٢٧ آيار — مايو ، وتلخص بإعلان الدولة اليهودية، والترخيص للوكالة اليهودية بالإشراف التام على الهجرة إلى فلسطين. وأبرقت المنظمات اليهودية إلى ترومان ملحة عليه أن يستخدم نفوذه لتسوية قضية فلسطين في مؤتمر بوتسدام ، وفقاً لحاجات اليهود ومطالبهم . وبعد أن ضمنت الصهيونية تعضيد معظم المجالس التشريعية في الولايات ، حملت ثمانية وثلاثين من حكام الولايات البالغ عددهم ثمانية وأربعون، على مطالبة رئيس الجمهورية باتخاذ الإجراءات فوراً لفتح أبواب فلسطين أمام هجرة واستيطان واسع النطاق ، ولتحويل تلك البلاد إلى دولة يهودية ديمقراطية حرة « في أقصر وقت ممكن » .

وفي بوتسدام ناقش تشرشل ، ثم أتلي — بعد فوز العمال — مسألة فلسطين مع الرئيس ترومان الذي ذكر أن حكومته تؤيد إدخال أكبر عدد ممكن من اليهود، يتوطنون في فلسطين سلبياً، ولكنه يعارض استعمال القوة الأمريكية لقمع الاضطرابات المحتملة وقوعها فيها. وكان عدم رغبة ترومان في استعمال القوة الأمريكية راجعاً إلى احتمال معارضة الكونغرس ، والميل إلى تحديد التزامات أمريكا العسكرية ما بعد الحرب في الخارج ، وضغط الرأي العام الأمريكي لإنهاء حالة التعبئة العامة بالسرعة الممكنة (٢) .

Khalidi op. cit., pp. 57-8 introduction'

(١)

ibid, p. 227

(٢)

وبعد عودة ترومان من بوتسدام ، كشف عن الموقف الذى اتخذه من فلسطين فى مؤتمر صحفي عقده فى ١٦ آب - أغسطس ١٩٤٥ بقوله : إنه يدافع عن استيطان حرو مفتوح لليهود فى فلسطين إلى النقطة التى تتفق مع حفظ السلام والأمن . وترومان بتصريحه هذا قد سجل على حكومة الولايات المتحدة الأمريكية معارضتها للكتاب الأبيض البريطانى ؛ وقال ترومان بما أن الحرب انتهت فيجب التخلي عن سياسة التحايل فى بحث قضية فلسطين على أساس « الضرورة العسكرية » التى اتبعتها وزارة الخارجية الأمريكية أثناء الحرب ، وفى الوقت نفسه حذر ترومان أنه ليس فى نيته أن يعث بـ ٥٠٠ ألف جندي أمريكي لحفظ السلام فى فلسطين ، وقال إن مسألة الدولة اليهودية يجب بحسبها مع البريطانيين ومع العرب (١) .

على أن المحادثات التى جرت فى بوتسدام ، والنقاط التى أثارها ترومان فى مؤتمره الصحفي ، قد ولدت نظرة من عدم الثقة به فى نفس المستر أنلى ووزير خارجيته المستر بيفن ، ستنعكس على ماسيتلو من أحداث . ووضحت مذكرة وزارة الخارجية الأمريكية (ايلول - سبتمبر ١٩٤٥) المقصود من الكتاب الأبيض للرئيس ترومان ، وقالت أنه حل وسط بين مطالب الصهاينة ومقاومة العرب لتلك المطالب . وأشارت بوضوح إلى التفاوت بين سياسة الرئيس وبين مقدرة بلاده على تنفيذها . ونصحت المذكرة بأن لاتدافع أية حكومة عن الهجرة الكثيفة ما لم تكن مستعدة للمساعدة على توفير ما يلزم من قوات الأمن والسفن والإسكان وضمانات العمل الخ . ويمكن للولايات المتحدة أن تؤيد الهجرة إلى فلسطين خلال الفترة الانتقالية ، بحيث تفرض فيها قيود من جهة العدد والفئات ، بعد النظر الى الاعتبارات الإنسانية ورفاه فلسطين الاقتصادى والأوضاع السياسية فيها . ولكن على الحكومة البريطانية

بوصفها الدولة المنتدبة أن تقبل بالمسئولية الأولى لهذه السياسة وتكون
مسئولة عن تنفيذها (١) .

غير أن وجهة نظر ترومان كانت تفتقر إلى الواقعية الأساسية ؛ فقد أيد
هجرة غير محدودة ودولة يهودية ، بشرط أن لا تتدخل الجيوش الأمريكية ،
وفي الوقت نفسه رأى أن تقرير مصير فلسطين على المدى البعيد هو من نوع
المشاكل التي « من أجلها أوجدنا الأمم المتحدة » ، ثم أسقط من حسابه
كل حل لمسألة فلسطين على المدى البعيد حين قال : « ان ثمة حاجة الى نوع
من المعونة لليهودية في أوروبا ، ويفترض أن هذا الأمر يمكن توفيره في
فلسطين (٢) ، ١١

وبدعى أن الصهاينة اغتبطوا باللاواقعية الظاهرة في تمسك ترومان بأن
تأييد الهجرة لا يعنى بالضرورة وجوب استخدام القوة ، بل أراد الصهاينة
أن يبدخوا من ذهنه الوهم بأن اعلان الدولة اليهودية لا يستوجب إرسال
نصف مليون جندي أمريكي للمحافظة على السلام في فلسطين ، ورأوا أن هذا
الوهم كان من أثر الدعاية البريطانية في مؤتمر بوتسدام (٣) .

وقد كتب ترومان أنه انزعج من مذكرة الخارجية التي أوصته بوجوب
التحفظ وانزعج أكثر عندما اقترح بيرنز Byrnes وزير خارجيته في
أوائل تشرين الأول - أكتوبر ١٩٤٥ أنه يجب أن تنشر تأكيدات سلفه
روزفلت الى ابن سعود بخصوص فلسطين ، « على أساس أن ذلك سيوضح
للرأي العام الأمريكي أننا لن نصادق على البرنامج الصهيوني » . والرئيس

Truman, op. cit., 11, pp. 136-137

(١)

Truman, ibid. p. 140

(٢)

Stevens op. cit , p. 133

(٣)

ترومان الشديد الحساسية فيما يتعلق بالرأى العام أكثر من موظفيه الداعمين ، رفض أن يصدر البيان من البيت الأبيض ، بل أمر بيرنز أن يصدره إن شاء من الخارجية الأمريكية ، وقال : « لا أرى سبباً يوجب علىّ بيان عام أن اتخذ موقفاً من مسألة اعتقد أن الأمم المتحدة يجب أن تسويها (١) » . ولكن ترومان كان سابقاً في رسالته الى رئيس الوزارة البريطانية (٢٤ تموز - يوليه) قد اتخذ موقفه المتحيز من المسألة ، بغض النظر عما يمكن أن تراه الأمم المتحدة وألح في رسالته المؤرخة في ٣١ آب - أغسطس ١٩٤٥ على المستر أتلي طالباً السماح بإدخال ١٠٠ ألف يهودى إلى فلسطين ، ومنسند ذلك الحين أصبح هذا الموقف هو الموقف الرسمى للبيت الأبيض . ومن جهة أخرى فالحكومة الأمريكية كانت تبدى استعدادها للمشاركة في تنفيذ مثل هذه السياسة - الأمر الذى سبب الضيق للحكومة البريطانية .

وأجاب أتلي على طلب ترومان بتذكيره بالعهود التى قطعت للشعوب العربية . وقد سعت الحكومة البريطانية للتخلص من الالحاح الأمريكى والضغط الذى كان يرافقه ، فاقترحت على الولايات المتحدة المتحدة (١٩ تشرين الأول - أكتوبر ١٩٤٥) أن تشاركها فى مسئولية رسم سياسة فلسطين عن طريق تشكيل لجنة تحقيق انكلو أمريكية لدراسة مسألة فلسطين وجميع ما يتصل بها ، ويمكن أن تودى إلى دعم أمريكى ناشط لبريطانيا ضد توقعات التوسع السوفيتى (٢) .

وبينما كان ترومان يحاول حث بريطانيا لانتهاج سياسة أكثر ليناً فى مسألة الهجرة اليهودية ، كان الصهاينة ، بكلمات ترومان ، يجعلون مهمته أصعب يبحثهم عن دعم أمريكى لإقامة دولة يهودية ؛ وقد سجل ترومان هذا

Truman. op. cit., p. 140

(١)

Grossman op. cit. p. 65

(٢)

الجزء من القصة حين وضح أنه كان محاصراً من الصهاينة وعرضة لإلحاقهم الشديد بقوله : « إن الصهاينة بصبر نافذ كانوا يجعلون هدفي الأول أصعب من اللا . كانوا يريدون أكثر من إجراءات أيسر للهجرة ؛ لأنهم كانوا يريدون من الحكومة الأمريكية أن تعضد هدفهم في إقامة دولة يهودية في فلسطين (١) » .

أما صعوبة تفهم ترومان لسبب إعاقة الصهاينة جهوده في مساعدتهم ، بطلبهم أكثر من تيسير سبل الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، فهو دليل آخر على فهمه السقيم والسادج للحركة الصهيونية وأساليبها المرحلية . والحق أن ترومان لم يدرك أن إتمام المرحلية الصهيونية لمشكلة اللاجئين اليهود الأوروبيين في صميم الاستراتيجية الصهيونية كان يشكل ضمن سبيل يؤدي إلى إيجاد الدولة اليهودية . ويبدو عدم إدراكه للعلاقة الواشجة ، بين الهجرة وبين خلق الكيان السياسي ، وهي علاقة السبب بالنتيجة والعلة بالمعلول ، من دهشة ترومان التي أبدأها آنفاً . ولو أنه كلف نفسه دراسة سطحية للتكنيك الصهيوني البارع في ميدان الدعاية والسياسة في مختلف الأوساط الأمريكية خلال الحرب ، لتحقيق من أن الصهاينة قد أخذوا أنفسهم بسياسة حازمة تؤكد على دولة يهودية وشيكة القيام ، ولأدرك أن حملتهم لخلق معارضة أمريكية للكتاب الأبيض (١٩٣٩) ولاستدرار عطف أمريكي على محنة اليهود الأوروبيين ، إنما استهدفت في الحقيقة بيع فكرة الدولة اليهودية في فلسطين للجمهور الأمريكي وللكونغرس والحكومة .

يقول ترومان ، متفكراً بمشكلة اللاجئين في أوروبا ، وبزيادة الصهاينة في إقامة الدولة : « في رأيي إن أهداف الصهاينة وأغراضهم في هذه المرحلة لإنشاء دولة يهودية كانت ثانوية بالنسبة للمشكلة الأكثر إلحاحاً ، وهي

إيجاد وسائل للتفريغ عن كرب المشردين (١) ، ! وهنا أيضاً دليل آخر على فشل الرئيس ترومان في فهم الصهيونية وإدراك مخططاتها . فأهداف الحركة وأغراضها الأساسية ، بالنسبة للصهيونية السياسية ما كانت ثانوية أبداً . فمن المعلوم أن فكرة (الدولة) هي لب العقيدة والبرنامج الصهيونيين ، ومع ذلك فالصهيونية الرسمية ظلت طوال الأعوام الخمسين الأولى من حياتها ، تتجنب استعمال كلمة (الدولة) عند تحديد أهدافها ومطالبها .

وقد كشفنا في مكان سابق من البحث اعتبار الصهاينة لمشكلة اللاجئين أمراً ثانوياً بالنسبة لهدف الصهيونية الأساسي : الدولة . ورأينا عدم اكتراثهم في برمودا وإيفيان باستقرار اللاجئين في أى مكان آخر غير فلسطين . كذلك عرضنا لمساعي موريس أرنست مبعوث روزفلت لتطوير خطة يمكن بواسطتها إسكان لاجئي أوروبا اليهود في الأمم التي ترحب بهم في أرجاء العالم ، وكيف أن الصهاينة نظروا إلى هذا العمل كخطة غادرة تهدد تحقيق المقاصد الصهيونية نفسها . ويصف أرنست ردة الفعل الصهيونية هذه بعبارة واضحة جداً ومعبرة جداً : «عجبت ، بل أنني شعرت بالإهانة حين ندد بي الزعماء اليهود النشيطون ، وهزأوا بي ثم هاجموني كأنى خائن . وفي إحدى حفلات العشاء أنهم صراحة بدعم الهجرة الحرة هذه (لليهود إلى بلاد العالم) من أجل تقويض الصهيونية السياسية . . لقد وقف أصدقاؤى الصهاينة في وجه (برنامج روزفلت) . . لقد فهمت لماذا يشعر زعماء هذه الحركات (الصهيونية) أن رسالتهم الاثيرة يهددها بالخطر كرم برنامج روزفلت وإنسانيته (٢) . »

ibid pp. 144-145

(١)

Earnst, Morris L. «So Far So Good» N.Y. 1948, pp.176- (٢)

77, quoted in Stevens, op. cit , p. 72

وأظهر الصهاينة هذه اللامبالاة نفسها تجاه الاهتمام الإنساني بالمشردين اليهود إن لم يتضمن هذا الاهتمام إسكانهم في فلسطين ، وذلك في مناسبتين بعد الحرب ؛ أولاهما حين أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة (١٥ كانون الأول - ديسمبر ١٩٤٦) لإقتراحاً بأن تفتح الدول الأعضاء في المنظمة الدولية أبواب بلادها أمام اللاجئين ، وثانيتهما حين نوقش مشروع قانون أمام مجلس النواب الأمريكي (عام ١٩٤٧) بخصوص قبول النازحين في الولايات المتحدة (١) .

وبكلمة موجزة ظل الصهاينة يعتبرون إقامة دولة يهودية كشيء أول وفوق كل اعتبار ، بحيث يخلص المرء من دراسة أعمالهم إلى أنهم اهتموا بمشكلة اللاجئين اليهود بقدر ما ساهمت في إقامة الدولة ، التي هي الهدف الأول والأخير للصهيونية السياسية . وقد أشار إلى هذا المعنى الأمين العام للجامعة العربية عزام في أثناء زيارته للندن (خريف ١٩٤٥) حين قال إن الضجيج الصهيوني حول الموضوع (الهجرة اليهودية إلى فلسطين) قد استوحى قبل كل شيء ليس من دوافع إنسانية ، ولكن من دوافع سياسية . والدليل على ذلك هو تمنع الصهاينة الواضح عن السماح لليهود الفلسطينيين بالهجرة من فلسطين إلى الولايات المتحدة أو غيرها . وكذا جهودهم في حشد المهاجرين من كل بلد ومحاولتهم تثبيط جهود النازحين اليهود للاستيطان في أي مكان باستثناء فلسطين (٢) .

وحين طلب ترومان من أتلي لإدخال ١٠٠ ألف لاجئ يهودي إلى

Lilienthal, cit., p. 34

(١)

لمعرفة تجاهل أمريكي للاعتبارات الانسانية بهدد لإبواء اللاجئين اليهود في بلادها ، وحول الجدل الطويل الذي استمر في الكونغرس الأمريكي حول موضوع قبول الأشخاص النازحين والمشردين من أوروبا في الولايات المتحدة ، طالع كتاب :

Diaine, R. A. American Immigration policy. 1924 - 1952, London 1957, pp. 112 - 128.

Barbour, op. cit., p. 226

(٢)

فلسطين في ٣١ آب - أغسطس؛ سجل أول خطوة لإجهاية نيابة عن الصهيونية
على الطريق إلى تحقيق أهدافها .

وجاء هذا الطلب بناء على تقرير رفعه المستر إيرل ج . هاريسون عميد
كلية الحقوق في جامعة بنسلفانيا ومثل اللجنة الحكومية لتقصي شئون اللاجئين
اليهود ، وكان ترومان قد أوفده إلى أوروبا في حزيران - يونيه لبحث
أوضاع النازحين الذين لا يمكن إرجاعهم إلى أوطانهم ، وخاصة اللاجئين
اليهود منهم . وقد جاء في تقريره الذي رفعه يوم ٢٤ آب - أغسطس إن
الكثير من النازحين اليهود يتقلبون في أحوال سيئة ولا أمل لهم ولا رغبة
لديهم في إعادة توطينهم في أوروبا، وحتى اليهود غير الصهاينة يقال إنهم أدركوا
أن إمكان السماح لهم بالهجرة إلى الولايات المتحدة أو أى بلد آخر في نصف
الكرة الغربي، ضعيف جداً . واقترح هاريسون ترحيل اليهود النازحين عن
ألمانيا والنمسة فوراً ، وفتح فلسطين أمام اليهود القائمين في معسكرات التجمع ،
لأنها أكثر الأمكنة ملائمة لهم . وذكر هاريسون أنه حتى في ألمانيا والنمسة
التي هي تحت الإدارة الأمريكية ، لا يزال الميل للتحيز ضد اليهود قائماً ، برسم
جهود القادة الأمريكيين لحمايتهم ، وأن عدد اليهود الباقين في المعسكرات
الأوروبية التي اعتقلوا فيها إبان الحرب يبلغ نحواً من ١٠٠ ألف ، وذكر في
تقريره أنه تأثر في تحديد هذا الرقم ، بالمذكرة التي كان الصهاينة قد قدموها
إلى وزارة المستعمرات البريطانية .

ولكن اللفتات جنرال فريدريك مورغان Morgan الرئيس
البريطاني لإدارة الإغاثة والإسكان التابعة للأمم المتحدة في ألمانيا ، كشف
في أوائل ١٩٤٦ عن تقرير الجيش الثالث حول التنظيم الصهيوني السري ،
وكتب عن المؤامرة اليهودية الضخمة التي توجهها منظمة يهودية سرية لإخراج

اليهود من أوروبا (١)، والحيلولة دون استقرارهم فيها بكل وسيلة. كان الجنرال مورغان يحكم مركزه يستطيع أن يحيط علماً بكل ما يجري حوله. وقد أكدت المعلومات التي وصلته من مكاتب هيئة الإغاثة الدولية في وارسو أنه يوجد مركزان لجمع اللاجئين اليهود في بولندا من أوروبا الشرقية، أحدهما في لودز والثاني في كاتوفيتش. وكان اللاجئين ينقلون إلى برلين بالسكة الحديد وعبر الطرق، ومن ثم بوسائل مماثلة إلى ألمانيا الغربية. وكان يتم النقل غالباً بواسطة قوافل سيارات كبيرة تصل ليلاً، حيث يتلهم الظلام. ولقد ذكر أن سيارات النقل هذه كانت أمريكية يسوقها رجال يلبسون الملابس الأمريكية.

(١) أشار مورغان أن ثمة حركة (خروج) ثانية محكمة التنظيم لطرد اليهود من روسيا إلى فلسطين. وقدم يهود نيويورك خاصة امدادات ضخمة إلى هيئة الاغاثة الدولية غدموا بذلك الهجرة اليهودية الواسعة الطاق من أوروبا الشرقية إلى فلسطين. ويبدو أن تنظيم هذه العملية كان يشترك فيه كل حكومة أوروبية، بدليل مناصرة بريطانيا لهذه الحكومات الأوروبية بدعم ودعم الهجرة المارة بأراضيها، وكذلك الولايات المتحدة وجيها. ويقول ريتشارد كروسمان في كتابه (هيئة فلسطين) إنه كانت هناك في جميع المعسكرات دعاية صهيونية منظمة تدعى عليها لجنة (التوزيع الأمريكية المشتركة) والوكالة اليهودية أو تم بواسطة الفيلق اليهودي البريطاني أو بواسطة موظفي الاغاثة الموالين. ولقد وجدنا صعوبة في التحري عن هذه الحركة السرية بالنسبة، فأحد التيارات كان يجمي من بولندا عبر تشيكوسلوفاكيا ومنها عن طريق المنطقة الروسية إلى فينا. وأنشئ معسكر احتلال لهؤلاء المهاجرين في مستشفى رومشيلد بالمنطقة الأمريكية في فينا. وتيار آخر يدخل فينا من الجنوب الشرقى. وبعض المهاجرين يأتيون من بخارست عن طريق بودابست والمنطقة الروسية، وتيار آخر من هنغاريا يتجمع في بودابست ثم ينقل منها مباشرة. وكانت المنظمات الصهيونية في رومانيا وهنغاريا وبولندا تمد هؤلاء اليهود بالمال وتخطط لهم سبل تنقلهم بقدر الامكان. وثمة طريق من بولندا إلى إيطاليا مباشرة عبر المنطقة البريطانية في النمسا، حيث «للمصادفة» كان الفيلق اليهودي يشكل حرس الحدود.

وذكر كروسمان أن الوفود التي قابلت عضوى اللجنة كرام وليف في المنطقة الأمريكية أدلت بنفس الخطب وحملت نفس الشعارات. وإن المنطقة الأمريكية كانت كاقصم يمر من خلاله اليهود. وقد قدر بأن ثمة (٢٠٠٠) يهودي يدخلون المنطقة الأمريكية من النمسا كل شهر، بشكل غير مشروع.

وقال مورغان إن هيئة الإغاثة الدولية كان لها عدة معسكرات ، وخاصة للنازحين اليهود ، وأنه لا يمكن إحصاء عدد من فيها ، وهي كلها ، ماعدا معسكر واحد ، تقع في منطقة الاحتلال الأمريكية : معسكر قرب فرنكفورت ، والمعسكرات الأخرى قرب ميونيخ .

ويذكر مورغان أن معسكر (تسلسيم Zeilshheim) قرب فرنكفورت كان يستعمل ببراعة لدعم الدعاوة اليهودية التي كانت تستهدف الترويج لزعم أن هؤلاء اليهود الذين عاشوا الإرهاب النازي كانوا يعاملون على يد الحلفاء معاملة لا تختلف عن معاملة النازيين ، وأنهم يقاسون من الجوع والعري في معسكراتهم المزدهرة .

وقد صورت الدعاوة الصهيونية انتقال هؤلاء المهاجرين المذكورين عبر ألمانية المهتدمة إلى النمسة وإيطالية ويوغسلافية ومنها إلى فلسطين.. صورت هذا العمل على أنه اندفاع أناس مضطهدين نحو وطنهم الذي فقدوه منذ زمن طويل .

ولكن مورغان يؤكد أنه « قلّ من بين المسافرين الذين ينوون بإرادتهم الحرة أن يذهبوا إلى أى مكان آخر غير الولايات المتحدة الأمريكية (١) » .

ولقد استدرج الصهاينة مورغان إلى مؤتمر صحفى في فرنكفورت ، ووجهوا إليه أسئلة محددة أجاب عنها ببساطة بحسب خبرته المكتسبة من طبيعة عمله ، وذلك لدفعه نحو الإدلاء بتصريح يحرفونه كيما يبرهنوا أنه ما زالت ثمة نزعة لاسامية تواجه اليهود حتى في مراكز الإسماعف التابعة لهيئة الإغاثة الدولية . وكانت الأسئلة المطروحة تنحصر فقط بالمسألة

الصهيونية ، وموقف الهيئة أوسياستها يازاء المشكلة اليهودية . أجاب مورغان : « إننا نشهد خروجاً ثانياً منظماً على نحو مدهش ، وهذه المرة من أوربة » . وقد استخدم الصهاينة هذه العبارة وحرفوها في غير المعنى المراد ، ونشروها في الصحف البريطانية والأمريكية ، وشنوا عليه حملة شعواء . وأدرك مورغان أن محاولته للدلاء بالحقيقة الراهنة قد استغل ككبسولة لتفجير قوى جرى إعدادها بعناية ، وأنهم بأنه : تجسيد جديد لهنتر ، ، واتضح له أنه ليس أمام مجرد ضجيج عابر ورأى أن « هيئة الإغاثة الدولية قد استخدمت بمهارة لإثارة ما ليس أقل من حملة صهيونية للعدوان في فلسطين ، ولتحدى الحظر الذي فرضته دولة الانتداب البريطاني التي كانت تهجم ، على نحو غير مسبوق ، عن استخدام الوسائل (القمعية) الحاسمة (ضد الصهاينة في فلسطين) . فقد استعملت القيادة الصهيونية المنظمة بيراعة أى وسيلة وكل وسيلة لغرض الهجرة على البلاد ، دون اعتبار لشقاء وآلام المهاجرين الذين كان يبدو أنهم لا يحسون بأى حماس عضوى للقضية الصهيونية (١) » .

ويرى مورغان أن مشروع تهجير يهود أوربة إلى فلسطين كان يلقى الاغضاء الروسى إن لم يكن المعونة الفعلية ، ما دام نجاحه سيفضى إلى طرد السلطة البريطانية من منطقة حيوية في الشرق الأوسط . ويؤكد مورغان أن قلوب اليهود لم تكن مع الصهيونية في مسعاها الدائب لتهجيرهم إلى فلسطين ، فيقول : « كانت عملية الهجرة تصورا وكأنها اندفاع ذاتى من جانب الذين بقوا أحياء (من اليهود) فراراً من الطغيان ، باتجاه السلامة والأمن في أرض الوطن الذى ظالماً أنكرو عليهم على نحو شرير . ولكنها بنظر المشتركين فيها لم تكن تبدو كذلك . وباستثناء بعض المتطرفين المتعصبين لم يكن

Morgan, Frederick, Peace & war : A soldier's Life, (١)
London 1961, pages reprinted by Khalidi, op. cit., pp. 532 - 33.

بمقدورى أبدأ أن أكتشف أى حساس كبير للقضية بين الكثيرين الذين تحدثت معهم . ففي المعسكرات كانوا عرضة لدعاية حاذقة لا تقدر ، وكانوا يتلقون تدريباً رائعاً فى تنظيم « الكيوتز » ، كما يكلفوا بواجب تأسيس المستوطنات الجديدة فى فلسطين والحفاظ عليها ، (١) .

ويسجل مورغان أن الدعاية الصهيونية القوية كانت ناشطة لخلق الانطباع بأن الغالبية الساحقة من ضحايا الطغيان النازى كانوا من اليهود . ونتيجة لذلك فقد انتشر الاعتقاد بأن جميع الأشخاص النازحين كانوا يهوداً ، وأن هيئة الإغاثة الدولية كانت منظمة يهودية .

ويستغرب مورغان أن ترتبط متطلبات الحملات الانتخابية فى داخل أمريكا ، بشئون الإغاثة الدولية ، فيقول : « كان مدير الإغاثة الدولية العام (ليهمان الأمريكى) لا يكثر بالجانب الإنسانى من المشكلة . فكل ما يهيمه كان أنه ينبغي تسخير موارد هيئة الإغاثة لدولية بقدر المستطاع لدعم المطامح الصهيونية بحيث يكون له نتائج مفيدة لنجاح حملته السياسية فى نيويورك . هنا أيضاً ، كما فى أمثلة أخرى ، كان وقع وتأثير السياسة الأهلية الداخلية الأمريكية على الشئون الخارجية (٢) .

أما عن التدريب العسكرى الذى كان يحرص الصهاينة عليه بين النازحين اليهود ، فكان حقيقة أكدها مورغان بقوله : « كان التدريب العسكرى للنازحين اليهود يجرى على قدم وساق فى المعسكرات ، لإعدادهم طبعاً للمشاركة فى حرب التحرير من الانتداب البريطانى حال وصولهم إلى فلسطين وكان المدربون والمعلمون من الجيشين البريطانى والأمريكى ... » (٣) .

ibid

(١)

ibid., p. 54²

(٢)

ibid., 547

(٣)

ويُسن مورغان أنه قد شاهد خروج اليهود من بولنדה .. ومضى يقول :
 « ... إن آلاف اليهود البولنديين يفرون من شرق أوروبا إلى القطاع الأمريكي
 (من ألمانيا المحتلة) مزودين بخطط إيجابية محكمة التدير للخروج من أوروبا
 إلى فلسطين. ووراء تلك الخطط منظمة سرية يهودية وثيقة الارتباط بمشاكل
 الإرهاب القائمة في فلسطين . . وليس ثمة حقيقة لما يشاع عن حوادث
 تعذيب (اليهود) داخل بولنדה . فاليهود الوافدون بالآلاف من مدينة لودز
 وغيرها من المراكز البولندية يرتدون الملابس الفاخرة ، ويبدون في صحة
 جيدة . يتفجر الدم من وجناتهم ، وجيوبهم منتفخة بالنقد . وليس على أى
 فرد منهم سياء البؤس أو الاضطهاد — رغم أنهم جميعاً يروون نفس القصة
 الخيالية المملة عن المذابح والتعذيب . . ولكن الدعاية الصهيونية شنت حملة
 واسعة ضد مورغان واتهمته بالعداء لليهود المضطهدين في كل مكان ، ونجحت
 في قلب الأوضاع وتشوية الحقائق حتى تم عزله على يد مدير عام الإدارة ،
 والمؤيد للصهيونية ، وذلك بتهمة اللاسامية (١) التي لا يملك الصهاينة سواها
 لضرب خصومهم .

وسمح الرئيس ترومان بنشر تقرير هاريسون في الصحف (٢٩ أيلول -
 سبتمبر) ، وكذلك بنشر رسالة كان قد بعث بها إلى الجنرال إيزنهاور (٣١
 آب - أغسطس) يحثه فيها على اتخاذ التدابير المؤدية إلى تحسين أوضاع

Lenczowski, G. « The Middle East in World Affairs, » (١)
 N. Y. 1953, pp. 276-7

بما له دلالة هنا أن هذا التنظيم الصهيوني السري لتجهيز اليهود من أوروبا قد اعترف
 به ووصفه بعد ذلك بالتفصيل الأخوان اليهوديان الصهيونيان جون ودافيد كيمشي في
 كتابهما « الطرق السرية » . ولكن ليمان المؤيد للصهيونية اعتبر ذلك شيئاً يجب
 إخفاؤه ، فلما فضحه مورغان ، غضب عليه . علماً بأن كروسمان وصف ما قاله الجنرال
 مورغان في تقريره بأنه « كان أقل من الحقيقة بمقدار عظيم » .

الأشخاص النازحين في ألمانيا ، ويحيطه علماً باتصاله المباشر مع الحكومة البريطانية لفتح أبواب فلسطين أمام الذين يرغبون منهم بالتوجه إليها (١) .

وكان الرئيس روزفلت قد وعد في رسائله التي تبادلها مع ابن سعود والأمير عبد الإله والرئيس القوتلي ، بأن لا يتخذ قرار فيما يختص بالوضع الاساسي لفلسطين بدون استشارة تامة للعرب واليهود ، ويلاحظ هنا أن روزفلت وعد بأن (يستشير) العرب قبل اتخاذ قرار ، فهو إذن غير ملتزم

Survey of Palestine' op. cit, p. 80

(١)

ويذكر صخر وسمان أيضاً أن وزير الداخلية في النمسا « أبلغنا — لجنة التحقيق الأنكلو أمريكية — بحجاء أن العادة الأمريكية المتبعة تقضي بمنح هبات خاصة وتمييزات تعين لليهود العرقيين المتعطلين عن العمل في المنطقة الأمريكية بالنمسا » بينما النمسيون الكادحون في العمل يعومون جوعاً . وكان هذا ينير شعوراً مريعاً من الاستياء ومن معاداة السامية » . (كروسمان) .

Palestine Mission, pp. 87, 100

ويذكر كرام — Crum — ما يؤيد انحياز الأمريكيين اليهود في أوروبا : « ولقد أكد لنا الميجور جبرال كلارك أن السياسة الأمريكية في أوروبا الوسطى والشرقية هي إبقاء الحدود مفتوحة بأي ثمن . . . لذا نريد أن تمنح اليهود الذين يحاولون الخروج من بولندا الفرصة للخلاص ، وهذه السياسة التي كان مبعثها الجنرال أيزنهاور وأيدها الرئيس ترومان بقوة ، نفذت بصعوبات كبيرة بسبب مناع النقل ، وعدم توافر إمدادات الأغذية اللازمة ، ومعارضة مصادر بريطانية » .

Crum, Bartley C. (Behind the Silken curtain,) N-Y 1917
pp. 107-108

وجاء في الجيوش كرونكيل (٦ أيلول-سبتمبر ١٩٤٦) أن الجنرال جوزيف م. ماك غارنى قائد القوات الأمريكية في أوروبا تحدث إلى جماعة من أقطاب اليهود الأمريكيين في فرانسكفورت هذا الأسبوع ، فقال إنه خول الجنرال كلارك قائداً الأمريكي في النمسا ترحيل ١٩ ألف يهودي من النمسا إلى المنطقة الأمريكية في ألمانيا ، والسماح بدخول ١٩٠٠ من برلين . وإن الجيش الأمريكي ، رغم نقص الأغذية والساكنات ، كان يزود اليهود المهاجرين من أوروبا الشرقية بتدوينات الأطعمة ذات قوة غذائية أكثر من الأطعمة التي تمنح لأية جماعة أخرى في ألمانيا .

وبخصوص الهجرة اليهودية إلى فلسطين ومساعدة جميات الإغاثة التابعة للأمم المتحدة

على تنفيذها هناك أدلة وشواهد تثبتها . انظر : Junsen, (Palestine Plot)

بآرائهم ، كأنما يزعم لنفسه أو للحكومة البريطانية ، الحق في تقرير مصير فلسطين . ووعدهم روزفلت أيضاً بأن لا يقوم بأعمال (يبرهتن) أنها معادية للعرب ، وهذا أيضاً لا يقيد بشيء ، إذ بمقدوره أن يفعل ما يشاء ثم ينكر مكابراً أنها تؤذى العرب ، والدعاية الصهيونية تمده بسيل المغالطات والأضاليل للبرهنة على أن تدفق الهجرة اليهودية يورث فلسطين الرخاء والرفاه ١١ وكان من الضروري أن يزداد تعقد مشكلة الهجرة بزيادة عدد اللاجئين الذين ينزحون عن شرق أوروبا قاصدين فلسطين ، ثم يتزاحمون بلا مأوى في وسط أوروبا وجنوبها افتظاراً لفتح الأبواب المغلقة . وكلما تهاونوا في الهجرة لسعته سيئات الاسامية المزعومة التي كانت الصهيونية تثيرها كلما خمدت ناراها ، مع تزيين فلسطين لهم بأنها غدت دولة عبرية ذات جيش عبري الخ (١) .

ومهما يكن الأمر فإن روزفلت لم يبدل شيئاً في أحوال فلسطين الأساسية ، ولكن خلفه ترومان استجاب للطلاب الصهيونية دون أن يستشير العرب خلافاً لوعده ببلاده ، وذلك عندما طلب لإدخال ١٠٠ ألف يهودي من الذين (لا يرغبون) الإقامة حيث هم مقيمون ، أو (لا يرغبون) لسبب من الأسباب أن يعودوا إلى أوطانهم الأولى ، وطلب لإجلاء أكبر عدد ممكن من اليهود الذين لا وطن لهم في الحال ، ونقلهم إلى فلسطين إذا رغبوا في ذلك . وهذا موقف غريب يصدر عن دولة كبرى نادى بمبدأ حق تقرير المصير للشعوب ، ثم نبذته وضربت عنه صفحاً حين أقحمت نفسها لإقحامها لامبر له مطلقاً على قضية فلسطين .

وجاء رد أتلي على رسالة ترومان ، ولم يكن مشجعاً . وقد أشار إلى رفض الوكالة اليهودية لعرض وزير المستعمرات هول ، وإلى أن اليهود لا يستخدمون

(١) Irgun Zvai Leumi, The Hebrew Struggle For National Liberation, pp. 15-17

في الوقت الحاضر شهادات الهجرة المتوفرة لديهم ، وإل أن المطالبة بهجرة مائة ألف ليست مجرد محاولة لانتفاذ بعض اليهود من الشقاء ، وإنما هي جزء من مطالبة عامة تقضي بإلغاء الكتاب الأبيض تماماً ، وأنها تجرى دون اكتراث بما يترتب عليها من آثار على الشرق الأوسط كله . وأكد الرئيس أتلي وعود سلفيهما تشرشل وروزفلت للعرب حول استشارتهم قبل أى إجراء أساسى . ويقال إن أتلي وافق على ادخال عدد إضافى من اللاجئين اليهود الى فلسطين بشرط أن تقبل الولايات المتحدة المشاركة في تحمل مسئولية ذلك ، حتى ولو كان معناه إرسال قوات عسكرية أمريكية . ولكن ترومان رفض التدخل العسكرى الأمريكى ، وبذلك نامت المسألة لعدة أسابيع . وقد عكست الصحف البريطانية استياء الحكومة والرأى العام من الطلب الأمريكى ، فكتبت تعلق على سخاء النصيحة الأمريكية وعلى شح المعونة الأمريكية . وأعلنت صحيفة مؤيدة للصهيونية أن ترومان بطلبه هذا كان مدفوعاً برغبة الحصول على أصوات خمسة ملايين يهودى في الولايات المتحدة ، وأشارت صحيفة أخرى إلى أن طلب أمريكا يكون أكثر تأثيراً لو أنها هى التى فتحت أبوابها أمام ضحايا هتلر (١) .

وقد بدا ترومان في تصريحاته ومراجعاته الملحة لبريطانيا مغرقاً في التحيز ومجافياً للعرف الدولى . ولعل ما أثار حنق الأوساط البريطانية هو ميل الصهاينة الى أمريكا واستخدامها في مآربهم ، وتظاهرهم باليأس من بريطانيا ، التى رأت في ذلك بادرة تضاف الى بوادر الارهاب الذى تلوح علامته في الأفق القريب ، لجهود الصهيونية وتمرد لها ، مع أن الصهيونية كانت أداة بريطانيا لا في ضمان انتدابها لفلسطين وإبعاد أى نفوذ أوربى

Manchester Guardian, sept. 24, 1945, New Statesman & (١)
Nation Sept. 29, 1945, cited in Hurewitz, op. cit.. p. 230

آخر عن المعابر البرية والمائية لبريطانيا فحسب ، وإنما في ما ترسمته بريطانيا من سياسة أساسها زرع اليهودية في المنطقة العربية لإعاقة تحقيق الأهداف القومية . ولكن الدهاء البريطاني الذي كان في ميسر الحاجة للقروض الأمريكية الضخمة ، وللمعونة الأمريكية العسكرية تجاه ما يبدو من تحركات السوفييت ودوافعهم في شرقي البحر المتوسط وإيران ، لم يفعل ما يجاوز التبرم النظري بمطلب ترومان . وسنرى أن بريطانيا ستجواب مع هذا المطلب ، وستقدم ببراعة على تبديل سياستها القائمة على أساس الكتاب الأبيض ، وستوجه للعرب لطمة تسجل بداية الكارثة الفلسطينية ، بل العربية .

وفي البلدان العربية الشرقية ظهر الاستياء بوضوح من المناورات الصهيونية والأمريكية والبريطانية ، وخاصة في مطلع تشرين الأول - أكتوبر . وفي واشنطن قدم ممثلو العراق وسورية ولبنان ومصر مذكرة مشتركة إلى بيرنز وزير الخارجية الأمريكية (١٢ تشرين الأول - أكتوبر) ، محذرين من أنه لن يكون ثمة سلام في العالم العربي بتضحية المصالح العربية من أجل ترضية اليهود . « ان دولة سياسية صهيونية لا يمكن أن تقوم في فلسطين إلا بمعونة قوة خارجية » (١) .

وقام الصهاينة بجمع الأنصار وممارسة الضغط في بريطانيا والولايات المتحدة . في بريطانيا قال زعماء الوكالة اليهودية في اجتماعات استثنائية للاتحاد الصهيوني البريطاني وللمجلس النواب اليهود البريطانيين (٢) ، إن اليهود سوف

New York Times, oct 5, 1945, Quoted in Hurewitz p.231(١)

(٢) يذكر كروسمان أن عدد الأعضاء اليهود في البرلمان العالي آشف كان ٢٥ عضواً ، وإن عدد اليهود البريطانيين هو ٣٠٠ ألف والكنهه ، كما يزعم كروسمان « أصغر من أن يمارسوا ضغطاً فعالاً » !

Crossman, p. 60

يقاومون كل جهد يرمى للإبقاء على الكتاب الأبيض ، وأن تنفيذه سوف يتطلب استعمال القوة . وطرق وايزمن الموضوع نفسه أمام اللجنة البرلمانية المؤيدة للصهيونية في ٩ تشرين الأول - أكتوبر . وأبلغ من ذلك ما قنوه به الصهاينة الأمريكيون ، فقد أصدر الزعيم الصهيوني وايز وسلفه بياناً مشتركاً يكرران فيه رفض وايزمن العرض البريطاني السماح لـ ١٥٠٠ مهاجر يهودي شهرياً بالدخول إلى فلسطين . وقالوا إن يهود فلسطين لن يسمحوا بوقوع كارثة كهذه تجعل منهم أقلية في دولة عربية ، وطالبا ترومان بمنع وقوع هذا (الظلم المشين) عن طريق تنفيذ الوعود المقطوعة لليهود (١) . وإزاء هذا النشاط الصهيوني ، أبدى بيرنز وزير الخارجية الأمريكية تخوفه للرئيس ترومان من نتائج رد الفعل العربي في الشرق الأوسط على ملاحظات ترومان . وأراد بيرنز أن يدعم موقفه فاستدعى أربعة من رؤساء البعثات الأمريكية في الشرق العربي ، كي يدلوا بشهادتهم أمام رئيس الجمهورية حول تدهور المصالح الأمريكية الأساسية في المنطقة العربية . وسمح ترومان لمبعوثيه الدبلوماسيين بمقابلة به بعد شهر من الانتظار ، لأن مستشاري البيت الأبيض أقنعوا ترومان بأنه ليس من السياسة أن يرى وزراءه المفوضين في الدول العربية قبل أن تجرى انتخابات تشرين الثاني - نوفمبر النيابية . ولكن الملاحظات التي أبداه المبعوثون لم تسفر عن شيء ؛ إذ أوجز ترومان موقفه بتمتني الصراحة حين مخاطبتهم بقوله : « آسف أيها السادة ، ولكن على أن أستجيب لمئات الألوف من المتشوقين لنجاح الصهيونية : ليس لدى مئات الألوف من العرب في صفوف ناخبي (٢) » .

New Palestine XXXV, sept . 28, 1945, cited by Stevens, (١)

op. cit., p. 136

Eddy, p 36, quoted by Stevens. p. 138

(٢)

كان دافيد نايلز حافلة الاتصال المهمة في البيت الأبيض بين الصهاينة ورؤساء الجمهورية ، وكان روزفلت قد أتى به ، ثم استبقاه ترومان وقربه حتى لقب به (رجل الرئيس التام) . وافقد أنهم فيما بعد باعطاء معلومات إلى إسرائيل فاستقال (راجع الميفثال من ٩٣ - ٩٤ عن إسرائيل بالانكليزية) .

ونشر بيرنز نصوص الرسائل التي تبادلها روزفلت الى ابن سعود للتدليل على رغبة الحكومة الأمريكية في المحافظة على صداقة العرب واليهود ، مرفقة بملاحظات أدلى بها بيرنز توضيحاً لموقف حكومته التي دلتن تؤيد قراراً نهائياً تراه يؤثر على الموقف الاسامي في فلسطين دون التشاور التام مع كل من العرب واليهود ، ، فاعتناظ الصهاينة نتيجة لذلك ، وسرعان ما قام زعيما مجلس الطوارىء الصهيوني بإرسال مذكرة الى بيرنز (٢٣ تشرين الأول - أكتوبر) يتددان فيها بهجمات ابن سعود على الصهيونية ، وينسكان حق الدول العربية في الاستشارة بشأن مستقبل فلسطين ، وفي الوقت نفسه طالبا باتخاذ عمل سريع للتخفيف من شقاء اليهود الأوربيين وفقا للسياسة الأمريكية المعلنة (١) .

الفصل السابع

حكومة العمال تواجه الضغط الصهيوني

الوسيلة الأرشائية في خدمة الهجرة :

طوال مدة الحسب حرصت الوكالة اليهودية على اجتذاب القوات البريطانية والمتحالفة في فلسطين إلى جانبها بمختلف صنوف الدعاية المنظمة ، وسعت يالحاح لإحاطة هؤلاء العسكريين بجميع مظاهر الحفاوة والضيافة ، مع دعوتهم إلى قضاء أجازاتهم في المستعمرات حيث كان الصهاينة يبرعون باخراج مسرحية التقدم المادى والرغاء الشامل والآلفة الكاملة في الوطن القومى . فضلا عن إبرازهم إمكانات المعيشة المشتركة مع العرب الأليفين ، إذ لم يحرضهم ضدنا الأفندية ورجال الحكم البريطانيون ، وذلك بأن يحضروا بعض العرب السذج عن لا يدركون مغزى ما يرون ، فيقفون صفاً واحداً لاستعراضهم ، مع وجود يهودى للترجمة . وكان هذا التنظيم المسرحى للفلاحين يختل أحياناً ، فتتكشف الحالة على حقيقتها (١) . وفى حين كان الغرض من هذه الدعاية على اختلاف فنونها ، كان يرمى إلى أن يطلع عليها الجميع من استعماريين وأحرار واشتراكيين وتجار رأسماليين ، فإن ما يسود المستعمرات

Grossman, R. « Palestine Mission, » p. 157

(١)

في واحدة من هذه المناسبات التي أجبده تحضيرها آل كروسمان الشيخ الربى الذى حضر وابنه المناصبية : « ما رأيك في الهجرة » ، وجاء قز ابن الشيخ « في قدميه » ، وتدفق في حديثه أطول يهيمى على كل المسألة الدرية بما فيها عودة المئى . قسائل الشاب « لا يمكنك لا تعنى اليهود في هذه المستعمرة ؟ فأجابه بنفسه : إن أى مزيد من اليهود في فلسطين سوف يخرّب البلاد »

Grossman, p. 157.

الجماعية من مظاهر ، وما لمنظمة (المستدروت) العمالية من دور هام في حياة الطائفة اليهودية ، قد استحوذت على إعجاب بعض الاشتراكيين بوجه خاص ، وعلى الآخر أولئك الشبان المتحمسين البسطاء ، الذين لم يزودوا بأكثر من الدراسة الثانوية ممن كانوا يوجدون بين صغار الضباط في الجيش البريطاني وقت الحرب (١) .

لذلك فلا عجب إذا شعر الصهاينة بتفاؤل كبير عندما آل الحكم في تموز-يوليه ١٩٤٥ إلى حزب العمال ، الذي كانت هيئته التنفيذية قد أعلنت منذ ستة شهور فقط تأييدها للهجرة اليهودية المطلقة ، على أن « يشجع خروج العرب كلما تم دخول اليهود » ، فلما مضت شهور ثلاثة دون أن يسمع تصريح ما من لندن حول السماح بالهجرة اليهودية المطلقة من كل قيد إلى فلسطين ، اقترح موشه سنيه (Sneh) (يهودي بولندي عمره ٣٧ سنة) عضو الأمن في تنفيذية الوكالة اليهودية وقائد منظمة الهاغانا ، أن تقوم قواته بالاشتراك مع عصابة الأرغون وعصابة شتيرن بعملية تخريبية ضخمة ، وصفها (بالحدث الفردي الخطير) ، تحظى بأكبر دعاية ممكنة ، وتكون بمثابة « تحذير للبريطانيين ، وإشارة إلى احتمال وقوع أحداث أكثر خطورة تهدد سلامة جميع المصالح البريطانية في البلاد » . وكان من بين هذه المصالح ما بدأته السلطات البريطانية في فلسطين من تنفيذ المخطط الموضوع لاستخدام فلسطين كقاعدة عسكرية رئيسية بدلا من مصر ، وباشرت فعلا ببناء المعسكرات في بعض الأماكن . وكان أقطاب الوكالة اليهودية وايزمن وبن غوريون وموشيه شرتوك في لندن آنذاك يواصلون مفاوضاتهم اللاحقة مع الحكومة البريطانية ، حين أرسل قائد الهاغانا سنيه برقية تحمل اقتراحه إلى مكتب الوكالة اليهودية في لندن . وتمكنت أجهزة المخابرات البريطانية من التقاط البرقية وحل

رموزها ، وكانت واحدة في سلسلة برقيات ضبطتها السلطات البريطانية وضمنتها كتابها الأبيض عن حوادث الإرهاب ، وأكدت بموجبها تواطؤ الوكالة اليهودية مع الإرهابين (١) .

وقد تم وصول هذه المعلومات إلى الحكومة البريطانية في الوقت الذي كانت تجسرى خلاله مفاوضات الزعماء الصهيونية معها ، ولذا فقد اشتدت معارضة أرنست بيغن وزير الخارجية للمطالب الصهيونية . وانعكس ذلك عندما جرت مقابلة بينه وبين وايزمن (ه تشرين الأول - أكتوبر) الذي طلب بحث أمر العدد القليل من شهادات الهجرة التي أصدرت ، فرفضها الصهيونية استهانة واستكباراً ، وآثروا أن لا يقبلوا شيئاً يقصر عن مطالبهم الكاملة . وقد شعر بيغن بهذا التحدي ، فبادر وايزمن بقوله : « ما الذي تمنونه برفض شهادات الهجرة التي نص عليها الكتاب الأبيض ؟ أتحاولون إرغامي على قبول رأيكم ، لأن أردتم قتالا فليكن ا (٢) ،

ويبدو أن الصهيونية كانوا في الواقع يتوقعون أن تحقق حكومة العمال مطامعهم ، ولذا فإن اصطلاح العمال بالمسؤولية ونظرة حكومتهم إلى الشرق الأوسط ككل ، ومحاولة مراعاة مصالح غير اليهود في فلسطين ، قد أورث بيغن الذي كان مسئولاً عن سياسة بلاده في فلسطين ، سخط وايزمن والصهيونية القياسية . وكان بيغن قد تقابل مع المبعوثين الدبلوماسيين البريطانيين في الشرق

(١) زعمت الوكالة اليهودية أن هذه البرقية وغيرها قد زيفت ، ولكنها لم تواصل هذا الزعم . ومناheim بيغن قائد الأرغون يؤكد صحة البرقيات في كتابه (الثورة) بقوله : « وقد وصلت هذه البرقيات بطريقة فاضحة إلى أيدي الاستخبارات البريطانية التي استطاعت ملاحقها أن يفكروا رموزها . ولتسرتها الحكومة البريطانية في (كتاب أبيض) خاص وأرى من واجبي أن أقر بأن (الكتاب الأبيض) بالذات حول (العنف في فلسطين) كان إحدى الوثائق البريطانية القليلة التي قرأتها عن فلسطين ، والتي لم يكن فيها أي تشويه »

Bogin, M. « the Revolt, the Story of the Irgun » London, 1951 p.185
Weizmann, op. cit., p. 541 (٢)

الأوسط ، قبل مقابلته لوايزمن ثم لعزام أمين الجامعة العربية . ولعل موقف ييفن ، ومبادرته وايزمن بالتحدي . - لو صحت رواية وايزمن لها - يُفسّر برّد فعله تجاه برقية سنيه التي توضح أن واحداً على الأقل من تنفيذية الوكالة اليهودية كان مستعداً لاستخدام العنف والإرهاب وسيلة لقسر الحكومة البريطانية . وقد جرت بعض الأحداث في شهر تشرين الأول - أكتوبر فعززت هذه الفكرة بشكل حاسم ، واعتقدت الحكومة البريطانية عموماً ، أن الزعامة الصهيونية المتمثلة بالوكالة اليهودية كلها واتباعها ، متواطئة مع الحركات الإرهابية بموجب مخطط إرهابي يرتكز على التعاون التام بينهما .

ومن التابت أن الإرهاب الصهيوني الذي بدا بشكل متقطع أثناء الحرب ، قد اتسع بعد نهاية الحرب ، وأصبح أكثر ربطاً بالقيادة الصهيونية ، بينما أقرت الجماعة اليهودية في فلسطين مع القيادات الصهيونية ، أن الهجرة غير الشرعية تشكل حجر الرحي في سياستها الحاضرة . ذلك أن البرنامج الصهيوني التفت فيما بعد الحرب إلى دعم الهجرة اللا شرعية وإلى دعم نشاطه الإرهابي الضاغط على دولة الانتداب .

أما النشاط الإرهابي الصهيوني فقد أظهر بعد نهاية الحرب درجة عالية من الدقة والتنظيم ، وفي الوقت نفسه كان منسقاً مع القيادات الصهيونية . فليس ذلك بوضوح من خلال البرهان الذي أورده الكتاب الأبيض البريطاني حول أعمال العنف ، الذي أصدرته الحكومة البريطانية - وزارة المستعمرات تحت رقم ٦٨٧٣ وتاريخ تموز - يوليه ١٩٤٦ (١) . وسنتخذ أساساً لوصف بعض حوادث الإرهاب الصهيوني .

Palestine, Statement of Information Relating to Acts of (١)
Violence (Cmd. 6873 July 1946)

هذا الكتاب معروف باسم White Paper on Terrorism

وقد مرّ بنا كيف أن الوكالة اليهودية بعد اغتيال اللورد موين تظاهرت
ببذل أفضل مساعيها لتسليم زمرة الإرهابيين إلى السلطة ، وكان دافعها الخشية
على هدف الصهاينة المشترك في إقامة دولة يهودية ، أن تحيله أعمال الإرهاب
إلى ضرب من المحال ، أو أن تبعده عن متناول الصهيونية بعد أن أصبح
قاب قوسين منها وقد خطب بن غوريون في مؤتمر للمستدرون في تل أبيب
بعد حادث الاغتيال فقال : « إما عصابات إرهابية وإما يهودية منظمة » .
ووضع خطة (١) لتقسيم الانحراف المراهقين الإرهابيين ، وإنهاء عبثهم
واستهتارهم بمصير الصهيونية الحرج . ولكن بعد سنة واحدة باتت
الدبلوماسية الصهيونية بحاجة لضغط مادي يدعمها في مهام تحقيق هدف
الدولة اليهودية ، ولم يكن هناك أفضل من الارهاب وسيلة لذلك الضغط ،
خاصة وأن في وسع الوكالة اليهودية في الوقت الذي تنسق جهودها مع
الإرهابيين ، أن تنصل من كل ما يربطها بهم أمام الحكومة والناس ، ولها
في ما ظهر من تعاونها السابق مع الحكومة ضدهم خير شاهد على حسن
نواياها . واجتمع ممثلو المنظمات الارهابية الثلاث : الهاغانا والأرغون
وشتيرن ، وتوصلوا إلى الاتفاق على تنسيق الأعمال على أن يحتفظ كل فريق
بكيانه الخاص ، فتوحدت بذلك العمليات الحربية — ماعدا عمليات السطو —
تحت إمرة قيادة ما سمي بـ (حركة المقاومة اليهودية) ولا يتم تنفيذ الخطط
المقترحة إلا بموافقتها .

(١) تلخيص الخطة في أربع نقاط :

- ١ — طرد كل من له علاقة مباشرة أو غير مباشرة من عمله .
- ٢ — حرمان الإرهابيين من الجوء والاحتباء .
- ٣ — إعمال تهديداتهم .
- ٤ — التعاون مع السلطات الحكومية لتعقبهم .

في ٤ تشرين الأول - أكتوبر دعا زعماء الوكالة اليهودية إلى إضراب اليهود نصف يوم ، احتجاجاً على الاستمرار في سياسة الكتاب الأبيض . وفي اليوم نفسه باشر راديو (كول ازرايل - صوت إسرائيل) بإذاعته السرية بعد صمت دام منذ حزيران - يونيه ١٩٤٠ . وفي ١٠ تشرين أول - أكتوبر أغارت (البلماع) وهي الجناح الضارب التابع للهاغانا على معسكر عتليت جنوب حيفا ، ونجحت في إطلاق سراح ٢٠٨ من المهاجرين اليهود غير الشرعيين ، اختفوا في المستعمرات اليهودية حيث زودوا بتذاكر هوية مزورة ، وقد كتمت امرأة مسيحية في المعسكر فئات اختناقاً (١) .

ووقع (الحادث الفرد الخطير) في ٣١ تشرين الأول - أكتوبر حين قامت البلماع بهجوم واسع النطاق على شبكة السكك الحديدية الفلسطينية . وقد نسف الخط في ١٥٣ موضعاً غربي تماماً ، وثمة متفجرات أخرى لم تنفجر . ونسفت ثلاثة قوارب كانت شرطة السواحل تستخدمها لمطاردة المهاجرين غير الشرعيين ، اثنان في حيفا وواحد في يافا . وفي الليلة ذاتها هاجمت الأرغون ترفاي لثومي محطة حديد اللد وساحتها فخرت ثلاثة قطارات و برج إشارة وسببت احتراق حظيرة للآليات . وجرت عدة حوادث منها مقتل جندي بريطاني . وقامت عصابة شتيرن في الليلة نفسها بمحاولة أخرى لنسف مصفاة النفط في حيفا (٢) وقتل خلال هجومها رجل . وقد خطط لهذا الحادث بعناية وذلك كجزء من سياسة مدروسة ، قصد منه أن يكون تحذيراً للحكومة صاحبة الجلالة من العواقب التي ستقع إذا لم تستجب لرغبات (البشوف) . ولم تكن الهيئة التنفيذية في الوكالة اليهودية مستعدة لانتظار تصريح حول سياسة الحكومة ، ولكنها قررت أن تقوم (بالحوادث الفرد الخطير) لتؤثر على تلك السياسة . ويمكن استجلاء هذه الحقائق بوضوح

من البرقيات التالية : برقم ١ - إلى لندن من سفيه في القدس - ٢٣ أيلول - سبتمبر ١٩٤٥ ، وقد ألمعنا إليها آنفاً ، وهي تطالب من زعماء الوكالة اليهودية الموجودين في لندن آتتد : وأبرقوا برأيكم بالاشارة السابقة ، ولكن أشيروا إلى الاحصاء حول الهجرة خلال سنة الحرب . وافقت فرقة شتيرن على الانضمام إلينا كلياً على أساس برنامجها الارهابي . تبدو النسبة هذه المرة جدية . فاذاتم مثل هذا الاتحاد ، جاز لنا أن نعتقد بأننا نستطيع منع الأعمال المنفردة حتى من جهة الأرغون . أبرقوا برأيكم حول مسألة الاتحاد مشيرين إلى الإحصاء حول التجنيد اليهودي في الجيش (١) .

وقد أثبتت هذه الوثيقة توافقه تنفيذية الوكالة اليهودية الوثيق مع المنظمات الارهابية التي كانت تبرا دائماً من أوجه نشاطها ، وتعلن أنها عاجزة عن منعه . ويبدو غير متيسر معرفة الوقت الذي بدأ فيه هذا التواطؤ ، غير أن استخدام الوكالة اليهودية لعبارة (هذه المرة) يكشف أن الأمر ليس بجديد . وعلى الرغم من أن وايزمن كان يعلن معارضته للإرهاب اليهودي ، ولكن لدى الباحث سبباً في أن يلقى الشبهات على موقفه الحقيقي من هذه المسألة ، في ضوء الدليل القاطع الذي يشير إلى اندماج وايزمن ومواقفه على حوادث ٣١ تشرين الأول - أكتوبر ؛ ويمكن أن نرى كيف وافقت تنفيذية الوكالة اليهودية ، ووايزمن جزء منها ، على القيام بالحوادث المذكورة من البرقيات التالية : برقية رقم ٢ - إلى لندن من برنارد جوزيف في القدس - ١٠ تشرين الثاني - نوفمبر ١٩٤٥ .

د يقول اليغازر كابلان معتمداً على كلمة حايم بوساطة N W B W أنه لا يجوز أن نعمل شيئاً قبل أن تشيروا علينا . إنه ضد أى عمل حقيقى نقوم

به قبل أن نسمع منكم . غير أن بقية الأعضاء يرون ضرورة في دعم جهدكم السياسي بنشاط يحمل طابع صدام عام . من الضروري أن نعلم حالاً إن كانت هذه الأعمال مفيدة أو ضارة بجهودكم ، إن عارضتم أى عمل مهما كان ، فأبرقوا أن علينا أن ننتظر وصول W L S L Y . إذا وافقتم على عمل معزول فأبرقوا أنكم توافقون على إرسال وفد إلى مناطق النفوذ . إذا أراد منا حاييم أن تتجنب صداماً عاماً لا حوادث معزولة فأرسلوا تحياتكم إلى تشل Chill لميلاد طفلته ، (١) .

برقية رقم ٣ - من موشه شرتوك (أصبح شاريت) في لندن إلى برنارد جوزيف في القدس - ١٢ تشرين الأول - أكتوبر ١٩٤٥ ، لن يسافر دافيد قبل أسبوعين ، ربما خلالها زار باريس . . دافيد يؤيد وفد مناطق النفوذ . أرجو أن تهشوا تشل لميلاد طفلته ، . التوقيع : شرتوك (٢) .

وقد استعانت الوكالة اليهودية بما تسميه (المنظمات المنشقة) للقيام بعمليات ٣١ تشرين الأول - أكتوبر - ١ تشرين الثاني - نوفمبر بدليل البرقية رقم ٥ - إلى لندن من القدس - ١ تشرين الثاني - نوفمبر ١٩٤٥ :

« توصلنا إلى ترتيبات للعمل مع المنظمات المنشقة ، سنعهد إليهم بموجبها ببعض المهام تحت قيادتنا . سيعملون حسب خطتنا فقط ، ويجهّز سنيه وشاؤل مايروف وكنى وبرنارد جوزيف مثل هذا الاتفاق ، ولكنه لم

(١) ملاحظه : برنارد جوزيف هو مستشار قانوني للوكالة اليهودية وعضو في هيئتها التنفيذية ، يعمل في غياب شرتوك كمكاتب رئيس الدائرة السياسية . اليغازر كابلان هو رئيس الدائرة المالية في الوكالة وعضو في هيئتها التنفيذية — نفس المصدر السابق: Cmd. 6873

(٢) ملاحظة : موشه شرتوك هو رئيس الدائرة السياسية في الوكالة وعضو في الهيئة التنفيذية . بالإشارة إلى البرقية رقم (٢) نجد أن المقصود بالعبارتين (وفد مناطق النفوذ) و (تحيات إلى تشل) ان هناك رغبة في أعمال معزولة ونجنب صدام عام — نفس المصدر السابق: Cmd. 6873 .

ينفذ لأن الحزب يؤخره . بعضهم يعارض أى نوع من النشاط أو أى اتفاق مع المنشقين . أنباء العمليات كما يلي : (يورد حوادث نفس قوارب مطاردة المهاجرين ونسف السكة الحديدية ومهاجمة محطة اللد ، ومصفاة حيفا) أعلننا المنشقون من قبل هذا . ولم نعارض موضوع اللد ، ولكننا عارضنا مهمة المصفاة . تركت هذه الأعمال أثراً كبيراً في البلاد . أسقط في يد السلطات وفرضت منع التجول ليلاً ، ينتظرون التعليقات من لندن . تتوقع هجوماً عاماً على الهاغانا ، اتخذنا اجراءات الأمن الضرورية ومستعدون للتضحيات .

وقد أذيعت هذه العمليات الإرهابية من محطة (صوت إسرائيل) غير الشرعية ، وهو صوت الهاغانا التابعة للوكالة اليهودية ، الذى مضى يقول متباهياً : « إن ليالى البطولة منذ ليلة عتليت هى تعبير عن قوتنا وتصميمنا » ، كما أعلنت نشرة شتيرن السرية (همأس) Hamass عن حوادث أول تشرين الثانى - نوفمبر : « للمرة الأولى كان الهجوم منسقاً ومركزاً » (١) .

قلنا إن البرنامج الصهيونى فى فترة ما بعد الحرب كان معنياً بالارهاب كوسيلة للضغط على الحكومة البريطانية والبرهنة على القسوة التى يمتلكها الصهاينة ، وكان معنياً أيضاً بدعم الهجرة غير الشرعية على السواء ، والبرهنة على أن مشكلة الهجرة قد تعقدت بتدفق سيول اللاجئين الذين يدفعون بشتى الوسائل على ترك شرق أوروبا (اللاسامية) بقصد الوصول إلى فلسطين (ذات أنهار اللبن والعسل) ، ثم يتزاحمون فى وسط أوروبا وجنوبها بلا مأوى مع إحداث الضجيج اللازم وتكرار القصة المملولة نفسها للاضطهاد ، انتظاراً لفتح أبواب فلسطين الموصدة فى وجوههم . وكان إقحام المسألة الانسانية الناجمة عن مشكلة اللاجئين اليهود فى صميم الاستراتيجية الصهيونية ، يشكل أضمن وسيلة تفضى إلى خلق دولة يهودية على ما ذكرنا فقد وجد

الصهاينة أن مشكلة اللاجئين اليهود يجب أن تعالج في نطاق الكتاب الأبيض ، لأن العدد المحدد فيه قد استنفد الآن ؛ وبما أن بريطانيا رفضت اقتراح ترومان بإدخال المائة ألف ، لذا فقد صمم الصهاينة على مقاومة الاحتفاظ بالكتاب الأبيض ولو اضطروا إلى استعمال القوة . وهذا الموضوع طرقة وايزمن أمام اللجنة البرلمانية البريطانية المؤيدة للصهيونية في ٩ تشرين الثاني - نوفمبر . وأبلغ من ذلك ما تقوه به الزعماء الصهاينة الأمريكيون ، فقد صرح سلفر : « إن يهود فلسطين لن يبقوا هادئين ويرقبوا تدمير اليهود النهائي ، بعد تحرير بقايا إخوانهم في أوروبا » . وقد خطب رئيس المنظمة الصهيونية الأمريكية في مظاهرة ضخمة نظمت في نيويورك وقال : « إننا نرفض الاعتراف بعدم قانونية أى مهاجر يهودى يدخل فلسطين دونما ترخيص . إن الأمر غير الشرعى (ليس هو المهاجر اليهودى) وإنما هو اليد والحكومة التى تحاول صد اليهودى عن الوطن القومى اليهودى » (١) . هذا في بريطانيا والولايات المتحدة . وفي فلسطين تبدد النفاؤل بحكومة العمال ، وعقدت جلسة طارئة للزعماء اليهود فى القدس (٢٧ أيلول - سبتمبر) وأصدروا بعدها نداء أعلنوا فيه « أن وضع الهجرة بعد انتهاء الحرب هو بمثابة قتل لليهود الذين تحرروا من معسكرات النازى ، وأن الهجرة اليهودية سوف تتدفق بكل الوسائل ، وإن الكتاب العبرى للكتب (التوراة) بقوته الخالدة ، سوف يدمر الكتاب الأبيض . . . إن الدولة اليهودية سوف تقوم » . وقد رأت الوكالة اليهودية أن تدعم قولها بالفعل ، وتنفذ تهديدها ، بتنظيم ورعاية الهجرة الجماعية اليهودية غير الشرعية ، ونصحت محطة الهاغانا السرية (صوت إسرائيل) البريطانيين « أن لا يخدعوا أنفسهم بأنه سيسود السلام هنا (فى فلسطين) إذا جددت الهجرة اليهودية » (٢) .

cited in Hurewitz, op. cit., p. 232

ibid. p. 233

(١)

(٢)

ولا يجب على الباحث أن ينتظر بيان أرنست ييفن حول سياسة بريطانيا بصدد فلسطين (١٣ تشرين الثاني - نوفمبر) ، ومنها أن الهجرة إلى فلسطين ستحدد بـ ١٥٠٠ شهرياً ، ليشرع في الحديث عن الهجرة اليهودية غير الشرعية إلى فلسطين ؛ ذلك أن هذه الهجرة كانت مستمرة طوال الوقت منذ بداية الانتداب البريطاني ، وتفاقت في أثناء الحرب العالمية الثانية ، ولكنها بلغت درجة عالية من التنظيم والتطوير في ما بعد الحرب بحيث ظهرت أساليب الهجرة غير الشرعية التي شهدتها فلسطين ما قبل الحرب ، متخلفة وغير ملائمة لقد كانت الاستراتيجية الصهيونية تعالج هذا الموضوع بكثير من العناية والحدق القائمين على التخطيط والدراسة . وكانت الدعاية الصهيونية تلح دائماً على القول بأن تدفق اليهود من شرقي أوروبا إلى وسطها وجنوبها انتظاراً لترحيلهم إلى فلسطين ، هو أمر عفوى تلقائي ، بينما يثبت البحث الجاد أن وراءه تخطيطاً سرياً بارعاً ، يستند إلى العملاء الصهاينة الذين لم يعملوا على تشجيع هذه الهجرة فحسب ، وإنما عملوا على تسهيلها ورعايتها بكل وسيلة ممكنة . ويكشف تقرير لاستخبارات الجيش الأمريكي الثالث عن وجود منظمة صهيونية سرية ، في فترة ما بعد الحرب مباشرة ، تقوم بهريب (١٠٠٠) يهودي أسبوعياً إلى منطقة الاحتلال الأمريكي (١) ؛ يجرى ذلك بموافقة السلطات الأمريكية المسئولة كما شرحنا من قبل . وحينئذ يهتم أعضاء هذه المنظمة بنقل هؤلاء المهاجرين والبائسين المضللين عبر مسالك خاصة للتسلل ، حتى يتم ترحيلهم إلى فلسطين بواسطة سفن يتعاونها أو يستأجرونها لهذا الغرض . وكان الجانب الأكبر من الاعتمادات السخية التي أنفق منها على هذه العمليات يأتي من المنظمات الصهيونية في الولايات المتحدة . وقد صرحت الحكومة البريطانية في هذا الصدد بأن الأغذية والملابس والمواد

الطبية ومعدات النقل وغير ذلك مما تعدّه وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وإسكان اللاجئين ، وغيرها من هيئات الإسعاف في أوروبا ، كانت كلها تتحوّل من الوجهة الأصلي الذي خصصت له إلى هذا الطريق السرى إلى فلسطين (١) .

ويبدو أن جهود الصهاينة نجحت في اجتذاب المنظمة الأمريكية - اليهودية الخيرية المشهورة باسم (لجنة التوزيع المشتركة) ، وكانت هذه اللجنة تتظاهر دائماً بالحرص على التزام القانون الدولي . ويحدثنا مؤيد للصهيونية أن مديري اللجنة قد تعرضوا للاتهامات الصهيونية بأنهم حافظوا على موقفهم القانوني في عصر لم تعد فيه سلطة للقانون ، وأنهم بموقفهم هذا يتخاذلون عن نصرة إخوانهم . وراح هؤلاء المديرون يتحدثون للمرة الأولى في تاريخ لجنةهم قوانين فلسطين ، مبررين عملهم هذا ، بما يبدو في هذه القوانين من ظلم - بحسب وجهة نظر اليهود . وأخذوا يلقون بوزنهم الثقيل في مساعدة الصهيونية في تهريب اليهود من أوروبا الوسطى . (٢) .

كذلك وجدت الصهيونية حليفاً آخر عضد مساعيها في الهجرة غير الشرعية ، وهو يتمثل في فئرة كبير من الفرنسيين الذين يشغلون مناصب عالية في حكومة بلادهم وقد بذلوا العون للصهاينة لإزعاج بريطانيا والتشقي منها بسبب جهودها الرامية إلى طردهم من سورية ولبنان . ويعتقد أن نحواً من ثمانية آلاف مهاجر يهودي هربوا عن طريق الفيلق اليهودي في غضون سبعة أسابيع في صيف عام ١٩٤٦ (٣) .

قلنا إن الصهاينة دائماً كانوا يعلنون أن هجرة اليهود الأوربيين إلى فلسطين كانت تجرى بصورة ذاتية عفوية غير مستندة إلى تخطيط وتنظيم . ولكن

Kirk. « A Short History of the Middle East » p.216 (١)

Sykes. op. cit, p. 336 (٢)

ibid (٣)

عددًا من الدلائل يثبت بطلان هذا الزعم . وأول هذه الدلائل هو ما أشرنا إليه غير مرة في سياق بحثنا ، مقاطعة الصهاينة وعدم تشجيعهم بل ومقاومتهم لإعادة إسكان اللاجئين اليهود في « الشتات » ، خشية أن تفضل غالبية اللاجئين ملاجئ أخرى في (الشتات - المنفى) على استيطان فلسطين . ودليل ثان هو أن معظم اللاجئين الذين يختارهم الصهاينة لترحيلهم إلى فلسطين كانوا قتياناً وفتيات ورجالاً في أوج الصحة والقوة ، ليكونوا قادرين على مواجهة ما يعترض بناء الدولة اليهودية ، وهذا برهان آخر على أن متطلبات الصهيونية السياسية قدّمت على النواحي الإنسانية برغم أن هذه النواحي بالذات هي التي تذرعت بها الصهيونية أمام العالم . ودليل ثالث هو انزعاج الصهاينة من كشف الجنرال مورغان عن تقرير الجيش الثالث الأمريكي حول التنظيم الصهيوني السري ، كما ذكرنا من قبل ، وما تلا من اتهامهم لإياه باللاسامية وطرده من لجنة إغاثة اللاجئين وإسكانهم . ويكشف هذا الحلق الذي صبه الصهاينة على مورغان والضجة الكبرى التي أثاروها ضده في الصحف والإذاعة والتلفزيون ، عن إهتمام الصهيونية الخطير بدفن تقريره وإخماد الضوء الكاشف الذي سلطه على المخططات الصهيونية اللا إنسانية للهجرة ودوافعها . بينما كانت الصهيونية تتخادع الرأي العام في أوروبا الغربية وأمريكا وتحشد قواه ضد (لا إنسانية ولا شرعية) القيود البريطانية على الهجرة في الكتاب الأبيض ، بإعطائه صورة تختلف تماماً عن الصورة والكيفية التي تعمل بها . ودليل رابع على أن الهجرة اليهودية إلى فلسطين كانت ظاهرة غير عفوية ولا تلقائية كلية ، هو أنه بمجرد معارضة السلطات البريطانية لتدفق سيول اللاجئين غير الشرعيين، هرع الصهاينة في بريطانيا لبدء حملة تبرعات لجمع ١٠٠ ألف جنيه استرليني لتسهيل مرور اليهود إلى فلسطين (١) ، وكذلك جرى

مثل ذلك في الولايات المتحدة على نطاق أوسع كما سنرى في موضعه .
والهدف من إصرار الصهيونية على نجاح الهجرة المذكورة هو الإعداد
سرياً لصنع دولة يهودية وشبكة القيام ، بموجب مبدأ الأمر الواقع ،
وتشكيل غالبية سكان فلسطين . ولكن حكومة العمال التي بدت سياستها في
فلسطين متحفظة ومقتصدة في الدعم للصهيونية ، وغير متعجلة في إيصالها إلى
ما تفهمه من مقصد وعد بلفور ، كان لابد لها أن تصطدم بالخطط الصهيونية
التي ألحت على تصعيد الإرهاب اليهودي وتشجيع الهجرة غير الشرعية ،
وأمنعت في تمهدى السلطات البريطانية في فلسطين . وقد توقعت الحكومة
البريطانية ذلك ، فأرسلت إمدادات عسكرية إلى فلسطين ، منها فرقة المظليين
السادسة التي برزت في غزو أوروبا الغربية ١٩٤٤ - ١٩٤٥ ، ودعمت قوى
الأمن والجيش ، وشرعت قوات الأسطول والطيران تقوم بأعمال
الاستطلاع لكشف حركات التسلل ، ولقطع الطريق عن السفن التي تحمل
المهاجرين اليهود غير الشرعيين (١) . وفي ٥ تشرين الثاني - نوفمبر استقال
اللورد غورت المندوب السامي لأسباب صحية ، وأعقبه الجنرال السير آلان
كننغهام في ١٢ تشرين الثاني - نوفمبر (٢) ، ثم أعلن ييفن في اليوم التالي
(١٣ تشرين الثاني - نوفمبر) في مجلس العموم البريطاني بيانه المرتقب عن
سياسة حكومته في فلسطين ، وأهم ما تضمنه الاتفاق على تشكيل لجنة تحقيق
انكلو أمريكية مشتركة لتقصي وضع اليهود في الدول الأوروبية التي كانوا
فيها عرضة للاضطهاد النازي . . مع الوقوف على حقيقة الأحوال السياسية
والاقتصادية والاجتماعية في فلسطين ، من حيث تأثيرها في موضوع هجرة
اليهود إليها واستيطانهم فيها ، ومع مراعاة مصلحة الأهالي المقيمين
فيها الآن .

Kirk. The Middle East 1945-50, op.cit., p. 197. (١)

Survey of Palestine, op., cit. p. 82 (٢)

تحليل بيان بيفن (١٣ تشرين الثاني - نوفمبر ١٩٤٥) :

يلخص البيان فيما يلي :

١ — المشكلة اليهودية مشكلة إنسانية ، ولا يسعنا أن نقبل النظرية القائلة بوجوب إجلاء اليهود عن أوروبا ، وعدم السماح لهم بالعيش ثانية في تلك البلد أن دون ما تميز ، وتمكينهم من المساهمة بما يملكونه من قدرة ومواهب في سبيل استعادة رفاه أوروبا وازدهارها .

٢ — فلسطين ليس بوسعها أن تهىء الفرصة الوافية لمعالجة المشكلة اليهودية بكاملها والحكومة البريطانية شديدة الرغبة في استجلاء جميع الممكنات المؤدية إلى تهيئة فرصة موالية لليهود يستطيعون معها النهوض والانتعاش .

٣ — الحكومة البريطانية تضطلع بالتزام مزدوج لإزاء اليهود من ناحية وإزاء العرب من ناحية أخرى . وقد بذلت كل جهد للتوصل إلى تدبير يتمكن العرب واليهود معه من العيش معاً بسلام ووثام . ولكن جميع هذه الجهود باءت بالفشل ، وتاريخ فلسطين منذ الانتداب ، حافل بالاختلاف المتواصل بين العنصرين ، وقد انتهى هذا الاختلاف بين فترة وأخرى باضطرابات خطيرة .

٤ — منذ أن عُمل بالانتداب استحال إيجاد أسس مشتركة للتفاهم بين العرب واليهود ، لصعوبة التوفيق بين الفروق القائمة بينهما من ناحية الدين واللغة ، والمناحي الثقافية والاجتماعية ، وطرق التفكير والسلوك . ومن ناحية أخرى فإن كلا الشعبين يدعى بفلسطين ؛ أحدهما يدعى دعواه على احتلالها حقبة من الزمن تبلغ ١٠٠٠ عام ، بينما يستند الآخر في دعواه إلى صلات تاريخية ، مقرونة بتعهد لتأسيس وطن يهودى أعطى في الحرب العالمية الأولى ، والواجب هو إيجاد وسيلة للتوفيق بين وجوه هذا التباين (كذا) .

٥ — لقد تجاوزت أصداء هذا النزاع خارج حدود فلسطين؛ فالقضية أنصار أقياء في الولايات المتحدة، وفي بريطانيا، وفي الممتلكات المستقلة (الدومينيون) وغيرها. وقد راع العالم المتمدين ما تعرض له يهود أوروبا من اضطهاد. ومن جهة أخرى نجد أن قضية عرب فلسطين قد احتضنها العالم العربي بأسره، ومثار اهتمام ٩٠ مليوناً من مسلمي الهند. فاعتبارات العدل والإنصاف والإنسانية ليست الاعتبارات الوحيدة التي تكتنف الاستقصاء عن حل لهذه المشكلة، بل إن مثل هذا الاستقصاء ينطوي أيضاً على اعتبارات الوثام الدول والسلام العالمي.

٦ — وقد ارتبطت جميع الأحزاب بالتزاماتها في معالجتها قضية فلسطين؛ فهناك التزامات فرضها صك الانتداب نفسه، مضافاً إليها التصريحات السياسية العديدة التي صدرت عن حكومة جلالته خلال الخمس والعشرين سنة الماضية ثم إن حكومة الولايات المتحدة ذاتها قد تعهدت بأن لا يتخذ قرار من شأنه، في رأيها، أن يؤثر في الحالة الأساسية بفلسطين، إلا بعد التشاور التام مع العرب واليهود. وبعد أن نظرت حكومة جلالته في الحالة من جميع نواحيها، وفيما أثارته من هذا الاهتمام العالمي الذي يمس كلا من العرب واليهود، قرّ رأيها أن تدعو حكومة الولايات المتحدة للتعاون معها في تشكيل لجنة تحقيق انكليزية — أمريكية مشتركة، تكون الرئاسة فيها دورية (١)، لبحث مسألة يهود أوروبا، والقيام باستعراض آخر لمشكلة فلسطين على ضوء ذلك البحث.

(١) وافق وزير الخارجية الأمريكية بيرنز في كتابه إلى إيرل هايفاكس السفير البريطاني في واشنطن بتاريخ ١٠ كانون الأول - ديسمبر ١٩٤٥، على أن تكون اللجنة مؤلفة من ستة أمريكيين وستة بريطانيين وسيمولون تحت رئاسة دورية، مع توصية اللجنة بالأمر في بحثها لتضع تقديرها في مدى ١٢٠ يوماً منذ بدء التحقيق.
(من الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين — المجموعة الأولى س ٣٦٠).

٧ — قبلت حكومة الولايات المتحدة هذه الدعوة واتفقت مع بريطانيا على أن تكون شروط اختصاص لجنة التحقيق هذه هي :

(١) فحص الأحوال السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، بفلسطين بالنسبة لتأثيرها في مشكلة هجرة اليهود إليها واستيطانها ، وفي رفاهية الأهالي المقيمين فيها الآن .

(٢) فحص حالة اليهود في الأقطار الأوربية حيث كانوا ضحية الاضطهاد النازي والفاشستي ، والتدابير العملية التي اتخذت ، أو التي ينوي اتخاذها في تلك الأقطار ، لتمكينهم من العيش في نجوة من التمييز والعسف ، وتقدير عدد أولئك الذين يودون ، أو الذين تضطروهم أحوالهم ، أن يهاجروا إلى فلسطين أو إلى بلدان أخرى خارج أوروبا .

(٣) سماع آراء شهود من ذوى اللياقة ، والاستنارة بآراء ممثلي العرب واليهود بشأن مشاكل فلسطين ، بالنسبة لما تتأثر فيه تلك المشاكل بالأحوال التي يشملها التطبيق بمقتضى البندين (١ ، ٢) أعلاه وبغيرها من الأمور الواقعية والظروف التي لها صلة بالموضوع ، وتقديم التوصي إلى حكومة جلالته وحكومة الولايات المتحدة لمعالجة هذه المشاكل معالجة مؤقتة وإيجاد حل دائم لها .

(٤) تقديم أية توصي أخرى لحكومة جلالته وحكومة الولايات المتحدة ، قد تكون ضرورية لتلافي الاحتياجات العاجلة الناجمة عن الأحوال المشار إليها ، أو تسهيل الهجرة إلى بلاد خارج أوروبا واستيطانها .

٨ — لا يمكن بريطانيا أن تتخلى عن الواجبات والالتزامات المترتبة

عليها بمقتضى صك الانتداب مادام الانتداب قائماً . وهى تنوى وفقاً لتعهداتها أن تعالج المشكلة على ثلاث مراحل :

(الاولى) ستستشير العرب بغية وضع ترتيب يؤمن عدم تعطيل الهجرة اليهودية حسب المعدل الشهري الحالى ، ريثما تقدم اللجنة التحقيق تواسيها المؤقتة فى هذا الشأن .

(الثانية) وبعد النظر فى التواصى المؤقتة التى ستقدم بها اللجنة التحقيق ، ستستقصى مع الرفقاء ذوى الشأن ، إمكان استنباط ترتيبات مؤقتة أخرى لمعالجة مشكلة فلسطين ، إلى أن يتسنى الوصول إلى حل دائم لها .

(الثالثة) ستعدّ حلاً دائماً لعرضه على الأمم المتحدة ، وسيكون هذا الحل متفقاً عليه ما أمكن .

وأخيراً فقد ذكر بيفن فى بيانه أن حكومته ترغب فى أن توضح بجلالة أن مشكلة فلسطين ليست من المشاكل التى يمكن حلها عن طريق القوة ، وإن كل محاولة يقوم بها أى فريق لحلها على هذا الوجه ستعالج بالخزم (١) .

وفى مؤتمر صحفي عقده بيفن مع المراسلين الأمريكيين فى أعقاب بيانه أذاع تصريحاً يشرح فيه سياسة حكومته فى موضوع الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، ويذكر من باب المداعبة ، أن اليهودى البريطانى الذى لا يصل إلى رأس صفوف اليهود الواقعين على أرصفة الموانئ للهجرة إلى فلسطين ،

(١) عن نص البيان الأسمى رقم ٩ لسنة ١٩٤٥ المطبوع فى مطبعة حكومة الانتداب فى فلسطين باللغات العربية والانكليزية والعبرية .

لن تصيبه اللعنة في بريطانيا^(١) ! ويلخص تصريح ييفن فيما يلي :

(١) تصبح فلسطين دولة تحت وصاية الأمم المتحدة ، وفي الوقت المناسب يكون لها حكومة ذاتية فلسطينية لا حكومة يهودية .

(٢) سوف تحافظ بريطانيا على الحصص الشهرية للهجرة اليهودية بمعدل ١٥٠٠ بعد استنفاد حصص الكتاب الأبيض .

(٣) يجري التشاور مع العرب الآن بصدد الهجرة اليهودية .

(٤) المشكلة الكبرى هي مشكلة (الاندماج والتماثل) — يجب على العالم أن يتغلب على مقصد عدد من الأجناس ورغبتها في تشكيل أطر قائمة بذاتها . . . وجميع الأمم تخشى من تطور العناصر داخل دولها ؛ فاليهود إذن يبرزون مشكلة صعبة جداً في الواقع .

(٥) ميتر ييفن بين الدولة اليهودية التي قال بصدددها « إننا لن نتعهد بإنشائها » ، والوطن القومي اليهودي ، « وهذا — يجب أن تنفذه » .

(٦) « إنني أتوافق إلى رؤية يهود أوروبا يمتنعون عن المبالغة في التأكيد على وضعهم العنصري . إن مفتاح البيان الذي ألقينته في مجلس العموم هو أنني راغب في قمع الحرب العنصرية . وعلى ذلك فإذا أراد اليهود — مع جميع آلامهم — أن يصلوا بأكثر مما يجب إلى رأس الرتل ، فسيقترب خطر رد فعل لاسامى آخر من جراء ذلك (٢) » .

(١) اعتبر الصهاينة هذه المداعبة مريضاً باليهود ، فعملوا على بينن حالة همومهم من التعريض على كرمه وتشويه سمعته ، وحتى أنهم بالاسامية بكل وضوح .

John & David Kimche « The Secret Roads » London 1955, p. 93

Esco, op.cit., pp. 1192-93

(٢)

وقد رد بيفن على الأسئلة الموجهة إليه ، مضى يؤكد : « أرجوكم في هذه الأزمات أن لا تتعقبوا العداوات العنصرية . إن أى شيء يراد إقراره يصبح أصعب ما يمكن - حين تتعلم العداوات العنصرية . وصرح بالنسبة لنقطة أخرى : « أننى أؤكد للجلس أن اليهودية بغض النظر عن المنظمة الصهيونية ، التى هى يهودية عموماً ، توافقة للتوصل إلى حل نهائى للمشكلة . إن العرب متفقون معى جيداً ، وأنا أشكرهم على ذلك » (١) . وعندما سئل عن رأيه بالخطط الصهيونية لزيادة موارد فلسطين الطبيعية ، رد بأنه « يعتبر هذه الخطط قائمة على ثمانين بالمائة من الدعاية وعشرين بالمائة من الواقع » (٢) .

وناشد بيفن فى تصريحه يهود العالم ، خارج المنظمة الصهيونية ، بأن يساعدوا على إيجاد حل لموضوع فلسطين ، وأنذر بأن المسألة لا يمكن معالجتها إلا بالمداولة والتوفيق ، وأن اللجوء إلى القوة سوف يقابل بحزم . ولكن الوقائع كذبت تصريح بيفن ، ليس فى « موافقة » العرب على غخطه فحسب ، وإنما أيضاً فى « الحزم » الذى ستقابل به حكومته للارهاب الصهيونى الدائر على أديم فلسطين .

أول ما يلفت النظر فى بيان بيفن هو صدوره عن الخارجية البريطانية ؛ فبرغم أن فلسطين منذ بداية الإدارة الانتدابية أصبحت من مسؤوليات الخارجية البريطانية ، إلا أنه لم يصدر أى بيان عن السياسة البريطانية فى فلسطين من جانب وزير الخارجية ، بعد تصريح بلفور المشؤم .

إن الخارجية البريطانية ، قد صاغت مع الصهيونية التزاماتها المزدوجة ، وحفظت ترقب محاولات العبقرية البشرية لتنفيذ العمل المستحيل . وانقضت

ibid

(١)

Sykes, op.cit., p. 338

(٢)

خمس وعشرون سنة من النضال والثورات والدماء واللجان والتقارير قبل أن تقنع وزارة المستعمرات بأن الانتداب ، وبالتالي تجربة وعد بلفور لا يمكن العمل بهما ، وقد سلت بذلك عصبة الأمم والحكومة البريطانية . وعام ١٩٣٩ صدر بيان سياسى ظهر لأول وهلة أنه وضع حداً للهجرة اليهودية ويبيع الأراضي لليهود ، وللانتداب نفسه . والآن ، وللمرة الثانية بعد وعد بلفور ، تبرز الخارجية البريطانية على المسرح فيدلى ببيانها ، والبيان كسوابقه ، يطمئن ويقلق في وقت واحد ، يأخذ ويعطى ، يشد ويرخي . وخطة ييفن كخطة تشرشل وباسفيلد ، ومكدونالد ، هي كالسياسة البريطانية في فلسطين ملتوية تحاول إرضاء الفريقين ، فلا ترضى أحداً .

والانتداب البريطانى جعل جل اعتماده ، للبقاء في فلسطين منذ الصفة التي عقدها مع الصيانة عام ١٩١٧ ، على الإبهام الذى أحاط به نفسه . وإن سألت كيف بقى مبهماً ، قلت بتجنب الصيغ ، بعدم الاستعجال ، بتغليب الجوهر على العرض ، وهذا كله بقدر ومقدار . بمقدار يمنع ولا يطمع . سياسته مع العرب واليهود أن لا يعلق باب الأمل في وجوههم ، فهو معهم دائماً في شد وجذب ، يمنح ويمنع . يأمل من العرب أن يقبلوا الوضع الذى قرره لفلسطين ويرى أنهم إن فعلوا ذلك كان ذلك أجدى عليهم ، وبعد أن تحيز الانتداب فساوى بين حق الغالبية الساحقة الصريح ، وبين باطل الأقلية العنيفة الصريح ، سلك نحو العرب واليهود مسلكاً لم يقطع عليهم الأمل في تسوية وحل . وكان شغله الشاغل أن يجعل العرب يشفقون من بأس اليهود ونفوذهم ، والعكس . هذا ما فعله بعد الثورة العربية الكبرى ١٩٣٦ - ١٩٣٩ ، ذات المطالب المحقة العادلة المشروعة ، وهذا ما يفعله بعد الارهاب الصهيونى ، مع فارق التحيز لليهود ، برغم باطلهم ، واتخاذها الارهاب وسيلة لفتح باب الهجرة اليهودية من جديد .

يراجع بيان وزير الخارجية البريطانية أولاً وضع اليهود تحت النظام

النازي والفاشي في ألمانيا وغيرها من دول أوروبا ، ويشير إلى أن طلبات قدمت لمصلحة الهجرة اليهودية الواسعة إلى فلسطين ، ويفن يعتبر أن المشكلة الأساسية هي مشكلة يهودية عالمية . ويتجاهل أن الصهيونية هي التي أوجدت هذه المشكلة حين واصلت في ألمانيا ، بعد الحرب العالمية الأولى ، حمل شعارات تعميق كره اليهود بإلقاء تعاليمها على كاهل اليهود غير الصهيونيين ، واتهامهم بالثورة والسيطرة على ألمانيا وتطعيم الثقافة الألمانية بالثقافة اليهودية ..

وعلى هذه الصورة نتجحت الصهيونية في وضع اليهود الألمان لقمة سائغة في فم الحزب الاشتراكي الوطني (النازي) ، وخلق لاسامية انتقلت عدواها حيثما حل النفوذ النازي . وعلى الرغم من أن العرب لم يكن لهم دخل في كل ذلك ، فهم يرون أن المسألة كما يجب أن تطرح للبحث هي مسألة لإيواء اليهود الذين شردهم الاضطهاد النازي ، ما عددهم ؟ وأين يذهبون ؟ والحكومة البريطانية لا تجيب على هذين السؤالين ، ولا تستنكر إبراز الصهاينة لتفرد اليهود بالاضطهاد النازي . مع العلم أن ملايين من البولنديين قد نزل بهم الاضطهاد . بل إن العجز بأكملهم تقريباً تعرضوا لنقمة النازية وإبادتها فعلاً ، وكان عدم تضخم مشكلاتهم إعلامياً مع البولنديين هو ما جعل مأساتهم منسية ، لا تذكر أمام تهاويل الاضطهاد اليهودية التي تحشد لها الصهيونية خططاً دقيقة تقصد إلى جعل ضمير العالم المتمدن يتملبل تحت وطأة ما حل باليهود الأوروبيين ، بحيث يشعر لا بمسؤوليته عنها فحسب ، بل في وجوب التعويض عن اليهود ولإنعاشهم ولو على حساب شعب مسلم مظلوم . إن بيان الحكومة البريطانية لا يجيب عن عدد اليهود الذين شردهم الاضطهاد النازي ولا أين يذهبون ، بل يكتفي بالقول إنه لا يوافق على نقل جميع يهود أوروبا من بلدانهم ، ويلاحظ في الوقت نفسه أن فلسطين ليس بمقدورها أن تستوعب جميع اللاجئين اليهود ، وتحمل المشكلة اليهودية التي خلقها الصهاينة أنفسهم .

ولا شك في أن طرح المشكلة اليهودية على اعتبار أنها مشكلة عالمية يجب أن تسهم جميع دول العالم في حلها ، يتفق مع وجهة النظر العربية التي كانت دائماً تبدى استعدادها ، منذ مقابلة الحسين للقائد هوغارث (١٩١٨) ، بأنها مستعدة للمساهمة بقدر طاقتها على استقبال اليهود ضيوفاً لاجئين ، لا غزاة فاتحين .

ثم انتقل بيان ييفن إلى الالتزام المزدوج للحكومة البريطانية ووضع اللوم في منشأ الاضطرابات المتعاقبة بفلسطين على كاهله ؛ نظراً لعدم توفر أى تعريف للالتزام المزدوج .

وبما أن الولايات المتحدة الأمريكية قد طلبت أن لا يتخذ أى قرار يؤثر على « الحالة الأساسية في فلسطين » دون مشورة كاملة مع العرب واليهود ، فالحكومة البريطانية قد دعت الحكومة الأمريكية للاشتراك في تحقيق جديد . ولعل هذه المشاركة الأمريكية هي أبرز ما جاء به بيان ييفن ، وما سوى ذلك من تشكيل لجنة تحقيق ، وتفسير الخطة السياسية ، والتعليق السفطاني على الالتزام المزدوج ، ليس جديداً على السياسة البريطانية التي تجيد أساليب التسوية والتخدير . إن إشراك الحكومة الأمريكية لا شيء إلا لوجود سيطرة صهيونية متنفذة فيها ، أمر لا تقره الحقوق الطبيعية والمبادئ الديمقراطية والشرع الدولي . وهو ليس سوى مناورة بريطانية أخرى يقصد منها التهرب من التزامات بريطانيا تجاه العرب ، وإقحام السياسة الأمريكية على موضوع لا يخصها من قريب أو بعيد ، خوفاً من التفرد في حمل المسؤولية .

وفي فلسطين قرأ البيان موظف إداري كبير في الإدارة الإنتدائية على ممثلي مختلف الأحزاب العربية الذين وجهت الدعوة إليهم للحضور إلى إدارة (١٨٢ - فلسطين)

الحكومة لهذا الغرض . كذلك وجه نفس الموظف ، وفي اليوم نفسه ، الدعوة إلى ممثلي اليهود . وأخيراً سُلمت نسخ من بيان ييفن إلى رؤساء الحكومات العربية التي حضرت مؤتمر لندن (١٩٣٩) ، مع دعوتهم إلى إبداء رأيهم في اقتراح استمرار الهجرة بمعدل (١٥٠٠) شهرياً بعد استنفاد العدد المنصوص عليه في الكتاب الأبيض ، وذلك ريثما تقدم اللجنة الآنكرو أمريكية تقريرها (١) . وهكذا تقمضت الحكومة البريطانية عهداً الذي قطعته على نفسها في الكتاب الأبيض بوقف الهجرة نهائياً بعد ٥ سنوات من صدوره .

وقد أحال معظم الحكومات الأمر إلى مجلس الجامعة العربية الذي كان منعقد آنذاك (تشرين الثاني - نوفمبر) ، وقد تداول المجلس في التحول الجديد الذي ظهر في بيان ييفن بالنسبة لقضية فلسطين لدراسته والرد عليه ، وقرر إرسال مذكرة باسمه على أن ترسل الحكومات العربية مذكرات بمعناها أيضاً إلى الحكومة البريطانية . ونشط رؤساء البعثات الدبلوماسية البريطانية لدى الحكومات العربية لإقناعها بالموافقة على الخطة الجديدة ، « حتى لقد عمدوا إلى الضرب على وتر السخاء العربي وقالوا إن العالم لا ينتظر من العرب غير ما هو معروف عنهم من كرم ومروءة ، وأن الهجرة الجديدة لن تمتد أكثر من أربعة أشهر التي هي مدة التحقيق ، وأن قصارى ماسوف يدخل فلسطين هو تسعة آلاف يتيم وامرأة ومريض وشيخ .. وقد بذل المندوب السامي في فلسطين مثل هذه الجهود مع اللجنة العربية العليا (٢) » . ونشر رد الجامعة العربية في ٦ كانون الأول - ديسمبر في الصحف المحلية العربية ، وكان نتاج عمل عكف عليه وزراء الخارجية المستولون ، فاقسم بالملاينة والمرونة والرزانة

Survey of Palestine, op. cit., p. 48

(١)

(٢) دروزة - حول الحركة العربية الحديثة ، ٤ : ١٤

وقد وجهه الأمين العام عزام إلى ييفن ، وما جاء فيه من الثناء والشكر اللذين لا مبرر لهما :

« المجلس يقدر للحكومة البريطانية حرصها على البر بتعهداتها . .

المجلس يشعر بالمجهود الذى بذلوه فى فهم المسألة الفلسطينية (١)

المجلس يقدر فصلكم المسألة الصهيونية عن المسألة اليهودية ورجبتكم فى مساعدة يهود أوروبا وغيرهم .. الدول العربية ترى فى هذا المسعى عملاً إنسانياً مشكوراً .. الخ .. وجاء فى بيان الجامعة أنها بينما تقدر العناية التى درست بها القضية ، فهى لا تستطيع أن ترى ما يبرر الاستمرار فى الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، على اعتبار أن إتاحة الهجرة من جديد يؤدى إلى محاولة لرفع ظلامه بفرض غيرها . وقال البيان إن مسألة الهجرة قد درست من قبل الحكومة ومن قبل عدد من اللجان ، ونوقشت فى المؤتمرات بشكل مسهب بحيث لم يبق مجال لبحث هذا الموضوع مرة أخرى . إن بريطانيا من تلقاء نفسها أصدرت الكتاب الأبيض ، وبموجبه يجب أن تتوقف الهجرة إلى فلسطين عام ١٩٤٤ .

وأن الضغط الصهيونى على بريطانيا وعلى دولة صديقة أخرى ، لا يشكل — فى نظر العرب — سبباً لقبول عدد آخر من المهاجرين . على العكس من ذلك ، يجب أن يتخذ ذلك ذريعة لوقف الهجرة ، لأنها وسيلة الخطة الصهيونية لإقامة دولة يهودية فى فلسطين . إن عرب فلسطين قد وعدوا بالاستقلال ، والجامعة العربية تتوقع تحقيق فلسطين المستقلة بأسرع وقت ممكن .

وذكر بيان الجامعة « إن انتصار الديمقراطية يسهل لليهود المضطهدين العودة إلى أوطانهم » ، وبعد أن تحدث عن معارضة الصهيونية لمصالح العرب وخطرها على وطنهم سأل عن الأساس الذى حدد بموجبه رقم ١٥٠٠ مهاجر

في الشهر ، وأبان أنه مخالف للكتاب الأبيض (١) . وبرغم اللهجة الودية
الناعمة عموماً ، فإن لهجة الرد كانت ثابتة في رفضها التحول الذي طرأ على
السياسة البريطانية بعيداً عن مقتضيات الكتاب الأبيض ، فقد وضحت
الجامعة أنها تقف عند الوعود التي أعطيت للعرب ، وأثبتت في مؤتمر لندن
(١٩٣٩) وفي الكتاب الأبيض بعد بتر المفاوضات .

ودعت اللجنة العربية العليا ، وكانت قد أعيد تشكيلها بمساع من الجامعة ،
إلى عقد مؤتمر عربي في فلسطين للنظر في بيان بيشن . والحق أن عرب فلسطين
اعتبروا بيان بيشن ضربة جديدة ، فغلب عليهم القنوط ، وانصرفوا إلى
مناوئهم ، وأخذوا ينظرون فيما حولهم ، فإذا بالانتداب وقذطويت
الزعماء يانهاه مع مدابها المبتذلة ، وكان رد اللجنة العربية العليا ، صرخة
لم عبرت عن خيبة أمل عرب فلسطين من موقف الجامعة العربية الذي طغت
الملاطفة والمجاملة في ردها على نواحي القوة المستندة إلى الحق . ولم كان جديراً
بها أن ترفض صراحة كل ما يقصر عن الاستقلال التام لفلسطين ، من ناحية ،
ومن ناحية أخرى كل تدخل أمريكي أو خلافه ، فلا تسكت عنه لئلا يعتبر
سكوتها إقراراً برضاها عن لا مشروعية تدخل الولايات المتحدة ذات
المواقف المؤيدة أبداً للصهيونية . وهذا ما وضعه رد اللجنة العربية العليا ،
وهي اللجنة التي عاش أعضاؤها مرارة المأساة التي يمثلها الاستعمار والصهيونية
على أرضهم ، فهم لا يتهربون من مواجهة الحقائق بأسمائها ، كما يفعل

(١) زعم كتاب Survey of Palestine ج ١ ص ٨٥ الذي جهزته سكرتارية
حكومة فلسطين لتزويد أعضاء اللجنة الأنكلو أمريكية عن قضية فلسطين ، أن جواب الجامعة
لم يكن رفضاً قاطعاً لمقترح الحكومة البريطانية ، بأذغال ١٥٠٠ مهاجر شهرياً حتى صدور
مقرر اللجنة المشتركة ، ولكنه تضمن بياناً بأن الجامعة العربية لا تعرف على أي أساس تم
وضع هذا الرقم ، وأنه ليس واضحاً ما هي المساهمات التي تقترح الولايات المتحدة وبريطانيا
إجراؤها . وهذه هي عاقبة نومة الرد وحرصه على عدم إغضاب الدولتين الاستعماريين
الضالعتين مع الصهاينة .

السياسيون المحترفون ، وانما هم رجال مناخلون ، ومطلعون على خفايا الخطط والبيانات والنوايا .

صدر رد اللجنة العربية العليا على تصريح بيفن في ١٠ كانون الأول - ديسمبر وقال : إن الكلمة الأولى والاختيرة في قضية فلسطين ومصيرها هي للشعب العربي الفلسطيني . . الذي لا يعترف لأية دولة أجنبية أو أى شعب غريب ، بأى حق في تقرير مصيره وبلاده ، ولا يقر جعل حقوقه المشروعة ومطالبه الحق العادلة موضعاً للبحث والتقيق ، ويرفض أن تكون مصالحه موضع أية مساومة دولة من أى مصدر جاءت . .

وبخصوص مشكلة اليهود في أوروبا صرح الرد بأن العرب لا يرون أى مبرر للربط بينها « وبين فلسطين والهجرة اليهودية إليها . فليس للعرب أن يتحملوا أوزارها ونتائجها ، وهم غير مسئولين عن خلقها . .

وشجب رد اللجنة العربية استمرار الهجرة ونقض سياسة الحكومة البريطانية التي وضعتها بمحض اختيارها ، وفي وقت كان فيه الاضطهاد النازي والفاشي لليهود على أشده . وأن المستر بيفن إذ قرر استمرار الهجرة مع الإشارة إلى « استشارة العرب ، إنما يدل به « موافقة السكان العرب » .

« وأهل فلسطين ، مع تقديرهم لتأييد العرب لقضية فلسطين ، ومع امتنانهم لاهتمام الحكومات العربية ومجلس جامعة الدول العربية لقضيتهم ، يصرون على أن يكون لهم القول الفصل في أى موضوع يتعلق بفلسطين وقضيتها ، وبخصوص التحقيق المقترح فقد أشار رد اللجنة العربية إلى أن فلسطين قد ملت من لجان التحقيق : أكثر من عشر لجان قد حققت وكتبت تقاريرها عن القضية ، بينما تتناقض أبسط مبادئ العدالة لبريطانيا مع قرار الاستمرار في الهجرة ، في الوقت الذي تقترح فيه تشكيل لجنة تحقيق عن نفس القضية التي اتخذت بشأنها قراراً ولو مؤقتاً ، وأن العرب الذين ما فتئوا يرفضون

الهجرة اليهودية إلى بلادهم ، يعلنون اليوم عدم موافقتهم على أية هجرة يهودية إليها ، ويعارضون بكل قواهم دخول مهاجري يهودى واحد إلى فلسطين ..

وأشار رد اللجنة إلى أن ما تراه اللجنة الانكلو أمريكية قد يقرر مصير فلسطين ، فقال إن اللجنة العربية لا توافق على أن يكون للحكومة التي لا تأخذ على عاتقها مسؤوليات رسمية تجاه شئون فلسطين ، ما تقوله في هذه القضية . إن العرب يعتبرون « أن قضية فلسطين قضية قائمة بينهم وبين بريطانيا العظمى ، ولا يعترفون لأى فريق بحق التدخل في القضية ولا يقرون لأى شعب آخر أو دولة أخرى بحق تقرير مصيرهم ومصير بلادهم » .

واستنكر الرد تدخل أمريكا في المسألة وقال إن الشعب الأمريكى وحكومته قد أبدوا سابقاً تحيزهم لليهود . إن الحزبين الديمقراطى والجمهورى قد أعلنوا تأييدهم لفكرة إنشاء دولة يهودية في فلسطين ، كذلك كثيرون من رجال الكونغرس قد عبروا عن مشاعرهم لمصلحة البرنامج الصهيونى السيامى ، بل إن الرئيس ترومان طلب وما يزال ، إدخال مائة ألف إلى فلسطين .

وفى مثل هذه الظروف كيف يمكن دعوة الولايات المتحدة للتوسط في مسألة قد صمغ عزمها فيها سابقاً وأعلنت آراءها بصدها ؟

إن العرب « يستغربون إشراك بريطانيا للولايات المتحدة الأمريكية في هذه القضية ، فلا شأن مطلقاً للولايات المتحدة بقضية فلسطين ، ولا يوجد أى مسوغ شرعى أو قانونى لإدخالها في هذه القضية » .

وعن الاقتراح الذى نوه به يفتن من أن الانتداب يمكن أن يحل محله وصاية تحت إشراف الأمم المتحدة ، لاحظ رد اللجنة العربية أن التغيير بالاسم لا يعنى بالضرورة تغييراً بالسياسة ، فعلى أية حال ، رفض عرب فلسطين دائماً الانتداب ، لأنه لا ينطبق مع تحقيق أمانهم القومية ، واعترفت

بريطانيا أن الانتداب غير عملي ، وتعددت عام ١٩٣٩ بإنهائه وجعل حكومة تمثيلية ومسؤولة بدلاً منه . إن مقترحات المسترييفن يبدو أنها تعيد فلسطين إلى حيث كانت تقف منذ ٢٧ عاماً . وعبرت اللجنة العربية عن أملها بأن حكومة بريطانيا ستعيد النظر في بيان ييفن وسياسته ، وتمنح فلسطين الاستقلال بما ينطبق مع تعهداتها . « إن العرب لا يمكنهم أن يرضوا ببيان ييفن ، معلنين تمسكهم بمطالبهم القومية الأساسية في وقف كل هجرة ومنع استيلاء اليهود على أراضي البلاد ، وإنهاء عهد الانتداب وإعلان استقلال فلسطين » .

ولكن الحكومة البريطانية ركبت رأسها ، وما اكرثت كعادتها بما تضمنه رد الجامعة أو رد اللجنة من نقاط في غاية المنطق والعدل ، وإنما مضت سادة في سياستها الاستعمارية ، فقررت السماح بالهجرة بمعدل ١٥٠٠ شهرياً حتى يتخذ قرار في ضوء ما تراه اللجنة التحقيق الانكلوأمريكية . ولم يمض نحو سبعين يوماً على بيان ييفن ، حتى أصدر المندوب السامي في فلسطين بلاغاً (٢٩ كانون الثاني - يناير ١٩٤٦) قال فيه : « إن الحكومة البريطانية كانت رأت التشاور مع العرب بغية وضع نظام من شأنه عدم وقف الهجرة اليهودية بالمعدل الحالي ، استنظاراً لتوصيات لجنة التوفيق ، لأنها لا يمكنها أن تنصل من واجباتها ومسؤوليتها التي فرضها عليها الانتداب . » وأن المباحثات ظلت جارية مع العرب مدة طويلة ، ولم تكن النتائج التي أمكن الوصول إليها نهائية ، لذلك قررت الحكومة البريطانية الآن ولأسباب قوية وجوب السماح باستمرار الهجرة بصفة مؤقتة بالمعدل المقترح وهو ألف وخمسمائة مهاجر شهرياً « (١) .

إن ما جاء في هذا البلاغ واضح ومعبر وصريح ، ويبدو منه أن كل

ما عنته الحكومة البريطانية من مشاورة العرب هو الحصول على موافقتهم وحين فشلت في مسعاها الدائب مع الدول العربية ومع عرب فلسطين ، لم تعباً بذلك ، ولم تخجل من السدور في مغالطاتها المألوفة في القول إنها لا يمكنها أن تتنصل من واجباتها ومسئولياتها التي فرضها الانتداب ، وأى انتداب هذا الذي يحرم الغالبية من سكان فلسطين حقوقهم ، وأى تنصل هذا الذي تدعيه بريطانيا من واجباتها بعد ما قامت بها أوسع قيام نحو اليهود ؛ ألا يعتبر انتدابها غير المعترف به أصلاً من قبل العرب ، مقصراً في حقهم وفيما يتوجب عليه نجاحهم حين يسمح بهجرة جديدة معروفة مراميها برغم أنفسهم ، علماً بأن الانتداب قد نسخته الكتاب الأبيض الذي وعد الاستقلال لفلسطين ، وأن عصبة الأمم نفسها التي أقرته لم يعد لها وجود ؟ وبكلمة ، فإن حكومة لندن أوفت بعدها في التشاور ، مع الحكومات العربية حول استمرار الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، ولكنها وجدت نفسها غير ملزمة بالعمل وفق آراء الدول العربية ، أو وفق آراء عرب فلسطين ، أو وفق سياسة الكتاب الأبيض التي حددت الهجرة بـ ٧٥ ألفاً ثم تقف !

وبعد ، فلقد استلزم إقناع لندن بتعذر العمل بالانتدابات ٢٥ عاماً ؛ خمسة وعشرون عاماً من الترقب اليأس . خمسة وعشرون عاماً من الخوف ، من غذاء الحقد على نظام مفروض على عرب فلسطين . خمسة وعشرون عاماً من النضال الوحشي المستمر والصراع الدائب من أجل البقاء . خمسة وعشرون عاماً من التمييز العنصري لمصلحة اليهود بفضل الانتداب . خمسة وعشرون عاماً من تفجير الأهواء وثورة النفوس حين لم يعد في الكأس ما يراق . خمسة وعشرون عاماً من الفقر والشقاء والتضحية ، وثمة خيوط أمل تشكلت في ١٧ أيار — مايو ١٩٣٩ ، وبعد ١٤ أسبوعاً انخرط العالم في حرب مدمرة ، وأمسكت فلسطين بأنفاسها ، والآن وقد تخيل عرب فلسطين شراع القارب مستعداً للإبحار ، رأوا أخطا من الجندي يوطنون ويعجمون على أديم بلادهم .

ورأوا كثيراً من مخلاتهم ومشاعلهم ومعاملهم تغلقها السلطات وتصادر آلاتهم وأدواتهم لتسلم إلى اليهود من أجل الإنتاج . رأوا أسواق التصدير مغلقة أمام منتجاتهم ، نظراً لعدم توفر إجازات التصدير . قاسوا من تدابير الرقابة الصارمة على الاستيراد من الخارج ، في حين كان يسمح للإنتاج اليهودي باستيراد المواد الأولية كيف يشاء ، مع منحه لإجازات التصدير للبضائع اليهودية لدى طلبها مباشرة . رأى عرب فلسطين تجارتهم تبور ، وتنقلب إلى حالة من الاعتماد على المصنوعات اليهودية . رأوا نواة الجيش اليهودي مشكلة تحت سمع ونظر حكومة الانتداب المحامية . رأوا اليهود يتسلحون ويسرقون السلاح البريطاني والذخيرة البريطانية إلى أقصى مدى . رأوا جماعات المهاجرة اليهودية تدفق على البلاد وبصورة غير شرعية ، مع محاولات ودية من الحكومة لوقف تدفقها . رأوا الإجراءات اليهودية الارهابية لإفزاز الحكومة فتتلاطف حين نزول شردمة من المهاجرين غير الشرعيين على شواطئ فلسطين . . ولجنة أخرى أيضاً ١٤ الفارق بيننا وبين سابقها ، أن هذه كانت مؤلفة من بريطانيين ، آخرها وافقت على ما قالت به أولها . فما الفرق الذي سترتب على أن تشمل اللجنة الجديدة على بريطانيين وأمريكيين بعدد متساو ١٤

إن حقيقة الحال تبقى كما كانت دائماً والناتج التي يتوصل إليها رجال بالشرف والعقل ، أو من حكومات تحمل مبادئ الديمقراطية ، لا يمكن أن تكون مختلفة عن سابقها التي حكمت ببطالان الانتداب ، وانحرفت إلى محاباة اليهود (١) .

ولكن تصريح ييفن على ما فيه من نفس لمقررات الكتاب الأبيض ، وتأييد واضح لـ « شجرة اليهود على حساب عرب فلسطين » ، استغلته الصهيونية كدعة

(١) انظر M. F. Abcarian, « Palestine through the Fog of Propaganda », London, N. D.

للدعاية ضد يافن ، فاتهمته بأنه متعصب ضد الجنس السامى ، وبأنه عدو لليهود اللدود ، كما أثبتت ضده شتى أنواع القذف على صفحات الجرائد الأمريكية . وعقدت المؤتمرات الصهيونية (التى كانت وثيقة الاتصال بعصابات شتيرن والأرغون والهاغانا) وأصدرت قراراتها بتأييد أعمال الإرهاب واقتراف فعال العنف والتخريب ، كاحتجاج على السياسة البريطانية وأداة للضغط عليها . بل لقد بلغت الصفاقة بالدعاية اليهودية أنها كانت تتهم بريطانيا بتحريض العرب فى الدول العربية المجاورة على القيام بمظاهرات معادية لليهود (١) . وأذاع (صوت إسرائيل) وهو محطة الإذاعة السرية المتنقلة للهاغانا فى ١٤ تشرين الثانى — نوفمبر ، نداء حض فيه على المقاومة : « إن ما فعله هتلر ضد الشعب اليهودى يتكرر الآن على يد الديموقراطيات فى شكل سياسة منأية ساحقة .. إن المقترحات الجديدة هى معادية لليهود ولا إنسانية . إن هذه الأرض هى أرضنا ، نعمل فيها ونبنى ونخلق وندافع .. ندعوكم لمناهضة هذه المؤامرة وللقتضاء على القرارات المشينة .. » (٢) . وهاجم بن غوريون بيان يافن فى خطاب ألقاه يوم ٢٨ تشرين الثانى — نوفمبر أمام الجمعية اليهودية المنتخبة ، ووصفه بأنه متناقض وغامض ، وقد وُضع فى شكله الرامن لتضليل الرأى العام فى انكلترا وأمريكا ، وأكد استعداد (ليشوف) للقتل فى سبيل حقهم بالقدوم إلى فلسطين وبنائها وحقهم فى الاستقلال فى بلدهم الخاص (٣) . وفى ظروف التحريض والإنارة هذه أعلن المجلس المثلّى اليهودى (الفقاع لثومى) الاضراب ١٢ ساعة ، وخرجت مظاهرات الاحتجاج يومى ١٥ و ١٦ تشرين الثانى — نوفمبر فى تل أبيب ، انتهت بإشعال النار فى المباني الحكومية وبنهب المحلات البريطانية ، ورشق البوليس والجيش

The Economist, Nov. 24, 1945

(١)

Manchester Guardian, Nov. 15, 1945

(٢)

Survey of Palestine, op. cit., p. 83

(٣)

بالهجرة ، وتضررت المباني الحكومية ضرراً بالغاً ، وبعضها لم يعد صالحاً للاستعمال . وفرض منع التجول ، بعد تفريق المتظاهرين ، ووضعت تل أييب تحت الاحتلال العسكري لخسة أيام ، وحذرت السلطة من حيازة الأسلحة والذخيرة وهددت باستعمال الشدة ضد المخالفين (١) وقد صادقت الجمعية المنتخبة والمجلس العام الداخلي الصهيوني ، وتنفيذية الوكالة اليهودية على رعاية الهجرة غير الشرعية بمقياس واسع ، وباركها اليهود المعتدلون من أمثال الدكتور ماغنس الذي صرح في أوائل كانون الأول - ديسمبر أنه ليس ضد الهجرة المدعوة بغير الشرعية ، وإن ظل يعارض أهدافها السياسية .

وخشية أن توقف بريطانيا الهجرة ، وتوقف دعمها لنمو الوطن القومي ، كان اليهود أنفسهم يدعمون صفوفهم منذ أكثر من خمس سنوات ونصف . فقد حشدت الهاغانا خلال الحرب جيشاً منظماً (غير شرعي) يقدر بـ (٦٠) ألفاً ، مع قوة ضاربة ، وقوة دفاع ثابتة ، ومع الاحتياط . وإلى هذه الوحدات ينتمي معظم المجندين في اللواء اليهودي ، وفي مختلف فروع القوى الحربية البريطانية ، والآن يجري تدريبهم تدريجياً . فضلاً عن أن ما يعادل تدريب ستة كاملة فرضت على طلبة المدارس العليا قد افتتحت في تشرين الثاني - نوفمبر ١٩٤٥ ووزعت على اليهود الذخائر الحربية المكتسبة خلال أيام الحرب (٢) في حين كان الوكلاء اليهود السريون في أوروبا يتصيدون المتطوعين للانخراط في صفوف الهاغانا (٣) وقد نوهنا بذكر نشاط المنظمة اليهودية السرية في توجيه الهجرة غير المشروعة إلى فلسطين من معسكرات النازحين اليهود في أوروبا . وفي ليلة ٢٤ - ٢٥ تشرين الثاني - نوفمبر أي بعد ليلة من اعتراض سفينة تهريب للهاجرين على بعد ١٢ ميلاً شمال تل أييب ، دمرت البالمح قارين لتعقيب سفن التهريب . وتعقب كلاب الأثر الإرهابيين إلى أربع

ibid.

(١)

Hurewitz, op. cit., p. 239

(٢)

ibid.

(٣)

مستعمرات يهودية ضربت السلطات الحصار حولها بقصد تفتيشها وظن الصهاينة أن قصد السلطات دس العثور على ٢٠٠ مهاجر غير شرعي كانوا قد فروا من السفينة قبل اعتراضها ، ففرح حوالي ١٠ آلاف من اليهود المسلحين بالهراوات والحجارة لمنع التفتيش (١) وسقط في السدام التالي ٦ قتلى و ٤٢ جريحاً ، ووجدت كمية من المتفجرات في إحدى المستعمرات . وهرعت الوكالة اليهودية إلى الأبراق الولايات المتحدة ودانها المتعاطفة معها بالشكوى من فعال البريطانيين الذين دخلوا تسراً المستعمرات الزراعية اليهودية المسالمة، وضربوا مئات من الرجال والنساء، وأطلقوا النار وقتلوا وجرحوا كثيرين دونما سبب أو إثارة ، !

قلنا إن بريطانيا لم تتحمل بمذكرات الدول العربية ولا بمذكرة جامعة الدول العربية أو برّد اللجنة العربية العليا، وما فيها من حجج دامغة ونصوص ملزمة . وإنما مضت في تعيين ستة من رجالها أعضاء في اللجنة المشتركة . وارتفعت بعض الأصوات العربية تدعو إلى مقاطعة اللجنة وتحذر من مخبة التعاون معها ، ومن القبول بأشراك الولايات المتحدة الضالعة دوائرها مع الصهاينة ، الأمر الذي يتيح لانتكثرة فرصة التلصص من المسؤولية الملقاة على عاتقها . ولكن الحكومات العربية قررت الاتصال باللجنة مع تسجيل عدم اختصاصها وعدم الحاجة إلى تحقيق جديد ، بحجة أن اللجنة مجال للدعاية وتنوير الرأي العام بقضية فلسطين العادلة وكذلك أعلنت اللجنة العربية العليا قبولها المشول أمام اللجنة بدعوى أن الجهات العربية العليا نصحتها بذلك .

(١) كانت خطة الهاغاناه أن تقوم وحداتها المسلحة بحماية المهاجرين الفارين ، في حين تقوم طاهير من اليهود بصرف نفقات القوات المتطاعدة عن وجهتها بالهاتما أو بحاصرتها في نقاط استراتيجية . وأحياناً يحتلّطون مع المهاجرين وبذلك يحولون دون التحقق من شخصيتهم واعتقالهم . وقد يقاوم المهاجرون الفدائي ويرفضون إبراز أوراقهم فيعتقلون ، وفي غضون ذلك تمنح الفرقة لقرار المهاجرين الحدد ، والالتقاء إلى المستعمرات القريبة ، حيث يقوم سكانها بدخول قوات المطاردة ، ويرفضون إبراز هوياتهم

(Kirk, op. cit, p. 202, Footnote)

الفصل الثامن

محصلة ضغوط واشنطن

أمريكة تشارك بريطانيا في الحكم على فلسطين

تشكيل اللجنة الانكلو أمريكية وأعمالها :

كانت اجراءات لجنة التحقيق الانكلو أمريكية منذ اللحظة الأولى لتشكيلها تكاد تكشف سلفاً عن نتيجة أعمالها وتوصياتها . فقد تكونت من ستة أعضاء بريطانيين ، وستة أعضاء أمريكيين ، واحتوت بينهم على عناصر معروفة بتأييدها التام للصهيونية ، ولا عجب فإن ترومان ومعاونيه قد اختاروا الأعضاء الستة الأمريكيين في اللجنة ، كما يتضح من النصوص التهديدية في كتاب كرام Crum العضو الأمريكي فيها (١) . أما باقية أعضائها الذين أبدوا مجرد استعداد لدراسة وجهة النظر العربية ، فقد كانوا هدفاً لمحاولات الدعاية الصهيونية التي ساططتهم بهم التعصب وانعدام الإنسانية . وسارع الصهاينة لتوطيد علاقات الصداقة مع أعضاء اللجنة ، فاتصل وايزمن مع بعض أعضائها أمثال بارتلي كرام وفرنك بكستون وكروسمان وهيتشيسون بصلات المودة الواشجة ، وقال إنه عمل كل ما بوسعه لبسط « الحقائق » أمامهم ، وأنه قدم إليهم التقارير الراقية التي وضعها الخبراء الصهاينة ، وعرض عليهم مخططات عملية ، « وقد تأثرت اللجنة بذلك وتجاوبت تجاوباً مرضياً » (٢) .

(١) Crum, Bartley, C. « Behind the Silken Curtain, A Personal Account of Anglo- American Diplomacy in Palestine & the Middle East », N. Y. 1947
Weizmann, op. cit., p. 542

وكان من بين أعضاء اللجنة التحقيق هذه ثلاثة نشروا وصفاً شخصياً لما قامت به اللجنة، وسجلوا وقائعها في مختلف الأقطار التي زاروها، وقد أبدوا صراحة انحيازهم إلى الأهداف الصهيونية. وأبرز هؤلاء ريتشارد كروسمان مؤلف كتاب (بعثة فلسطين) وهو عضو حزب العمال البريطاني، تخلى عن عمله الجامعي ليتفرغ للسياحة، فدخل البرلمان في عام ١٩٤٥؛ وفي كتابه بعض المواقف المتناقضة، وإن كان هوام في النهاية يقع مع الصهاينة. وبارتلي كرام مؤلف كتاب (خلف الستار الحريري) وهو محام من سان فرانسيسكو عرف بتعصيده للصهيونية ولذا لا يعول كثيراً على مذكراته (١). وجيمس مكدونالد مؤلف كتاب (بعثتي في إسرائيل)، وكان قد استقال من منصبه في عصبة الأمم عام ١٩٣٥ كمفوض سامي للاجئين من ألمانيا، احتجاجاً على «تلكو» الدول الكبرى في حل مشكلة اللاجئين اليهود الألمان، وأخذ يتفانى في خدمة الصهيونية، فاخاره ترومان أول سفير له في إسرائيل (٢). وكانت تلك العناصر ذات تأثير بالغ على بقية أعضاء اللجنة وعلى صياغة توصيات تلتقي مع الأهداف الصهيونية. وقد امتدح صحفي يهودي انتقاء الرئيس ترومان للأعضاء الأمريكيين الستة، وكان كبير هؤلاء هو القاضي هتشيسون Hutchison، ويصف نفسه بأنه مسيحي متقيد بالعهد القديم، ولم يكن لأحد من الأعضاء الأمريكيين خبرة سابقة بشؤون العالم العربي باستثناء السفير فيلبس مثل روزفلت الشخصي في الهند خلال الحرب (٣).

(١) وصف كروسمان البريطاني زميله كرام الأمريكي بقوله: «كان الأمريكي الوحيد معنا الذي أمامه مستقبل سياسي يمكن أن يتحقق أو يتلاشى من جراء موقفه من المسألة اليهودية» Grossman, op. cit., p. 81

(٢) وصفه كروسمان بقوله: «كان الوحيد بيننا الذي سبق أن تعهد علناً بتأييد الصهيونية» ibid., p. 22

(٣) الأعضاء الأمريكيون الباقون هم البروفسور ايدلوت Aydelotte مدير معهد الدراسة العليا في براستون، والمستر بكستون Buxton محرر بوستون هيرالد وكان يمثل الصحافة الأمريكية، و«ماكس غاردنر» حاكم كارولينا الشمالية سابقاً، والمستر مكدونالد، والمستر بارتلي كرام.

والأعضاء الستة البريطانيون كانوا برياسة السير جون سنكلتون Singleton القاضي في المحكمة العليا ، وقد وصف بأنه من نوع الرجال الذين مهما كان ولاؤهم السياسي ، فهم عموماً يفضلون التسوية بما لا يضر الوضع البريطاني في الشرق الأوسط (١) .

وحين اقترح الأعضاء الأمريكيون أن تبدأ اللجنة عملها في واشنطن ، شعر الأعضاء البريطانيون - فيما يقول كروسمان - ببعض الضيق والشك : « هل يرون أن واشنطن هي على الطريق إلى فلسطين ؟ كلا بالطبع . إن دافعهم هو أن يغروا بنا جواً معادياً ويعرضونا للحملات المسعورة للدعاية الصهيونية كاملة » (٢) .

ونحن في متابعتنا لأعمال لجنة التحقيق سنعتمد بعض الشيء على كتاب كروسمان ، لا لأنه يحتوي على بعض النقاط التي لم يستطع أن يتجاهلها برغم ميوله الصهيونية الواضحة ، فحسب ؛ وإنما أيضاً لأن الكتائين الآخرين لعضوى اللجنة كرام ومكدونالد ليسا في منزلة كتاب كروسمان .

اعترف كروسمان أنه بعد مطالعة الوثائق المتصلة بقضية فلسطين ، اتضح لي تماماً أنه من الوجهة التاريخية ، لا جدال في الدعوى العربية . إنما بالفعل قد ضمّنا فلسطين في منطقة استقلالهم (العرب) : لقد فشلنا في إحاطة الفرنسيين بذلك الذي فعلناه . لقد تفاوضنا بشكل غير لائق كلية مع فرنسا وروسيا على تقسيم الغنائم . ومن ثم بلغ الأمر ذروته حين وعدنا اليهود بوطن قومي ، (٣) .

(١) الأعضاء البريطانيون الباقون هم المستر كريك Crick المشاور الاقتصادي لبنك ميدلاند ، والسير فريدريك ليغت Leggett ممثل بريطانيا في مكتب العمل الدولي ، والورد موريسون Morrison العضو الهام في البرلمان ، والليجرب منتنهام بولر - Manningham Buller السكرتير البرلماني لوزارة الأشغال سابقاً ، والمستر كروسمان .

Crossman, op cit., p. 22

(٢)

Crossman. ibid., pp. 26 - 27

(٣)

ويسجل كروسمان أنه خلال استماع اللجنة إلى الشهادات في قاعات وزارة الخارجية الأمريكية بواشنطن ، « لم يعان أحد من الصهاينة الذين قابلونا أنه يريد التخلي عن مواطنته الأمريكية ليصبح مواطناً في الوطن القومي » ، ويذكر أن عدد اليهود الأمريكيين الذين هاجروا إلى فلسطين ما بين ١٩٣٦ و ١٩٤٥ كان ٤٩٤ ، أى أقل نسبة مئوية لأية جماعة يهودية بما فيها الجماعة الروسية في العالم (١) .

اللجنة في واشنطن :

ويبدو أن استماع اللجنة في واشنطن للشهود كان فرصة أخرى للصهاينة للقيام بدعاوة عريضة يحاصرون بها بعض من لا يدعن لوجهة النظر الصهيونية . ويصف كروسمان كيف كان يتتابع الشهود الصهاينة المنظمون من حول اللجنة : فهذا الحبر دأتم الحض على تذكير اللجنة بأن الصهيونية إنما هي تعبير عن الحماس الديني للأحبار اليهود (الأرثوذكس) ، وهذه المرأة تتحدث عن روح الاسعاف الخيري الذي بنى المشافي اليهودية والخدمات الطبية في فلسطين برغم العراقيل البريطانية الخ . . وقد توالى عرض مسرحية الاستماع ببراعة كبرى : جاء أولاً الخبراء ، من اليهود وغيرهم ، لينهوا إلى اللجنة قصة معادة مكررة للفاجعة اليهودية في أوروبا ، ثم جاء دور (روبرت) ناتان ولودر مبلّك ليجادلا بأن فلسطين يمكنها أن تستوعب مئات الألوف من المهاجرين ، لو أن الحكومة البريطانية وقفت موقفاً إيجابياً من التنمية الصناعية والرى . وأخيراً جاء دور الصهاينة أنفسهم ليفيضوا في الحجاج التاريخية والقانونية والسياسية لتشكيل حكومة يهودية في فلسطين مفتوحة لليهود العالم . . وقد تعرض أعضاء اللجنة البريطانيون

لهذا السيل من الاستماع ، بحيث وجدوا أنفسهم يدفعون الاتهام عن أنفسهم بدلا من طرح الأسئلة والحصول على المعلومات (١) .

مرة واحدة فقط خلال تلك الساعات الطويلة احتج عضو بريطاني ، فاللورد موريسون — معتذراً عما يمكن أن يعتبر حساسية غير ضرورية — طرح سؤالاً على الدكتور نيومان الصهيوني الذي ادعى بأن ألوفاً كثيرة من ضحايا هتلر ... كان يمكن أن يبقوا على قيد الحياة لولا السياسة البريطانية في فلسطين التي زعم أنها حالت دون دخولهم إلى فلسطين! وقال موريسون مذكراً الشاهد « بأن بريطانيا حين اختصت العرب في عام ١٩٤٠ — ببعض المزايا ، كانت تقاوم لوحدها ، وكانت كل من روسيا وأمريكا على الماش ، والجيش الألماني كان على أبواب مصر . ظن أن بريطانيا فتحت أبواب فلسطين أمام اليهود ، فالعالم العربي كان يمكن أن يتجه بالولاء نحو العدو ، وهذا يمكن أن يعني هزيمة بريطانيا قبل الهجوم الياباني على بيرل هاربور الذي دفع أمريكا إلى خوض الحرب . ولو حدث هذا ، هل كان اليهود حقاً في موقف أفضل ، لا؟ (٢) ولم يجب نيومان على السؤال .

وتظهر المواقف المتناقضة في كتاب كروسمان ؛ ففي حين يقر أنه « كرجل انكليزي ، اعتزتي مشاعر الدهشة والغضب أثناء استماعاتي واشتغلي بسبب التجاهل التام تقريباً لوجهة النظر العربية » (٣) ، إذا به بعد قليل يعترف بأن معظم أعضاء اللجنة تأثروا تماماً بما سمعوا .. « فقد بدأنا على الباخرة كوين ماري مؤيدين جداً للعرب ، والآن ها أنذا أأراجع نحو الجانب اليهودي »! وفي الوقت نفسه يذكر بأن « الصحافة والنظارة هي برمتها تقريباً يهودية » .

Crossman, Ibid, pp. 43-45

(١)

ibid, p 45

(٢)

ibid. p. 46

(٣)

(م ١٩ - فلسطين)

وينما ينقد كروسمان الموقف الأمريكي بقوله: « إن الأمريكان برفع عقيرتهم من أجل إحياء الدولة اليهودية ، يرضون دوافع كثيرة : فهم يهاجرون الامبراطورية والامبريالية البريطانية ، وهم يقننون موضوعاً أخلاقياً لا يترتب على تنفيذه أية مسئولية عليهم ، وأهم من كل ذلك هم يصرفون النظر عن الحقيقة بأن قوانين الهجرة الخاصة بهم هي السبب الأساسي للمسألة اليهودية (١) » . ولكن ميوله الصهيونية تبدو بجلاء حين يشرح ما يعتبره « سبب ، دعم زملائه أعضاء اللجنة الأمريكان للصهيونية بأنه يرجع إلى « أن الأمريكي كاللاوسترالى وكالافريقي الجنوبي قد فتح بلاداً بكرة وغزاها من أجل الرجل الأبيض ، وبعمله هذا كان عليه أن يحارب معركة طويلة ضد السكان الأصليين ، وهو يعلم من خبرته المريعة ماذا تعنى هذه المعركة (٢) » وهذا يذكرنا بمواقف الدعاة الصهيونية الذين يحاولون دائماً أن يشيدوا برسالتهم التمدينية ، وبأعمال الرواد الصهيونية في إنهاض فلسطين من تخلفها وإهمالها ، والذين يشبهون الرواد الأوائل الأمريكان الذين غزوا الغرب في أمريكا ، وظهرهم من الهنود المحرومين والتخلف ، وجعلوا جنة واحة الظلال (٣) !

ومن ناحية أخرى غمز كروسمان من قناة الولايات المتحدة حين ذكر أن واحدة من العراقيل الرئيسية في طريق القبول العربى بمعيار من الهجرة اليهودية إلى فلسطين كان رفض الديموقراطيات الغربية فتح أبوابها أمام اللاجئين . « وفي هذا المجال فقد أشار عدد من الشهود الأمريكيين في واشنطن إلى أن السجل الأمريكي في هذا الصدد هو سجل أسود .

إن قوانين الكوتا كانت أول مثل على التشريع العنصرى ، ففى قد

ibid. (١)

Crossman, ibid., p. 42 (٢)

Eban, Abba, « The Voice of Israel » N. Y. 1957, انظر (٣)
p. 83 & seq.

أعطت عن قصد الأفضلية للمهاجرين من العنصر الآري . ولكن منذ عام ١٩٣٣ لم تسمح الإدارة (الأمريكية) بالهجرة حتى في حدود الأرقام التي حددتها الكوتا . ويؤيد كروسمان رأيه بالأرقام ، وليثبت أن سجل كندا وأستراليا لم يكن أفضل . ويخرج من ذلك كله بالرأى الآتى : « يتضح تماماً من هذه الأرقام أنه إذا كانت أمريكا توافقه حقاً للحصول على قبول العرب بهجرة يهودية ، فأنها يجب أن تزيل الاعتراض العربى المشروع القائل بأن الديمقراطية يجب أن تمارس الانسانية فعلاً كما تمارس وعظ المسلمين بها قولاً . وسيكون من العسير أن يطلب ادخال ١٠٠ ألف يهودى إلى فلسطين بينما يرفض تعديل قوانين الهجرة الأمريكية » (١) .

ولاحظ كروسمان أن الجميع في واشنطن يرون أنه ليس في مقدور الحكومة أن تعدل قوانين الهجرة ؛ فالخصص (الكوتا) وضعت خططها وفنذت ليس لمساعدة أولئك المشردين المنكودين من اليهود من شرق أوروبا الذين أبرزوا مشكلة اللاجئين ، وإنما على وجه التحديد لمنع دخولهم إلى أمريكا (٢) . ومنظمات العمل في أمريكا وفي جميع الديمقراطيات الغربية الأخرى قد ساندت بحماس مثل هذه الموانع لحشيتها من أن يؤدى العمل الأجنبى الرخيص إلى الهيوط بسوية الأجور (٣) . ولا شك فى أن مثل هذا الموقف يدعم أهداف الصهاينة الذين لا يفتأون يذكرون تكراراً بأن فلسطين هى المكان الوحيد لاستقبال المهاجرين اليهود .

وعلى الرغم من الميول الصهيونية للأعضاء الأمريكان ، فإن العقول الأكثر موضوعية بينهم قد عذمت بالمطالب الشاملة للصهاينة الأمريكان ،

Grossman, op. cit., p. 54

ibid

ibid, p. 55

(١)

(٢)

(٣)

بزعم كروسمان (١). ويبدو أن الجو السياسي في بريطانيا ، في الوقت الذي تشكلت خلاله اللجنة ، بدأت عملياً ، كان جزءاً من توسع متزايد من خطط السوفييت في الشرق الأوسط ، وذلك في ضوء الانقلاب الذي نالوه في أذربيجان ، وفي ضوء حملات الدعاية المضادة لتركيا ، ولشركات النفط الأنكلو إيرانية والسياسات الاستعمارية في الشرق الأوسط . (٢) وقد كتب كرام أن هارولد بيلي السكرتير البريطاني في اللجنة ، أخبره من واحد من أعضائها بينما كانوا في طريقهم إلى لندن عبر الأطلسي أن « موضوع فلسطين . . يجب أن ينظر إليه في نطاق التوسع السوفييتي . إن السوفييت يخططون للنزول إلى الشرق الأوسط ، وسيكون من المستحسن أن تنضم الولايات المتحدة إلى بريطانيا لإقامة الحاجز الصحي من الدول العربية ، فإذا أعلنت فلسطين دولة عربية ، فسوف تكون حلقة قوية في هذه السلسلة » . (٣) وقد عبر كرام عن أساء لأن يمثل المواجهة الأمريكية مع هارولد بيلي من الخارجية البريطانية قد أُنذروه في واشنطن ، وخلال رحلته للجنة عبر الأطلسي إلى لندن ، أن اللجنة ليس بمستطاعها النظر بالمسائل المتصلة بفلسطين واللاجئين اليهود في فراغ مجرد عن سياسة القوى الدولية ، وبالعكس فإن القرار الذي سوف يجرى تنفيذه في منطقة هي سابقاً موضع نزاع الدول الكبرى . (٤)

اللجنة في لندن

وفي لندن أقام المستر بيغن حفلة غداء على شرف اللجنة وحضرها وزير المستعمرات جورج هول ، وسكرتيره البريطاني المستر كريتش جوتز الذي يصفه كروسمان بأنه مناصر متعصب للصهيونية ، والمستر أوليفر ستانلي ،

Crossman. op. cit., pp. 22,47 (١)

Kirk. op. cit., pp. 57-61,207 (٢)

Crum, op. cit., pp- 33 (٣)

ibid., pp. 7-8,31,35 36 (٤)

والمستر فيليب نيويل بيكر وزير الدولة في وزارة الخارجية والمعروف بميله للصهيونية . وتصادف بينن قتال إن اللجنة إذا انبجست تقريرها بالاجماع فسوف يعمل شئصياً كل ما في طاقته لتنفيذ توصياتها . وقد هاجم العنصرية خلال حديثه ، وأشا إلى أنه لا يرى علاً في إقامة دول عنصرية في فلسطين (١) .

واستمر سماع الشهود في لندن منذ ٢٥ كانون الثاني -- يناير حتى أول شباط -- فبراير ، وقد استمعت اللجنة إلى ممثلي الدول العربية الذين كانوا يحضرون الاجتماع الأول للجمعية العامة للأمم المتحدة ؛ وقد طلب الممثلون العرب برئاسة الأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعود وقف الهجرة الصهيونية واستقلال دولة فلسطين العربية . وشهد أمام اللجنة المستر ليو أميري صديق تشرشل الحميم ووزير المستعمرات سابقاً والمناهر المتحمس للصهيونية ، فد كسر اللجنة أنه حين كان موظفاً شاباً كان مسئولاً عن صياغة تصريح بلفور النهائية . وظهر كذلك الجنرال سبيرز ، السفير البريطاني في سورية ولبنان خلال الحرب العالمية الثانية . ويصفه كروسمان بأنه « كان الشاهد الوحيد من أية جنسية حسبما اذكر ، الذي لم يجهد نفسه في إخفاء وجهة نظر غير موافقة لليهود بوضوح . وأجاب سبيرز على سؤال موجه إليه بقوله :

« أظن أنه يتعذر الأمل تقريباً بأنه لن يوجد قلق من أى نوع . إننا نعاين نتيجة كثير من الأخطاء التي ارتكبت على مدى وقت طويل . أنا نفسي مقتنع بأن مجابهتنا لها غانا غير الشرعية والتشكيكات اليهودية الأخرى ، ستكون أقل ضرراً بكثير ، حتى من وجهة النظر العملية ، من إشعال النار في الشرق الأوسط برمته ، لدعم ما يعتبر الغالبية العربية المظلومة في فلسطين » . (٢)

ibid.. pp. 65-66

(١)

ibid. pp. 68

(٢)

وفي لندن ، كما في واشنطن ، لم يترك الشهود الصهاينة مجالاً للشك أمام اللجنة لتعريفها بطبيعة برنامجهن ؛ فبينما أعلنوا أن جميع اليهود الأوربيين الذين يريدون الهجرة يجب أن يسمح لهم بالهجرة إلى البلدان الخيرية ، كانوا يزعمون بأن الغالبية الساحقة يجب أن تُقبل في فلسطين ، ويقدر الصهاينة عددها بمليون — وذلك بمعدل ١٠٠ ألف كل عام . حتى إذا أوجد هذا السيل المتدفق من المهاجرين غالبية يهودية واضحة على ١,٢٥٠,٠٠٠ عربي ، حينئذ يجب إعلان فلسطين بلداً مستقلاً (١) وكروسمان لم يستطع أن يخفي امتعاضه من هذا البرنامج الصهيوني الذي يجافي كل منطق سليم . سجل ذلك في يومياته بقوله : « كلما افكرت في هذا المخطط كلما بدا لي أقل قبولاً . إن الصهاينة كانوا يحتجون على الكتاب الأبيض لأنه قرر أن العرب في فلسطين سيكونون غالبية دائمة ، وقد سمّوا هذا ظلماً وغير ديموقراطي . كيف إذن بمقدورنا ضمان العدل والديموقراطية إذا ألغينا الكتاب الأبيض ، وأعلننا سياسة جديدة لا تعني شيئاً أقل من تحويل الغالبية العربية إلى أقلية عربية بطريقة مقصودة ؟ دع أننا لو تباعدنا تماماً عن الأخلاقية ، فكيف يمكن لأية حكومة بريطانية أن تتعهد بمثل هذا المخطط ، وتعطي الإشراف على الهجرة للوكالة اليهودية وفقاً لطلب الصهاينة ؟ إننا نعملنا هذا سوف نحضر العرب على الثورة . وسوف يرقب العرب غالييتهم تتناقص سنة فسنة ، وشهراً فشهرأ بتدفق المهاجرين إلى فلسطين . وسوف يقاتل أي زعيم عربي ليوقف مثل هذا الإجراء . إنني أستطيع أن أفهم حالة اليأس التي نهض منها البرنامج الصهيوني ، ولكنني لا أستطيع أن أرى كيف يمكن لأية حكومة أن تقبله . » (٢)

ibid., p. 69

(١)

ibid. pp. 69-70

(٢)

وخرج كروسمان محققاً من استماع الشهود الصهاينة في لندن (٢٥ كانون الثاني - يناير - ١ شباط - فبراير) وقال إن حالة زملائه كانت كحالته بسبب الدعوى المزدوجة لأولئك الصهاينة الذين لم يذهبوا إلى فلسطين ، ومع ذلك يتوقعون أن يتميز يهود فلسطين في وطنهم القومي ، وفي الوقت نفسه يُعترف بالجماعة اليهودية المنفصلة داخل كل دولة ديموقراطية . أى أن يكون اليهود يهوداً ، وفي الوقت نفسه أعضاء في بنص الأمم الأخرى (الكافرة) ، وبولاء مزدوج لبلادهم ، وللوطن القومي (١)!

وكان الخطوة اللجنة التالية تأثير لا يستهان به على مشاعر اللجنة ونظرتها ، وإذا فقد كانت هذه الخطوة عرضة للنقد إذ لم تكن مطابقة لصلاحيات اللجنة ؛ فقد ذكرت هذه الصلاحيات على أنها تخص الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية لفلسطين ، وما سيكون لها من تأثير على مسألة الهجرة اليهودية والاستيطان قبل تفحص وضع اللاجئين اليهود في أوروبا . وكان المفروض أن بنود الصلاحيات قد اختيرت بدقة مع وجوب التقيد بها . وبتغيير تسلسل تعليمات اللجنة ، وقيامها بزيارة أوروبا في هذه المرحلة ، فإن اللجنة قد عرضت نفسها لتقع تحت تأثير رد الفعل العاطفي الضخم للاجئين اليهود المشردين ، قبل أن تقوم بزيارة فلسطين والشرق العربي . ونجحت خطط الصهاينة في اخراج اللجنة عن الخطة المرسومة لها ، فزارت معسكرات اللاجئين اليهود في أوروبا قبل أن تدرس الحالة في فلسطين . تماماً كما نجحت الضغوط الصهيونية على ترومان فألح على أن تشكل صلاحيات اللجنة صلة ما بين أحوال اليهود في أوروبا ، والأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية في فلسطين ، وعلى أثرها على مسألة الهجرة والاستيطان اليهوديين . وكان التنظيم الصهيوني قد أعد للأمر عدته ، فأحضر مئات من اليهود أمام أعضاء

لجنة التحقيق ليقدموا قصة البؤس والتعذيب والآلام والأهوال . . وهي قصة معادة ملقنة يقع تحت تأثير مسر-عيتها أى انسان ساذج فيرثى لحال يهود أوروبا المشردين ، ويغيب عنه أن الصهيونية وعلماءها كانوا وراء مختلف عمليات (التشريد) التي انطوت على الترغيب والترهيب ، والقسر والتهديد ، والاختطاف والاعتقال لخصومها من اليهود ، والمهادنة إلى تهجير يهود شرق أوروبا إلى معسكرات التجمع ، وخاصة في المنطقة الأمريكية كما سلف ذكره . وقد وجد أعضاء اللجنة الذين انقسموا إلى عدة لجان فرعية لزيارة بولندة وتشيكوسلوفاكيا وألمانيا والنمسا وإيطاليا واليونان (٣ شباط - فبراير) ، ان عدد اليهود في مراكز التجمع الألمانية والنمسية يبلغ حوالى المائة ألف تقريباً (٩٨ ألفا) ، منهم من البولنديين ، ويعيشون في أحوال حسنة ، ولكن معنوياتهم تعاني من الحسرة . وهنا كان عضو اللجنة الأمريكي كرام على عجلة من أمره فاقترح ، أن توصى اللجنة بإدخال ١٠٠ ألف يهودى إلى فلسطين فوراً ، ولكن غالبية اللجنة احتجت على قبول هذا الرقم قبل أن تطلب أقدام اللجنة أرض فلسطين وتدرس أحوالها المحلية ؛ ورأت أن ذلك سوف يزود العرب بظلامه مشروعة ضد اللجنة . ومعظم الأعضاء البريطانيين في اللجنة رغبوا في لفت نظر اللجنة حالاً إلى تسرب اليهود من أوروبا الشرقية ، الأمر الذى كان يزيد من ضغط الهجرة على فلسطين (١) . وأبدى عضوان بريطانيان ، أحدهما سنكلتون ، رغبتهما في لفت نظر الحكومتين البريطانية والأمريكية إلى ما يجرى من المخالفة والشذوذ ؛ فبينما كانت المنطقة الأمريكية من ألمانيا تشجع هذا التسرب اليهودى ، كانت سياسة المنطقة البريطانية تحول دونه وتمنعه . وقد ألح كرام على طابعه بالهجرة

(١) حدثت بعض العداوات بين البولنديين واليهود ، بتجريس لم يعرف مصدره في Kielce (٥ تموز - يوليو ١٩٤٦) وقتل خلالها ٣٦ يهودياً فيما يقال .

اليهودية لدرجة أنه هدد بالاستقالة من اللجنة إذا لم ينمذ مقترحه ، لولا أن وصلته رسالة من ترومان تخفف من غضبه ، وتطلب إليه أن يستمر في تحقيقه (الصوري) وكأما كان يعلم سلفاً نتيجة التقرير النهائي للجنة (١) .

ومهما يكن الأمر ، ففي كلمات كاتب بريطاني مؤيد للصهيونية أن اللجنة عرفت كيف أن الهيئات الصهيونية المنظمة لهذه التجمعات والمسكرات قد أحبطت الخطط التي كانت تعدها لجنة اللاجئين الدولية لإسكان أيتام اليهود في سويسرة وغيرها من البلاد الأوروبية (٢) ؛ وتشدت الصهيونية وطبقت مبدأ اللاتراجع عن هدفها المرسوم ، لدرجة توهمت معها اللجنة أن لا مجال للتوفيق أو للتساهل . من ذلك مثلاً أن الحكومة البريطانية أبلغت المنظمة الصهيونية في تشرين الثاني - نوفمبر ١٩٤٥ بأنها على استعداد لقبول ألف من أيتام اليهود في انكلترا ، وتظاهرت المنظمة بأنها قبلت العرض ، وأوفدت مبعوثها ادلر رودل إلى ألمانيا ليمفاوض (اللجنة المركزية لليهود المحررين في بافاريا) ، وأصيب رودل بالذهول عندما رأى هذه اللجنة ترفض التعاون معه رفضاً باتاً (٣) .

اللجنة في القاهرة :

وفي القاهرة استمعت اللجنة إلى وجهة نظر جامعة الدول العربية (٢٨ شباط - فبراير) التي أكدت أن الصهاينة ليس لهم - حقوق في فلسطين خلاف حقوق الأقلية ضمن دولة عربية مستقلة . وتحدث عبد الرحمن عزام أمين الجامعة ، فخطب بالانكليزية أمام اللجنة ، ومما قاله : .. ان اليهودي .. عاد من أوروبا

Crum. op. cit., pp. 128-29

(١)

(٢) نفرد الصهاينة بابرار وروطة اليهود في أوروبا على أنها كارثة لم يشهد التاريخ مثيلاً لها ، وهذا كلام لا ينطبق ولا ينطبق مع ما جرى بالفعل كما ذكرنا .

Sykes, op. cit., p. 344

(٣)

بأفكار امبريالية وأفكار مادية ، وآراء رجعية أو ثورية ، وحاول أن ينفذها أولاً بواسطة الضغط البريطاني ثم بواسطة الضغط الأمريكي ، ثم بممارسته للارهاب ... ان الصهيوني ، اليهودي الجديد يريد أن تكون له السيطرة ، ويدعى أن له رسالة تدينية خاصة يعود بها إلى العنصر المتخلف المنحل من أجل أن يضع مبادئ التقدم في منطقة لا تقدم فيها . حسنأ ، إن تلك كانت دعوى كل دولة أرادت أن تستعمر وهدفت للسيطرة . إن الحجة كانت دائماً أن الشعب متخلف ، وأن الدولة ذات رسالة انسانية تضع الشعب على طريق التقدم . إن العرب يقفون بكل بساطة ويقولون : كلا ، لسنا رجعيين ولسنا متخلفين . حتى ولو افترنا إلى المعرفة فإن الفارق بين الجهل والمعرفة هو عشر سنوات في المدرسة . نحن أمة ذات حيوية قوية ، لئنا في خضم نهضتنا ؛ ونحن نتج من الأولاد بقدر أية أمة في العالم ، ولا نزال نملك عقولاً ، ولدينا تراث حضارتنا وحياتنا الروحية ، ولن نسمح لأنفسنا بأن يسيطر عليها لا الأمم العظمى ولا الأمم الصغرى ، ولا الأمم المشتتة (١) ويبدو أن كروسمان - على الأقل - قد تأثر من كلام عزام ، وقال إنه لا يشك في أن الرجل قد تكلم عن العالم العربي بأكمله ، وأنه قد عرض علينا قضية لو صادفها القبول مرة لقطعت الدعوى اليهودية كلها بضربة واحدة ليس إلا . وتسامل كروسمان : كيف يستطيع القوميون العرب الذين هم مصممون على تصفية الحكم البريطاني وتطهير مصر من العساكر البريطانية ، أن يوافقوا على غزو بطنى فلسطين من جانب مستوطنين قد يكونون ساميين بالأصل ، ولكنهم يسلكون تماماً كما يسلك المستعمرون الأوروبيون ؟ إن معارضة العرب للصهيونية لاصلة لها باللاسامية ، كما قال عزام ، وأنا مقتنع بأنه على صواب (٢) .

Crossman op. cit. pp. 69-70 p. 119

(١)

ibid

(٢)

وزار فريق من اللجنة السورية ولبنان والعراق والمملكة العربية السعودية حيث اجتمع بمختلف الهيئات الرسمية والشعبية ، واستمع إلى رؤساء الدول العربية . وقد حشد العرب كل الحجة الدامغة في قوالب المنطق السليم في ما قدموه للجنة من شهادات ومذكرات ، وفيما أسمعوها من تصميمهم على الدفاع عن عروبة فلسطين مهما كلفهم الأمر ؛ وفي زوال أسباب شكوى اليهود بعد انهيار النازية والفاشية ، وفي الظلمة التي تقع على رأس العرب نتيجة فرض الغرب لليهود على فلسطين ، وحل مشكلتهم على حساب العرب ، وفي ما تعده الصهيونية من الخطط العدوانية ذات الطابع الإنساني من أجل تحقيق هدفها في تهويد فلسطين وإشباع مطامعها في الاستحواذ عليها وعلى خيراتها . كذلك نشر العاهل السعودي بياناً قوياً في التعبير عن استعدادة لأعظم التضحيات دفاعاً عن قدسية فلسطين وعروبته^(١) . وكانت المطالب العربية تتركز على وجوب حل قضية فلسطين بقطع النظر عن المسألة اليهودية التي هي مسألة عالمية ، وإقامة كيان مستقل حيث يتمتع كل من العرب واليهود بالحقوق والضمانات الدستورية المعروفة . وقد شهدت اللجنة في أثناء وجودها المظاهرات الشعبية الضخمة وكلها تلح على وقف الهجرة وبيع الأراضي ، وعلى إنشاء الحكومة الوطنية المستقلة بفلسطين .

وقبل أن ننقل إلى المسرح الفلسطيني لتتابع أعمال اللجنة في التقصي والبحث والاستماع (٦ آذار - مارس) ، لابد من وصف ما دار على هذا المسرح قبل قدوم اللجنة ، لأن قلق العرب ، وحرص الصهاينة على إحراز نصر سريع ، أفضى إلى مرحلة جديدة من الضغط والضغط المضاد .

فقد أعلنت جامعة الدول العربية أهم مقرراتها بشأن فلسطين ، حين

أصدرت في ٢ كانون الأول - ديسمبر ١٩٤٥ قراراً - حول مقاطعة اليهود في فلسطين اقتصادياً ، وهذا نصه :

١ — إن المنتجات والمصنوعات اليهودية في فلسطين غير مرغوب فيها في البلاد العربية ، وإن إباحة دخولها إلى هذه البلاد مما يؤدي إلى تحقيق الأغراض السيامية الصهيونية . فإلى أن تتغير هذه الأغراض يقرر مجلس الجامعة أن تتخذ كل دولة من دول الجامعة الإجراءات التي تناسب وتنفق مع أصول الإدارة والتشريع فيها ، بمنع هذه المنتجات من دخول بلادها بعد أول كانون الثاني - يناير سنة ١٩٤٦ ، سواء جاءتها من فلسطين مباشرة ، أو عن طريق آخر ، وسوف تتخذ جميع التدابير الأخرى لمكافحة الصناعة الصهيونية (١) .

٢ — يدعو مجلس الجامعة الشعوب العربية غير الممثلة في مجلس الجامعة أن تتضامن وتتعاون مع دول الجامعة في هذا القرار ، فتمتنع المبيعات والتجارة والوسطاء والأفراد فيها عن التعامل والتوزيع والاستهلاك للمنتجات الصهيونية في فلسطين والبلاد العربية .

٣ — تؤلف لجنة من الدول الممثلة في الجامعة للإشراف على التنفيذ (٢) .

وبالفعل قامت الدول العربية بوضع القرار موضع التنفيذ ، وفرضت العقوبات الجزية على المخالفين ، وكانت الحملات جادة فعالة لدرجة أثار قلق اليهود . فرفعوا شكواهم إلى حكومة الانتداب ، فأصدرت هذه بياناً رسمياً في ١١ كانون الثاني - يناير جاء فيه : أن المندوب السامي يتشاور مع وزير المستعمرات بصدد اتخاذ الخطوات تجاه هذا الموقف الذي يهيم الدولة

(١) العبارة الأخيرة لم أجد لها في المصادر العربية ، بل في كتاب :

Survey of Palestine op. cit. p. 84

Survey of Palestine. op. cit., pp. 84-85

(٢)

المنتدبة المسئولة عن رفاه الشعوب في فلسطين (١) .

وكان احتياج الوكالة اليه دية إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة بسبب إعلان المقاطعة العربية ، ينهم في نطاق الجهود الصهيونية الدائبة لإثبات وجودها العدواني في فلسطين ، ولذا فقد اغتبط الصهاينة في أواسط كانون الأول - ديسمبر ١٩٤٥ حين أقرّ الكونغرس الأمريكي القرارات المؤيدة لهم ، متجاوزاً رغبة ترومان ووزير خارجيته بيرنز الذي كان قد حث على أن لا تتخذ أية خطوة كهذه إلا بعد نشر تقرير اللجنة الانكلو أمريكية . أما عرب فلسطين ففي وسط يأسهم من إنتصاب بريطانيا لحقوقهم ومطالبهم المشروعة ، وسكوتها على تفاقم الهجرة اليهودية وعلى فعال الصهاينة المتصاعدة ، لم يكن لهم ألا يتظلموا بأمل إلى الليان المشترك الذي صدر عن العاهلين المصري والسعودي (١٦ كانون الثاني - يناير ١٩٤٦) أثناء زيارة العاهل السعودي للقاهرة ، والذي جاء فيه : « ونحن نشارك المسلمين والعرب جميعاً في إيمانهم بأن فلسطين بلاد عربية مستقلة ، وأن من حق أهلها وحقوق المسلمين والعرب معهم أن تبقى عربية مستقلة كما كانت دائماً » (٢) . وفي غضون ذلك نجحت وساطة الجامعة العربية في التوفيق بين الزعماء الفلسطينيين وتشكيل اللجنة العربية العليا ، وتركت رئاستها شاغرة تقديرآ للمفتي المقيم في فرنسا والمحظورة عودته إلى فلسطين . وعاد يهود فلسطين إلى الضرب على وتر النعمة المحببة لديهم ، وتكرار القول بأن البريطانيين يخرقون صك الانتداب بتحديدهم هجرة اليهود ، وأن تشجيعهم لقدم اليهود إلى فلسطين هو أمر مشروع . وعاد عرب فلسطين يؤكدون أن الانتداب هو نفسه أمر غير مشروع ، طالما أنه فرض عليهم - وهم أصحاب الأرض وسكان البلاد الأصليين - ضد إرادتهم وخلاف مشيئتهم ، وأن جميع اليهود الذين أتوا إلى فلسطين في ظل الانتداب

ibid.

(١)

(٢) دروزة - المصدر السابق مر ٤٤ وأيضاً Hurewitz op. cit. p. 238

البريطاني ، وسواء بترخيص الحكومة أم بدونه ، إنما هم مقيمون غير شرعيين . وطلعت الحكومة البريطانية بدعوى مردودة زعمت فيها أنه طالما بقي الانتداب ، فسيتوجب عليها أن لا تحول دون استمرار الهجرة اليهودية وبما أن عصبة الأمم لم تعد قائمة لتراقب سير الانتداب ، فالحكومة لها الحق — كسلطة حاكمة — في وضع حدود للهجرة اليهودية ، وهي ملتزمة بمعارضة كل الجهود الرامية إلى تجاوز المعدل الذي تحدده .

ورفضت اللجنة العربية العليا الموافقة على اقتراح الخارجية البريطانية (١٩ كانون الثاني - يناير ١٩٤٦) بالسماح (١٥٠٠) مهاجر يهودي شهرياً بدخول فلسطين . وأعلنت أن الشعب العربي يتمسك بشدة بحقه القومي والمكتسب بخصوص وقف الهجرة اليهودية النهائي ، وأن استمرار الهجرة سوف ينظر إليه كتمييز لطلب اليهود العدواني ، وأن ذلك لن يفضي إلى الجو المرغوب من السلام والاستقرار ، وإنما يشجع اليهود على مضاعفة نشاطهم الإرهابي بقصد ضمان امتيازات أخرى (١) . وصادقت كل من دول جامعة الدول العربية على موقف فلسطين .

وحاول المندوب السامي الجديد السير آلان كاتنغهام في الأيام الأخيرة من شهر كانون الثاني — يناير إرضاء العرب واليهود في وقت واحد ، مع تأكيد سلطة الدولة المنتدبة في مكافحة أعمال الإرهاب والتخريب . وأصدر في الثامن والعشرين من الشهر نفساً قوانين جديدة صارمة للطوارئ ، فرضت عقوبة الإعدام كحد أقصى لا على الذين يشتركون في الهجمات الإرهابية فحسب بل على الذين ينتمون إلى جماعات إرهابية أيضاً . وفرضت العقوبة نفسها على حيازة أو صنع أسلحة وذخائر وقذائف ومتفجرات ؛ وقد حول

Supplementary Memorandum by the Government of (١)
Palestine p. 6, See also Hurewitz op. cit. p. 241.

المندوب السامي نفسه حق نفى وطرده أى شخص من فلسطين أثناء نفاذ النظام . ولموازنة ذلك أعلن المندوب السامي بعد يومين (٣٠ كانون الثاني - يناير) أن الهجرة اليهودية سوف تستمر مؤقتاً بمعدل ١٥٠٠ فى الشهر ، وفى الوقت نفسه سمح لجمال الحسينى بالعودة إلى فلسطين بعد إطلاق سراحه من منفاه فى روديسية . ولكن نفس بريطانيا للكتاب الأبيض ونكولها عن كلمة الشرف بصدد الهجرة اليهودية ، لم تعرض اليهود بعد أن لمسوا تهاون السلطات وبجراح ضغوطهم وإرهابهم ، فأعلنوا الإضراب فى اليوم التالى احتجاجاً على عدم إطلاق الهجرة الجماعية إلى فلسطين ، وعدم رفع القيود الموضوعية على شراء الأراضى ، وقالوا بأنهم لن يهدأوا حتى يسقط الكتاب الأبيض ، « وتفتح أبواب فلسطين أمام بقايا اسرائيل » (١) . وبمقتضى السياسة المرحلية والواقعية للصهيونية ، ظلت الوكالة اليهودية تقبل المعدل الشهرى (١٥٠٠) حين يحين وقته ، بحيث دخل فلسطين ٢١ ألفاً من اليهود بصورة (مشروعة) خلال العام القادم المضطرب ، أى نسبة ١,١ / من مجموع سكان فلسطين (٢) .

ونظم عرب فلسطين لإضراباً عاماً فى ٢ شباط - فبراير احتجاجاً على نكول بريطانيا عن التزاماتها فى الكتاب الأبيض ، كما أعلنت السلطات العسكرية البريطانية عن عزمها على استخدام أسرى الحرب للعمل فى المنشآت

Kirk, op. cit., p. 209

(١)

(٢) نهرج يفتن فى مجلس العموم — ١٨ شباط - فبراير ١٩٤٧ :

H, C. Deb. 5 th Ser. vol. 433 col. 986

وبرغم استنكار الصهيونية لمعدل الهجرة ونحوه بأنه (تقدير) فإن نسبة الهجرة السنوية إلى الولايات المتحدة لم تتجاوز ١ المائة استثنائياً وقط على عام ١٩١٤ ، ولم تقارب هذه النسبة مطلقاً منذ ذلك الوقت .

William, S, Bernard «American, Immigration Policy» N. Y. 1950. p. 158, table 37.

العسكرية البريطانية في جنوب فلسطين . فشن الصهاينة حملة دعائية قوية ضد هذا القرار ، لأن من شأنه أن يقوى السلطان البريطاني على البلاد ، في حين كان الاتحاد الصهيوني في بريطانيا يخرج على ذلك ويصفه بأنه استفزاز عدواني وعمل يحتمل أن يضطرب به سلام البلاد .

الإرهاب الصهيوني وسيلة للضغط على اللجنة :

ولكن ذلك السلام كان قد اضطرب فعلاً بتجدد اتحاد الهاغانا مع الإرهابيين من الأرغون وشيرين وتنفيذها معهم خطة مشتركة هاجموا خلالها المنشآت المستعملة لمخافة الهجرة غير الشرعية . ففي ٢٠ شباط - فبراير ١٩٤٦ هاجمت البلماح وهي القوة المضاربة للهاغانا محطة راديو القوة الجوية الملكية في حيفا فدمرتها وجرحت جروحاً خطيرة اثنين من الضباط ، وأوقعت أضراراً أخف بستة آخرين . وبعد ذلك يومين قامت البلماح بهجوم على معسكرات القوة المتحركة للفلسطين في شفا عمرو وكركرتسكن وسارونا . وفي شفا عمرو وقعت أضرار بالغة ، فأصيب ضابط من الشرطة في رأسه ، وأصيب ثلاث نساء بريطانيات وطفل بصدمة . وفي ٢٥ شباط - فبراير قامت الأرغون وفرقة شيرين بهجمات على الدوبتاج تكفا وكستينا ، فدمرت سبع طائرات وخربت ثمانى أخرى . ويبدو أنه قصد من هذه الحوادث أن تكون (إنذاراً ثانياً) لأن الإنذار الأول في ٣١ تشرين الأول - أكتوبر ١٩٤٥ كان قد (أهمل) . وقد وصفت هذه الفعال في إذاعة (صوت إسرائيل) السرية بتاريخ ٣ آذار - مارس ، وما جاء فيها : لقد كان هدف الهجوم على محطة الرادار في جبل الكرمل تدمير واحد من مراكز الحكومة الرئيسية لتصيد اللاجئين اليهود . . إن هذه الهجمات الثلاثة هي رمز لكفاحنا ، وفي جميع الحالات كان الهجوم موجهاً ضد السلاح الذي يستعمله الكتاب الأبيض في معركته المقيمة . . . فليس من هدفنا أن نقتل أى بريطاني في هذه البلاد ، إذ أننا لانحمل ضدهم ضغينة لعلنا أنهم أدوات

لتنفيذ سياسة ، وفي كثير من الأحيان أدوات غير راضية ، (١) .

كذلك تباهت نشرات الهاغانا والأرغون بالدور الذي لعبه أفراد (حركة المقاومة اليهودية) في هذه العمليات . وقد شارك رئيس المجلس الملي اليهودي وغيره من الزعماء الصهيونية في تل أبيب بتشجيع أربعة من أفراد البالماخ قتلوا في الهجوم على منشآت البوليس في سارون (٢) .

هذا هو الجو الذي جرى فيه تحقيق اللجنة الانكلو أمريكية في فلسطين حين جاءت إليها في ٦ آذار-مارس ١٩٤٦ ، وكان الاستقبال المشحون بالإرهاب قد قامت بتعريضه الزعامة الصهيونية ، إذ أراد الإرهابيون أن يضعوا أعضاء لجنة التحقيق من البريطانيين الحايدين أمام الأمر الواقع ، ويشعروهم بتحدى الصهيونية لهم إلى أقصى درجات الثور والصفافة . ورغم تحدى بن غوريون رئيس تنفيذية الوكالة اليهودية للإدارة الانتدابية ، وكان في الوقت نفسه مسئولاً عن الهاغانا وعن شؤون الدفاع لوقت طويل ، فقد أبدى ظهوره الأول أمام اللجنة (١١ آذار-مارس) أنه يفتقر إلى الصدق والصراحة ، الأمر الذي أدى إلى استدعائه ثانية أمام اللجنة ليقوم رئيسها البريطاني باستجوابه . والتقرير الذي يتضمن استجوابه لا يحتاج إلى تعليق ؛ لأنه يعتبر من الأدلة الناعمة على خداع الصهيونية ونفاقهم وتسترهم وراء التنصل من فعال الإرهاب ، وعلى أساليب المراوغة والتحايل التي كانت أساساً لا غنى عنه في التعامل الصهيوني . وفيما يلي محضر الاستجواب نوره للدلالة على كذب بن غوريون وتضليله وتواطؤه ، حتى أن كروسمان البريطاني الذي لا ينقصه العطف على الصهيونية لم يستطع أن ينكر خبث بن غوريون ومراوغته . وقد وجه الاستجواب السير جون سنكلتون في ٢٦ آذار-مارس ١٩٤٦ بقصد

Cmd. (6873), op. cit. & Sacher, op. cit. p. 189 (١)

Supplementary Memorandum, op. cit., pp. 6-7 (٢)

— ٣٠٦ —

الكشف عن مدى علاقة الوكالة اليهودية بأعمال الإرهاب والتخريب والقتل :

سنكلتون : هل الهاغانا فرع من الوكالة اليهودية ؟

بن غوريون : لأنني لم أتكلم عنها ؛ (هاغانا) كلمة عبرية معناها الدفاع .

س : هل تعتبر منظمة من نوع ما ؟

ج : هناك منظمات دفاعية متعددة في فلسطين .

س : لا تدع الأمر للخيال ؛ لقد سمعنا هنا في هذه القاعة عن منظمة عسكرية تحمل اسم (هاغانا) فهل هي تابعة للوكالة اليهودية ؟

ج : لأنني لا أعتمد أن هناك منظمة بهذا الاسم ، أذإن أنه مجرد المعنى الذي تعنيه كلمة (هاغانا) وهو الدفاع . يوجد بالتأكيد منظمات دفاعية لليهود في فلسطين .

س : وهل هذه المنظمة خاضعة للوكالة اليهودية ؟

ج : كلا ! إنها خاضعة لليهود في فلسطين . . لأن الوكالة اليهودية ذات مشاغل كثيرة . . . إنها مسألة دفاع وأمن ، وهي (أى الوكالة) تلجأ بين وقت وآخر إلى الحكم على الدفاع عن المستعمرات والمستوطنات والمدين .

س : إذن فهاغانا ليست خاضعة للوكالة اليهودية بشكل ما ، أليس كذلك ؟

ج : كلا ! إن الوكالة اليهودية لا علاقة لها بأى نشاط سرى أو خارج عن القانون .

س : لأنني لم أسألك في هذا . لأنني سألتك هذا السؤال : هل الهاغانا تحت شكل من إشراف الوكالة اليهودية أم لا ؟

ج : في مقابلة معي ، أن أحد زعماء الوكالة لا عن الهاغانا ؛ إنني أمثل
التي لا عليهم جزء هنا ولا أمثل الهاغانا . إن هذه وكالة ليس لها علاقة
بسلطة سرية أو غير مشروع يتعلق باليهود في هذا البلد ، ومن ثم
فلا علاقة لها بأية منظمة سرية .

س : يا سيد بن شير ، لا بد أنك تعلم أن هذه ليست الإجابة على
سؤال . . هل الهاغانا تحت إشراف ما من الوكالة اليهودية ؟

ج : ليس ثمة منظمة من هذا النوع تحت إشراف الوكالة اليهودية ،
على حد على .

س : هل هذه هي الإجابة على سؤال ؟

ج : نعم ، يا سيدي .

س : إذن فأنت تقول إن الهاغانا ليست تحت إشراف الوكالة اليهودية
بشكل من الأشكال ؟

ج : إنها ليست تحت إشراف الوكالة اليهودية .

س : ومن الذي يدفع نفقاتها ؟

ج : لا أعلم يا سيدي . اليهود في فلسطين .

س : وهل يربى ذلك عن طريق الوكالة اليهودية ؟

ج : كلا ، يا سيدي ، أنت قلت لك كلا .

س : هل يجهز حساباتهم ما يشاء الإئتاق على تنظيم الدفاع ؟

ج : نعم توجد أشياء كثيرة .

س : حسناً حسناً ، أفهم من كلامك هذا أن الوكالة اليهودية ليس لها
علاقة بالهاغانا ؟

ج : كلا ، ياسيدى ، تلك منظمة سرية . أجل ، للوكالة علاقة بالدفاع ، لأن كلمة (هاغانا) لها معنى مزدوج ، فهي تعنى الدفاع . أما اذا استعملت كلمة (هاغانا) كاسم علم فهي اسم لمنظمة سرية . ان علاقتنا قاصرة على الدفاع وليس لنا علاقة بمنظمة تدعى (الهاغانا).

س : هل لك أن تأخذ السؤال فى أوسع معنى ممكن . هل للوكالة اليهودية أية علاقة بالهاغانا ؟

ج : قلت لك كلا ، بالدفاع نعم ؛ لأن (هاغانا) معناها دفاع أيضاً (١)

وقد أثارت هذه المهزلة التى مثلت أمام اثنى عشر عضواً امتعاض كروسمان العضو البريطانى المتعاطف مع الصهيونية ، فذكر فى يومياته ان بن غوريون يريد من جهة أن يبقى رئيساً للوكالة ، ومن جهة أخرى يجيز الارهاب كوسيلة توقع الضغط على الادارة الانتدابية (٢) . وقد ذكر بارتلى كرام أن بن غوريون أصر على القول بأن هناك كلمة عبرية هى (هاغانا) وانها تعنى (الدفاع) ، ولكنه لا يعرف ان كان هذا الاسم يستعمل للتعبير عن جمعية قانونية أو خيرية ، أو شركة تأمين أو أى شىء آخر (٣) . ولكن هذه المغالطات ما كانت لنخفى على الادارة الانتدابية التى تعلم جيداً من تقارير مخبراتها أن صندوق التأسيس اليهودى كان ينفق ما لا يقل أبداً عن مليون جنيه فلسطينى سنوياً على المنظمات الارهابية خلال ثلاثين عاماً من الانتداب البريطانى .

ويروى شاهد عيان أن موشه شرتوك (شاريت) كان يجلس وراء

Kirk, op. cit., pp. 211-212

(١)

Grossman. op. cit., p. 139

(٢)

Grun, quoted by Sykes, op. cit, p. 348

(٣)

بن غوريون شاحب الوجه ، ليجذب كم سترته ويهمس في أذنه كلما تعثر (١).

اللجنة في فلسطين :

وفي فلسطين وصف كروسمان الوثالة اليهودية فقال إنها تدير شئون الجماعة اليهودية مع غاية التجاهل لموظفي الحكومة هؤلاء؛ إنها في الواقع دولة ضمن دولة ، بموازنتها ومجلس وزرائها السري ، وجيشها ، وقبل كل شيء مصلحة مخبراتها . وتحدث عن قوة الهاغانا فقال إنه موافق مع عضو اللجنة اللورد موريسون على أنه لا فرصة للحرب بين العرب واليهود ، « لأن الهاغانا تستطيع أن تدحر العرب في بضعة أسابيع . كلا ، وإنما حرب بين الجيش البريطاني واليهود (٢) » . وخرج كروسمان بنتيجة : « أن السبيل الوحيد لاجتناب الحرب ، يبدو لي هو التقسيم ، ولكن يجب أن يجري فرضه ، ويجب أن يكون كريماً مع اليهود بما يكفي لجعل وايزمن قادراً على استعادة سلطته وإرضاء المطرفين لديه ، ولكن كروسمان من جهة أخرى يرى أن « وايزمن وماغنيس وبن غوريون هم جميعاً متفقون على الهدف — وهو إقامة كومنولث يهودي في فلسطين . وفي ذلك يستوى ماغنيس بالتطرف مع عضو عصاة شتيرن ، وما يختلفون به هو التكتيك (٣) » ..

وقابل كروسمان الارهابيين في معسكر احتجز فيه ثلاثمائة منهم بموجب قانون الطوارئ ، ومضطهمهم كان يتراوح عمره بين ١٥ — ٣٠ عاماً ، وقد عبروا عن رضاهم الكامل بأحوال إقامتهم : « كانوا ينامون على سرر متسعة تماماً ، وفي منازل جيدة خاضعة بالجيش ، وقد زودوا بمكتبة وأجهزة للراديو ، وصحف ، وجميع الشئون الأخرى (٤) » ..

Middle East Times (Jerusalem) 28 March 1946, quoted (١)

by Kirk, p 212, footnote.

ibid., pp. 141-142

(٢)

ibid., p. 143

(٣)

ibid., pp. 145

(٤)

وتحدث جمال الحسيني مع كروسمان فلتخص الموقف بالكلمات التالية :
 انني أقدر أن بلدكم قد انهكتته الحرب، وأنكم ستحتاجون المساعدة الأمريكية
 للحفاظ على تماسك امبراطوريتكم . وأنا أفهم تماماً المصاعب الاقتصادية
 وافتقاركم إلى القرض . وفي المستقبل سيتوجب عليكم اتخاذ سياسة تضمن
 الدعم الأمريكي ، وأنا أتوقع منكم ومن حكومتكم لهذا السبب أن تقدموا
 الدعوة للصهاينة . وفي تلك الحالة سوف أعود إلى مهنتي القديمة : ولست غير
 سعيد كمقاتل يخوض حرب العصابات . ولكنني سوف أظل دائماً أنه حالما
 تنتهي حاجتكم العاجلة للدعوة الأمريكية ، سوف تنددون إلى صداقتكم القديمة
 مع العرب . وفي غضون ذلك لن تترقبوا منا أن نرفض الدعوة من أية
 جهة ، (١) . ماذا كان جواب كروسمان ؟

قال إنه لا يقبل تحليل جمال للقضية بكل تفاصيله ، ولكنه لو اضطر أن
 يختار بين الصداقة الأمريكية والصداقة العربية ، فسيختار الأولى ، ولكن
 لماذا يكرهنا العرب على هذا الاختيار ، لماذا لا يتوصلون إلى تسوية
 يقبلون المائة ألف ، ١٤ ؟

وفي فلسطين قابلت اللجنة وايزمن الذي كان يرجو أن توافق بريطانيا
 على التقسيم . وكذلك كان موقف شرتوك الذي اقترح حدوداً للدولة اليهودية
 شرط أن تشمل على الجليل والنقب ، وأن يهيئ التقسيم الاستقلال التام حقاً ،
 بما في ذلك العلم اليهودي والجيش اليهودي والنيشيل في الأمم المتحدة . وقال
 شرتوك إن مثل هذا المشروع يمكن أن يصبح شرط فرضه بسرعة ، وإلا
 فالعرب سوف يسقطونه ، كما فعلوا عام ١٩٣٨ ، فينشل (٢) . أما بن غوريون
 فقد رأى بالإضافة إلى ذلك أنه لا خطر من نشوب ثورة عربية في الحال ،

Grossman, ibid , p. 146

(١)

ibid., pp 137,164

(٢)

بعد الإعلان عن التقسيم ، لأنه يعتقد أن العرب يخشون نوعاً اليهود . ولم
يفت بن غوريون أن يتمسح بادعاء الاشتراكية التي ستنظم الكومونولث
اليهودى والتي سوف تأسر الشرق الأوسط ، وسوف تكون عقبة بريطانيا
عند روسيا (١)

ويبدو تحيز اللجنة منذ أن ادعت بأن الكتاب الأبيض لم يكن مشروعاً
في نظرها ، لأنه خرق للحقوق السليبية التي كفلهاها الانتداب لليهود ،^١ ويفسر
كروسمان إلحاح الصهاينة على الهجرة إلى فلسطين تفسيراً غريباً في بابها . قال
إن الولايات المتحدة وكندا وأستراليا وبنفس بلدان أمريكا اللاتينية يمكن
أن تقنع بقبول بنسب عشرات الآلاف من الأشخاص النازيين ، ولكن
اليهود كانوا يشكلون جزءاً صغيراً جداً فقط من مجموع هؤلاء . وكان من
الواضح أنهم يجب أن يمضوا سنوات في ألمانيا والنمسا إذا كان عليهم أن
ينتظروا دورهم في الرتل ، طلباً للإذن بقبولهم في بلدان الديمقراطية
الغربية . إن الحقيقة التي كان ينبغي قبولها - وهي مخجلة في حد ذاتها - بأن
فلسطين كانت البلد الوحيد الذي يستطيع استيعاب المائة ألف يهودى على
الفور ،^١ ولكن لماذا يختص اليهود من كل الأشخاص النازيين
Displaced Persons ، ولماذا لا تدرس اللجنة قبل توصيتها بإدخال المائة
ألف يهودى إلى فلسطين ، المضاعفات السياسية التي ستنتج عن ذلك ؟ ألا
تتضح النوايا السيئة المنحازة في كل ذلك ؟

ولكن كروسمان سرعان ما يجيب على هذا حين يقول أثناء عرضه لمسألة
الهغانات : « إننى لا أعتقد أن دخول المائة ألف يهودى سوف يسبب أية
اضطرابات عريية لا يمكن معالجتها بسهولة بواسطة الجيش البريطانى الضخم

في فلسطين ، ١ فالخطورة الكبرى في نظرهم ليست صدام العرب الغالبية
بالبريطانيين ، وإنما صدام البريطانيين بالهاغانا . (١)

وجدير بالملاحظة أن كروسمان رأى أن تقسيم فلسطين يحل قضيتها ، لأن :
١ — الوكالة قبله وتقمع فعال الإرهاب .

٢ — الهجرة تصبح مسئولية يهودية .

٣ — أن رغبة بريطانيا في الاحتفاظ بفرق عسكرية في فلسطين تُضمن
بمعاهدة مع الدولة اليهودية شبيهة بمعاهدة بريطانيا مع شرق الأردن .

٤ — لا تعارض الجامعة العربية هذه الخطة بأكثر من معارضتها لإلغاء
الكتاب الأبيض ، والعودة إلى سياسة الدعم الايجابي للاستيطان اليهودي
في كل فلسطين .

٥ — وأهم من ذلك كله أن العرب واليهود يحصلون على استقلالهم ،
ويصبون مسئولين عن علاقاتهما . وعوضاً عن توجيه اللوم إلى بريطانيا ،
فسيتوجب عليهم أن يصالوا إلى اتفاق أو يتنازعوا (٢) .

ولكن ثمة مساوئ للتقسيم ، منها أن الدولة ، كما تصورها وايزمن ،
سوف تشتمل على غالبية عربية إلى أن يأتي المهاجرون اليهود الجدد . وسوف
يتوجب على بريطانيا أن تفرض التقسيم وتبقى في فلسطين كدولة متتدبة
لفترة سنتين أو ثلاث ، ولكن كروسمان بزغم هذه المساوئ يؤيد التقسيم ،
لأن حجم القوة المطلوبة لفرض التقسيم ليس بأعظم من حجمها اللازم
لنزع سلاح الهاغانا . وبينما لا يؤدي نزع سلاح الهاغانا إلى شيء ، فالتقسيم
قد يبرهن أنه الحل النهائي (٢) ، ١

ibid., pp. 184-185

(١)

ibid., pp. 190-191

(٢)

ibid.

(٣)

وقد برعت الوكالة اليهودية في إخراج مسرحية الاستماع اليهودى أمام اللجنة ، فمنعت كل يهودى من الإدلاء بشهادته إلا عن طريقها . كذلك استمعت اللجنة إلى يهود البلدان الغربية الذين أكدوا أنهم راضون عن أحوالهم وأنه ليس لديهم أية رغبة في الهجرة إلى فلسطين^(١) . وتعترف بعض المصادر العاطفة على الصهيونية أنه كان من الصعب الرد على العرب والهجج العربية ، « ولا سيما عندما تصدر عنهم الحججة المهمة المعروفة وهى أن المسلمين العرب ليسوا هم المسئولين عن أحوال اليهود السيئة الراهنة فى أوربا ، وإنما يسأل عنها الأوربيون المسيحيون ، ومع ذلك يطلب الآن إلى العرب لا إلى الأوربيين أن يعالجوها . ولم يستطع أحد من أعضاء اللجنة ولا من الصهاينة الرد على هذه الحججة ، ووجد بارتلى كرام نفسه ، وقد اضطرب ضميره أمام هذه الحججة ، بالرغم من أنه لم يكن يخفى عطفه على الصهيونية^(٢) . وفى أثناء قيام اللجنة بمهمتها فى فلسطين تابعت الهجرة المسماة غير شرعية نشاطها ؛ فقد اعترضت البحرية البريطانية سبيل بعض السفن التى كانت تحمل قرابة الألف مهاجر يهودى واقتيدت إلى حيفا ، وفى الوقت نفسه انتشرت أعمال العنف والإرهاب فى تل أبيب وضواحيها ضد البريطانيين ، واشتمت على إطلاق النار . ووضع الألغام وما شاكل .

وغادرت اللجنة الأنجلو أمريكية فلسطين فى ٢٨ آذار - مارس فى طريقها نحو لوزان فى سويسرة لوضع تقريرها النهائى ، فقصت فيها ثلاثة أسابيع فى النقاش وإعداد مسودات التقارير . وساعت اللجنة تقريرها فى لوزان كان كروسمان وكرام فى الظاهر الوحيدين المؤيدين للتقسيم : دولة يهودية فى المنخفضات السهلة الخصبة ، ودولة عربية فى المرتفعات^(٣) . وقد

kirk, op cit., p. 213

(١)

Sykes, op cit ., p. 348

(٢)

Crossman, op. cit , pp 176-9

(٣)

رفضت اللجنة في آخر الأمر حل التقسيم نظراً لأنه غير عملي ، كما رفضت الاقتراح بأن تكون فلسطين دولة يهودية أو دولة عربية . ويقول الأستاذ جورج كيرك^(١) أن اللجنة برغم تجارب السنوات العشر الماضية ، تعلقت بالأمل في إمكان حض الجانبيين على العيش معاً في سلام ، إذا تعهدت الولايات المتحدة بقسط أكبر من التعاون في التأكيد على أن المتحاربين لن يتلقوا دعماً مالياً ومادياً من الخارج^(٢) ، وأعاد الأعضاء البريطانيون إلى الأذهان المصاعب البالغة في تعيين الحدود العادلة بين الجماعتين العربية واليهودية المختلطتين جغرافياً ، وأن فكرة التقسيم نفسها كانت مكروهة لدى عرب فلسطين والدول العربية ، في حين أن الصهاينة قد يرفضون أى تقسيم لا يمنحهم مساحات جديدة للاستيطان . ويقول كيرك إن هذه الحقائق هي التي جعلت الرأي الرسمي البريطاني يحجم عن فكرة محاولة فرض التقسيم دون مساندة الولايات المتحدة ، طالما أنه كان توافقاً لاجتناب ما يعكر علاقته بالبلدان العربية ، في وقت تندمج خلاله الحكومة السوفيتية بحرب أعصاب لجعل تركيا وإيران تدوران في فلكها ، وفي حين كان طالب جلاء القوات البريطانية عن سوريا ولبنان وعن مصر ، يحمل امتلاك قاعدة بريطانية عسكرية في فلسطين باستمرار ، أمراً في غاية الأهمية الاستراتيجية^(٣) . ومهما يكن الأمر فقد لقيت اللجنة بعض الصعوبة في التوفيق بين وجهتي النظر البريطانية والأمريكية ، ووفقت أخيراً إلى إصدار تقريرها بالإجماع .

(١) Kirk, op. cit., p. 213 وقد طرح على اللجنة مقترح بريطاني تنهيد عوجبة
الكلية والولايات المتحدة بمسألة مشتركة ليست لها على الدوام في فلسطين ، خلال تنفيذ
توصيات اللجنة ، واستأن الأعضاء الأمريكيين لم يوافقوا على المقترح ، فتم سرجه :

Crossman, op. cit., pp.158-69

Kirk, op. cit., p. 213

(٢)

توصيات لجنة التحقيق الأنكلو أمريكية :

نشر تقرير اللجنة في ١ آيار - مايو ١٩٤٦ وقد تضمن عشر توصيات بدأت كل منها بعنوان واقرنت بتعليق (١) .

المعضلة الأوربية - التوصية الأولى : ان جميع البلدان ، بما عدا فلسطين ، لا يمكن الاعتماد عليها في إعداد مساكن لليهود الذين يرغبون في مغادرة أوروبا أو أنهم يرغبون على تركها . ولكن فلسطين وحدها لا تستطيع استيعاب جميع اليهود وضحايا الاضطهاد النازي والفاشي ، الأمر الذي يجعل العالم بأسره مسؤولاً عنهم وعن جميع الأشخاص المشردين . ولذا فإننا نوصي حكومتينا معاً بأن تشرعا فوراً بالتعاون مع البلدان الأخرى بالسعى الحثيث لإيجاد مساكن جديدة لجميع الأشخاص المشردين ، بقطع النظر عن عقيدتهم أو جنسيتهم ..

وعلى الرغم من أن الهجرة ستحل مشاكل بعض ضحايا الاضطهاد ، فإن الأثرية الساحقة ، بما فيها عدد غير قليل من اليهود ، ستبقى مقيمة في أوروبا ، ولهذا فإننا نوصي حكومتينا بأن تسعيا لضمان تنفيذ أحكام ميثاق الأمم المتحدة الذي يدعو إلى وتشجيع الاحترام الشامل لحقوق الإنسان مع المحافظة على الحريات الأساسية للبشر أجمع دون تمييز في العرق أو اللغة أو الدين ، .

هجرة اللاجئين إلى فلسطين -- التوصية الثانية :

أولاً - أن يصدر في الحال مائة ألف إجازة تخول دخول فلسطين لليهود الذين كانوا ضحية اضطهاد النازية وعسف الفاشية .

(١) النص المكمل مأخوذ من « البيان الثاني المؤقت » في قضية فلسطين ، المصدر السابق ص ٣٦٠ - ٢٧٢ . المرجع : الأصل الإنكليزي المخطط في الملف رقم ١/٩/٦٠ في الأمانة العامة لحاماة الدول العربية . انظر النص المختصر في : .

ثانياً - وأن تمنح هذه الاجازات إن أمكن خلال العام الحالى ، وأن تتم هجرة هذا العدد الفعلية بأسرع وقت تسمح به الظروف .

وجاء فى التعليق على هذه التوسعية أن اللجنة لا تعرف بلاداً أخرى يمكن للأكثرية الساحقة من هؤلاء اليهود أن تهجر إليها فى المستقبل القريب سوى فلسطين ، وفضلاً عن هذا فكلهم تقريباً يرغبون فى الذهاب إلى فلسطين ، وذلك لأنهم على ثقة من أنهم سيستقبلون هناك بالترحاب الذى لا يحلون بالحصول عليه فى أى بلد آخر . وأنهم هناك يأملون أن يعيشوا ويمجدوا أمانهم بالحياة .

.. وفضلاً عن ذلك فقد أكد لنا زعماء الوكالة اليهودية أن هؤلاء المهاجرين سيجدون كل عناية ومساعدة وعطف . وما لا ريب فيه أن هذا العدد الوافر من المهاجرين سيكون عبئاً ثقيلاً على فلسطين . ولكننا على ثقة من أن السلطات المختصة ستحمل ذلك على عاتقها ، وأنها ستحصل على معاونة الوكالة اليهودية النامة فى حمل هذا العبء .

مبادئ الحكم : لا دولة عربية ولا دولة يهودية - التوسعية الثالثة :

لأجل البت نهائياً فى مطالب العرب واليهود بشأن الاستئثار بفلسطين ، نرى من الضروري التصريح عن المبادئ التالية :

- ١ - أن لا سيادة لليهود على العرب ولا للعرب على اليهود فى فلسطين .
- ٢ - أن لا تكون فلسطين دولة يهودية ولا دولة عربية .
- ٣ - إن الشكل النهائى للحكم الذى سينشأ فى فلسطين يجب أن يتضمن - بضمانات دولية - حماية ورعاية المصالح المسيحية والإسلامية واليهودية على السواء فى الأراضى المقدسة ، وهكذا يجب أن تصبح فلسطين فى النهاية دولة ترعى وتحمى حقوق ومصالح المسلمين واليهود والمسيحيين على السواء ، وتمنع

السكان بمجموعهم أكبر نصيب من الحكم الذاتي الذي يتفق وأحكام المبادئ الثلاثة الأساسية الآتية الذكر .

وفي التعليق على ذلك قالت اللجنة : « ينبغي جعل فلسطين بلداً يمكن فيها التوفيق بين الأمان الوطنية المشروعة لليهود والعرب كليهما معاً دون أن يخشى أى فريق تسلط الفريق الآخر عليه . وفي رأينا أنه لا يمكن تحقيق هذه الغاية في ظل أى شكل من أشكال الدساتير التي يكون فيها للأكثرية العديدة الرأي الحاسم . ذلك لأن فضال الفريقين في سبيل الحصول على الغالبية العديدة هو الذي يعكس جو العلاقات بين العرب واليهود . ولضمان حكم ذاتي صحيح لكلتا الجماعتين العربية واليهودية ، لا بد من جعل هذا النضال عديم الجدوى بحكم الدستور نفسه .

الانتداب ووصاية الأمم المتحدة — التوصية الرابعة : لقد

توصلنا إلى النتيجة التالية وهي أن العداء بين العرب واليهود ، ولا سيما إصرار كل فريق منهما على السيطرة على الفريق الآخر ، عن طريق العنف إذا اقتضى الأمر ، يجعل في حكم المؤكد أن كل محاولة لتأسيس دولة أو دول مستقلة في فلسطين في الوقت الحاضر ، أو بعد فترة من الزمن ، تؤدي إلى نزاع داخلي قد يهدد السلام العالمي . ولذا فإننا نوصي ، ريثما يتلاشى هذا العداء ، باستمرار الحكم في فلسطين على ما هو عليه تحت الانتداب ، إلى أن يتم الاتفاق على تنفيذ وصاية الأمم المتحدة عليها .

المساواة بمستوى المعيشة التوصية الخامسة : إننا نوصي ، ونحن نتجه

بأنظارنا إلى شكل من الحكم الذاتي يتفق والمبادئ الثلاثة المبسطة في التوصية الثالثة ، بلزوم قيام الدولة — سواء أكانت متدبة أو وصية — باعطاء التصريح التالي ، وهو أن تقدم العرب الاقتصادى والعلمى والسياسى في فلسطين يجب أن يكون مساوياً لتقدم اليهود في هذا المضمار . كما ينبغي على

الحكومة أن تقوم بالخطوات اللازمة التي تستهدف سد الثغرة القائمة الآن بين المستويين ورفع مستوى معيشة العرب ، وبهذا يتسنى لكل الشعبين تنهم مصالحهما المشتركة ومصيرهما المشترك في الأرض التي يعود كلاهما إليها .

سياسة الهجرة المستقلة — التوصية السادسة : ريثما تحال قضية فلسطين قريباً إلى منظمة الأمم المتحدة ، وينفذ فيها نظام الوصاية ، فإننا نوصي بوجوب إدارة فلسطين من قبل الدولة المنتدبة بموجب أحكام نظام الانتداب الذي يصرح بشأن الهجرة : « بأن إدارة فلسطين مكلفة بتسهيل الهجرة اليهودية في أحوال ملائمة مع مراعاة عدم الإضرار بحقوق الطوائف الأخرى ومركزها ، .

وجاء في التعليق على ذلك :... « إننا نرفض الرأي القائل بعدم جواز قبول هجرة يهودية أخرى إلى فلسطين دون موافقة العرب ، الأمر الذي سيؤدي إلى سيطرة العرب على اليهود ، ونرفض كذلك طلب اليهود الملح بتقرير هجرة يهودية إجبارية بأسرع ما يمكن بغية إيجاد أكتية يهودية ، ومن ثم تأسيس وإنشاء دولة يهودية في فلسطين . إن سعادة اليهود يجب أن لا تكون خاضعة لسعادة العرب . ولا سعادة هؤلاء خاضعة لسعادة أولئك . إن رفاه الفريقين ، والحالة الاقتصادية في فلسطين كـمجموع ، ودرجة تنفيذ المشاريع للزيادة في تحسينها وتقديمها ، إن كل هذا يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار عند تقرير عدد المهاجرين المسموح قبولهم في أية فترة خاصة ، إن فلسطين أرض مقدسة للأديان الثلاثة ، ويجب أن لا تصبح أرض أى واحد منها دون الآخرين . والواجب لإنهاء الوطن القومي ، يجب أن لا تصبح سياسة تمييز ضد المهاجرين الآخرين ، وعليه فكل شخص يرغب في دخول فلسطين ، ويكون أهلاً لذلك بموجب القواعد المعمول بها ، يجب أن لا يرفض قبوله بداعي أنه ليس يهودياً . وكل تشريع يتعلق بالهجرة يجب أن يوضع ويطبق على هذا المبدأ دائماً ، وفضلاً عن ذلك فإننا مع اعترافنا بأن كل يهودى

يدخل فلسطين وفقاً لقوانينها يكتسب حق الإقامة فيها ، نشجب بشدة وجهة نظر بعض المحافل اليهودية في أن فلسطين قد مُنحت أو قد تنزل عنها بطريقة ما لتكون دولة ليهود العالم قاطبة ، وأن كل يهودي أينما وجد هو مواطن فلسطيني لمجرد كونه يهودياً ، وفي وسعه إذن دخول فلسطين كحق مكتسب من حقوقه ، دون الالتفات إلى الشروط التي تفرضها الحكومة على المهاجرين ، وأنه ليس هناك هجرة يهودية غير مشروعة إلى فلسطين .

لأننا نصرح وتؤكد أن كل مهاجر يهودي يدخل فلسطين خلافاً لقوانينها إنما هو مهاجر غير شرعي .

سياسة الأراضي - التوصية السابعة : إنما نوصي بما يلي :

١ - إلغاء القوانين المتعلقة باننقال ملكية الأراضي الصادرة في سنة ١٩٤٠ واستبدالها بقوانين تستند إلى سياسة حرة في بيع الأراضي ولإيجارها والانتفاع منها بقطع النظر عن الجنس أو الملة أو العقيدة ، مع حماية صغار الملاك والزراع المستأجرين .

٢ - وعدا ذلك اتخاذ التدابير اللازمة لإبطال ومنع الأحكام المتعلقة بنقل الملكية والإيجارات والاتفاقات المتعلقة بالأراضي التي تنص على جواز استخدام أفراد عنصر أو طائفة أو دين واحد دون غيرهم في تلك الأراضي وحواليها أو فيما له صلة بها .

٣ - وجوب ممارسة الحكومة رقابة دقيقة على الأماكن والمواقع المقدسة كبحر الجليل (بحيرية طبرية) وما جاوره مما يضمن عدم انتهاك حرمتها واستعمالها في أوجه لا يرتاح إليها ضمير أهل الدين ، وأن تسن فوراً القوانين اللازمة لتحقيق هذا الغرض .

وجاء في تعليق اللجنة على ذلك : كانت قوانين انتقال ملكية الأراضي الصادرة في سنة ١٩٤٠ ، تستهدف حماية المستأجر العربي والملاك الصغير بمنع بيع الأرض إلا للعربي الفلسطيني في إحدى المناطق ، وتنقيذ هذه البيوع في منطقة أخرى ، والسماح ببيعها بصورة حرة في منطقة ثالثة ، مما أدى الى التمييز ضد اليهود . وهكذا نجد أن هذه القوانين ترمى الى فصل العرب عن اليهود وإبقائهم بمنزلة بعض . ان عقود الإيجار والتي يحرمها (الصندوق القومي اليهودي) تتضمن نصاً مآله أن لا يستخدم عمالاً غير يهود في الأرض المستأجرة أو حولها أو فيما له صلة بها . ونصاً آخر بأن كل عقد إيجار فرعي يجب أن يتضمن شروطاً مماثلة . اننا نعارض هذا التمييز . . . ونعتقد أن أحد الأسباب التي لأجلها وضعت مثل هذه الأحكام انما هو ضمان استخدام المهاجرين اليهود في الأراضي ، ولكننا لا نرى أن هذا الغرض يبرر الاحتفاظ بتلك النصوص والأحكام التي تعرقل التآزر والتفاهم بين العربي واليهودي .

التطور الاقتصادي — التوصية الثامنة :

لقد عرضت علينا تصاميم مختلفة لتطور فلسطين الزراعي والصناعي على نطاق واسع . وهذه التصاميم اذا ما نفذت بنجاح ، تزيد في قابلية البلاد على استيعاب واعاشة عدد أكبر من السكان ، وترفع مستوى معيشة اليهود والعرب على السواء . ولست في وضع يؤهلنا لتقدير مدى صحة هذه التصاميم الخاصة ، وانما لا يسعنا الا أن نؤكد أنها مهما كانت عملية من الوجهة الفنية فسقنهي بالاختفاق ، مالم يكن ثمة سلم مستتب في فلسطين ، وفضلاً عن ذلك فإن نجاحها التام يستلزم مؤازرة الدول العربية المجاورة لها لأنها ليست مشاريع فلسطينية صرفة (١) .

(١) اشارة الى المشروع الصهيوني لاستعمال مياه نهر الأردن لاري الواسع ، والنقد هنا موجه الى المقترحات الصهيونية الخاصة ببناء حصة تخص نواحي الأردن ، يكون لها حق التصرف في مياه نهر الأردن وروافده ، دون الرجوع الى حكومتى شرقي الأردن وسورية اللتين ينبع فيهما من الروافد ما يغذي النهر بجانب هام من مياهه .

التعليم — التوصية التاسعة :

تعزيزاً للتفاهم بين الشعبين ، وسعيًا وراء تحسين مستوى معيشة العرب بصورة عامة فإننا نوصى باصلاح نظام التعليم لليهود والعرب كليهما ، على أن يشمل هذا الاصلاح ادخال التعليم الاجبارى خلال فترة معقولة من الوقت .

وجاء في التعليق على هذه التوصية : إننا نوصى بشدة بوجود سيطرة الحكومة التامة على نظام التعليم اليهودى والعربى ، للقضاء على هذا التشبث المشبع بروح العنصرية ومسح التعليم لأغراض الدعاية . كما أن من واجب الحكومة العمل على جعل التعليم أداة للتفاهم بين الشعبين ، وذلك بالاشراف على الكتب المدرسية ومناهج التعليم وتفتيش المدارس اشرفاً دقيقاً .

الحاجة الى استتباب السلم فى فلسطين — التوصية العاشرة :

إننا نوصى فى حالة العمل بما ورد فى التقرير ، بأن يوضح لكل من العرب واليهود معا بصورة لا تقبل الشك ، بأن كل محاولة من أى فريق ترى عن طريق التهديد بالعنف أو عن طريق الارهاب ، أو عن طريق تنظيم جيوش غير قانونية ، واستخدامها للجيلولة دون تنفيذه ، سوف تجمع بحزم .

واضافة الى ذلك ، من رأينا أن تستأنف الوكالة اليهودية فى الحال التعاون الفعال مع السلطة المنتدبة لقطع دابر الارهاب والهجرة غير المشروعة ولصيانة الأمن والنظام فى جميع أنحاء فلسطين ؛ لأن ذلك ضرورى لمصاحبة الجميع بما فيهم المهاجرون الجدد .

هذا عن التوصيات التى تضمنها تقرير اللجنة الانكلاوية . وعن

الوضع السياسى فى فلسطين جاء فى التقرير : « لقد بلغ مجموع المنتسبين إلى سلك البوليس ومصلحة السجون فى سنة ١٩٤٥ نحو خمسة عشر ألف رجل ، وأنفق على المحافظة على الأمن خلال سنة ٤٤ - ١٩٤٥ المالية ٤ ملايين و ٦٠٠ ألف جنيه ، بينما أنفق على الصحة ٥٥٠ ألف جنيه وعلى المعارف ٧٠٠ ألف جنيه ، وبذلك تطورت فلسطين حتى أصبحت دولة شبه عسكرية أو دولة بوليس » . وعرضت اللجنة لموقف العرب فقالت : « إن أبرز مظاهر السياسة العربية اليوم هو رفض العرب الموافقة على دخول يهودى واحد إلى فلسطين رفضاً مطلقاً لا قيد فيه ولا شرط » . ثم قالت : « هناك سبب آخر لإصرار عرب فلسطين على الاستقلال فوراً وهو رغبتهم فى عضوية جامعة الدول العربية .. فعرب فلسطين يشعرون أنهم لا يقلون أهلية للحكم الذاتى عن جيرانهم فى سوريا ولبنان ، أولئك الذين نالوا استقلالهم خلال الحرب العالمية الثانية ، وعن جيرانهم فى شرق الأردن الذى أصبح منذ انتهاء الحرب مستقلة » . وشرح تقرير اللجنة نفوذ الوكالة اليهودية بحيث يمكن وصفها بأنها حكومة تقوم إلى جانب الحكومة المنتدبة ، وأنها تمارس سلطتها على الهاغانا التى يقدر عددها بأكثر من ستين ألفاً ، وأنها ما زالت توحد المقاومة اليهودية الفعالة ضد الحكومة حتى قوضت سلطتها الإدارية . وسجل التقرير أن المناصب العامة العليا فى فلسطين محصورة بالموظفين البريطانيين « الذين يمارسون السلطة كأنهم فى بلاد لا يزال معظم سكانها فى أول مرحلة من مراحل الحضارة » .

وعن موقف البلدان العربية قال التقرير : « لقد وجد أعضاء اللجنة الذين طافوا فى الأقطار العربية المجاورة أن العداء للصهيونية مستحكم فيها ومنتشر ، شأنه فى فلسطين ذاتها ، بحكومات وشعوب الدول العربية المجاورة تعتقد أن إغامة دولة صهيونية فى فلسطين ينطوى على خطر مباشر عليها ، ويعرقل المساعى التى تبذل لتوثيق اتحاد العرب وقد قال رئيس وفد سورية

في الاجتماع العام لبيتة الأمم المتحدة مخاطباً أعضاء اللجنة الأنكلو أمريكية في لندن : إن فلسطين في أيدي غرباء تكون اسفيناً يشقّ العالم العربي في أهم نقطة حيوية منه ، وقد أعرب الشاهد أيضاً عن خوف العرب من أن تصبح أية دولة صهيونية ميالة حتماً إلى التوسع والاعتداء ، وتميل إلى الاتفاق مع أية دولة تتبع في المستقبل خطة معادية للسياسة العربية ، وهذا الشاهد كتب لنا يقول : « إن الشرق الأوسط منطقة حيوية ، وفيه لجميع الدول العظمى مصالح ، ولن تقوم قائمة لدولة صهيونية في فلسطين إلا بمعاوضة الدول الأجنبية ، وهذا لا يعني نشوء التوتر بين تلك الدول والدول العربية فحسب ، بل يعني أيضاً احتمال وقوع سلسلة من الحوادث الخطيرة ، ومناورات قد ينشأ عنها احتكاك دولي شديد الوطأة يحتمل أن ينتهي بنكبة » . وعن المصالح المسيحية في فلسطين ذكر التقرير : « واستمعت اللجنة إلى ممثلي الكنائس المسيحية ؛ فالمسيحيون العرب من مختلف الطوائف البالغ عددهم ١٢٥ ألف نسمة أعلنوا تضامنهم التام مع المسلمين العرب في المطالبة بدولة عربية مستقلة » . وعلى الرغم من هذه الحقائق التي وقفت عليها اللجنة خلال مراحل تحقيقها المختلفة ، في فلسطين وخارجها ، فإن تقرير اللجنة صدر مخجياً لآمال العرب ، إذ جاء آية في الشذوذ والتحيز والبعد عن العدل والمنطق والواقع ، كما جاء دليلاً قاطعاً على أن اللجنة لم تكترث بأقوال العرب ولم تطلع على تقاريرهم ، بل أخرجت تمثيلية تحقيقها المعروفة نتائجها مقدماً ، ونفذت الأوامر الصادرة إليها ، خاصة من واشنطن ، وهي أوامر أمليت تحت تأثير الضغوط الصهيونية .

نقد تراصى التقرير :

ربما يسهل فهم تراصى اللجنة إذا قابلنا ما يتصل منها بقضايا الاستقلال والهجرة والأراضي ، وهي أخطر قضايا فلسطين ، بأحكام الكتاب الأبيض

الذى كان لا يزال سارى المفعول رسمياً والذى شكلت تواسى اللجنة نفساً كاملاً له :

أولاً : الاستقلال ومبادئ الحكم - صرحت الحكومة البريطانية فى كتابها الأبيض أن الهدف الذى ترمى إليه هو : « أن تشكل خلال عشر سنوات حكومة فلسطينية مستقلة ترتبط مع المملكة المتحدة بمعاهدة تضمن للبلدين طلباتهما التجارية والحرية فى المستقبل ضمناً مرضياً » . فالكتاب الأبيض لو ظل نافذاً لجعل من فلسطين دولة مستقلة عام ١٩٤٩ مرتبطة بمعاهدة مع بريطانيا ، وذات اأكثرية عربية تبلغ الثلثين . فضلاً عن أنه كان من شأن الاتفاق الذى جرى فى بغداد بين نيروكب وممثلى عرب فلسطين أن يختصر الموعد المحدد للاستقلال .

أما توصية اللجنة بهذا الصدد ، فتقضى على كل أمل بالاستقلال فى الحاضر وفى المستقبل . وذلك حين تقرر : « إننا نوصى ، ريثما يتلاشى هذا العداء (الناشب بين العرب واليهود) باستمرار الحكم فى فلسطين على ما هو عليه تحت الانتداب ، إلى أن يتم الاتفاق على تنفيذ وصاية الأمم المتحدة عليها » . وتتجاوز اللجنة كل حدود المنطق والعدل حين تنكر على العرب — فوق ذلك — حق الادعاء بحقوق قومية فى فلسطين ، مع اعترافها بأنهم سكانها منذ أقدم الأزمنة ، وينظرون بحق إلى فلسطين كوطن لهم ، وحين تشكك بذلك فى قولها بأن : « لليهود صلة تاريخية بالبلاد . وأن الوطن القومى اليهودى ، وإن كان يتضمن أقلية من السكان ، فقد غدا حقيقة واقعة بضمانة دولية ، وأصبح له الحق فى الاستمرار والحماية والتطور باطراد (١) » .

(١) انظر نص التقرير فى ص ٣٦٦ — ٣٦٧ من المصدر السابق .

وكل ما تمنى به اللجنة على الغالبية العربية الكبرى هو أن لا يضطهد أفرادها في المستقبل بدعوى أنهم ليسوا يهوداً ١١ ومعنى ذلك أن اللجنة تجعل هذه الغالبية ذات الحق الطبيعي والدولي ، على قدم المساواة مع أقلية طارئة تم توطينها ضد رغبة العرب وإرادتهم . وهذه التوصية وإن تضمنت القضاة على دعوى العرب واليهود حين طالبت بأن لا تكون فلسطين دولة يهودية ، فإن العرب وحدهم الذين طالبت إليهم التضحية بشيء يملكونه ، بينما ارتفعت مكانة اليهود ، وهم أقلية دخيلة محشورة من مختلف الجنسيات بالقوة والقهر ، إلى مستوى الغالبية فحصلوا بذلك على شيء لا حق لهم به ولا يملكونه .

هذا إلى أن اللجنة عاجلت الموضوع من الناحية الدينية بالنسبة للعرب واليهود مع ما في ذلك من مغالطة سافرة . فصلة العرب بفلسطين ليست دينية فحسب ، وإنما هي وطنهم الذي يعيشون فيه منذ أقدم العصور ، سواء في ذلك المسلمون والمسيحيون . وهذا بعكس اليهود ، ولا يستطيع منصف أن يساوي بين العرب وغيرهم ، أو أن يدعى أن علاقة دينية ما يبطل تبرر أن يحرم أهلها من حقوقهم في حريتهم وطمانيتهم واستقلالهم .

وأما توصية اللجنة بأن لا تكون فلسطين دولة يهودية ولا عربية ، وأن لا يسود العرب اليهود ولا اليهود العرب فيها ، وأن يعطل أى نظام دستوري يعطى الأغلبية المطلقة سلطة الحكم ، وإن قولها أن فلسطين ليست ولا يمكن أن تكون يوماً أرضاً يدعى أى شعب ملكيتها ، كل ذلك مستنكر تماماً لأن فيه تسوية ظالمة في المركز والحق بين العرب الذين تعترف اللجنة أن حقوقهم في فلسطين مستند إلى حق الاستقرار الممتد على أكثر من ألف سنة ، والذي ما يزال حقيقة واقعة . وبين اليهود الذين كل ما يستندون إليه صلة تاريخية واهية انقطعت عملياً منذ ألفى سنة . وكذلك فإن هذه النواحي والأقوال متناقضة مع كل ما تعارف عليه البشر وقامت عليه حقوق الدول ودساتيرها ،

والتحيز فيها ضد العرب ظاهر ظهوراً واضحاً ، لأنه يرمى إلى حرمان عرب فلسطين أصحاب البلاد الشرعيين من حق طبيعي لهم قد ناله إخوتائهم في البلاد العربية الأخرى . إن توصية اللجنة باستمرار الحكم في فلسطين على ما هو عليه ريثما يتلاشى العداء بين العرب واليهود ، هو هدم للأسس التي قام عليها نظام الانتداب . فاليهود مسوقون بفكرة الحصول على أكثرية ودولة يهودية ، واستمرار الهجرة حسب توصية اللجنة لن يخفف من غلواتهم . والعرب مسوقون بفكرة الدفاع عن الذات والكيان ، لن يستسلموا لتحقيق أسطورة خيال اليهود الباغين .

وبكلمة ، فإن التوصية المتعلقة بمبادئ الحكم جاءت هدماً للأسس التي قام عليها نظام الانتداب نفسه ، ونسخاً لما تضمنه الكتاب الأبيض من الاستقلال للدولة الفلسطينية ذات الغالبية العربية ، كما أوصدت الباب أمام قيام هذه الدولة ، ومنحت اليهود فرصة النمو والتكاثر والتوسع ، بدون أى عائق ومحت حماية الوصاية ، إلى أن يبلغوا الحد الذي يصبحون فيه غالبية في السكان والأملاك ، واللجنة لا يخفى عليها التقدم حثيثاً نحو النتيجة الطبيعية المحتممة لذلك ، وهي الدولة اليهودية .

ثانياً : الهجرة وسياسة الهجرة المستقبلية : يسمح الكتاب الأبيض بادخال ٧٥ ألفاً من اليهود إلى فلسطين خلال خمس سنوات ، أى في مدة تنتهى عام ١٩٤٤ ، وعندما يكتمل هذا العدد ، تقفل أبواب الهجرة نهائياً ، ولا يسمح بعدها بدخول مهاجرين يهودى واحد إلى فلسطين إلا بموافقة العرب ورضاهم . ومعلوم أن هذا العدد قد توافد إلى فلسطين عام ١٩٤٤ ، غير أن حكومة لندن نقضت تعهداتها السابقة وأعلنت أنها تسمح بدخول ١٥٠٠ يهودى شهرياً إلى فلسطين .

أما توصية لجنة التحقيق الأنكلو أمريكية فتطالب بدخول ١٠٠ ألف يهودى خلال عام ١٩٤٦ ، وتشترط أن لا توقف الهجرة بعد ذلك ، لأننا

برفض الرأي القائل بعدم جواز قبول هجرة يهودية أخرى إلى فلسطين دون موافقة العرب ، الأمر الذى سيؤدي إلى سيطرة العرب على اليهود ، ١١٠٠ إن لهجرة اليهودية يجب أن تجرى وفقاً للشروط والتسهيلات التى تقدمها الحكومة الفلسطينية ، أى الحكومة المعنية من قبل مجلس الوصاية الدولى ؛ أما العرب ، فلا حق لهم بإبداء أى رأى فى الهجرة ، لأن ذلك يعنى فرض سيطرتهم على اليهود ١٠١ .

ومن غريب تناقضات اللجنة أنها بينما تقترح ادخال ١٠٠ ألف يهودى إلى فلسطين ، تعترف صراحة أنه سيكون عبئاً ثقيلاً على فلسطين ، وتعترف أن كثافة السكان فيها على نسبة عالية جداً ، حيث بلغت فى الميل الواحد ٢٣٦ ، باستثناء صحراء بر السبع الجديدة ، وحيث أثبت رأى الخبراء بأن هذه النسبة سترتفع بعد أربع عشرة سنة بدون هجرة يهودية إلى نحو (٤٥٠) للميل الواحد ، وإذا لوحظ أن القسم الأعظم من أراضى فلسطين جبلية وصحراوى ، وأنها فقيرة فى صناعاتها ومواردها الأولية ، يبدو استحالة تحمل فلسطين لأى هجرة يهودية جديدة (١) .

ومن مفارقات هذه التوصية أيضاً بصدد الهجرة إلى فلسطين ، اشتراطها مراعاة حقوق باقى السكان وعدم الافتئات على حقوقهم ، واللجنة تعلم حق العلم أن استمرار الهجرة الذى توصى به كان مصدر كل هذا الافتئات ، إذ هبطت بنسبة عرب فلسطين من ٨٧٪ عام ١٩٢٢ إلى ٦٩٪ عام ١٩٤٤ ، على ما جاء فى تقرير اللجنة ، فضلاً عن تبدل النسبة بعد هذه السنة بالهجرة اليهودية المستمرة حيث صار من المحتمل أن تكون قد هبطت إلى ٦٥٪ . وقد اعترفت جميع تقارير لجان التحقيق ، كما اعترفت الحكومة البريطانية ذاتها ، ولو متأخرة ،

(١) انظر مضابط جلسات دورة الاجتماع الرابعة غير العادية لمجلس جامعة الدول العربية
س ١٠١ وما بعدها .

في كتابها الأبيض أن الهجرة قد أضرت بمركز العرب وحقوقهم ، ولذا قررت وقفها . أما زعم اللجنة بأنه لا يوجد بلد غير فلسطين يلجأ إليه اليهود فهو زعم مغرض إن صح فهو يكشف عن مدى التمييز ضد اليهود الذي تمارسه حكومات بريطانيا والولايات المتحدة والكومنولث للنيابطة دون هجرتهم إلى أراضيها الشاسعة التي تكفي لإيواء أي يهودى جرى تشريده أو يرغب في تغيير موطنه . إن رفض هذه البلدان تيسير إيواء هؤلاء اليهود والقيام بما تسميه واجباً إنسانياً ، وتظاهرها بالاهتمام به مع استغلالها عمل ذلك ، ليس معناه سوى تضحية فلسطين على مذبح الشهوة الصهيونية السياسية . وهو مناقضة للحق والإنصاف ولما تنطأ به الدولتان الأمريكية والبريطانية من عطف على ضحايا النازية والفاشية .

ثالثاً : الأراضي وسياسة الأراضي — قسمت أراضي فلسطين بموجب الكتاب الأبيض إلى مناطق ثلاث ؛ الأولى يسمح فيها لليهود بشراء الأراضي العربية بدون قيد ولا شرط ، والثانية يتوقف فيها بيع الأراضي لليهود على تصريح خاص من الإدارة الانتدابية ، والثالثة يحظر فيها البيع تماماً . ومع ذلك فقد لجأ اليهود إلى حيل قانونية للدوران حول هذا الحظر . وكان تقرير خير الأراضي السير جون سمبسون قد وضع منذ عام ١٩٣٠ بأن الأراضي العربية لا تكفي لإعالة العرب ، وإن معدل ما يصيب العائلة العربية الواحدة من الفلاحين لا يزيد عن (٧٠) دونماً في حين إنها تحتاج إلى (١٣٠) دونماً على الأقل . وقد هبط هذا المعدل منذ سنة ١٩٣١ حتى أصبح عام ١٩٤٦ قريباً من ٣٥ دونماً للعائلة العربية . وعلى الرغم من هذه الضائقة الاقتصادية التي يشكو منها الفلاحون العرب ، والتي أضرت ثورتهم الكبرى ما بين (١٩٣٦ - ١٩٣٩) ، فإن اللجنة الأنجلو أمريكية تمارى في كل ذلك ، ونوصى بأن تلغى جميع القيود المفروضة آنفاً على انتقال الأراضي عن طريق البيع أو الرهن أو التأجير . ولم تنس اللجنة أن تقرر توصيتها المدمرة للفلاح

العربي ، بالحث على رفع مستوى العرب الاقتصادي واناشرهم وتعليمهم ، ورفع القيود التي يشترطها الصندوق القومي اليهودي وقصره العمل على اليهود من دون العرب ، بما هو معاد مكرور في التقارير والتواصي السابقة دون أن يتنثر بالتشفيذ . إن اللجنة في توصيتها هذه أيضاً قد انمازت الى اليهود ضد العرب حيث أجابت مطالب أولئك وأهملت مطالب هؤلاء .

أما الزعم بأن الفارق في مستوى المعيشة بين العرب واليهود هو أحد الأسباب الرئيسية للتصادم والنزاع ، فتلك نغمة يضرب على وترها دائماً أعداء العرب ، ليس تسويفاً لمحاباتهم لليهود فحسب ، وانما أيضاً تفسيراً لما يدعونه من حقد العربي المتخلف على اليهودي المتمكن ، ونشوته عليه ، الأمر الذي يتطلب رفع مستوى المعيشة لدى العرب الى المستوى السائد بين اليهود ، على أن سبب النزاع الرئيسي ليس هو عوامل الحسد وعقد النقص والحقد الموهوم ، وانما العدوان المستمر والدائب على اغتصاب الحقوق العربية والأرض العربية ، وأن اللجنة بذلك تجافي المنطق والصواب ، وتخالف جميع ما وضحته تقارير اللجان السابقة من أن سياسة الوطن القومي اليهودي ومحاكاة بريطانيا له ورعايتها اياه على حساب أقدس الحقوق العربية ، هو ما أضرم نفوس العرب ضد الصهيونية وحمايتها البريطانيين . ومنحى تفكير اللجنة هذا خبيث يهدف الى التضليل والانحراف عن القصد ، ووضعا منه معروف وجلي .

لقد أشارت اللجنة الى مشاريع لرفع مستوى العرب واليهود ، يستلزم نجاحها تعاون الدول العربية المجاورة ، متجاهلة أنه لا يمكن لأية حكومة عربية أن ترحب بالتعاون في أي مشروع قد يؤدي الى توسع يهودي ، لأن هذا عما يهدد كيان العرب وحقوقهم في بلادهم . وما لا ريب فيه أن أية معاملة تطالب من الحكومات العربية في مشاريع اقتصادية وزراعية فلسطينية ، لا يمكن أن تلبى ما لم يضمن سلفاً بقاء الصبغة العربية لفلسطين .

إن مستوى معيشة العرب في فلسطين ليس أدنى من مستوى لإخوانهم في أحسن الأقطار العربية تقدماً في ميادين الاقتصاد والثقافة والاجتماع . وفي البلاد العربية طوائف يهودية ذات مستوى عال من العيش ، ومع ذلك لم يقع احتكاك بينها وبين مواضئها العرب بسبب الفروق في مستوى المعيشة وإنما أساس الخلاف هو حشر جماعات يهودية مختلفة الثقافة والأصول في بلد عربي بقوة الحديد والنار .

ولو فرضنا جدلاً بأن هذا الفارق قائم بين عرب فلسطين واليهود ، فإن نظام الانتداب ورعاية بريطانيا لسياسة الوطن القوي ، هما المسئولان عنه ؛ ولقد أقرت اللجنة نفسها أن ما ترصده الإدارة الإنتدائية لإقرار الأمن (١) ، وهي السبب في اضطرابه ، بلغ ثمانية أمثال ما ترصده مثلاً للصحة ، وستة أمثال ما ترصده للتعليم خلال العام ١٩٤٤ - ١٩٤٥ ، وبقدر ما تنفق على الأمن تنفق على جيش الموظفين الأجانب والتراجم والتشكيلات الأخرى ، فضلاً عما تتكبده من نفقات إسكان اليهود المهاجرين (غير الشرعيين) في معسكرات قبرص مؤقتاً ريثما يتم (طرحهم) من المعدل الشهري ، أو ريثما يتم إدخالهم خلسة إلى فلسطين (٢) .

أما توصية اللجنة بتعديل نظام التعليم وإدخال التعليم الإلجباري فهي توصية في محلها ، غير أنه ما دام الانتداب قائماً في فلسطين فإنه لا يرجى تخصيص مبالغ كافية للتعليم ، ومن هنا فاستقلال فلسطين ضرورة محتمة من هذه الناحية ، كما هي كذلك من النواحي الأخرى .

(١) بلغت نفقات الأمن ٦٠٠.٠٠٠ ر. ٤٠٠.٠٠٠ جنيه فلسطيني ، ونفقات الصحة ٢٠٠.٠٠٠ ر. ٤٠٠.٠٠٠ جنيه ونفقات التعليم ٧٠٠.٠٠٠ ر. ٤٠٠.٠٠٠ جنيه .

(٢) جاء في تقرير المندوب السامي السير آلان كاتنهام إلى وزير الدولة البريطاني أن الإدارة الإنتدائية أنفقت ثلاثة ملايين جنيه نفقات إضافية لمواجهة الهجرة اليهودية غير الشرعية ، بما في ذلك إقامة وصيانة المعسكرات في قبرص خلال عام ١٩٤٦ - ١٩٤٧ فقط

Supplementary Memorandum, op. Cit., p. 57

وأخيراً وليس آخراً، فإنه يلاحظ بمناسبة التوصية العاشرة أن الحكومة البريطانية بينما عاملت العرب حين قاموا بذكودون عن حياضهم ويدافعون عن حقوقهم المشروعة بمنتهى القسوة، تقتسلاً وشنقاً وحبساً ومصادرة وغرامة، هادنت اعتداءات اليهود التي لا يمكن المقارنة بينها وبين ما صدر من العرب من كل ناحية؛ فقد عاملت اليهود بكل هوادة وتساهل، الأمر الذي كان سبباً في استمرار هذا العدوان، وإزهاق حياة كثير من الانكليز والعرب، وتدمير ممتلكات الحكومة، بينما زعت ما بأيدي العرب من سلاح في الوقت الذي تمتلئ بالسلاح عنابر الجيوش اليهودية المنظمة، وبالوسائل الفنية، ولم تحاول الحكومة تجريدتها من السلاح، بل لم تحاول وقف نشاط الوكالة اليهودية الثابت ضلوعها التام مع الإرهاب، في حين حلت اللجنة العربية العليا واعتقلت أعضاءها ونفقتهم دون أن يثبت أن لهم أية صلة بالاضطرابات ما بين (١٩٣٦ - ١٩٣٩)؛ إن محاولة اللجنة المساواة في ذلك بين العرب واليهود مغالطة سافرة.

وفي الوقت نفسه لم يكن في مقدور أعضاء اللجنة أن يتجاهلوا بعض الحقائق، فقد اعترفوا مثلاً أن اليهود في فلسطين لا يريدون قط التعاون مع العرب، وفي اقتراحهم لإنشاء دولة يهودية في فلسطين لا يعيرون أي اهتمام للمشكلة التي تترتب على ذلك، ألا وهي تدبير مصير مليون وربع من العرب. كذلك ورد في تقريرهم إقرارهم بأن طلب إنشاء دولة يهودية في فلسطين يعتبر هدفاً مبالغاً فيه، إذ أنه تعدى ما جاء في تصريح بلفور ومعاهدات الانتداب، وقد سبق لرئيس الوكالة اليهودية عام ١٩٣٢ أن أعلن صراحة بنده لهذا الهدف، (١)

ولكن اللجنة لم تصرح، من ناحية أخرى، أن هذا الهدف هو ما يسعى

(١) انظر نص التقرير.

الصهيانية حديثاً لتحقيقه ، وأن مبدأ المرحلية كان يقضى بإخفائه آنذاك لعدم موافاة الظروف . ولكنني للتأويل على ذلك بمسألة أن نررد تعاليفاً لزعم صهيوني على فقرة تنصل بالهجرة اليهودية وتذكر :

« إذا أخذنا بعين الاعتبار أن احتمال تحسين الأحوال الاقتصادية والسياسية في أوروبا ، يمكن أن يؤثر على مواقف الذين لا يرون أملاً في إعادة توطينهم في بلدانهم ، فنقدر أن حوالى ٥٠٠ ألف يهودى يمكن أن يهاجروا من أوروبا طوعاً أو كرهاً ، .. »

وجاء فى التعليق الصهيونى أن تقرير اللجنة ذكر أنه لن يكون ثمة دولة يهودية ، « ولكن من » بمسطاعه أن يعين ما يترب على نتائج الهجرة ، ؟ واستطرد التعليق يقول :

وعلى وجه الخصوص لن يكون هناك دولة عربية ، إن اللجنة شجبت استخدام (الصندوق القومى اليهودى) لليهود في سب ، ولكن ذلك كان ذا أهمية نظرية لاعملية . إن الوكالة اليهودية قد دُعيت للتعاون مع الحكومة لقمع الإرهاب والهجرة غير الشرعية ، ولكن إذا أصبح التقرير نافذاً ، وإذا منحت المائة ألف شهادة هجرة ، وإذا أعيدت سياسة الهجرة إلى صلح الانتداب ، وإذا رفعت قيود بيع الأراضى ، فإن الإرهاب سوف يزول فى كل احتمال ، وسوف يفقد دعم الرأى العام اليهودى بالتأكيد . وأوجز التعليق الصهيونى نتيجة تقرير اللجنة بقوله : « أما العرب فقد خسروا جميع النقاط : لن يكون هناك كتاب أبيض ، ولا دولة عربية ، ولا تدخل من الدول العربية (فى شئون فلسطين) . إن الحكومة البريطانية كسبت نقطة ذات دلالة - استمرار الاشراف البريطانى على فلسطين لأمد غير محدود (١) . »

وبعد ، أئمة شك في أن اللجنة الآنكلو أمريكية قد جاءت لإقرار سياسة مرسومة سلفاً ، مثل اقرارها هجرة مائة ألف يهودى ، وهو الرقم نفسه الذى كان اقترسه الرئيس ترومان ، ومن قبله طلبه بن غوريون من وزير المستعمرات جورج هول ، وقد ثبت هذا خاصة في انعدام الارتباط المنطقي بين اللجنة وحقائق ما أوصت به . ولا عجب في ذلك إذ اتضح بعد تعيين أعضاء اللجنة تحيز عدد منهم للجانب الصهيونى ، وكان بعضهم من غلاة دعاة الصهيونية فعلا قبل تعيينهم في اللجنة . ولذا فالدراسة السريعة التى مثلت مسرحيتها لم تنفذ إلى حقيقة الموقف الراهن في فلسطين ، ولا تعمقت في الكشف عن أصوله ، لا من حيث حق عرب فلسطين في الحياة المستقلة وتقرير المصير ، ولا من حيث مقتضيات القومية العربية الناشئة التى تنتمى فلسطين إليها مع الدول العربية الأخرى ، وإلا فكيف تصدر عن اللجنة مثل هذه التوصيات ، وهى تعلم تماماً أنها تتنافى ومصلحة هؤلاء جميعاً . ولقد بذت اللجنة توصياتها على مشاريع اقتصادية تستند إلى أسس التعاون بين العرب والصهاينة لا يمكن أن تتحقق ، كما أنها أوصت بالهجرة قبل أن تحقق إمكان تنفيذ ذلك أو أثره على حياة عرب فلسطين وحقوقهم الطبيعية الترقية . ومن هنا كان تناقض اللجنة ونخبها في عدة مواضع ولا سيما في المبادئ والأسس ، وإلا فكيف تدعى اللجنة أسمها بالمبادئ الديمقراطية الحديثة ، وبمبادئ ميثاق الأمم المتحدة وهى في الوقت نفسه تريد فرض سياسة معينة بالقوة على شعب بأكمله ضد رغبته وضد ارادته ، في الوقت الذى دحرت فيه النازية والفاشية ؟

الفصل التاسع

أمريكة في خدمة الدولة الصهيونية

موقف ترومان والبريطانيين والصهاينة من تقرير اللجنة :

بادر ترومان للتعليق على اللجنة الأنكلو أمريكية يوم نشره ، قال إنه سعيد لأن الطلب الذي تقدم به من أجل ادخال ١٠٠ ألف يهودى إلى فلسطين قد أيدته اللجنة بالإجماع ، ورحب بجميع التوصيات التى تؤيد الصهاينة ولكنه استثنى التوصيات الأخرى لأنها تتناول قضايا متعلقة بالسياسات الطويلة الأمد ، وبمشاكل القانون الدولى والتى سوف ألتقى المشورة بشأنها (١) .

وقال ترومان كذلك إنه مغتبط أيضاً لأن اللجنة أوصت بإلغاء الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ ، بما فيه القيود الحاضرة على الهجرة ، واكتساب الأرض ، للسماح بمزيد من النمو للوطن القومى اليهودى (٢) . وقد وصف كروسمان بيان ترومان بأنه مضجع لأنه اختار التوصية الوحيدة المتعلقة بإدخال المائة ألف ، فوافق عليها بحماس ، ولم يقل شيئاً عن التقرير ككل (٣) . وبما لاشك فيه أن موقف ترومان قد تأثر بموقف الصهاينة الذين قاموا ، كما هو شأنهم دائماً ، بانتخاب ما يلائمهم من توصى التقرير ، ونشروها على أنها

New York Times, May 1, 1946

(١)

Sacher, op. cit., pp. 56-57

(٢)

Crossman, op. cit., pp. 197 8

(٣)

هى التقرير بأكمله ، وسكتوا تماماً عن كل ما رأوه غير ملائم لهم منها ، ورحبت الوكالة اليهودية بتوصية إدخال المائة ألف وبنقض نكلم انتقال الأراضى ، ولكنها أعلنت أن الوطن القومى لا يمكن ضمائه إلا فى نطاق دولة يهودية . وانتقد الصهاينة قول اللجنة بأن فلسطين لن تكون دولة يهودية أو دولة عربية ، والواقع أنهم كانوا على استعداد لقبول التقرير على أنه دفعة أولى مرحلية فى طريق الوصول إلى الدولة اليهودية التى يعملون لها ، دون أن تكون للتقرير عندهم أية صفة أخرى . وقد أفضت الطريقة التى قبل بها ترومان تقرير اللجنة إلى سخط رئيس الوزراء أتلى ووزير خارجيته بيفن ؛ وبينما كان بيفن يرسل مذكرة احتجاج شديدة إلى حكومة واشنطن ، راح أتلى ينتقد بعنف تدخل الرئيس ترومان لمصلحة التوصيات المؤيدة للصهاينة . وقد تحدث فى مجلس العموم (١ أيار — مايو) وذكر أن التقرير بكل ما ينطوى عليه من مسائل يجب أن ينظر إليه ككل ، وأن حكومة جلالتة لا تود أن تأخذ على عاتقها مثل هذه الالتزامات الضخمة وحدها ، وهى لذلك تريد أن تتأكد إلى أى حد تكون الولايات المتحدة مستعدة للمشاركة فى المسئوليات العسكرية والمالية الإضافية الناجمة . وفى كل حال فإن المائة ألف الذين اقترح ادخالهم وإيزمن فى الأصل ، لا يمكن قبولهم فى فلسطين إلا إذا سلمت الجيوش غير الشرعية ومسلماً سلاحها ، وتابعت الوكالة اليهودية تعاونها فى قمع الارهاب الذى جرى مؤخراً ضد حياة البريطانيين ومنشأتهم (١) . وقد ثارت نائرة زعماء الصهاينة لفكرة مطالبتهم بتصفية « قوات الدفاع عن الطائفة » ، وعلى الرغم من تواطؤهم الثابت مع الارهابيين ، فإنهم عادوا إلى تكرار الدعوى المتهترئة بأن الارهاب من أفراد قلائل غير مسئولين .

وكان ترومان قد سار فى تدعيم المطالب الصهيونية بقدر طاقته ، وقد

رسخ في ذهنه أن مسؤوليته تجاه قضية فلسطين قد انتهت بنشر تقرير اللجنة. وإزاء مطالبة البريطانيين له بالمساهمة في حل الأعباء الناجمة عن فرض السياسة الجديدة المقترحة لفلسطين، فقد شعر بالحرج، وصرح هو نفسه بعد ذلك: « أنه بينما كان يوجد ضجة في الولايات المتحدة بوجود عمل شيء ما، فإن البلاد لم تكن عازمة ولا مستعدة لتأخذ على عاتقها المخاطر والالتزامات التي قد تتطلبها منا استعمال القوة المسلحة (١) ».

وقد طلب ترومان رأي القادة العسكريين في هذا الأمر، فأشاروا عليه ضد أي عمل من شأنه توريط الجيوش الأمريكية، وذكروا أن استخدام القوة يضر المصالح الأمريكية والبريطانية في الشرق الأوسط، فيعطى الاتحاد السوفيتي بذلك فرصة الحصول على موطئ قدم. وفي ذلك يقول ترومان: « إن القادة العسكريين قلقون قبل كل شيء على نفط الشرق الأوسط، ويخشون أن يتفق العرب في المدى الطويل مع روسيا إذا ما صادفوا ما هو معارض لهم في الغرب (٢) ».

وفي وسع المرء أن يفهم استياء البريطانيين من تدخل أمريكا ومطالبتها بإدخال المائة ألف — دون أن تبدى استعدادها للمشاركة في مسئولية ذلك — في ضوء ظروف تساعد عمليات الإرهاب الصهيوني في فلسطين؛ فيما زاد في حق البريطانيين أنه في ٢٥ نيسان - أبريل أي قبل خمسة أيام من نشر تقرير اللجنة، هاجم الإرهابيون موقعا للسيارات العسكرية في تل أبيب وقتلوا سبعة من الجنود البريطانيين (٣). وقد قوبلت أخبار جريمة تل أبيب في بريطانيا بزيادة من الغضب، خاصة لما بدا على اليهود من نكران لجيل

Truman. op. cit., II, p. 149.

(١)

ibid.

(٢)

Supplementary Memorandum, op. cit., p. 8

(٣)

(٢٢٢ - فلسطين)

الحكومة البريطانية التي سمحت بهجرة ثمانية عشر ألفاً منهم في السنة ، وهو رقم مرتفع بالنسبة لمعدل الهجرات السنوية السابقة ، وذلك خلاف تغاضبها عن الهجرة غير المشروعة في كثير من الحالات . هذا إلى أن لهجة الصحافة الأمريكية آنذاك لم تكن مما يساعد على الحيلولة دون جمود العلاقات الانكليزية الأمريكية بخصوص فلسطين نظراً لتأييد هذه الصحافة عمليات الارهاب الصهيوني ضد البريطانيين . وكان ثمة قطاع متنفذ من الرأي العام مغدوعاً بالتضليل الصهيوني ، ومؤيداً لأهدافه مادياً ومعنوياً ، بدعوى أن الارهاب هو قتال مشروع لنوال الحرية . كبريات الصحف الأمريكية كانت تدعو للمنظمات الارهابية ، وكانت المبالغ المجموعة لصالحهم مغفأة من الضرائب ، وقد أحقد هذا الحال الحكومة البريطانية والشعب البريطاني عموماً ، كما تعكسه لنا محاضر جلسات البرلمان خلال عامي ١٩٤٦ و ١٩٤٧ .

ومن المؤكد ان التكنيك الدعائي الصهيوني قد أظهر منتهى البراعة في انكلترا وأمريكا ، ففي انكلترا واجه ارنست ييفن نقداً لسياسته اثناء انعقاد مؤتمر حزب العمال السنوي في مورنوث ، اذ استنكر هارولد لامسكي رئيس الحزب أن يغدو المائة ألف لاجئ يهودي في أوروبا ضحايا الجبن والتردد في دوافع ستريت (١) ، وقال ان مما يتناقض مع (الاشتراكية) « التضحية باليهود الذين نجوا من عذاب المهترية لارضاء الزعماء العرب » . وقد أجاب ييفن في ١٢ حزيران - يونية على هذا النقد الموجه الى (اشتراكيته) بقوله : « إن إدخال المائة ألف يهودي الى فلسطين حالاً سيكلف بريطانيا ارسال فرقة عسكرية جديدة وإتفاق مائتي مليون جنيه استرليني ، وقد وافق وزير الخزانة على تعذر القيام بذلك » . ولذلك فالحكومة البريطانية قد اقترحت على الحكومة

(١) شارع في لندن يشتمل على أهم مكاتب الوزارة البريطانية وخاصة المقر الرسمي لرئيس الوزراء

الأمريكية تعيين لجنة مشتركة من الخبراء للتظفر في المسائل العملية .. وقال ييفن إن مجرد إلغاء الكتاب الأبيض لا يحقق الشيء الكثير (١) .

وأردف ييفن يقول : « وبخصوص التحريك في الولايات المتحدة وخاصة في نيويورك لوضع ١٠٠ ألف يهودي في فلسطين ، فانا آمل أن لا يساء فهمي في أمريكا اذا قلت بأنني الدوافع بأن ذلك جرى لأنهم لا يريدون أكثر مما ينبغي منهم (من اليهود) في نيويورك (٢) » . فهم الصهاينة من رد ييفن أنه يقف بجانب الكتاب الأبيض ، وأنه غير مستعد لإدخال المائة ألف (٣) ، وكان هذا إيذاناً ببدء حملة شديدة من الضغط السياسي على بريطانيا ، كانت تديرها الصهيونية الأمريكية بتمتعي الاحكام في الصحافة وفي البيت الأبيض وفي الكونغرس ، وفي كل مكان ، بل وفي بعض الصحف البريطانية نفسها . ومنذ ٢٣ أيار- مايو أعلنت الخارجية الأمريكية أن نقل ١٠٠ ألف يهودي الى فلسطين فوراً لا يزال يمثل سياسة الحكومة الأمريكية (٤) ، وكرر ترومان ذلك في ٦ حزيران- يوفية (٥) .

وفي غضون ذلك كانت مراكز المهاجرين اليهود غير الشرعيين تصل الى فلسطين ، (اقتيدت سفينة تحمل ١٦٦٢ يهودياً الى حيفا في ١٣ أيار- مايو) ، وكذلك ظلت فعال العنف والارهاب مستمرة ، (هاجم الارهابيون ثلاثة قطارات في منطقة اللد وسببوا أضراراً تقدر بمائة ألف جنيه فلسطيني) . وكان ترومان يود فرض مقترحات الهجرة الواسعة على بريطانيا ، ويريد إرغامها كذلك

Kirk, Survey for 1945-50, op. cit., p.218 (١)

Sakran, op. cit., p. 183 (٢)

Sacher, op. cit., pp.59-60 (٣)

Supplementary Memorandum, op cit., pp. 10-11 (٤)

ورمز إليها فيما يلي : - Suppl للاختصار .

ibid . (٥)

على السكوت عن فعال الارهاب الصهيوني ، ويطلب من لندن أن لاتربط بين هجرة اليهود (المشروعة) والتي يجب الشروع بها فوراً ، وبين أعمال الارهاب .

وكان رد فعل الصهاينة على خطاب ييفن محاولة لنسف القرض البريطاني البالغ ٣٧٥٠ مليون دولار من ناحية ، وموجة عنيفة الارهاب من ناحية ثانية . أما القرض فقد استهدفت منه بريطانيا لإنقاذها من الكارثة الاقتصادية ، وقد دار جدل في الأوساط الأمريكية حول توقيع الضغط على بريطانيا ، وبالفعل فقد قام الصهاينة بواسطة الولايات المتحدة ومارسوا ضغطاً شديداً على حكومة العمال في لندن . ولإثر تصريح ييفن قامت ضجة في الكونغرس ، ولمح بعض أعضائه الصهاينة بضرورة (تأديب) الحكومة البريطانية .

وكان من مظاهر تلك الضجة ماوضح أثناء مناقشة القرض الأمريكي الذي كان يجري بمجهته آنذاك في الكونغرس . فقد احتج شينغل نيويورك تافت وفاقنر الى وزارة الخارجية البريطانية مباشرة ، بينما أوصى الصهيوني الأمريكي سلقر المواطنين بأن يسألوا رجالهم في الكونغرس عن الحكمة من إعطاء قرض للحكومة تبدو مرائقها غير ذات قيمة . وكانت محاولة الصهاينة الضغط على الحكومة البريطانية بتهديدها بعرقلة إقرار القرض ذات أثر في ارغام البريطانيين - أخيراً - على ملاينة الصهاينة ، واتخاذ موقف أكثر مرونة لهم . وقد كتب فورستال وزير الدفاع الأمريكي آنذاك ، حول مثل هذا الضغط من قبل الحكومة الأمريكية على أنه أمر قد وقع بالفعل . وذكر في يومياته : « ان البريطانيين يقولون بأنهم لا يستطيعون أن يعملوا كل ما يريدونه للعرب ، بسبب الضغط الذي كان بمقدورنا أن نمارسه عليهم بصدد القرض البريطاني (١) » .

على أنه بدأ الصهيينة أن حكومة الولايات المتحدة لم تنلح سريعاً في تحويل السياسة البريكانية إلى جانبهم ، فقررُوا أن يتولوا ذلك المهمة بأنفسهم عن طريق الإرهاب والتعسف ، قامت الهاغانا عشية ١٦ حزيران - يونيه بمهاجمة جسور الطرق وسكة الحديد على حدود فلسطين محدثة تخریباً تقدر خسائره بـ ٢٥٠ ألف جنيه استرليني ، وقد دمرت أو أتلقت أربعة جسور عادية وأربعة جسور حديدية ، ودمر جسر واحد على نهر الأردن بفعل لغم مؤقت تسبب في مقتل ضابط بريطاني . وفي الليلة التالية ، قامت عصابة شتيرن بهجوم على ورشات سكة حديد حيفا . وفي ١٨ حزيران - يونيه اختطف خمسة ضباط بريطانيين من زاد للضباط في تل أبيب ، واختطف سادس في شارع القدس وقد اعتبر هؤلاء من هان بيد عصابة الأرغون التي كان يحكم على اثنين من أفرادها بالموت ، ثم خُصص الحكم وتمكن الضباط من الفرار (١) .

وفسرت الهاغانا تدمير الجسور بقولها في إذاعة ١٨ حزيران - يونيه : «... لقد أرسلت رسائل تأييد كثيرة من شخصيات مختلفة وسحفيين الى حركة المقاومة لتجديد نشاطها نتيجة سياسة الحكومة البريطانية المهادلة وخطاب يمنح الأخير وتصريحات أتلي المعروفة . لقد أختيرت هذه الأهداف لقلقة القواعد البريطانية وطرق المواصلات ، ولوقوف في وجه العرب من البلاد المجاورة الذين يتكلمون كثيراً عن قدومهم لمحاربة اليهود في فلسطين ، لفتح الحدود أمام المهاجرين اليهود ، . وهنا لم تجد الحكومة البريطانية بدا من اتخاذ خطوة جدية بتحويل المندوب السامي القبض على من يعرف بضلوعه في هذه الفعال والقضاء على حملة التشهير والتحريض والارهاب التي يقوم بها زعماء الصهيينة . فقامت سلطات الأمن يوم ٢٩ حزيران - يونيه بتوقيف عدد كبير من اليهود (٢٦٧٥) المشبوهين باشتراكهم في الارهاب ، وفهم زعماء البلماح وأربعة من أعضاء تنفيذية الوكالة اليهودية مثل شرتوك وبرنارد

جوزيف المحامي اليهودي الكندي ودافيد راميز رئيس الفعاد لثومي وهاكوهين، أما بن غوريون فلم يكن بينهم لتغيبه في أوروبا. وقد جرى احتلال مبنى الوكالة اليهودية في القدس، ومكاتبها في تل أبيب. وصرح المندوب السامي أن هذه الاجراءات غير موجهة ضد اليهود ككل أو ضد الوكالة اليهودية لمنعها واغلاقها، وإنما تستهدف اقتلاع جنود الارهاب والعنف، واستعادة النظام والأمن (١).

وبعد بدء عمليات التفتيش صرحت الأوساط الرسمية في فلسطين بأنها تسعى لتسريح القوة الضاربة للهاغانا أي البالماح، ثم كشفت السلطات عن مجموعة جديدة من مخايء الاسلحة، كاملة الاعداد، في مستعمرة ياغور، احدى معاقل البالماح (٢)، وفي مطلع تموز- يولييه خطاب المستر أتلي في مجلس العموم وقال إنه منذ ١٦ كانون الأول - ديسمبر ١٩٤٥ قتل ١٦ جندي بريطاني وه من رجال البوليس، وقدرت الأضرار الناجمة عن الارهاب بأربعة ملايين جنيه. وقال أتلي إن حكومة الولايات المتحدة أحيطت علما بما قامت به الحكومة البريطانية ولكن لم يؤخذ رأيها، وألح على أن البريطانيين في فلسطين ليسوا شركاء مع الوكالة اليهودية لخلق دولة يهودية في فلسطين، وأن الحكومة لا تفكر أبداً بتصفية الوكالة (٣).

أما ترومان فقد صرح للزعماء الصهاينة الأمريكيين أنه لم يكن على علم مسبق بالعمليات البريطانية، وأعرب عن الأمل في الافراج عن أعضاء تنفيذية الوكالة الموقوفين وبقية المعتقلين فوراً، وذلك في ٢٢ تموز- يولييه الذي

Sacher, op. cit., p. 60

(١)

(٢) بين الأسلحة التي صغر عليها : ٣٢٥ بندقية و ٩٦ مدفع هاون و ١٠ رشاشات و ٤٧٠ ألف علف و ١٧ ٥ قنبلة يدوية و ٨٠٠ و طلي من الانفجرات و ١٢٦٧ ٤ قنبلة هاون وعدد من الأسلحة الأخرى .
Suppl. Mem. p. 58

Sacher, op. cit., p. 61

(٣)

أبدى فيه استعداد حكومته لحل المسؤولية الفنية والمالية لنقل ١٠٠ ألف مهاجر يهودى الى فلسطين (١) وفي غضون ذلك كانت أجهزة الدعاية الصهيونية ناشطة في عملها ، تسرد أعاجيب القصص عن « فظائع » الجنود البريطانيين التى ارتكبوها ضد سكان بعض المستعمرات المسالين . وقد مثلت قمع الملاح بأنه موجه ضد « النقيبين العماليين اليهود وضد المستوطنات الاشتراكية والتعاونية » ، وأعلن كروسمان فى مجلس العموم أن الجيش قد أعقل « اليسار السياسى بأكمله . وفى ظنه أنهم قادة حركة المقاومة (٢) . وأشاع الصهاينة أن تصرف البريطانيين يازاء الوكالة اليهودية قسداً أفقدها سلطتها على اليهود بحيث أصبح هؤلاء يرون فى الارهاب وسيلة لاقتناع بريطانيا ، ولجا وايزمن نفسه الى التضليل والوقعة ، فاستنكر اعتقال شرتوك الذى قاتل وجيشه مع بريطانيا فى الحرب الثانية ، وهو الآن مسجون فى معتقل اللطرون ، وقارنه بالمفتى الذى هو « مجرم حرب » وعدو لدود لبريطانيا ، ينعم فى قصره بالقاهرة ، ١١ ولا حاجة بنا للوقوف عند هذه الأكاذيب الملفقة ، فقد مر بنا من أساليب الصهيونية الكثير من أمثالها ، وقد بذلت الحكومة البريطانية جهداً لتفنيدها فى الكتاب الأبيض الذى نشرته عن الارهاب فى فلسطين يوم ٢٤ تموز-يوليه ١٩٤٦ ، وكشفت فيه بوضوح تام ضلوع الهاغانا والملاح اللتان تعملان تحت القيادة السياسية للوكالة اليهودية ، بالارهاب متسترة وراء اسم حركة المقاومة اليهودية . وكشفت أيضاً عن اشتراك الأرغون وشترين مع الهاغانا خلال الشهور الثمانية أو التسعة الماضية فى بعض العمليات الارهابية . أما محطة إذاعة (كول إسرائيل) التى تزعم بأنها صوت حركة المقاومة ، فكانت تعمل تحت توجيه عام من الوكالة اليهودية ، وتقوم بمساندة هذه المنظمات الارهابية (٣) .

Hurewitz, op. cit, p. 255 & Suppl. Mem. p. 13 (١)

Kirk, Survey for 194-50, op. cit., p. 220 (٢)

Suppl. Mem, op. cit., p. 14 (٣)

ولم يدهش أحد حين كشف أن الوكالة اليهودية لم تكن على صلة بالهاغانا والأرغون وعصابة شتيرن فحسب ، وإنما كانت عملياً تنسق وترتبه فعالهم بالقتل والتدمير والتخريب ، ومع ذلك فقد تحدثت الوكالة للحكومة البريطانية مدعية بأن المعلومات التي لدى الحكومة ليست حقيقية ؛ وجواباً على شكوى بهذا الصدد إلى اللجنة الخاصة (الانسكوب - U.N.S.C.O.P) للأمم المتحدة التي زارت فلسطين عام ١٩٤٧ للنظر في مستقبل الحكم فيها فالحكومة البريطانية وصفت الهاغانا بأنها ليست منظمة دفاعية صرفة ، وقالت : « في هجومها على جيقات أولغا وتخريب السكك الحديدية والايقاع بالبوليس أثناء هجومها على معسكر عتليت ، وفي الهجمات على محطات الرادار في جبل الكرمل وساورة ، فالهاغانا كانت تستعمل في أغراض قسرية ارهاية . إن الفارق بينها وبين جماعات الأرغون ترفأى لثوى وشتيرن لم يكن في أى مبدأ ، ولكن فقط بصدد اختيار الأوقات الاستراتيجية لممارسة القوة » (١) .

وبينما كان وايزمن رئيس المنظمة الصهيونية يلح على الحكومة البريطانية في لندن أن تنفذ فوراً تقرير اللجنة (٢) حتى يعود الهدوء والسلام ، كان الصهاينة في الولايات المتحدة يلوحون بقضائهم في وجه بريطانيا ويهددون بإسقاط القرض الأمريكي لها ، على يد الأعضاء المؤيدين للصهيونية في الكونغرس أثناء التصويت عليه ؛ وصرح الحاخام وايز في المجلس أثناء مناقشة القرض (٨ - ١١ تموز - يولي) ، « إن الحكومة البريطانية قد جعلت من العسير على ، كيهودى أمريكى وكصهيونى أن استمر في دعم القرض (٣) » ، وكان لا بد أن تدعى بريطانيا أخيراً للضغط فتعلق اجراءاتها

Suppl. Mem. op. cit., p. 58

(١)

(٢) يتهم « المتطرفون » وايزمن و « المتدلين » بأنهم تفاوضوا مع بريطانيا وقبلوا

تجديد مطلب (الاستقلال) من أجل (الهجرة) .

Marewitz, op. cit., p. 255

(٣)

التأديبية ، وتعلن في ١١ تموز - يوليه انتهاء العمليات العسكرية التي بدأتها في ٢٩ حزيران - يونيه ، وتطلق بعد أربعة شهور سراح الزعماء الصهاينة .

وكان الرئيس ترومان قد أعلن في ١١ حزيران - يونيه أنه اختار لجنة مؤلفة من وزراء الخارجية والحرية والحزبة لتقدم له المشورة بشأن السياسة التي يمكن أن تتبناها حكومته بشأن فلسطين والمشاكل المتصلة بها ، وقد أنيط عمل اللجنة الوزارية الفعلية بمجلس من نواب الوزراء برئاسة السفير هنري غريدي Grady . وصلت اللجنة الزاربية إلى العاصمة البريطانية يوم ١٢ تموز - يوليه ، وفي غضون ذلك ساد الاعتقاد أن الصهاينة على اختلاف نزعاتهم قد ذهبوا من الاعتقالات وأسقط في أيديهم ولكن قادة الأرغون ولهاغانا ، وقد عاينوا أن جانباً لا يستهان به من الجماعة اليهودية قد اهتزت ثقته بنفسه نتيجة الاعتقالات الراضعة التي تمت في ٢٠ حزيران - يونيه ، رأوا أن معنويات اليهود لا يمكن استعادتها إلا بهجوم مضاد ناجح (١) ، وكانت الأرغون في الربيع الماضي قد فكرت في نفس مراكز حكومة فلسطين التي تشارك مقر القيادة العسكرية في الجناح الشرقي والدور العالي - من فندق الملك داود بالقدس . وفي يوم ٢٢ تموز - يوليه قام أفراد من الأرغون متسكرين باللباس العربي بوضع عبوات ناسفة ضمن صفائح اللبن في قبو المبنى . فانسجرت بعد نصف ساعة وسببت مقتل ٨٨ شخصاً من الموظفين ، بينهم بريطانيون وعرب أبرياء ، وأصيب سبعون آخرون بجراح (٢) .

Begin, op. cit., p. 217

(١)

Suppl Mem., op. cit., p. 14 & Hurewitz, p. 236

(٢)

ويهاوا، كبرك إن القلي ٩١ والجرحى ١٠٠ ، س ١٢٢ المجدد السابق

وفي أمسية هذا العمل الشائن وجهت الهاغانا أمراً إلى أفرادها باتخاذ موقف مطاوع للسلطات البريطانية وذلك بقصد « إظهار معارضة اليهود لما حدث في القدس »، وكألوف العادة التي جرى العمل بها سابقاً أصدرت الوكالة والمجلس الملي دعوى متكلنة إلى الجماعة اليهودية لاستنكار هذه التعديات الفظيعة ، ولكن في الوقت نفسه كانت قيادة الهاغانا تتابع التواطؤ مع زعماء الارهابيين ، فقد كتب ميغن زعيم الأرغون : يبدو لي أن صلاتهم معنا لم تكن أبداً أكثر وثوقاً على الأرجح من الفترة التي تلت الأعداء على فندق الملك داود ، لقد واصلنا لزمن طويل تهيئته الخطط المنسقة (١) .

ولكن التكثيف الدعائي الصهيوني كان يفتش عن مادة جانبية تصرف نظر الناس عن جريمة الأرغون المشينة ، وتحملهم على نسيانها عن طريق إثارة موضوع آخر ، غير مهم بحد ذاته ، فتضخمه وتحرفه خلال أجهزة الدعاية المختلفة ، ثم تدعه يسقط بعد أن يستوفي غرضه ، تماماً كما فعلت يوماً مع الجنرال مورغان حين فضح تأمر الهاغانا في عمليات تهريب اليهود السرية من أوروبا إلى فلسطين ، فاتهمته باللاسامية في وقت مدروس بعناية ، وذلك ليطنى هذا الضجيج الصهيوني الغاضب على ملاحظات الجنرال مورغان التي أدلى بها في مؤتمر صحفي عقده في فرانكفورت بألمانيا ، واختير توقيته يوم بدأت لجنة التحقيق الإنكار أمريكية في واشنطن الاستماع إلى الشهود في مستهل عملها كما مر بنا (٢) .

بأذنت الوكالة اليهودية وأجهزة الاعلام التابعة لها لاثارة مثل هذا الضجيج حول الجنرال السير إيفلين باركر Barker القائد العام في فلسطين . وذلك عقب إصداره إلى جنوده نشرة خاصة حصر تداولها بهم ، جاء فيها : « أن

Begin, op. cit., p. 226

(١)

(٢) اتهم مورغان كما رأينا باللاسامية ، وبالمارية ، وكتب ممثل السيخا إيدي فاننهور منه في صحيفة نيويورك تايمس بعنوان « كنت أظن أن هتلر قسدت مات » وطالب معلق الإقاعة ولير ونشعل أن نبرأ الحكومة البريطانية منه وأن يجرده من رتبته الخ . .

الجماعة اليهودية في فلسطين لا يمكن ان تبرئ ساحتها من المسؤولية عن سلسلة طويلة من الاعتداءات بلغت أوجها في نصف جزء كبير من مكاتب الحكومة في فندق الملك داود، مسببة فقداناً فاجعاً بالآرواح. ولولا الدعم الفعال أو السلبي من الجماعة اليهودية عموماً لأمكن كشف عصابات الارهاب التي قامت بهذه الفعال الاجرامية. وبهذا الاجراء فاليهود في هذا البلد هم متواطئون، ويقع على عاتقهم نصيب من الجرم، واننى عازم على أن ينالوا العقاب، ويقنوا على الازدراء والتفوق للذين تنظر بهم إلى سلوكهم. ونحن لا يجب أن نسمح المجال لخداعنا بالعاطفة المناقفة التي يظهرها لنا زعمائهم ويمثلوا أجهزتهم أو باحتجاجاتهم بأنهم ليسوا مسئولين عن هذه الفعال بحال من الأحوال. وأنا أكرر أن الجماعة اليهودية لو كانت تريد حقاً وقف هذه الجرائم، لكان ذلك في مقدورها بالعمل والتعاون معنا. ولذا فقد حزمت أمرى أنه حالما تستلمون هذه الرسالة سوف تحظرون على جميع الرتب أن يترددوا على المؤسسات اليهودية والمطاعم والمحلات والمساكن الخاصة. ولا ينبغي لأى جندي بريطاني أن يرتبط بأية علاقة اجتماعية مع أى يهودى. وأى تعامل في سبيل أداء الواجب يجب أن يكون مختصراً ما أمكن ومحصوراً في حدود العمل القائم. وإلى أقدر أن الجنود سوف يلقون بعض الغنت من هذه التدابير، ولكنى متأكد أنه لو شرحت لهم أسبابى شرحاً كاملاً فسوف يفهمون وجهاتها. وسوف يعاقبون اليهود، وبطريقة يكرها عنصرهم أكثر من أى شىء آخر، وذلك بتكبدهم الأضرار المالية وإظهار احتقارنا لهم (١) .

موقف العرب من تقرير اللجنة الآنكلو أمريكية :

أما العرب والعالم الاسلامي فكان وقع التقرير عليهم صاعقاً، لقد نشطت

أوساطهم الشعبية والبرلمانية والحكومية أثناء قيام اللجنة بتحقيقها ، وأدلوها أمامها بحجج لا يبارى فيها إلا المكابر المعاند للحق والمنطق ، فاذا بهم ينجأون بتراصى أبعاد ما تكون عن توقعاتهم ، ولذا أضربت فلسطين لإضراباً عاماً يوم ٣ أيار - مايو (١) ، وقامت فيها مظاهرات السخط والاستنكار ، وأرسلت اللجنة العربية العليا برقيات الاحتجاج والاستغاثة الى الأقطار العربية مع وفود لبسط الحالة أمام المسئولين فيها . وحذت سورية وشرق الأردن ولبنان والعراق ومصر حذو فلسطين في الاضراب والتظاهر والاحتجاج ، وسجلت البرلمانات احتجاجها بلهجة قوية ، وشارك مسلمو الهند في اظهار شجبهم ومعارضتهم لتقرير اللجنة المتحيز ، تضامناً مع اخوانهم العرب ، فصرح محمد علي جناح زعيم المسلمين في الهند بأن العرب والمسلمين لن يقبضوا مكوفى الايدي اذا جرى تنفيذ هذه التواصى المشينة ، وحسبى أن أقول إن هذه خيانة كبرى للوعود المبذولة للعرب ، وعدمه لى (٢) . وارتفعت الأصوات بوجوب الاتجاه نحو الاتحاد السوفيتى والتعاون معه ، بعد ما اكتشف غدر البريطانيين والامريكان ووضع تأمرهم على العرب كما طالبت بوجوب الاستعداد للمقاومة المسلحة الرسمية والشعبية معا ، والبده بترحيل النساء والأطفال عن فلسطين تسهيلاً لحركة الجهاد ، وتشكيل لجان طوارئ الخ (٣) .

وفى ١٠ أيار - مايو قدم ممثلو خمس دول عربية فى واشنطن احتجاجاً قوياً فى مذكرة مشتركة الى نائب وزير الخارجية الأمريكية دين أتشيسون ضد تقرير اللجنة ؛ وفى اليوم التالى صرح دين أتشيسون فى مؤتمر صحفى بأنه قد أعطى تأكيداً بأنه ستجرى مشاوره كل من الزعماء العرب واليهود قبل

Suppl. Mem., op. cit., p. 10 (١)

Sakran, op. cit , p. 182 (٢)

(٣) دروزة - المصير السابق ص ٥١ - ٥٢

وضع تواسى اللجنة الإنكلاو أمريكية موضع الاجراء . وكان المستر دين اتشيسون قد أنهى تأكيداً مماثلاً في وقت سابق الى مصر والعراق وسورية ولبنان والمريية السعودية (١). وفي ١٧ أيار- مايو ردت الحكومة الأمريكية على المذكرة العربية المشتركة بأنه : « لن يتخذ أى قرار بشأن تقرير اللجنة دون التشاور المسبق مع حكومة العراق والأقطار العربية الأخرى » (٢) وقد أشير الى أن التقرير ليس له إلا صفة استشارية وأن توصياته لا تلزم الخارجية الأمريكية بشيء . ولم تتضمن المذكرة لا مباشرة ولا استنتاجاً أنه جرى أى ارتباط أو وعد صريح من أمريكا للاشتراك فى إقامة وطن قومى يهودى فى فلسطين .

وفى ١٥ أيار- مايو صدر بيان عن الخارجية البريطانية فى لندن ، جاء فيه أن حكومة جلالاته لن تتمكن من اعلان قرارها حول تواسى اللجنة حتى تستكمل مشاوراتها مع الحكومة الأمريكية ، وتستشير العرب واليهود كليهما ، وفقاً للعهود المعلنة حين تشكلت اللجنة (٣) .

وقد ظهرت أولى بوادر التساند العربى على أعلى المستويات يومى ٢٨ و ٢٩ أيار- مايو حين حضره مؤتمر أنشاص رئيسا جمهوريتى سورية ولبنان وملك الأردن ، والوصى على عرش العراق ونجلا ملكى السعودية واليمن نيابة عن والديهما ، والملك فاروق صاحب الدعوة للمؤتمر ، وقد تداولوا فى قضية فلسطين من شتى نواحيها فأوا أن قضيتها ليست خاصة بعرب فلسطين وحدهم بل هى قضية العرب جميعاً ، وأن فلسطين عربية يتحتم على دول العرب وشعوبها صيانة عروبتها ، وأنه ليس فى إمكان هذه الدول أن توافق بوجه

Suppl. Mem., op. cit., p. 10	(١)
Truman, op. cit., II, p. 148	(٢)
Suppl. Mem., op. cit., p 10	(٣)

من الوجه على أى هجرة جديدة ، ويعتبرون ذلك تقصاً صريحاً للكتاب الأبيض الذى ارتبط به الشرف البريطانى . ولهم عظيم الأمل أن لا يعكس صفو علائق المودة القائمة بين الدول والشعوب العربية من جهة ، والدولتين الديمقراطيتين الصديقتين من جهة أخرى ، أى تشبث من جانبها يرمى إلى إقرار تدابير ماسة بحقوق عرب فلسطين، حرصاً منهم على دوام هذه الصداقة وتناديا لرد فعل ينشأ بسبب ذلك ويضئ إلى اضطرابات قد يكون لها أسوأ الأثر فى السلم العام . أما فيما رأوا زيادة على ذلك ، فقد كلّفوا الأمين العام لجامعة الدول العربية أن يحمل إلى مجلس الجامعة نتائج أبحاثهم ومداولاتهم وتوجيهاتهم فى هذا الشأن ، ليتخذ أفضل الوسائل لصيانة مستقبل هذا الوطن العزيز على قلوب العرب أجمعين ، (١) .

ولكن لم يُنظر فيما يمكن اتخاذه من اجراءات إلا حين انعقد مجلس جامعة الدول العربية فى مصيف بلودان بسورية ما بين ٨ — ١٢ حزيران - يونيه فى دورة الاجتماع الرابعة غير العادية . تطلع العرب فى شتى أقطارهم بلمعة يرقبون ما يسفر عنه هذا الاجتماع التاريخى فى هذه الفترة الدقيقة ؛ وانبعثت فى عرب فلسطين آمال جديدة تقوم على وقفة موحدة للدول العربية المتجمعة ، لمواجهة هذا الظرف التاريخى الخطير الذى يهدد العرب كافة ، وكان لا يزال أمام الآمين أن يأملوا بجدوى هذا الاجتماع الذى سيحفظ لفلسطين عروبته ويعيد للأمة العربية كرامتها ؛ ولو أنصف هؤلاء وأمعنوا النظر فى حقيقة ما كان يدور وراء الأبواب المغلقة ، وتفحصوا وجوه القوم واطلعوا على نواياهم ، لرأوا أنهم مغالون فى ما عقدوا الآمال عليه . ونحن لانعلم على وجه الدقة — بخلاف الخطب الممتازة التى ألقيت — ماذا تقرر سرّاً فى الاجتماع ،

(١) دروزة - المصدر السابق ص ٥٢ - ٥٣ وأيضاً:

ولكن لنا أن نستنتج من وجود رجل عسكري بريطاني هو البريغادير كلايتون، في الفندق آنذاك ، والرجل قديم الصلة بالشئون العربية. من طراز لورانس ، أن بريطانيا ربما خشيت أن تملك نشوة الحماس على المجتمعين رأيهم، فأرادت أن تنهي إليهم بعض ما تحب أن يفهموه عنها دون أن يبدو عليهم ما ينكرونه منها.

ولا حاجة بنا إلى بسط ما دار الجدل حوله في أروقة الفندق الجميل ، وأهمها وأجداها ما يتصل بالمساعدات التي يجب أن تقدم إلى الهيئة العربية العليا لتمكينها من تنفيذ أهدافها العديدة (١) ، ولكن لم يحظ الموضوع على خطورته بالاقرار الملمزم ؛ كذلك فقد توجب على المجلس أن يعالج موضوع الانشقاق المؤسف الناجم عن عدم الانسجام بين أعضاء اللجنة العربية العليا، والذي أعقبه انقسام خطير بين من بقى تحت لواء اللجنة العربية العليا ، وبين من شكل لجنة أخرى باسم الهيئة العربية . واستدعى أركان اللجنتين إلى بلودان وانهى الأمر بحلها وتشكيل لجنة مؤلفة من عضوين من كل منهما، وأبقيت رياستها شاغرة ليشغلها المفق الحاج أمين الحسيني الذي عاد في هذه الآونة من فرنسا إلى مصر ، بعد أن لبث في أوروبا أربع سنوات ونيفاً . وفي ١٠ كانون الثاني - يناير ١٩٤٧ تقرر ضم خمسة أعضاء آخرين إلى اللجنة (٢).

(١) طلب بعضهم أن يرصد مبلغ مليون جنيه للسير في هذه الأهداف ، لا سيما فلم الأعضاء المبلغ ، ولم يرو وجوباً للارتباط بشيء ، وترك أمر البت في الموضوع لكل حكومة على حدة تبعته في ضوء ظروفها . دروزة - المصدر السابق ص ٥٩ .

(٢) يقول الأستاذ دروزة إن جال الحسيني بعد عودته من منفاه في روديسيا شغل مراكز أخيه توفيق في اللجنة ، وأعلن ضم أشخاص إلى اللجنة ضماناً للنشاط والانسجام لأن اللجنة لم تجتمع للنظر في الأمر ، فأدى هذا إلى انشقاق ، وولدت لجنتان : واحدة باسم اللجنة العربية من جال وأنصاره ، وأخرى باسم الهيئة العربية ضمت ممثل الأحزاب وبعض المثقفين والدفاعيين . وبما أن حكومة العراق كانت تبنت المصروع الانشائي ، ومعصوم . كتاب الديانة العربية ومولتها ، فإنها لم توافق على انضمامها إلى الهيئة التي يرأسها المفق جلفوة شديدة بينها وبينه منذ عهد إقامته في بغداد وثورة السكيات (١٩٤١) . دروزة - المصدر السابق ص ٥٧ - ٥٨ وأيضاً : Hurawitz, op. cit. , pp. 251-53

ولا بد أن نشير إلى أن مثل الدول العربية التي شاركت في مؤتمر بلودان كما لو يتكسون ضمناً إجماعات دولهم ودقائهم، بحيث أن المحاور والجهات الداخلية التي سادت وقت تشكيل جامعة الدول العربية، مازالت تشل كل مسعى لتوحيد الجهد العربي توحيداً فمالياً يحمي عروبة فلسطين ويسمع صوت العرب مدوياً في الأوساط الأمريكية والبريطانية إن مندوب فلسطين أعلن صراحةً بأن فلسطين شعباً لا يتدخل بدمه إذ مدّ بوسائل التضال الكافية، وناشد المجتمعين أن ينظروا إلى هذا الأمر الحيوى نظرة الجد، بعد ما انكشف من مصامع الصهاينة واستعدادهم العسكرى القوى ومحاسنة البريطانيين لهم .

ومهما يكن من أمر ، فقد اتخذ المجلس مقررات علنية وأخرى سرية :
أما المقررات العلنية فمنها :

١ - نقد لجنة التحقيق وتجزئها وتواصياها في مذكرة توجيهها الأمانة العامة للجامعة ، وكل حكومة من حكوماتها على انفراد إلى الحكومتين الأمريكية والبريطانية .

وقد سجلت مذكرة الأمانة العامة إلى الحكومة الأمريكية (١) استلامها لمذكرتها المؤرخة في ٢٠ أيار - مايو والتي جاء فيها أن تواصى اللجنة ذات صفة استشارية غير ملزمة . ومضت المذكرة العربية تقول إن الجامعة برغم

== تشكلت اللجنة من جمال الحسين (نائباً للرئيس) والدكتور حسين الماوى (سكرتيراً)
وأحمد حلمى باشا وإسحق الخورى .
Suppl. Men., op. cit., p. 13
والأعضاء الجدد هم : معين الماوى وعزة دروزة ورفيق التيمى وإسحاق درويش والشيخ
حسن أبو السعود .
ibid., p. 24

(١) انظر نص المذكرة التي أرسلتها الأمانة العامة إلى الحكومة الأمريكية في الوثائق
الرئيسية لقضية فلسطين — المصدر السابق ص ٣٨١ - ٣٨٤ .

المعلومات المؤيدة لشكها في حيده بعض أعضاء اللجنة ، فإنها قررت عدم مقابلةهما ، وجل مهدهما وهو جلاء الحقيقة كالة للحكومة الأمريكية وشعبها ، تنادياً للتصادم بين حقوق العرب ومصالحهم ، وسياسة دولة صديقة يعقد عليها أكبر الآمال ، وخشية أن تتأثر هذه السياسة بدعاوى فئة صاحبة من اليهود في الولايات المتحدة لهم من الوسائل ما ليس للعرب ، لتوجيه الرأي العام الأمريكي وجهة ضارة بالعرب ، وهي في الحقيقة بعيدة كل البعد عن مصالح الأمريكيين في الشرق العربي والإسلامي ، ومعرضة للخطر ما بين الولايات المتحدة والشعوب العربية من الثقة والمودة .

واستطردت المذكرة العربية تقول : « ومن ثم فتدخل طائفة من رعايا الحكومة الأمريكية في شئون أمة أخرى بما يعارض حقوق تلك الأمة ، يجر الولايات المتحدة إلى النزاع مع ملايين البشر الذين يضعون في شعب الولايات المتحدة وحكومتها ثقهم وآمالهم الكبيرة .. وقد ترتب مع شديد الأسف على المعاونات التي ترد من الولايات المتحدة على الصهيونيين سواء كانت مادية أو أدبية أن تفاقم الأمر ، وظن الصهيونيون أنهم يستطيعون الاعتماد على أكبر دول العالم لإملاء إرادتهم على شعب فلسطين الأعزل ، فنظموا قوات مسلحة هي نواة الجيش اليهودي الجديد ، وجعيات لإرهابية هي أداة القتل والتدمير لتحقيق أغراضهم بالقوة .. ومع أنه ليس من شأننا أن نتعرض لما يقال من ضغط اليهودية الصاخبة في أمريكا وأثره على سياسة الولايات المتحدة .. فإننا نشعر بأن السياسة الصهيونية توشك أن تنجح في إحداث صدام عنيف بين مصالح شعوب الشرق العربي وسياسة الولايات المتحدة ومصالحها . وإذا استمر التسليح الصهيوني والإرهاب واتخاذ القوة وسيلة لإملاء إرادتهم في فلسطين فإننا نخشى ألا يقف العرب ، وهم قوم تحررون بتاريخهم ، مكتوفي الأيدي أمام تحدى القوة .. وأشد ما نخشاه كذلك ألا تستطيع الحكومات العربية حصر النزاع في نطاق ضيق ، وقد (م ٢٣ - فلسطين)

أخذ يتجسم في نظر الشعوب العربية خطر التسليح الصهيوني وعجز الحكومة البريطانية المسؤولة

وأخيراً جاء في المذكرة أنها ليست رداً يخلى الحكومة الأمريكية من تعهداتها باستشارة العرب الذي يستند إلى نص وعد روزفلت إلى ابن سعود المؤرخ في ٥ نيسان - أبريل ١٩٤٥ .

أما مذكرة جامعة الدول العربية إلى الحكومة البريطانية ، فقد نصت على أن دول الجامعة لم تمبرراً لتشكيل اللجنة الأنكلو أمريكية ، وأنها لم تعترف بشرعيتها ، ولذا ترفض كل ما انطوى عليه تقريرها عما هو يحجب بحقوق العرب في بلادهم . وأن الحكومة البريطانية يوصفها واقعياً الدولة المنتدبة هي المسؤولة فعلاً عما يقع من إهدار لحقوق عرب فلسطين السياسية والمدنية . وأنه ليس ثمة مسوغ قانوني يبيح للحكومة الأمريكية أن تتدخل للتأثير على الوضع القائم في فلسطين ، وأن الحكومات العربية تعتبر كل تراجع من بريطانيا عن عهودها في الكتاب الأبيض أو غيره ، مما ارتبط به شرفها ، تحدياً جديداً لحقوق العرب الطبيعية الشرعية في بلادهم . وأن ما ينشأ من قلاقل في فلسطين وفي الشرق العربي ، وما ينجم عن ذلك من إخلال بالسلم والأمن ، تقع مسؤوليته على من يؤيد تقرير اللجنة ويعمل على تنفيذه . وطلبت المذكرة أخيراً أن تقف بريطانيا عند حد الكتاب الأبيض ريثما تقوم حكومة وطنية مستقلة في فلسطين ، « ولا بد لذلك من إيقاف الهجرة اليهودية فوراً إيقافاً تاماً وإقصاء كل المهاجرين الذين دخلوا البلاد عنوة ومن دون مسوغ قانوني (١) » .

(١) انظر صورة المذكرة الكاملة في دروزة — المصدر السابق ملحق رقم (٤) ص ١٣٩ - ١٤١ وانظر صورة المذكرة التي بعثت بها كل من دول الجامعة العربية إلى الحكومة الاتحادية والأمريكية وهي صورة طبق الأصل من مذكرة الجامعة مسالفة الذكر إلى بريطانيا ، وذلك طبقاً لقرار مجلس جامعة الدول العربية المنعقد في بلودن المؤرخ في ١٢ حزيران - يونيو ١٩٤٦ - الوثائق الرئيسية - المصدر السابق ص ٣٩٠ - ٣٩٢ .

— ٣٥٥ —

وكان من المقررات العلنية أيضاً لدورة مجلس الجامعة في بلودان، بخلاف (المذكرات) ساقفة الذكر :

٢ - طلب المفاوضة مع الحكومة البريطانية لأجل إنهاء الحالة الراهنة في فلسطين .

٣ - عرض القضية على هيئة الأمم إذا لم تنته المفاوضة مع بريطانيا إلى حل مرض .

٤ - تأليف لجنة دائمة في أمانة الجامعة للإشراف على سير القضية .

٥ - طلب تجريد اليهود من السلاح .

٦ - إنشاء مكاتب للدقاعة في كل دولة . ومنع تصدير المواد الأولية المساعدة للإنتاج الصهيوني ، واتخاذ الإجراءات الجركية الكفيلة بالتأكد من جنسية البضائع المستوردة ، ومقاطعة الخدمات الصهيونية كالمصارف والشركات . والوكالات والبيوتات التجارية ووسائل النقل والمقاولين والخبراء اليهود ، ووضع تشريع في كل دولة يعتبر بموجبه بيع العقار في فلسطين للصهيونيين ، وتهريب اليهود إليها ، والمساعدة على ذلك جرماً جنائياً .

٧ - رفض أى شكل من أشكال التقسيم من حيث المبدأ ، كحل للقضية الفلسطينية .

٨ - إنشاء لجان دواع عن فلسطين في كل دولة عربية ، وإصدار طابع باسم فلسطين يرصد ريعه للقضية الفلسطينية .

٩ - تنظيم تمثيل فلسطين بهيئة جديدة ، ودعوة أهل فلسطين إلى التضامن والائتاد ، وتوصية الحكومات العربية بمسد الهيئة الجديدة بالمساعدات اللازمة واضطلاع هذه الهيئة بمختلف شؤون القضية من دعاية ومقاطعة وتنظيم الخ .

أما المقررات السرية ، فقد أحيطت بكتمان يشتمل على معنى الخطورة والجد ، وكان هذا الغموض المحيط بها مخففاً لشعور الحية الذي خامر جماهير الشعب العربي ، وبجبالا للتعلل بالأمل المتماثل مستقبلاً وترى بعض المصادر أن هذه المقررات تصبح نافذة إذا اتخذ أى عمل دولى يمكن أن يؤثر على حق فلسطين فى أن تصبح دولة عربية مستقلة ، وقد نصت المقررات على المعونة العسكرية والمعنوية لعرب فلسطين (١) .

وقد قصدت هذه المقررات بصورة خاصة إلى تهديد المصالح البريطانية والأمريكية الاقتصادية والنفطية ، على اعتبار أن تنفيذ توصى اللجنة الأنكلو أمريكية لابد أن يؤدى إلى حالة تسوء فيها العلاقات بين البلاد العربية من ناحية ، وانكسرة وأمر يكامن ناحية أخرى ، بحيث يتوجب على البلاد العربية أن تدافع عن نفسها باتخاذ بعض التدابير الضرورية التى منها :

- ١ - عدم السماح للدولتين أو احدهما أو رعاياهما بأى امتياز اقتصادى جديد .
- ٢ - عدم تأييد مصالحهما الخاصة فى أية هيئة دولية .
- ٣ - مقاطعتهم مقاطعة أديية .
- ٤ - النظر فى إلغاء ما يكون لهما من امتيازات فى البلاد العربية .
- ٥ - شكواهما إلى مجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة .

ولكن تمسك الدول العربية بأسلوبها فى المطالبة بالحق عن طريق إرسال (مذكرات) الشكوى والاحتجاج ، لم يكن ليجدى أمام عدو كان يعد لكل أمر عدته دون أن يترك شيئاً للصادقة أو يتمسك بوجهة نظر جامدة .

وبينما كان سياسة العرب يسترسلون في الكلام على الحق والعدل والاتصالات والاحتياجات وشرح وجهات النظر وبيان الأبعاد ، كانت الصهيونية تحيك خططها بتدبير محكم للقضاء على عروبة فلسطين (١) ، وكأنما كانت على مثل اليقين بأن العرب آنذاك لن يتفقوا على عمل موحد أو ينفذوه ، نظراً لما يسود حكامهم من خصومة وأطماع خفية وظاهرة . ولا أظن أن أحداً من الصهاينة وأنصارهم في بريطانيا والولايات المتحدة ، خفى عليه ما تعاني منه الجبهة العربية آنذاك من فرقة وانقسام ، ولا ما يختلف حوله الحكام العرب الذين بأيديهم الحل والعقد والذين يجد معظمهم في بريطانيا سنداً لحكمهم ، وبين جماهير الشعب التي تتطلع بعفويتها إلى استنقاذ فلسطين متسامية عن الأغراض والمنافع القريبة . ولذا كان من اليسير على الصهاينة وأنصارهم أن يهونوا من شأن العرب وخصمهم ومدكرات دولهم . وكما كانت المصلحة القومية العليا تقتضى الحكام أن يلتزموا بالخط النضالي الشعبي ، إذن لوجدوا في الشعب خير سند يغنيهم عن دعم بريطانيا أو أمريكا ، ولسجل لهم التاريخ في صفحاته غير ما سجل .

وعلى الرغم من احتجاج دول الجامعة العربية ، وإعلانها أن التدخل الأمريكي في شؤون فلسطين لا يسوغه حق أو عرف أو منطق سليم ، فإن الرئيس ترومان أرسل لجنة وزارية خاعمة إلى لندن للتباحث مع لجنة بريطانية مماثلة بخصوص تنفيذ توصيات اللجنة الانكليز أمريكية كما ساف ذكره .

وبينما كان أتلي يحضر مؤتمر الصلح في باريس ، ويفتن يقاسى من نوبة

(١) قال بن غوريون : « منذ نهاية الحرب صرفت اهتمامي للبحث عن أسلحة ثقيلة ، وقد استجاب الأمريكيون لي واشترتوا أسلحة بمبلغ يقرب من مليون دولار ، مردها إلى فلسطين . . . ووافقت أنا وشيكونسايفر وكرا على بيعنا الأسلحة على أن تقوم الحكومة الإسرائيلية بدفع ثمنها » . Israel: Years of Challenge, op. cit., p. 22

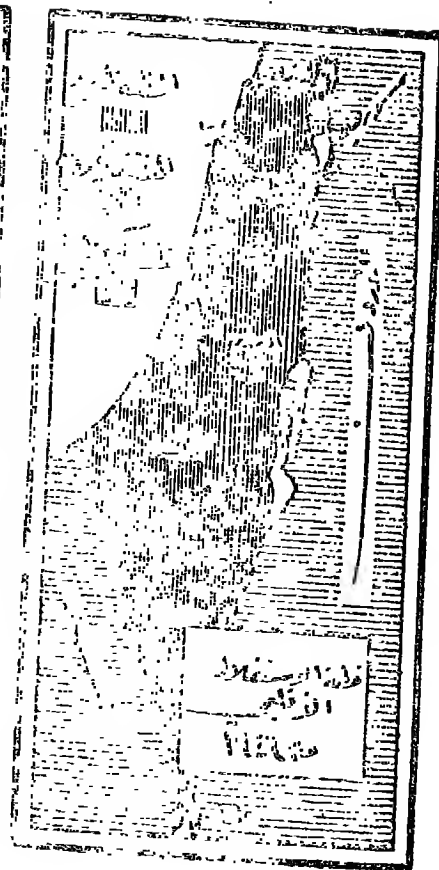
مرهنية ، فقد توجب على رئيس مجلس اللوردات هربرت موريسون أن يعلن في ٣١ تموز - يوليو الوضع الحاضر لسياسة الحكومة تجاه قضية فلسطين إثر المناقشات بين المندوبين الانكليز والأمريكيين ، ونيجم عنها مشروع دعى بمخطة موريسون - غريدي ، وقد تصور تهويل الانتداب إلى وصاية وتقسيم .

قال موريسون إن المندوبين الخبراء اقترحوا أن تحاول الحكومتان تهئية أحوال مناسبة لاستيطان عدد وافر من الأشخاص الذين لا مأوى لهم في أوروبا ، حيث قد انضج أن الغالبية الساحقة ستستمر في المعيشة هناك ، كذلك يتحتم إيجاد مواطن جديدة فيما وراء البحار لكثير من أولئك الذين انفصلت عرى علاقاتهم بجالياتهم السابقة بشكل لا يمكن اصلاحه .. وبعد أن شرح موريسون اجراءات تنشيط هذا المشروع ، قال إن الخبراء عندما صاغوا سياسة جديدة لفلسطين قبلوا كأساس التوصية الثالثة للجنة الانكلو أمريكية ، وهى أن فلسطين في مجموعها لا يمكن أن تكون دولة يهودية ولا دولة عربية ، وأنه لا يحق لإحدى الجاليتين أن تسيطر على الأخرى . « ويظهر أن الأمل الوحيد في السلام وفي اتجاه سريع نحو أنظمة الحكم الذاتي ينحصر في صياغة دستور البلاد بشكل يعطى كلا من الفريقين أعظم قسط ممكن من السلطة لإدارة شؤونه الخاصة » .

نهاية الجهود الانكلو أمريكية :

مشروع موريسون - غريدي :

وعرض موريسون المشروع الذي اتفق عليه المندوبون الخبراء ، وقال إنه يقوم على : انشاء منطقتى عربية ويهودية تتمتع بقسط وافر من الحكم الذاتي تحت إشراف حكومة مركزية . .



ويقترحون :

- ١ - تقسيم فلسطين إلى أربع مناطق : منطقة عربية ، ومنطقة يهودية ، ومقاطعة للقدس وأخرى في النقب .
- ٢ - تشمل المنطقة اليهودية الجزء الأعظم من مساحة الأراضي التي استقر بها اليهود ، ومساحة كبيرة بين المستعمرات اليهودية وحولها .
- ٣ - تشمل منطقة القدس مدينة القدس وبيت لحم وضواحيها المباشرة .
- ٤ - تؤلف منطقة النقب من مثلث الأرض الفضاء غير المسكونة ، السكان جنوبي فلسطين عبر الحدود الحالية للأرض المزروعة .
- ٥ - تشمل المنطقة العربية باقى فلسطين ، وتكون بذلك فى الغالب عربية محضة من ناحيتى الأرض والسكان .
- ٦ - تكون حدود هذه المناطق حدوداً إدارية بحتة تعين المنطقة التى يقع فى داخلها مجلس نيابى محلى يخول له سن القوانين فى أمور معينة ، وهيئة تنفيذية تقوم بتطبيق هذه القوانين ، ولن يكون لهذه الحدود أية أهمية من ناحية الدفاع أو الجمارك أو المواصلات ، وإنما لإعطائها صبغة نهائية ، فإنها بمجرد تقريرها تصبح غير قابلة لآى تغيير إلا باتفاق بين المنطقتين المختصتين ويدمج نص بهذا المعنى فى صلب اتفاقيات الوصاية ، وكذا فى الوثيقة التنفيذية لهذا المشروع .
- ٧ - تخول الحكومة الإقليمية ساهلة التشريع والادارة داخل مقاطعاتها فى نطاق واسع من المسائل ذات الصبغة الإقليمية المحضة . وتخول هذه أيضاً السلطة لتحديد عدد الأشخاص الراغبين فى الإقامة الدائمة فى أراضيها وتقرير مؤهلاتهم لهذه الإقامة بعد عرض هذا المشروع ، ويطلب من هذه

الحكومة بواسطة الهيئات التي تسن القانون الأساسي أن تتخذ الطرق اللازمة لضمان الحقوق المدنية والمساواة لجميع السكان أمام القانون ، وكذلك حرية الانتقال والتجارة بين المناطق، وتخول هذه الحكومة أيضا السلطة بجمع الأموال اللازمة للقيام بوظائفها .

٨ - تنفرد الحكومة المركزية بالسلطة في وسائل الدفاع والعلاقات الخارجية والمجاري والضرائب ، وكذا يحتفظ لها في البداية بنفس السلطة في تطبيق القوانين والمحافظة على النظام ، بما فيه البوليس والمحاكم وعدد معين من الأمور التي تهم فلسطين بأكملها . وتتخلف كذلك بكل السلطات التي لم تعين تعييناً واضحاً للمناطق في كيان التشريع .

٩ - -- ينتخب مجلس نيابي لكل منطقة ، وكذا يعين المندوب السامي من بين أعضاء المجلس النيابي هيئة تنفيذية مؤلفة من وزير رئيسي ومجلس وزراء بعد استشارة الزعماء . وكل قانون تقره المجالس النيابية يتطلب موافقة المندوب السامي ، إلا أن هذا القانون لا يوقف ما لم يتعارض مع الأصول الحكومية التي تقيض السبل لضمان السلم في فلسطين ولحقوق الأقليات . كما أنه من الضروري أن يحتفظ المندوب السامي في حالة الطوارئ بحق التدخل عند عجز أي حكومة أقليمية عن القيام بتأدية وظائفها الأصلية أو في حالة تجاوزها هذه الوظائف .

١٠ - يقوم المندوب السامي في بادئ الأمر بممارسة الوظائف التنفيذية والتشريعية للحكومة المركزية على أن يعاونه في ذلك مجلس تنفيذي معين من قبله . وقد يرأس الفلسطينيون بعض أقسام الحكومة المركزية إذا اعتبر المندوب السامي أن ذلك أصبح في حيز الامكان .

١١ - ينشئ المندوب السامي مجلساً لمشروعات الانشاء والتنظيم ، ومجلساً لتحديد الرسوم الحكومية ، مؤلفين من مندوبي الحكومة المركزية وممثل للمناطق .

١٢ - ينشأ في منطقة القدس مجلس له صلاحيات المجلس البلدى ،
وينتخب معظم أعضائه انتخاباً على أن يكون للسندوب السامى تعيين عدد
معلوم منهم .

١٣ - تكون منطقة النقب تحت إدارة الحكومة المركزية فى الوقت
الحاضر .

١٤ - إن السيطرة على الهجرة اليهودية تبقى من خصائص الحكومة
المركزية على أن تكون فى نطاق الاستيعاب الاقتصادى لثاية منطقة ، وعلى
أن لا يجوز للحكومة المركزية أن ترخص بهجرة تجاوز الحد الذى تقترحه
الحكومة الاقليمية .

وبناء على ذلك فلحكومة المناطق العربية حق التمتع بتمام الساطة لمنع
مهاجرة اليهود إلى مناطقها ، كما تتمتع المنطقة اليهودية بحق قبول أى عدد
من المهاجرين ترغب فيه حكومتها .

هذه هى الخطوط الرئيسية لمشروع موريسون غريدى ، ويقترح الخبراء
أيضاً كجزء منه أن يصبح فى حيز الامكان قبول توصيات اللجنة الانكوار أمريكية ،
القائلة بإدخال مائة ألف مهاجر يهودى فى الحال إلى فلسطين ، وباستمرار
حركة المهاجرة بعد ذلك . وقد وضع الخبراء مشروعاً لنقل المائة ألف
يهودى من أوروبا إلى المنطقة اليهودية فى فلسطين ، على أن يكون نقلهم
وتأمين معيشتهم شهرين فى فلسطين على نفقة الحكومة الأمريكية . وفى
المشروع توصيات بشأن ترقية أحوال العرب الصحية والثقافية والاجتماعية
والزراعية ، تمويل بهبات مالية لحكومة فلسطين ، كما أن فيه توصيات بشأن
مساعدة شرق الأردن خاصة ، وسورية ولبنان ان أمكن ، على تنفيذ
المشاريع وعقد القروض التى يمكن استفادة فلسطين منها (١) .

(١) يجرى قياس موارد الماء المشتركة بالسرعة الممكنة مع نظرة الى تنمية اقتصادية
للمنطقة من فلسطين وشرق الأردن على أن يتم ذلك كله بمساعدة الحكومة الأردنية .

وقال موريسون في ختام عرضه للمشروع إن حكومته أخطرت الحكومة الأمريكية باستعدادها لقبول هذه التواصي كأس للمفاوضات، وعبر عن أمله في أن يصله رد الرئيس ترومان بعد اجتماعه مع المندوبين الخبراء الأمريكيين الذين عادوا توأ إلى بلادهم لمناقشة الرئيس في تفصيلها، لأن تنفيذ المشروع يتوقف على تعاون الولايات المتحدة. وأعلن موريسون كذلك أن حكومته قد دعت مندوبي العرب واليهود إلى لندن لمناقشة مشروع المندوبين الخبراء. وامتدح المشروع بأنه يطلق يد اليهود للتحكم في الهجرة إلى منطقتهم حيث تلقى قيود نقل الأراضي، ويتخلص العرب نهائياً من شبح السيطرة اليهودية، ويتمتعون بقسط وافر من الحكم الذاتي مصحوباً بضمانات قوية لصون حقوق الأقلية العربية في المنطقة اليهودية.

والمشروع في نظر موريسون أيضاً، يترك الطريق مفتوحاً للوصول إلى تقدم سلمي وتطور دستوري إما نحو وحدة اتحادية (فدرالية) أو (في حالة ثبات عوامل التباعد) نحو التقسيم (١).

ردود ومناورات :

رفض العرب فوراً المشروع، وأصروا على أن تبقى بلادهم موحدة في ظل حكومة ديمقراطية. والصهاينة رفضوه بحجة أن منطقتهم غير متسعة وأن الهجرة ليست بأيديهم. وفي المناقشة التي جرت حول المشروع في اليوم التالي أعلن السير سترايتفورد كريپس Cripps عزم حكومته على مناقشة خطة الاستقلال الاقليمي هذه في لندن مع ممثلين يهود من مختلف البلدان، ومن

(١) انظر نص خطاب موريسون مع مقترحات مشروع موريسون - غريفي في «الوثائق الرئيسية» المصدر السابق ص ٤٠٠ - ٤٠٧ من مجلة من مجلس العموم - هانسارد بتاريخ ٣١ تموز - يولييه ١٩٤٦ :

فلسطين على السواء دون إهمال الوكالة اليهودية ، ومع عرب فلسطين والدول العربية دون دعوة المفتي . وقد اتضح في النقاش الذي جرى في اليوم التالي أن خطة موريسون لم تكن خطة جديدة من وضع الخبراء البريطانيين والأمريكيين ، وإنما خطة كانت وزارة المستعمرات في حكومة الحرب الائتلافية قد وضعتها كبديل عن مشروع التقسيم ، في حالة عدم القبول النهائي به (١) . وألقى تشرشل كلمته فقال : « إن على الحكومة أن تقول إنه إذا لم تتقدم الولايات المتحدة وتشارك في عبء القضية الصهيونية ، كما هو محدد أو كما هو متفق عليه ، فيتوجب علينا الآن أن نحيطها بأننا سوف نعيد انتدابنا إلى هيئة الأمم المتحدة ، وإننا سوف نجلو عن فلسطين ضمن فترة معينة (٢) » ، ترى هل يلوح تشرشل بالخروج الذي ينقذ بريطانيا من المأزق ، والخروج الذي اقترحه وهو ما كانت تصبو إليه الصهيونية ، وما فعلته حكومة العمال فيما بعد ، هو إلقاء مسؤولية البت في مشكلة فلسطين على عاتق الولايات المتحدة ، حتى إذا حققت الصهيونية أغراضها جزئياً أو كلياً ، كان بوسع البريطانيين أن يدعوا بأن الأمريكيين قد خدعوا العرب ، وأن بريطانيا بريئة من كل ذلك .

ولكن تشرشل لا يكتفي بهذا فيتحدث في مجلس العموم ناقداً سياسة العمال بقوله : « إن حكومة جلالاته بتخليها المبكر عن حقوق معاهدتها مع مصر ، وخاصة في منطقة قناة السويس ، مضطرة الآن للتفتيش عن أرض تقفز عليها في فلسطين لتحمي القناة من خارج مصر . . وبهذه السياسة غير الحكيمة فسوف يمكن اتهامنا بأن لنا دافعاً قومياً استراتيجياً للاحتفاظ

ibid., 5th ser. Vol. 126, coll. 984-5.

(١)

ibid., 5th ser. Vol. 426, col. 1256.

(٢)

بمركزها في فلسطين^(١)، وتشرشل بتصريحه هذا لا يعرض سياسة خصومه العمال فحسب، كما هو مألوف بين المعارضة والحكومة، وإنما يحرض على الأمانى الوطنية المصرية، وهو هنا يلتقى مع الصهاينة ويساند الدعاوى التي كانت تطلقها آنذاك أجهزة الاعلام الصهيونى فى استغلال مطالبات الوطنيين العرب بالاستقلال والجلاء، فتسعى بحيث متعمد إلى تشويه القضايا القومية بنية إحداث الوقعة بين العرب وبريطانيا، وتحذر الشعب البريطانى من مغبة الجلاء عن أرض مصر، ويصحب ذلك حملة من النشرات والتصريحات الصهيونية توحى بمهارة المحترف لحكومة العمال بأنها اذا اضطرت للرضوخ أمام المطالب المصرية الوطنية وقبلت بالجلاء عن قواعدها بمصر، فاليهود لن يقبلوا بإنشاء قاعدة بريطانية واحدة فى فلسطين إلا إذا وافقت حكومة العمال على مطالب الصهاينة بمذافيرها. وهذه الحملة الهادفة إلى عرقلة انماء مناصات المصرية البريطانية، تكررت بالنسبة لعلاقة بريطانيا مع شرق الأردن والعراق، أينما شاءت الظروف للشعور القومى فى تلك الدول أن ينبثق فى شكل إعراب عن استياء الأمة العربية من التواءات السياسة البريطانية وبماطلتها فى تنفيذ وعودها. وإذا فشلت بريطانيا فى تلبية هذه المطالب فعليها أن تواجه موجات الارهاب الصهيونى فى فلسطين.

ورأت بريطانيا بثاقب نظرها أن لا تستجيب سريعاً إلى مطالب الصهاينة، فراحت تحاور وتماطل أملاً منها فى إيجاد تسوية تنال موافقة العرب واليهود على السواء وتحظى بموافقة الصهاينة «المعتدلين» بغية شطوهم عن «المتطرفين»^(٢). وأدرك زعماء الصهاينة، اللعبة البريطانية، ففضوا

ibid., col. 1262.

(١)

Lilienthal. op. cit., p. 40

(٢)

يشددون التكبير على بريطانيا في الأوساط الأمريكية ، كما عمدوا إلى تسهيل الهجرة اليهودية غير المشروعة متحدّين سلطات الانتداب .

وبالنسبة لمعظم الأمريكيين كان الصراع الذي تدور رحاه على أرض فلسطين مجرد مأساة اللاجئين اليهود الذين يقاتلون من أجل الحصول على مأوى لهم . وهذه المرة يقاتلون مضطهدين الجدد من الانكليز . وحين تشددت الحكومة البريطانية في تطبيق قيود الهجرة ، تصاعدت مشاعر العداء لبريطانيا في الولايات المتحدة . ومارست اليهودية الأمريكية المنظمة أقوى الضغوط على الرأى العام الأمريكى والسياسيين ، ومضت تذكّرهم بأن ما يجرى هو من نوع الحرب التي كان النوار الأمريكيون يقومون بها ضد نفس الدولة الامبريالية . وأنواع التكتيك البريطانى في فلسطين قورن مع تلك التي استعملت لوقت طويل ضد المقاتلين الارلنديين من أجل الحرية (١) وهكذا لم يقابل الرأى العام الأمريكى أعمال الصهاينة الارهابيين بالاستنكار والاستهجان ، كنسف فندق الملك داود في القدس بما فيه من النزلاء والموظفين والخدم الأبرياء . أما العرب فقد كان عليهم أن يحاربوا الانكليز والصهاينة معاً ، ويطالبون بقيام دولة عربية مستقلة في الأرض المقدسة .

ومبررات الارهاب لدى الصهاينة تستند إلى تقاليد عريقة في الخداعة والتحوير والتزييف ، ثم اختلاق المواقف والحجج ، والتعهد بمواثيق مكذوبة ، كل ذلك بلا أخلاقية تتخذ النجاح العملى مقياساً في خدمة قضيتها .

فالذين أغرقوا (الباتريا) و (ستروما) مثلهم كمثل الذين نسفوا فندق

الملك داود ، جماعة من منكوبي اليهود الذين تقطعت في صدورهم أواصر العزم والإيمان ، بسبب نكول بريطانيا عن وعودها لليهود ، الأمر الذي دفع هؤلاء (الإرهابيين) إلى حافة اليأس ، وعند لصهاينة أن خطاب يمين ساعد على استنارة أعمال العنف ، وأن لإنامة المعسكرات البريطانية في جنوب فلسطين لعبة مزدوجة تستثمر بريطانيا فيها فاجعة اليهود والاستمرار في انتدابها ، في حين أنها تحاول أن تنمّص من مختلف مسؤولياتها بموجب ذلك الانتداب (١) . وأن هذا التصرف من حكومة بريطانيا لإزاء الوكالة اليهودية أفقد هذه سلطتها على اليهود ، بحيث أصبح هؤلاء يرون في الإرهاب وسيلة لإقناع بريطانيا والقضاء على ترددها ، وما إلى ذلك مما سبقت الإشارة إليه.

ولكن الصهيونية تسكت عن مهادنة بريطانيا لإرهابها في فلسطين وخضوعها للنفوذ الصهيوني المتحكم في أوساط البيت الأبيض والكونغرس الأمريكي ، وتدّعي لما تمليه عليها الحكومة الأمريكية. تسكت بريطانيا لأنها تواجه أزمة مالية سيئة في الداخل وشتاء قارصاً يهدد بتفاقم أزمة الوقود ، فتعدو مشكلة فلسطين في المرتبة الثانية من الأهمية ، ويكون الطرف (إذ ذاك) موانياً لغض الطرف عن سلسلة فعال القتل والتدمير التي لا يظهر بصدها شيء للرأي العام لا في الصحف والإذاعة ، ولا في الأوساط السياسية .

ومع أمريكا فالإعلام الصهيوني لا يستطيع مخادعة موظفي وزارة الخارجية الأمريكية المطلعين على خفايا سياسة الشرق الأوسط والحريصين على مصالح بلادهم ، لذا فهؤلاء الموظفون مع خبراء وزارة الدفاع في واشنطن كانوا في رأى الصهيونية ينظرون إلى الشرق الأوسط بعيون بريطانيا من خلال المصالح النفطية التي كانت تلعب دورها (٢) ، دع أن اليهود لا دولة لهم ،

Hurewitz, ob. cit, p. 254

(١)

Sacher, op. cit , p. 64

(٢)

بينما تزهر سبع دول عربية بمقاعدھا في المؤسسة الدولية في حين أن العرب لا يجب أن يحسب لهم حساب . فعرب فلسطين منقسمون لانهية خلافاتهم، والمتى رئيس اللجنة العربية ضالع مع المحور الذي حاربه الديموقراطيات الغربية ، والدول العربية تحسبها جميعاً وقلوبها شتى ، في حين أن الدولة اليهودية المرتقبة على أرض الشرق الأوسط ، ستكون حليفاً قويا يساند المصالح الغربية ويحميها . وأهم من هذا وذاك فالقنات اليهودية الضاغطة ، والمرجحة لنجاح أحد الحزبين في الانتخابات ، يجب إحلالها محلها للاتق ، وهذا ما حاولته الصهيونية بنجاح تام مع الرئيس ترومان .

والحق أن الكتاب الأييض لعام ١٩٣٩ نفس سياسة وايزمن المستندة إلى (التدرج) والرامية إلى تحقيق الهدف الصهيوني بالتعاون الدبلوماسي الماهر مع بريطانيا ، وذلك حين حددّ الهجرة اليهودية ووعد بوقفها بعد خمس سنوات . وعندما ظهر للصهاينة أن الانتداب أمسى حجر عثرة في سبيل توفير غالبية يهودية في فلسطين ، تطلع الصهاينة إلى الولايات المتحدة كمصدر أساسي لدعمهم . وإذ بدا لبريطانيا أن تحديد الهجرة اليهودية إلى فلسطين هو أمر ضروري لأغراض المجهود البريطاني الحربي ، طالبت الزعامة الصهيونية بانتهاء الانتداب بعد أن استنفد غرضه . وهذه نقطة تحول هامة تجب الإشارة إليها .

وتضامناً مع عدم التعاون الصهيوني في فلسطين ، أخذ صهاينة الولايات المتحدة يتحدثون عن إنشاء كومنولث يهودي بعد الحرب ؛ ولما ظهرت بريطانيا حريصة على عدم الضلوع الكامل مع البرنامج الصهيوني ، باشرت الصهيونية تنظيم اليهودية الأمريكية وحشدھا وراء برنامج بلتور . حتى إذا تم لها ذلك ، أمكنها الادعاء بأنها تتحدث بلسان اليهودية الأمريكية ذات الوزن الانتخابي المعبر ، لمضالبة حكومة أقوى دولة بعد الحرب بدعم هدفها . وتوفي روزفلت ، والصهاينة ما زالوا بعيدين عن هدفهم ، ولكن عهد ترومان هو الذي يسجل التأيد المطلق للبرنامج الصهيوني الذي استطاع بمختلف

الأساليب تكوين فئة قوية مرتفعة الصوت ذات مصلحة ، تستطيع استخدام الأجهزة السياسية الأمريكية ليصبح البرنامج الصهيوني جزءاً من سياسة أمريكا الخارجية . وفيما يلي سنكشف حلقات الاتصال المباشر بين النشاط الصهيوني المحموم ، وتطور الدبلوماسية الأمريكية في هذه الفترة الحاسمة ، وسرى أن التكنيك الصهيوني قد أوقع ترومان في فخ أحسن لإعداده . واليكم التفصيل :

لم تكن بوادر قبول واشنطن بمشروع موريسون مشجعة ، ولا عجب في ذلك ، فإنه بغض النظر عن الاحجام التقليدي لحكومة الولايات المتحدة وشعبها عن الارتباط بالتزامات فيما وراء البحار وقت السلم ، فإن انتخابات الكونغرس في تشرين الثاني - نوفمبر المقبل . التي حى وطيسها في هذه الآونة ، قد جعلت ترومان هدفاً سهلاً أمام المناورة الصهيونية . ولم يكن يتوقع من الحزب الديمقراطي آنذاك أن يعمل شيئاً باستثناء التنافس مع المعارضة الجمهورية على اكتساب تأييد الفئات الضاغطة الصهيونية .

ولا حاجة إلى القول بأن الصهيونية والحزبية الأمريكية كانت تتبادلان المنافع المشتركة ؛ فالهبات المالية المعفية من ضريبة الدخل والتبرعات والاعانات كانت تتدفق لمساعدة المنظمات الصهيونية ، فتتفق هذه جزءاً منها على تنظيم الحملات الانتخابية لهذا الحزب أو ذاك - وكان للحزب الديمقراطي نصيب الأسد ، وتمد بها خزائن لجان الحزب وشؤونه العامة ، مقابل عرفان الحزب المنتصر لجمل أعدائه الصهيينة ، وذلك برد هذه الأموال بأسماء معونات « إنسانية ، واستخدام الصهيينة لها في الاتفاق على تهريب الارهابيين اليهود من أوروبا إلى فلسطين ، وفي تصدير السلاح والعتاد الحربي إلى منظمات الصهيونية في فلسطين . وما يلفت النظر في هذا الصدد أن المساعدات الأمريكية للمنظمات الصهيونية ومؤسساتها ، باعتراف الصهيينة ، زادت عن مليون ونصف جنيه سنوياً فيما بين ١٩٣٩ ، ١٩٤٤ ، إلى أن أصبحت أربعة

ملايين جنيهه سنة ١٩٤٥ ، ثم قاربت الستة ملايين في ١٩٤٦ (١) . أما المساعدات السرية فترتفع بالمساعدات أضعا هذه الأرقام ، وهي دليل على مدى التوافق بين الصهيونية والحزبية . وحين اجتمع جيمس فورستال وزير الدفاع الأمريكي مع بيرنز وزير الخارجية على غداء أواخر عام ١٩٤٧ واستمع فورستال إلى أسرار الضغط الصهيوني الشديد على الرئيس ترومان ، قال لمحدثه معرضاً بالصهيونية : « إنني أعتقد أنها حقيقة مدمرة ومؤسفة أن تُقرر السياسة الخارجية في هذه البلاد ، بموجب ما تساهم به كتلة معينة ذات مصالح خاصة نحو صندوق الحزب » (٢) . وقد سعى فورستال إلى الإلحاح على وجوب عدم التحيز لأي من العرب واليهود ، حرصاً على مصلحة الولايات المتحدة النفطية في الشرق الأوسط ، وبدأ حملته ليقنع زعماء الحزبين بوجهة نظره . ويصف ما لقيه في هذا الصدد بقوله : « وجدت موافقة تامة على الرغبة في هذا الهدف من مختلف الجمهوريين الآخرين ، وليس من الزعامة الجمهورية . . ومن الجانب الديمقراطي لقيت تجاوباً حول « أهمية وخطورة الحالة » ولكن معه ادراك بأن جزءاً جوهرياً من أموال الحزب الديمقراطي أتت من مصادر صهيونية مبالغة لتطلب مقابلها حق الحجز على هذا الجزء من سياستنا القومية » (٣) .

وقبل أن ينشر مضمون مشروع موريسون - غريدي ، كان جيمس مكدونالد الذي تعرف هواه الصهيوني في لجنة التحقيق ، قد أقنع عضوين بارزين في مجلس الشيوخ ومؤيدين للصهيونية للانضمام إليه بقصد الاحتجاج لدى ترومان ضد المشروع . ويبدو أن ترومان كان على استعداد لقبول المشروع طالما يضمن هجرة المائة ألف ، ولكن الصهاينة ربما أدركوا الآن

(١) Jewish National Finances, 2nd issue of 1947, pp. 66,68

Millis, op. cit., p. 347

ibid., p. 360

(٢)

(٣)

خطأهم في إلحاحهم فقط على هجرة هذا الرقم ، ولذا مضى اليهود الصهيونية من مستشارى الحزب الديمقراطي يندرون الرئيس من الأثر السئ المحتمل للتصويت اليهودى فى انتخابات تشرين الثانى - نوفمبر القادمة إذا تابعت الحكومة دعمها للمشروع . وإذ جوبه ترومان بهذه المعارضة الصهيونية القوية ، تردد ، بينها وبين نصيحة وزير خارجيته بيرنزالذى اجتمع فى باريس يوم ٢٨ تموز-يوليه مع اتلى ، والذى كان من رأيه قبول المشروع . وبعد أن تداول ترومان مع وزيرى الخارجية بيرنز والدفاع فورستال ، ومع نائب وزير الخارجية أتشيسون بشأن قضية فلسطين ، رأى أنه سيعلم قراره النهائى بعد أن يتباحث مع الأعضاء الأمريكين السنة فى لجنة التحقيق لمعرفة رأيهم بشأن المشروع الجديد ، كذلك اجتمع ترومان مع لجنة الخبراء الوزارية التى عادت لتوها من لندن ، وكان من الطبعى أن ينظر الأعضاء الستة الى مشروع موريسون على أنه يتناقض مع تواسيهم الأولى ، فيقرروا بالاجماع رفضه (١). وفى الوقت نفسه وجهت الى ترومان نداءات من الأعضاء اليهود البارزين فى الكونغرس ، ومن ثلاثة أعضاء فى اللجنة الأنكلو أمريكية هم كرام ومكدونالد وباكتون ، ونتيجة لهذه الجواذب والدوافع والمباحثات والتحذيرات ، تخلى ترومان عن المشروع خلاف نصيحة وزارة الخارجية ، وفى ١٢ آب-أغسطس أنهى ترومان الى رئيس الوزارة البريطانية أتلى : « لا أستطيع أن أؤيد رسمياً الخطة فى شكلها الحاضر كخطة انكلو أمريكية مشتركة ، فالمعارضة للخطة فى هذه البلاد أصبحت من العنف بحيث اتضح أنه يتعذر حشد القوة الكافية من رأى العام لتأييدها بصورة مجدية (٢) » . ونتيجة لذلك لم تمثل الولايات المتحدة فى لندن القادم ، وانسحب ترومان من الجهود المشتركة مع بريطانيا لحل مسألة فلسطين انسحاباً مؤقتاً . ويبدو أن المعارضة الصهيونية للمشروع استندت الى

Burewitz, op. cit., p. 259

(١)

Truman, op. cit., II. p. 152

(٢)

قرار سرى تبنته تنفيذية الوكالة اليهودية ، ويهدف الى انشاء دولة يهودية مستقلة في جزء من فلسطين ، وأوصلت تفاعيله الى الحكومتين الأمريكية والبريطانية (١) . ذلك أن من بقى طليقاً من أعضاء تنفيذية الوكالة اليهودية عقدوا اجتماعاً في باريس بحضور بن غوريون الذي كان على قائمة المطلوب اعتقالهم في فلسطين ، وكانت الوكالة قد أعلنت في ١٠ آب - أغسطس رفضها لمشروع موريسون ؛ وقد اتضح أنه برغم تهديد ما يسمى بحركة المقاومة بتصفيد عملياتها الارهابية إذا لم يتخل البريطانيون عن تشدهم في تطبيق قيود الهجرة ويوسع الأراضي ، فإن إجراءات سلطات فلسطين القمعية قد هزت ثقة تنفيذية الوكالة بنفسها ، فألت على نفسها أن تطبق مبدأ المرحلية والمرونة في اعلان مطالبها ، وذلك بالتراجع عن برنامج بلمور الذي كان زعماء الصهاينة قد أبرزوه الى اللجنة الأنكلو أمريكية (٢) على أنه سياستهم الرسمية ، ووضع خطة في باريس لإنشاء دولة يهودية قادرة على الحياة في رقعة مناسبة من فلسطين ، بدلا من دولة يهودية في كل فلسطين ، وأبدت التنفيذية استعدادها لمناقشة هذه الخطة واقترحت الوكالة أن تكون الرقعة المخصصة لليهود مشتملة الجليل والسهل الساحلي - كما نصت توصيات تقسيم عام ١٩٣٧ - مضافاً اليها النقب وباقي البلاد ، وهي المناطق الجبلية ووسط فلسطين الشرقي وجزء إلى البحر عند يافا مخصص للعرب .

والدولة اليهودية تمارس استقلالاً كاملاً ذاتياً مع الإشراف على الهجرة والسياسة الاقتصادية . . وسيكون لبريطانيا حقوق أفضلية مماثلة لما تضمنته

(١) Jewish Agency Political Survey 1946-7. pp. 12-18

28-29 quoted by Hurewitz., p. 260.

(٢) يقول الرعيم الصهيوني ساكر في كتابه : « إن الزعماء الصهاينة كانوا يميلون بقرارات اللجنة الأنكلو أمريكية (من حيث المبدأ) . صحيح أنه لم يسلح الوكالة دولة يهودية ، ولكنه أبطل الكتاب الأبيض الذي كانت تعاربه الوكالة ، وفتح الامكانيات للاعداد للهجرة والتنمية » .

Sacher, op. cit., p. 189

معاهدتها الأخيرة مع شرق الأردن، وبما في ذلك القواعد البحرية والعسكرية وينقل هيروتز عن وايزمن أنه قال: «لا يستطيع أى ممثل يهودى الذهاب إلى أبعد من هذا المشروع (١)». ويلاحظ أن الخطة لم تطالب بالقدس، وقد طار أحد أعضاء اللجنة التنفيذية بالخطة إلى الولايات المتحدة لتحتل بتأييد الرئيس ترومان. ثم مضى وايزمن وعضوان أمريكيان من أعضاء اللجنة يضغطون في ١٥ آب - أغسطس على وزير المستعمرات هول لقبولها أساساً في التفاوض مع لندن (٢). ولكن لم يتم التوصل إلى اتفاق بينهما، يؤدي إلى مشاركة الوكالة اليهودية رسمياً في مؤتمر لندن الذي دعت حكومة لندن إلى عقده في ١٠ أيلول - سبتمبر. فالحكومة البريطانية أصرت على أن يكون مشروع موريسون هو أول بند في جدول أعمال المؤتمر، مع ترك الحرية الكاملة للوفود العربية واليهودية في اقتراح تعديلات عليه. ولكن الوكالة اليهودية طلبت أن يكون لها الحرية الكاملة لا في اختيار مندوبيها إلى المؤتمر بما فيهم المعتقلين أو المطلوب اعتقالهم فحسب، وإنما أيضاً في إصدار الدعوات إلى جميع أعضاء الوفد اليهودي الذي سوف يتضمن ممثلين عن الأجهزة والمنظمات اليهودية بخلاف الوكالة، وذلك بالتشاور مع الحكومة البريطانية.

ولو أن الحكومة البريطانية قبلت إدراج خطة التقسيم الصهيونية في جدول المؤتمر لنسفت مؤتمر لندن، ولذلك رفضت العرض الصهيوني، ولكنها

ibid

(١)

(٢) في مؤتمر بال الصهيوني الذي انعقد في ٩ كانون الأول - ديسمبر ١٩٤٦ صرح المفاوضون عن هذا التمييز في السياسة الصهيونية بأن تنفيذ الوكالة لم يكن لها الخيار في وقت وجدت فيه نفسها أمام عقبة كثرود، وأم تسكن على اتصال مع الحكومة البريطانية، وكان زعماء فلسطين الصهاينة مهملين، ولو لم يقدم العرض لفسدت أمريكا يديها من هذه المشكلة الزمجة بأكلها.

Dr. Nahum Goldmann in *Zionist Review*, Dec. 20, 1946 pp. 6-7,
cf. Rabbi Silver in *New Judaea*, Dec. 1946 - Jan. 1947, p. 61.

لاحظت التبدل الذي جد في تفكير بعض القادة الصهيينة ، ولذا فبعد انتهاء المؤتمر سوف تستأنف المحادثات بينها وبين وايزمن . والباحث يرى أن هذا العرض الصهيوني إنما كان مناورة قصدت بها الصهيونية إلى دفع شيء والحصول على شيء . دفع ماغديتهم بها به خصومها من موقف التصلب والجود والسلبية الذي تقفه إزاء مقترحات الخبراء البريطانيين الأمريكيين التي تضمنها مشروع موريسون غريدي ، والتي كان ترومان في البداية مرحباً بها مع وزارة الخارجية الأمريكية . والحصول على نتيجة تزويد ترومان برد إيجابي على مشروع موريسون ، بإبراز خطة تقسيم مقابلة له ، لا تكفي بإدخال المائة ألف يهودي إلى فلسطين فحسب ؛ وإنما تتبني جزءاً لا يستهان به من البرنامج الصهيوني ، وتزحزح ترومان في هذه الفترة العصية عن موقف التردد والحيرة الذي انتهى إليه ، والذي كان يتأرجح بين الضغط الصهيوني عليه لرفض مشروع موريسون ونصيحة وزارة الخارجية له بقبوله . وأهم من هذا أنه بدا للصهاينة أن الولايات المتحدة وهي البلد الذي تطمع بدعمه موشة أن تملص من هذه المشكلة الفلسطينية التي سببت بعض البرود مع بريطانيا بفعل النشاط الصهيوني المحموم . وإلى أن ينجح الصهاينة في حمل ترومان على رفض المشروع رسمياً ، بعد أن قوى مركزهم في المساومة الانتخابية كما سنرى ، مضى ترومان يبحث عن حل للناحية الإنسانية من مشكلة اللاجئين اليهود الأوربيين (١) ، وذلك حين فصل مشكلتهم - جزئياً على الأقل عن القضية الفلسطينية ، وعبر عن أمله في أن تسمح بلاد مختلفة بدخول كثير منهم إلى أراضيها ، وحين عزم ترومان على إدخال عدد معين من المشردين الأوربيين إلى الولايات المتحدة ، لم تصادف خطته في الحصول على صلاحية إدخالهم من الكونغرس ،

أى تأييد من الصهاينة ، تماماً كما جرى في عهد سلفه روزفلت (١) .

ومهما يكن من أمر ، فإن جمود الموقف الأمريكي من مشروع موريسون - غريدي ، وقد كان موضع أمل بريطانيا ، قد ألجأها الى محاولة سلوك الطريق الدبلوماسي ككرة أخرى فدعت العرب واليهود الى مؤتمر لندن كما سبق وأشرنا لمحاولة إيجاد حل يرضى وجهة نظر كل منهما . وافقت سبعة من الدول العربية على حضور هذا المؤتمر ، بشرط أن يكون العرب أحراراً في مناقشة مشروعهم الخاص ، وأن تكون فلسطين دولة عربية مستقلة ، وأن لا يشترك الصهاينة والأمريكان في المحادثات (٢) .

(١) منذ كانون الأول - ديسمبر ١٩٤٥ أصدر ترومان تعليمات مرمجة الى وزاري الخارجية والحربية وبعض السلطات الفدرالية الأخرى لتقدم كل التصييلات الممكنة على وجه السرعة لهجرة الأشخاص المعمرين الأوروبيين إلى الولايات المتحدة ضمن قوانين الكوتا والكونفرس الذي غالباً ما كان يحضه لضغط الثواب اليهودية ، لم يتخذ طلب الرئيس بخصوص تطبيق الكوتا غير المستعملة على المعمرين الأوروبيين (وكانوا خليطاً من سكان النمسا وبولندية وهنغاريا ورومانيا ، منهم حوالي نصف مليون كاثوليكي ومائة ألف يروستاني وحوالي ٢٠٠ ألف يهودي ، بحسب تقديرات اللجنة الأنكلو أمريكية — Lilienthal, p. 28) . وفي مؤتمر الحزب الجمهوري الثامن الذي انعقد عام ١٩٤٧ تقدم عضو الكونفرس وليم ستراتون Straton بمشروع قانون لقبول الأوروبيين المعمرين « بعدد يساوي جزءاً من مجموع أعداد الكوتا غير المستعملة خلال سنوات الحرب » ، بحيث يمكن لأربعمئة ألف معمر من مختلف الأديان الدخول إلى الولايات المتحدة . وكافت لجنة خاصة بالاستماع إلى الآراء وتسجيل الشهادات بخصوص هذا التعمير (H R 3910) ودام عملها ١١ يوماً واستقر في تقريرها ٦٩٣ صفحة منها ١١ فقط لأراء المنظمات اليهودية ومطالبها ، « وقد ظهر وافي الحقيقة غير متبين كلية » بينما في عام ١٩٤٤ حين كانت لجنة الشؤون الخارجية في الكونفرس تنظر في مشروع رايت وكومستون الذي دعا إلى إقامة كومنولث يهودي — كما رأينا — ندر أن تحفلت منظمة صهيونية من أداء شهادتها والادلاء برأيها المؤيد جداً للمشروع . وقد ملاء دعم المشروع ٥٠٠ صفحة خلال أربعة أيام ، معظمها للصهاينة وأصارهم أما بالنسبة لمشروع ستراتون الذي كان يمكن أن يفتح أبواب الولايات المتحدة أمام ٤٠٠ ألف من المعمرين الأوروبيين بما فيهم اليهود فقد تجاهلت الفئات الصاعدة الصهيونية دعمه ، في حين كانت المنظمات الصهيونية آنذاك تلوم جميع الأموال والعناصر للولايات المتحدة لتخفيف عن الآلام الإنسانية « أهؤلاء المعمرين .

Lilienthal, pp. 34-35

Murewitz, op. cit., p. 259

(٢)

وكانت الدول العربية يحذوها الأمل بأن بريطانيا في هذه الفترة وصلت في علاقاتها مع الصهاينة وأنصارهم الأميركيين إلى درجة من الاستياء الواضح الذي لم تستطع إخفاؤه ، وخاصة بعد إصدارها الكتاب الأبيض في ٢٤ تموز - يولية عن فعال الارهاب الصهيوني في تفصيل مع ضلوع الوكالة اليهودية تماماً فيه ، وقد تطلعت الدول العربية بكثير من الترقب الايجابي إلى المؤتمر القادم لحل بريطانيا تنصف وجهة نظرهم ، وتنصر جانب العدالة والحق . وتجا في الحقيقة إذا قلنا إن الدول العربية قد أعدت للأمر عدته على أحسن وجه ؛ إن تقصيرها يبدو مجلأ حين نراها لا تستغل هذه الآونة بالذات للتوصل إلى حل مرض مع الحكومة البريطانية ، ومن المؤسف أن دول الجامعة العربية لم تكن بعيدة النظر فتعد نفسها بالتسريح والدعم السياسي لمركزها والتوحيد لعملها والتنظيم لصنمها ، وتعد نفسها لمواجهة الضغط الأمريكي عن طريق شرح عواقبه للمسؤولين في واشنطن شرحاً منصفياً لا يكتفى بمجرد الاحتجاج والتأويل بوجهة نظر جامدة ، وإنما ينقل من أسلوب المطالبة بالحق عن طريق المذكرات والاحتجاج ، إلى الضغط المضاد المهدد للمصالح الأمريكية المتعاظمة الأهمية في البلدان العربية ، دون إغفال الحصول على السلاح والعتاد تحرزاً من قيام حرب .

أما الصهاينة فكان كبار زعمائهم في الولايات المتحدة يضغطون بكل الوسائل على ترومان ليستخدم المقدرة الأمريكية وقواتها المسلحة بهدف تحقيق أماني اليهود في فلسطين^(١) . وأفلحت مساعي الصهاينة في ١٤ آب - أغسطس حين قدم ترومان إلى الحكومة البريطانية المشروع الذي أقره الصهاينة في باريس ، والذي ينص على إعطاء اليهود منطقة الدولة اليهودية تقريباً التي

أوعت بها اللجنة ييل الملكية عام ١٩٣٧ مضافاً إليها النقب ، وقد عقب ترومان على المشروع بأنه يستحق نظرة جديدة (١) .

ولجأت الصهيونية إلى الضغط على الحكومة البريطانية عن طريق تصعيد حركة الهجرة غير المشروعة إلى فلسطين وتصعيد فعال الارهاب وما إلى ذلك . فالمهاجرون غير الشرعيين كانوا يُطرحون من الكوتا الشهرية (١٥٠٠) ، وبعد أن يوقفوا عدة أسابيع يطلق سراحهم عموماً . ولكن تفاقمت الهجرة في شهر تموز-يولية حين وصلت ثلاث سفن تحمل أكثر من ٤٠٠٠ يهودي ، فاحتجزها الأسطول البريطاني في حيفا ، ولجأت السلطات إلى تشديد الحصار على فلسطين فزيّدت دوريات البحر والجو ، وطلب من الحكومات الأوروبية أن تحول دون مرور اليهود من أراضيها إذا لم يحملوا أوراقاً رسمية . وفي ١٢ آب - أغسطس وصلت سفينتان تحملان ١٢٩٣ يهوديا إلى مياه فلسطين ، وقيل أن آلافاً غيرهم في طريقهم إلى فلسطين ، فأعلنت الحكومة البريطانية في اليوم نفسه في بيان رسمي ، أن استمرار الهجرة غير المشروعة في حجمها الحالي يرجح أن يكون له مفعول معاكس لآمل التوصل إلى تسوية عامة في فلسطين ، وأن الحكومة البريطانية قد أحاطت سلطات فلسطين بأنه يجب التوقف عن ادخال المهاجرين غير الشرعيين ، وإن هؤلاء سوف ينقلون إلى قبرص أو أي مكان آخر ، حيث سيمكثون هناك في معسكرات حتى يتخذ قرار بشأن مستقبلهم (٢) .

وهرح البيان المذكور بأن دولة الانتداب لا يمكن أن تتسامح مع محاولة أقلية من المتطرفين الصهاينة استغلال آلام الشعب المنكود بحد خلق حالة

Suppl. Mem op. cit , p. 16

(١)

ibid.

(٢)

تفتت على التسوية العادلة لمسألة فلسطين^(١)، وعلى ذلك جرى نقل ركاب السفينتين إلى قبرص ، وقد أثارت هذه التدابير لدى الصهاينة عاصفة من المظاهرات، والشتائم . ولكن الصهاينة قاموا بمظاهرة في حيفا يوم الترحيل وخرقوا منع التجول في محاولة للوصول إلى الميناء ، فاضطرت السلطات لإطلاق النار وأصيب ٩ من اليهود منهم ٣ أعضاء باتهم خطيرة .

وفي بحر أسبوعين اثنين قام الصهاينة بمحاولة لتدمير السفن التي كانت تستخدم في نقل المهاجرين إلى قبرص ، وأعضاءها بأضرار^(٢)، وفضلاً عن ذلك عقد المجلس الملى اليهودي (الفعّاد لثومي) اجتماعاً يوم ٩ أيلول-سبتمبر حضره رؤساء المجالس اليهودية المحلية والطائفية ، وأقر فيه قرارين كخطوة أولى في نضاله ضد حملة القمع التي تشنها الحكومة على (اليسوف) :

١ - ينقطع الأعضاء اليهود الذين يمثلون (اليسوف) في لجان الحكومة عن المشاركة في أعمال هذه اللجان .

٢ - يأخذ الفعّاد لثومي على عاتقه مع البلديات اليهودية والمجالس المحلية والطائفية تدبير مبلغ ١٠٠ ألف جنيه فلسطيني لزيادة الهجرة إلى فلسطين دون مراعاة لقيود الكتاب الأبيض غير المشروع الذي من شأنه القضاء على حركة الوطن القومي بالركود^(٣) . وجدير بالملاحظة أن الصهاينة

Hurewitz, p. 260 (١)

Suppl. Mem. p. 17 (٢)

(٣) ibid p. 18 ان ادعاء الصهاينة بأن الوطن القومي سيتلى بالركود ، ما لم تحرر حركة الهجرة اليه بنسبة كبيرة ، قد أيد عطاوف العرب التي طالما أشاروا إليها ، وهي أن مشكلة فلسطين سواء حلت بهذه الصيغة (الفدرالية) أو بموجب واحدة من خطط التقسيم ، فقد بيت الصهاينة النية على حشد رفقهم بالمهاجرين ، على أن يسببهم هؤلاء فجأة - وعندما تسنح الفرصة المناسبة - ينزرو الرقعة العربية . أما ما كان من شأن النقل إلى قبرص ، فإنه هذه اليهود الذين أنزلوا في معسكراتها بلغت حملته في نهاية أيار - مايو ١٩٤٧ نحو خمسة عشر ألف مهاجر ، وهي جله الكوتا المقررة لمدة شهر .

Kirk, & Short History . . . p 216

حتى تلك اللحظة كانوا يزعمون أن رحيل اليهود من أوروبا كان مجرد حركة ذاتية غير مدبرة .

مؤتمر لندن — الدورة الأولى :

انعقد مؤتمر فلسطين في لندن (١٠ أيلول - سبتمبر) بحضور مندوبي الدول العربية والأمانة العامة للجامعة والحكومة البريطانية ، وغياب عرب فلسطين، ودام المؤتمر في دورته الأولى حتى الثاني من تشرين الأول - أكتوبر . وعرضت الحكومة البريطانية في مطلعها على العرب مشروع النظام الاتحادي المسمى مشروع موريسون ، ولكن الدولة العربية رفضته وتقدمت وفودها بمشروع بديل . وفيما يلي شيء مما جرى ، ثبتته لا لأهميته في الكشف عن التضليل الصهيوني والتحيز البريطاني الذي ساندته ، وإنما أيضاً للدلالة على أن فهم الدول العربية للخطر الصهيوني الاستعماري آنذاك كان فهماً سليماً وعميقاً وقد أثبتت الأحداث التالية صحة توقعاته ، ولكن ما احتاجه العرب آنذاك هو العمل المنظم الموحد الذي لا يرى له هدفاً إلا استنقاذ فلسطين واقتداؤها .

افتتح أتلي رئيس الوزارة البريطانية المؤتمر بخطاب أكد فيه أن حكومته لم تتخذ أي قرار بشأن مشروع موريسون قبل مناقشته مع أعضاء المؤتمر ، وأعلن أن لكل وفد الحرية لاقتراح أية تعديلات يريتها أو لعرض أية مشروعات أخرى للوصول إلى تسوية بطرق مختلفة . ورد فارس الخوري رئيس وفد سورية على كلمة أتلي باسم الوفود العربية ، فأسف لتغيب وفد عرب فلسطين عن حضور المؤتمر ، وقال إن العالم العربي كله يقف بجانبهم ، وأشار إلى مقبة التسليح الصهيوني والارهاب الشنيع الذي تقوم به العصابات الصهيونية إذا لم تنهض الدولة المعتدبة بواجبها في حزم وسرعة (١) . وتحدث

(١) انظر الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين - المصدر السابق ص ٢٩٨-٢٩٩

عبدالرزاق السنهوري عن مصر فقال إن اقتطاع منطقة القدس والنقب من الأراضي العربية أمر غير مفهوم ، وأن المنطقة اليهودية التي ستبدأ الهجرة إليها بمائة ألف ، وتباع الأراضي فيها لليهود دون قيد ولا شرط ، سينتهي إلى تقسيم فلسطين لا إلى دولة اتحادية ، لأن اليهود أعلنوا عن هدفهم صراحة في إقامة دولة مستقلة يهودية في فلسطين وفقاً لبرنامج بلتيمور وقد رفضوا حضور المؤتمر لأنهم طالبوا أن يكون أساس البحث إقامة هذه الدولة حتى إذا ازدهت المنطقة اليهودية (بموجب مشروع موريسون) بالسكان ، فإنهم سيصبحون بعد ذلك أن منطقتهم تضيق بسكانها ، وأنهم في حاجة إلى توسيعها « ومن هنا يبدأون في الوثوب على المنطقة العربية المجاورة ، وربما على البلاد العربية المجاورة » . قال السنهوري إن هذا يعني أن العرب قبلوا تقسيم فلسطين وإقامة حكومة يهودية مستقلة ، وبذلك يحققون البرنامج الصهيوني ثم إن مثل هذه الدولة ستهدد البلاد العربية المجاورة ، وتكون بمثابة قاعدة تمكن اليهود من اجتياح العالم العربي في الشرق . وقال إن تصريح بلفور وصك الانتداب على السواء لا يشير إلى سياسة معينة ، ولا يقران حقاً شرعياً (١) .

وتحدث فاضل الجمالي عن العراق فعبر عن اهتمام بلاده بمشكلة فلسطين التي تعتبر إحدى المسائل الداخلية في العراق فضلاً عن دلالتها الوطنية والدولية ، ولأن سلامة العراق واستقراره يتأثران مباشرة بمحواتها . وقال إن الصهيونية حركة عدوانية تشتمل فكرتها على العنصرية والدين والقومية ، وهي تلتقي مع النازية في فكرة (الشعب المختار) وأن الصهاينة ليسوا من الغباء بحيث ينفقون الملايين من الجنيهات من أجل بلاد فاحلة ضعيفة ؛ لقد وفدوا للسيطرة على العالم العربي بأسره ، اقتصادياً على الأقل . وسأل الجمالي يفن

ما إذا كان يرحب بمخانة ألف نازي يجلبون إلى انكلترا بقصد تشييد أركان ودان نازي قومي ، وأعلن عن معارضة العراق لمشروع موريسون لأنه سيؤدي إلى التقسيم . « والعرب لن يوافقوا أبداً على التقسيم لأنهم هم الأم الحقيقية للطفل ، إذا نحن تذكرنا قصة المرأتين اللتين احتكنا إلى سليمان الحكيم ، (١) .

وتحدث كميل شمعون عن لبنان فلاحظ بأسف أن الحكومة البريطانية لم تنفذ من كتابها الأبيض إلا ما يساعد منه على الهجرة اليهودية ، وأهملت الالتزامات التي أخذتها على نفسها نحو السكان العرب ، إن الحديث عن مقدرة فلسطين الاستيعابية محض وهم يستخدمه الصهاينة لتبرير الهجرة الواسعة فيحققون غرضهم الحقيقي السياسي ، وهو تحويل فلسطين إلى دولة يهودية . وقال مندوب لبنان إن الموافقة على المقترحات البريطانية ستؤدي حتماً إلى أغلبية صهيونية تسيطر على فلسطين ، وأن المشروع الذي يضعه الزعماء الصهاينة « يحتم لتنفيذه السيطرة المطلقة على كل وادي الأردن ، ومنايع نهر الأردن ، وهذه المنايع توجد في أراضي سورية ولبنان ، ولذا نجد أن في المشروعات الصهيونية تهديداً قوياً للبلاد المجاورة » . وعلق شمعون على ما قاله بيفن في خطابه بالمؤتمر : « اني لا أرى أنه من الخير اقتراح أية تسوية لا يرضى عنها اليهود ، فإن هذا كفيل بأن يقضى عليها » ، فقال إذا كان هذا الحال ، فليس من الممكن وضع حل للمسألة الفلسطينية قبل أن يحظى برضاء الأقلية اليهودية ، وبهذا يتوقف مستقبل هذه البلاد ووحدتها على رغبات هذه الأقلية (٢) .

وتحدث سمير الرفاعي عن شرق الأردن ، فأشار إلى الطابع المزدوج

(١) المصدر نفسه من ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤١٨

(٢) المصدر نفسه من ٤٢٥ ، ٤٢٧

لتصريح بلفور ، وقال إن النظر إلى قضية فلسطين من خلال عامل الاضطهاد ، يتفق مع القضية المعزوة إلى (قرقوش) ؛ فلكي ننتقم لليهود ونرضيهم ونحقق لهم العدالة من مضطهديهم ، يجب على فلسطين أن تفقد عيناً (من عينيها) ، كما يجب على العرب الأبرياء أن يتحملوا العقاب (١) .

وتحدث عادل ارسلان عن سورية فقال لم يطلب إلى أمة في الأرض غير الأمة العربية بأن تضحي بحقوقها وشرفها وأرواح أبنائها في سبيل شعب مبعوض من أغلب من عاش بينهم في جميع أنحاء العالم . وقال : « لقد حى العرب اليهود في الماضي ، وبريطانيا تحميهم الآن ، ولكن ان نتكلم نحن ولا أتم من الحصول على دليل بالاعتراف بالجميل من هؤلاء اليهود أليس من المستغرب أن هؤلاء الناس الذين قيل لنا عنهم إنهم تعرضوا لاضطهادات فظيعة في رومانيا وألمانيا وبولندا لم يستعملوا أسلحتهم وقنابلهم ضد مضطهديهم ، وأنهم استعملوها ضد من يحميهم ؟ فإذا كان هذا سلوكهم مع وجود قوات بريطانية كبيرة ، فكيف يعيشون في سلام مع جيرانهم إذا تولوا زمام الحكم أو أعطيت لهم السلطة في إقليم من الأقاليم (٢) ، ؟

(١) رويحه الرفاعي أن الحاكم قراقوش كان طاغية في عهده الزمان ، له منطق خاص ، وفهم العدالة على صورة ممة في القرابة ، ولكنه يرى تصرفاته الشاذة سليمة صحيحة مادامت تلتصق مع عقلية وأغراضه . وحدث يوماً أن شكى إليه رجل من فقدان عينه اليسرى في عراك مع رجل آخر ، وطلب الشاكي تحقيق العدالة بحق الممتدى . وحين مثل هذا أمام قراقوش اعترف بذنبه الذي جرى عن غير قصد منه ، ثم طلب الصفح والمغفرة : وأصدر قراقوش حكمه على فاعدة (العين بالعين والسن بالسن) ، غير أنه المتهم فاضد قراقوش ان يتيج له فرصة للدفاع عن نفسه ، وحينذاك اعلن المتهم انه يعترف منه الفسج وأنه في حاجة ماسة الى بصر عينيه للاثنتين ، ولكنه قال ان جارا له يحمل صياداً ، بفعل عينه اليسرى دائماً حين يسدد نحو الهدف ، وهذا الصياد لا يحتاج في عمله الى بصر عينه اليسرى ، فالعدالة تتحقق لو نفذ الحكم في جاره الصياد البريء ، لافيه ، وهو النساك المذنب ، ورأى قراقوش بمنطقه أنها فكرة عادلة ، فأمر بقلع عين الصياد اليسرى ، وهكذا حسمت القضية ! المصدر نفسه

ص ٤٣٢

(٢) المصدر نفسه ص ٤٤٢

وقال المندوب السوري إن فلسطين أو سورية الجنوبية أقرب إلى سورية من بلييكا إلى المملكة المتحدة ، وكان بريطانيا قد خاضت غمار حربين عالميتين لأنها اعتبرت احتلال بلييكا وهولندا وفرنسا من دول المعادية كتهديد لسيانها القومي ، كذلك تشعر سورية بنحو وجود الأجانب المنتشرين في سورية الجنوبية . وانتقد التمييز الذي تمارسه بريطانيا في المعاملة بين اليهود والعرب في فلسطين ، فقارن بين العسف بالعرب ما بين ١٩٣٦ - ١٩٣٩ ، وشنق ١٨٥ عربياً لمجرد حملهم سلاحاً أو ذخيرة ، وبين تعاملها باللفظ والاعتبار مع المجرمين الصهاينة الذين يزهقون أرواح الأبرياء ويقطعون المواصلات ويقتلون كبار الضباط ... واستغرب عجز البحرية البريطانية التي سادت البحار عن منع بضعة سفن من جلب مهاجرين غير شرعيين إلى فلسطين ، والأسلوب الاعتدالي الذي يلجأ إليه الساسة البريطانيون في عا ولاتهم جمع الأسلحة غير المشروعة من اليهود ، وقد استنكر كذلك عجز جهاز الرادار البريطاني عن تعيين موضع الإذاعة اليهودية السرية رغم صغر حجمها .

وأشار أرسلان إلى نقطة وردت في خطاب ييفن في مطلع المؤتمر حين قال : إن اليهود في الواقع هم الآن في فلسطين . وإن وجودهم لا يمكن إنكاره ، وعلق أرسلان على ذلك بقوله : « إذا خطونا بهذه النظرية خطوة أخرى وقلنا إن أي شخص يدخل بلداً لا تخصه يكتسب حق البقاء فيه (١) ، وجب إذن أن يبقى نصف أوروبا اليوم مع روسيا » .

وتحدث الأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعود عن السعودية ، فأيد ما قاله مندوبو الدول العربية في الموضوع ، وقال إن اليهود انخذلوا الديانة سلباً للوصول إلى أغراضهم السياسية ، وذكر أنه يوجد في جميع أنحاء العالم يهود

(١) وردت في النص (فيها) ، وصوابها فيه ، وربما الخطأ عن ترجمة الخطاب إلى العربية .

ومسلمون ومسيحيون ، ولكن يحتفظ أتباع كل من هذه الديانات بجنسية البلد الذى يعيش فيه ، أما فى فلسطين فقد أدت السياسة الصهيونية إلى وجود خليط عظيم من الشعوب . . لدرجة تحول دون استحقاقهم لقب (أمة) ، وأن أغلبية هؤلاء شريحة منكبة على أعمال التدمير والتخريب ، فهم لذلك خطر دائم يهدد ليس فلسطين فحسب ، بل جميع بلدان الشرق الأوسط (١) .

وتحدث الأمير عبد الله عن اليمن ، فقال : إن ما يهدف إليه الصهاينة هو لإنشاء غالبية يهودية داخل المنطقة اليهودية يزيديها اليهود على العرب عن طريق مواصلة الهجرة ، وحينذاك لن يترددوا فى المطالبة بإنشاء دولة يهودية تشمل فلسطين كلها ، فإذا عارض العرب ، الذين سيصبحون آنذاك أقلية ، أجيبوا بأن مصير البلاد إنما تقرر الأغلبية لا الأقلية . هذا بينما الآن حينما يطالب اليهود بتقرير مصير فلسطين بأنفسهم ، لا نراهم يجابون قط بأنهم أقلية ، ويجب أن يتركوا هذا الأمر لأغلبية الشعب (٢) .

وتحدث عبد الرحمن عزام أمين جامعة الدول العربية فقال إن اعتراضات العرب على المشروع هى اعتراضات مبنية على أسس عملية مما يثبت أن المشروع لم يكن وليد الرغبة فى الإصلاح الإدارى ، بل هو مصدر خطر على البلد الصغير . لذلك يعترض العرب عليه ويرفضونه بالإجماع (٣) . وأخيراً ألقى فارس الخورى رئيس وفد سورية كلمة نوه فيها بتغيب عرب فلسطين عن حضور المؤتمر ، وقال إنه لا يرغب فى تعداد أسبابه ، ولكن تفرقة الحكومة المتتدبة فى المعاملة بين اليهود والعرب فى فلسطين مسألة تستوجب العناية ، إذ أن كثيرين من العرب لا يزالون فى السجون لأشياء حدثت فى

(١) المصدر نفسه ص ٤٤٤

(٢) المصدر نفسه ص ٤٤٦

(٣) المصدر نفسه ص ٤٥٠

سنة ١٩٣٦ ، وبعض هؤلاء لم يقدم للحاكم ، بينما معاملة اليهود انصفت بكثير من التسامح والتساهل . وتساهل الخوري ، لماذا يبقى العرب في السجون الجرائم صغيرة مثل حوز الأسلحة ؟ وقال المندوب السوري : إن بعض المسئولين يدعون أن تصريح بلفور وعد شرف يجب أن يُحقق ، وقد يكون هذا حقاً لو أن فلسطين كانت ملكاً خاصاً للورد بلفور ، أو أرضاً خالية تملكها الحكومة . ولكن ليست هذه هي الحالة ؛ إن فلسطين تزدهم بشعب أمة عظيمة تشغل منطقة على غاية من الأهمية في العالم ولها تاريخ رائع ؛ إن مثل هذه الوعود التي تهب أملاك الغير لا قيمة لها .

وكان رئيس الوفد السوري معبراً وصريحاً حين ذكر أعضاء المؤتمر بعبرة الحروب الصليبية بقوله : إن ذكريات الحملات الأليمة التي شنها الصليبيون ، لا تزال ماثلة حية في الأذهان . ولقد ظل نقاد العصور التالية يحملون عليها بعنف ، وبما يدعو إلى أشد الأسف أن يشرع من جديد في حملة صليبية يهودية في القرن العشرين ، تداس فيها كل المبادئ الإنسانية ، هذا رغم وجود هيئة الأمم المتحدة ، وستكون كلرثة أعظم إذا قامت الدول العظمى التي يعتقد أنها الدعامات الكبرى للديموقراطية وحقوق الإنسان ، بمناصرة هذه الحملة الصليبية الجديدة (١) .

رفضت الوفود العربية مشروع موريسون ، فطلب الجانب البريطاني مشروعاً عربياً بديلاً ، وفي ١٩ أيلول - سبتمبر قدمت الوفود العربية مقترحاتها ضمن مشروع لحل مشكلة فلسطين ، وفيما يلي أهم نقاط المشروع العربي (٢) :

(١) المصدر نفسه ص ٤٥٤

(٢) انظر نصه الكامل في الوثائق الرئيسية : المصدر السابق ص ٤٥٦ - ٤٥٨

١ - تكون فلسطين دولة موحدة ذات دستور ديموقراطي ومجلس نيابي منتخب .

٢ - ينص الدستور على ضمانات لقداسة الأماكن المقدسة وتداول حرمتها والمحافظة عليها وحرية زيارتها وحرية العبادة طبقاً للحالة الراهنة .

٣ - يتمتع بكافة حقوق المواطن كل شخص اكتسب الجنسية الفلسطينية عن طريق التجنس قبل أيار - مايو ١٩٤٩ وأقام في فلسطين إقامة دائمة لمدة عشر سنوات ، وأى شخص يحصل في المستقبل على الجنسية الفلسطينية بحكم ذلك .

٤ - يضمن الدستور حق الهيئات الدينية وغيرها من الجمعيات أو الأفراد في أن يكون لهم مدارس خاصة وجامعات ، بشرط تعليم اللغة العربية في هذه المدارس بصفة إجبارية ، وخضوعها لرقابة الحكم لحفظ مستوى التعليم ، ومنع التعاليم المثيرة ، وذلك بقصد إيجاد ولاء مشترك . ويضمن أيضاً حق اليهود في استعمال اللغة العبرية كلغة رسمية ثانية في الأقسام التي لهم الغالبية المطلقة .

٥ - لا يزيد عدد ممثلي اليهود في المجلس النيابي بأى حال من الأحوال عن ثلث أعضاء المجلس ، وتجدر المحافظة على نسبة التمثيل في المجلس النيابي عند تكوين السلطات التنفيذية أو الإدارية .

٦ - ما لم ، وإلى أن يصدر تشريع ينص على خلاف ذلك ، تحرم الهجرة اليهودية إلى فلسطين بتاتاً ، وتبقى القيود المفروضة في الوقت الحاضر على نقل الأراضي دون تغيير ، وينص في الدستور على أن كل تغيير في هاتين

المسائلتين يقتضى إصدار قانون يتطلب موافقة العرب في فلسطين بأغلبية تمثيلهم في المجلس النيابي .

٧ - يصدر بالضمانات الخاصة بالأماكن المقدسة تصريح للجمعية العمومية للأمم المتحدة من دولة فلسطين المستقلة ، تتعهد فيه بعدم تغيير هذه الضمانات بغير موافقة الجمعية المذكورة .

٨ - يقوم المندوب السامي بعد استشارة زعماء فلسطين بتعيين حكومة مؤقتة مؤلفة من ٧ وزراء عرب وثلاثة من اليهود ذوى الجنسية الفلسطينية ، وتتحول السلطات التشريعية والتنفيذية التى تمارسها الإدارة الفلسطينية الحالية إلى الحكومة المؤقتة بمجرد تعيينها ، ويكون للمندوب السامي حق الاعتراض (الفيتو) على قرارات هذه الحكومة أثناء فترة الانتقال .

٩ - تقوم الحكومة المؤقتة بتحضير الجداول لإجراء انتخابات عامة على درجة واحدة للذكور البالغين ، ثم تجرى الانتخابات لجمعية تأسيسية وفقاً لقانون الانتخاب الذى تصدره الحكومة . وتؤلف الجمعية التأسيسية من ٦٠ عضواً يمثلون جميع فئات المواطنين بنسبة تعدادها .

١٠ - تعد الحكومة المؤقتة مشروع دستور لفلسطين تعرضه على الجمعية التأسيسية ، وفى حال عدم وصول الجمعية إلى قرار بشأنه خلال ستة شهور ، تعيد الحكومة النظر فيه على ضوء مداوالات الجمعية ، وتعده إذا اقتضى الأمر ثم تصدره وتلتزم الحكومة عند إعداد مشروع الدستور أو إصداره ، وكذلك الجمعية التأسيسية عند مناقشته والتصويت عليه ، بالإشارات التى يقدمها المندوب السامي .

١١ - بعد أن يصدر الدستور، تتخذ الحكومة المؤقتة التدابير اللازمة لإجراء أو انتخابات برلمانية، ويعين بعد ذلك أول رئيس للدولة الفلسطينية المستقلة

بموجب ما ينص عليه الدستور ، وحيث أن يتمتع الرئيس بالسلطات المخولة له ،
وتنهي الدولة المنتدبة الانتداب وتعترف باستقلال فلسطين ، وتعقد معاهدة
تحالف لتحديد العلاقات المستقلة بين بريطانيا وحكومة فلسطين المستقلة ،
ويجب أن لا يتأخر تسلم رئيس الدولة الفلسطينية لمقاليد منصبه عن ٣١ كانون
الأول — ديسمبر ١٩٤٨ .

وبعد يومين من وضع المشروع العربي على جدول أعمال المؤتمر ،
طلب الجانب البريطاني فسحة من الوقت للدراسة المشروع ، واقترح تعليق
جلسات المؤتمر من ٢ تشرين الأول — أكتوبر إلى ١٦ كانون الأول —
ديسمبر ، ثم تأجل المؤتمر مرة أخرى حتى ٢٧ كانون الثاني -- يناير ١٩٤٧
وقد جرى التأجيل بسبب انعقاد دورة الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٢٣
تشرين الأول - أكتوبر بنيويورك ، واضطرار المندوبين العرب
لحضورها ، وبسبب الانتخابات الأمريكية . وثمة فائدتان تكتسبهما أيضاً
كان لهما تأثير على حكومة العمال :

أولاً أن الجمعية العامة تكون وقت استئناف المؤتمر قد أنهت دورتها ،
فالتأجيل جعل من غير المحتمل أن يثير العرب مسألة فلسطين لإبان الدورة .
وثانياً أن الانتخابات الأمريكية تكون قد انتهت ، بحيث تصبح حكومة
الولايات المتحدة أكثر استعداداً لأن تلعب دوراً فعالاً بعد الانتهاء منها .

وفي هذه الأثناء كانت الحكومة البريطانية تجري مفاوضات مماثلة مع
الوكالة اليهودية رغبة في إعادة جيل الاتصال المقطوع بينهما. ذلك أنه في مطلع
تشرين الأول - أكتوبر تبادل وزير الخارجية والمستعمرات وجهات النظر مع
وايزمن وزملائه من أعضاء الوكالة اليهودية ، وقدم ييفن خلالها فكرة تحكم
بموجبها فلسطين على أساس الوصاية لفترة تتراوح بين ثلاث أو خمس أو
عشر سنوات ، كاستهلال لمنحها الحكم الذاتي . وكانت الحكومة البريطانية

مشوقة بقدر الوكالة اليهودية لتجاوز الهوة ورأب الصدع بينهما . وتديلا على حسن نوايا حكومة لندن تجاه الصهاينة ومؤيديهم الأمريكيين أجرى أتلي تعديلا وزاريا عين بموجبه المستر ارثر كريتش جونز وزيراً للمستعمرات بعد ترفيعه من منصبه السابق كوكيل للوزارة نفسها ، وذلك خلفاً للمستر هول . وكان جونز أكثر زعماء حزب العمال تأييداً للصهيونية وميوله واضحة صرح بها علناً في خطبه بلندن ونيويورك عام ١٩٤٥ (١) .

وقد تم التعيين يوم ٤ تشرين الأول - أكتوبر ، وهو ذلك اليوم نفسه الذي أصدر فيه الرئيس ترومان تصريحه المؤيد للصهيونية ، فقوى الموقف الصهيوني آنذاك بصورة هددت بسحب البساط من تحت أرجل المفاوضين البريطانيين (٢) .

استعرض ترومان في البيان جهود حكومته منذ أن قدم هاريسون تقريره بهجرة المائة ألف يهودى إلى فلسطين ، إلى دعوة بريطانيا لحكومة واشنطن كي تتعاون معها في تكوين لجنة التحقيق ، وأخيراً إرسال ترومان المندوبين الخبراء إلى لندن . وقال إن المعارضة لمشروع موريسون ظهرت بين أعضاء الأحزاب السياسية الرئيسية في الولايات المتحدة ، ولذا لم يمنح ترومان تأييده للمشروع . ثم قال إن جميع الفرقاء المدعويين إلى مؤتمر لندن لم يجدوا أنفسهم قادرين على حضوره ، وفي هذه الأثناء اقترحت الوكالة اليهودية حلاً للقضية الفلسطينية عن طريق إنشاء دولة يهودية قابلة للحياة ، تتولى هي الإشراف على هجرتها وسياساتها الاقتصادية في منطقة كافية في فلسطين ، بدلاً من أن تكون في جميع فلسطين ، كما اقترحت أيضاً إصدار الشهادات لمائة ألف مهاجر يهودى حالا . ولقد حظى هذا الاقتراح باهتمام واسع

Kirk, Survey for 1945-50 op. cit., p. 229 footnote (١)

ibid., pp. 229-230 (٢)

المدى فى الولايات المتحدة ، سواء فى الصحافة أو المجتمعات العامة . ومن نتيجة المناقشات التى تلت هذا الاقتراح ، فإنى أعتقد أن حلاً على ضوء هذه الخطوط ، سيحظى بمعاودة الرأى العام فى الولايات المتحدة . وإنى لأعتقد بأن الثغرة بين المقترحات التى قُدمت هى عظمىة جداً لدرجة لا يمكن سدّها على يد رجال يتمتعون بالحكمة والنّية الحسنة . وإن حكومتنا على استعداد لتقديم دعمها لحل من هذا القبيل .

والح ترومان على أن « هجرة أساسية إلى فلسطين لا يمكنها أن تنتظر لميجاد حل للقضية الفلسطينية ، وإنما يجب أن تبدأ حالا . وأن التدابير لهذه الحركة قد تم اتخاذها من قبل هذه الحكومة التى هى على استعداد لمزيد المساعدة حالا (١) . ومن ناحية أخرى أبدى ترومان استعدادة لتوصية الكونغرس بتحرير قوانين الهجرة الأمريكية ، وبمشروع للمساعدة الاقتصادية من أجل تقدم فلسطين .

ما الذى جعل ترومان ينتقل من موقف عدم الالتزام والجمود والتردد إلى موقف التأييد والالتزام والتورط فى دعم الصهاينة ؟ كانت سنة ١٩٤٦ سنة انتخابات الكونغرس فى الولايات المتحدة ، فاستغل الصهاينة هذا الظرف للبضى بقضيتهم إلى مدى أبعد . وقد حدث أثناء الحملة الانتخابية أن تنافس مرشحا الحزب الديمقراطي جيمس ميد وهربرت ليهمان Mead and Lehman ضد كل من ايرفنج أيفس وتوماس ديوى Ives and Dewey من الجمهوريين على منصبى عضوية مجلس الشيوخ عن ولاية نيويورك وحاكها ، وأوعز الصهاينة إلى مستشارى ترومان أن ينهبوا الرئيس إلى أن ديوى يهيم . تصرّيحاً خطيراً يستميل به الناخبين للأهداف

(١) الوثائق الرئيسية فى قضية فلسطين المصدر السابق انظر نص البيان من ١٩٤٦ .

وانظر أيضاً Suppl. Mem , p. 19

الصهيونية ، وأنه خير للرئيس أن يسارع بالادلاء بتصريح يعلن فيه عن نوايا الديموقراطيين تجاه القضية الصهيونية ، وإلا أفسد عليه الجمهوريون جهوده ، وكان أن وقع ترومان في الفخ الصهيوني ، فأعذر تصريحاً اختار له يوم مناسبة عيد يهودى زيادة فى التملق والمبالاة . وقد رفض ترومان مشروع موريسون رسمياً فى التصريح ، مع أن يفتن سبق له أن توسل بأن لا يصدر بيان الرفض ، ولم يكتف ترومان برفض المشروع وإنما طلب إدخال المائة ألف يهودى فوراً والتوصية بمشروع الوكالة اليهودية بإنشاء الدولة اليهودية . وكان هذا التصريح صدمة قوية للمسترييفن الذى أقسم أنه كان على وشك الوصول إلى حل يرضى العرب واليهود ، وكاد ينجح فى إقناعهما بالتنازل عن بعض المطالب المتشددة ، فجاء تصريح الرئيس ترومان وأفسد كل أمل فى التفاهم مع الصهاينة الذين أخذوا تصريحه على أنه تأييد تام لمطالبهم المتطرفة . وقد شرح يفتن فيما بعد (٢٥ شباط — فبراير ١٩٤٦) أمام مجلس العموم موضوع محادثاته مع ممثلى الوكالة اليهودية ، التى نسبها بيان ترومان ، بقوله : « لقد توصلت إلى مرحلة ، فى الاجتماع مع اليهود على حدة ، إذا عرضت فكرة ترتيب مؤقت يودى فى النهاية إلى الحكم الذاتى . وقد بينت لهم أنه لا يهمنى إن امتدت الفترة على خمس أو عشر أو ثلاث سنين أو بالغاً ما بلغت . قلت لهم (إذا عملتم معاً لثلاث أو خمس أو عشر سنين فيحتمل جداً أن لا ترغبوا بعدها فى الانفصال . دعونا نحاول حل الخلاف) . وفى تلك المرحلة ظهرت الأشياء تعد بأمل أكثر ، فقد وجد لدى شعور — لا أظن أننى أبالغ فى تقديره — بأنهم غادرونى فى وزارة الخارجية البريطانية ذلك اليوم وهم يرون بأتى على الطريق الصحيح فى النهاية . ولكن ماذا جرى ؟ عدت إلى مؤتمر الصلح فى باريس ، وفى اليوم التالى — أعتقد أنه كان يوم التكفير اليهودى ، أو يوماً خاصاً فى الدين اليهودى كلبنى صديق النبل رئيس الوزراء فى منتصف الليل ، وأخبرنى بأن رئيس الولايات المتحدة ماض فى إصدار بيان آخر عن المائة ألف .

وفي صباح اليوم التالي ، قابلت المستر بيرنز وزير الخارجية وأخبرته عن المدى الذي وصلت إليه في اليوم السابق ، وكنت أعتقد أننا على الطريق ، فقط لو تركنا لوحدها . رجوت أن لا يصدر البيان ، ولكنني أخبرت أن المستر ترومان إذا لم يصدر البيان ، فإن المستر ديوي سوف يصدر بياناً منافساً . وأنا لا أستطيع تسمية الأمور في الشؤون الدولية إذا جعلت قضيتي موضوعاً للانتخابات المحلية (١) .

وكتب جيمس ريستون الصحفي المعروف في جريدة النيويورك تايمس (٧ تشرين الأول - أكتوبر ١٩٤٦) حول الموضوع يقول : « إن عدداً من مستشاري الرئيس ترومان عارض صدور مثل هذا البيان ، نظراً لتوقع التوصل إلى هدنة بين بريطانيا والصهاينة . إن بيان الرئيس ترومان بشأن فلسطين يدل بوضوح على مدى تأثير السيامية الداخلية على سياسة الولايات المتحدة الخارجية . . . فلقد تصرف الرئيس ضد رأي مستشاريه في السياسة الخارجية ، واختار اتباع آراء أولئك المهتمين أولاً وآخرًا بالمحافظة على الأكتية للحزب الديمقراطي في الكونغرس الأمريكي (٢) . . . » واتضح بعد يومين من بيان ترومان أن الاعتبارات الحزبية الانتخابية هي التي كان لها الأثر الأكبر في صدور البيان ، وذلك عندما أعلن حاكم نيويورك بأنه « ليس مائة ألف ، وإنما عدة مئات الألوف من اليهود » ، يجب أن يسمح لهم بدخول فلسطين (٣) . وقد كتب وزير الدفاع الأمريكي فورستال عن المؤامرة الصهيونية على ترومان ، فقال إن بيرنز وزير الخارجية أنهى إليه أن قرار الرئيس برفض مشروع موريسون ونقده البريطانيين على

Sakran, op. cit., pp 185-186 & Sacher, op. cit., d 69 (١)

Hurewitz, op. cit., p. 275, Lilienthal, op. cit., p. 44

New York Times, oct 7 1946

(٢)

Suppl. Mem. op. cit. p. 20

(٣)

سياستهم الفلسطينية قد وضع يفرن وأتلى في أصعب وضع ، وأن دافيد . ك نايلز Niles المساعد الإداري للرئيس ، وسام روزنمان Rosenman كائنا مسئولين خاصة عن قرار الرئيس ، وأن كليهما كان قد أخبر الرئيس بأن ديوى على وشك أن يخرج ببيان يحجد وضع الصهيونية في فلسطين ، وأنهما قد ألحا أنه مالم يستبق الرئيس هذه البادرة فإن ولاية نيويورك سوف يخسرها الديموقراطيون^(١) ، . . وكذلك اشترك الشيخ تافت في هذه المهزلة ، وأعلن تأييده للهجرة اليهودية المطلقة إلى فلسطين ، وهذه التصريحات كلها كانت جزءاً من الدعاية التي استغلها الحزبان الديموقراطى والجمهورى لكسب معركة الرئاسة^(٢) .

ويرى هيروتز الكاتب الصهيونى أن بيان ترومان فى استعراضه القضية لم يتناول كل حقائقها وتجاهل تماماً الناحية العربية ، ولذا فيعتبر تدعيمه للبرنامج الصهيونى تدعيماً سياسياً أكثر مما هو بيان عن السياسة^(٣) . ولكن هناك ما يشير إلى أن ترومان يبيانه هذا ربط الولايات المتحدة بواجب تأييد التقسيم .

وبعد عشرة أيام تقريباً ظهر رد الفعل العربى على بيان ترومان ؛ ففي رسالة من الملك عبد العزيز آل سعود مؤرخة فى ١٥ تشرين الأول — أكتوبر^(٤) ، بيّن الملك العربى حق العرب الطبيعى وقال : . . . إن اليهود ليسوا إلا فرقة ظالمة باغية معتدية . . أضف إلى ذلك أطماعهم التي يبيتوها

Millis, op cit., p. 348 (١)

Lilienthal, op. cit., p. 45 (٢)

Hurewitz, op. cit., p. 265 (٣)

(٤) انظر نصها الكامل فى « الوثائق الرئيسية فى قضية فلسطين » . . المصدر السابق ص ٤٦٥ - ٤٦٦ .

ليس لفلسطين وحدها بل لسائر البلاد العربية المجاورة ، ومنها أماكن في بلادنا المقدسة . وقال ابن سعود إنه دهش للتصريح الذى نسب إلى ترومان بدعوى تأييد اليهود فى فلسطين وتأييد هجرتهم إليها لأنه مخالف للتعهدات السابقة ، واستطرد يقول : « ولقد زاد فى دهشتى أن التصريح الذى نسب أخيراً لفخامتكم يتناقض مع البيان الذى طلبت مفوضية الولايات المتحدة فى جدة من وزارة خارجيتنا أن ينشر فى جريدة أم القرى باسم بيان أدلى به البيت الأبيض بتاريخ (١٦ آب - أغسطس ١٩٤٦) ، وذلك البيان صريح فى أن حكومة الولايات المتحدة الأمريكية لم تتقدم بأية فكرة من جانبها لحل مشكلة فلسطين ، وأظهرتم أملككم بحلها بواسطة المحادثات بين الحكومة البريطانية وبين وزراء خارجية الدول العربية ، وبين الحكومة البريطانية والفريق الثالث ، وأظهرتم نغامتكم رغبتكم فى اتخاذ تسهيلات فى الولايات المتحدة لإيواء المشردين وفى جعلهم اليهود ، ولذلك كانت دهشتى عظيمة حين اطلعت على البيان الأخير الذى نسب لفخامتكم مما جعلنى أشك بصحة نسبته لكم ، لأنه يتناقض مع وعود حكومة الولايات المتحدة والتصريح الذى صدر فى ١٦ آب - أغسطس من البيت الأبيض ، » .

وجاء رد ترومان على شكل رسالة مؤرخة فى ٢٨ تشرين الأول - أكتوبر ، وكان غاية فى التملص والصفاته . أشار ترومان إلى ما سماه بوضع اليهود المفجع ، وإلى أن الوطن القومى لم يكتمل تقدمه بعد ، ولذا فمن الطبيعى أن تشجع حكومة واشنطن دخول عدد هام من المشردين اليهود إلى فلسطين ، « لا ليجدوا هناك ملجأ فحسب ، وإنما أيضاً ليتمكنوا من المساهمة بمواهبهم وفعاليتهم فى سبيل تشييد الوطن القومى اليهودى » . وقال إنه لا يزال متمسكاً بأن السماح بدخول المئاة ألف يساهم بتخفيف نكبة اليهود . وبصدد ما تصور ، الملك من استخدام اليهود للعنف فى مشاريع عدوانية ضد البلاد العربية المجاورة ، أكد ترومان معارضته للعدوان والارهاب فى تحقيق

الأغراض السياسية : « ويامكان أن أضيف أيضاً بأن مقتنع بأن زعماء اليهود المسئولين لا يفكرون بسياسة عدوانية ضد البلاد العربية الملائمة لفلسطين » . وأنكر ترومان أو يكون بيانه الصادر في ٤ تشرين الأول - أكتوبر يناقض تصريحه الصادر في ١٦ آب - أغسطس ، وأشكل عليه فهم شعور الملك السعودي بأن بيان ٤ تشرين الأول - أكتوبر يتضارب مع المهود السابقة أو التصريحات الصادرة عن حكومة واشنطن ، التي تؤكد عدم اتخاذ اجراء من شأنه أن يكون عدائياً للشعب العربي ، وتتعهد بعدم اتخاذ أى قرار يمس وضع فلسطين دون مشورة العرب واليهود . وقال ترومان مغالطاً ، إن إلحاحه على السماح بقبول عدد هام من اليهود المشردين في فلسطين أو تصريحاته بصدد حل قضية فلسطين « لا يعبر أبى معنى عن عمل عدائى نحو الشعب العربى » (١) .

وكان من دلائل استياء سورية والعراق رفضهما بحث الاتفاقيات الجوية مع وزارة الخارجية الأمريكية ، وحذرت شركة مد الأنابيب (التابلاين) أنها سوف تغير وجهة أنابيبها إلى فلسطين (٢) .

أما جامعة الدول العربية ، فقد انعقد مجلسها في دورته الخامسة (٣٠ تشرين الأول - أكتوبر ١٢ كانون الأول - ديسمبر) للبحث في ما أدلى به ترومان ، وما كان له من أثر على اتساع موجة الإرهاب الصهيونى وتفاقم الهجرة غير الشرعية ؛ وتحدث البعض عن وجوب مواجهة التآمر على فلسطين قبل فوات الأوان ، وذلك عن طريق تنفيذ قرارات بلودان السرية نظراً لإمعان أمريكا وبريطانياً في محاباة الصهاينة . ولكن

(١) انظر نص الرسالة الكامل بالأصل الانكليزى في « الوثائق الرئيسية » المصدر السابق ، ص ٤٧١ - ٤٧٤ .

Hurewitz, op. cit, p. 265

(٢)

الغالبية ارتأت انتظار نتائج مؤتمر لندن ، فإذا فشل تنفيذ المقررات ، وبذلك لم يخرج المجلس عن أسلوبه السابق (١) ، أسلوب (المذكرات) :

١ — الاحتجاج على بريطانيا لسماعها باستمرار الهجرة « المشروعة وغير المشروعة » .

٢ — الاحتجاج على حكومة الولايات المتحدة لإشعارها بمخاطر السياسة التي تتبعها بشأن فلسطين ، « وما يترتب عليها من إساءة لطيب العلاقات التي ترغب حكومات دول الجامعة أن تظل دائماً بينها وبين الحكومة الأمريكية (٢) » .

٣ — مطالبة بريطانيا بوقف الارهاب اليهودي لما ينطوى من الخطر على العرب ، أو السماح للحكومات العربية بإرسال حرس مسلح يحميهم منه .

٤ — اعتبار الدورة مستمرة ، على أن يدعى المجلس إلى الاجتماع عندما تدعو الظروف الطارئة .

٥ — رفض كل مشروع يرمى إلى تقسيم فلسطين أو لإحداث أى تعديل في كيانه .

ولمواجهة الأخطار المحدقة ، أقر المجلس فيما يتصل بالتنظيم الفلسطيني ، توصية الحكومات العربية بتنفيذ قرار بلودان بشأن التشريع الجزري بحق الذين يبيعون أرضهم لليهود أو يسمسون عليها أو يتحايلون فيها من رعاياها . وتوصية الحكومات العربية بالإمراع إلى مساعدة عرب فلسطين بما خصص في موازنتها ، وصرف ما يجتمع لدى الأمانة العامة من المال

(١) دروزة — المصدر السابق ، ص ٧٣ — ٧٤ .

(٢) تقرير الأمانة العامة للجامعة الدول العربية عام ١٩٤٩ ، ص ٢١ .

الخاص بقضية فلسطين إلى الهيئة العربية العليا لتنفقه في وجوهه (١) ، وهو مال يسير لا يذكر ، أين منه ما تكده الوكالة اليهودية بفروعها المتشعبة في العالم الغربي ، والمنظمات الصهيونية والعاطفة عليها هناك ، وما تنفقه على خططها التي لم يكن الاحتجاج التسكتيكي يشكل إلا جزءاً صغيراً من استراتيجيتها التي وضعتها منذ أوائل هذا القرن لتهويد فلسطين والاستحواذ على ماحولها. إن كل هذا المال الذي رعبه العرب أو تبرعوا به رسمياً وشعبياً مهما بلغ مجموعته ، ومهما شرفت نوايا أصحابه ، أن يكون إلا كالقطرة في أسفل الوعاء ، إذا قورن بالتبرعات والطلبات التي انهالت وتنهال على الصهاينة مخافة من كل رسم (٢) .

وصل الرد من الولايات المتحدة على مذكرة الجامعة ، ولا يخرج في مضمونه على رد ترومان لابن سعود ، مع الأمل أن تزداد عرى صداقة الولايات المتحدة بجميع الدول العربية توثقاً (٣) .

(١) يذكر دروزة أن الهيئة العربية العليا نفقت في حزيران - يولية ١٩٤٨ ميزانية وارداتها ومصاريفها ، ويظهر منه أن جميع ما دفعته الدول العربية خلال سنتين ، أي من حزيران - يولية ١٩٤٦ إلى حزيران - يولية ١٩٤٨ قد بلغ نحو ١٤٣ ألف جنيه . دفعت سورية وحدها ١٠٣ آلاف ، ومصر ٢٠ ألفاً ، ولبنان ١٥ ألفاً ، واليمن ٤٥٠٠ جنيه . ودفعت مصادر عربية أخرى ، يبلغ ٤٦ ألفاً يرجع أن الماهل السمودي دفع بعضها . ولم يرد في النشرة شيء عما دفعته حكومات العراق والأردن والسعودية . (انظر المصدر السابق ص ٧٤) .

(٢) أشار اللورد هول في علس اللوردات (٢٣ نيسان - أبريل ١٩٤٧) إلى تقرير يثبت أنه قد جرى جمع مبلغ يتراوح بين ٢٥ - ٣٠ مليون دولار منذ بدء عام ١٩٤٧ في الولايات المتحدة للأغراض اليهودية. غير المفروعة بما فيها الهجرة غير الشرعية .

Parliamentary Debates (Lords) , 5th ser. Vol 147 col 114

(٣) انظر نس المذكرة التي أرسلتها جامعة الدول العربية بتاريخ ٤ كانون الأول - ديسمبر بناء على قرار علس الجامعة ، وانظر صورة الرد الأمريكي المؤرخ في ١٧ كانون الثاني - يناير ١٩٤٧ - في ملحق رقم (٥) دروزة - المصادر السابق ص ١٤٢ - ١٤٣ .

وفي مطلع تشرين الأول - أكتوبر بدأت في لندن محادثات استعلامية تهدف لتخفيف التوتر في فلسطين ، بين وزارتي الخارجية والمستعمرات من ناحية ، وبين زعماء الوكالة اليهودية من ناحية أخرى . وفي ١٩ تشرين الأول - أكتوبر صدر في لندن بيان رسمي بأن المباحثات مع الدكتور وايزمن وأعضاء تنفيذية الوكالة بخصوص الخطوات التي يمكن اتخاذها للتخفيف من التوتر القائم حالياً في فلسطين ، قد وصلت إلى نهايتها . وبعد أسبوع تقريباً صرح ناحوم غولدمان عضو تنفيذية الوكالة اليهودية في مؤتمر صحفي بنيويورك أن الصهاينة سوف يخولون بريطانيا العظمى جميع الحقوق لإنشاء قواعد عسكرية وبحرية وجوية في فلسطين ، وذلك مقابل الاتفاق على إقامة دولة يهودية قادرة على الحياة في فلسطين ، تشمل على الدولة اليهودية التي أوصت بها اللجنة الملكية (١٩٣٧) علاوة على النقب (١) .

وبرغم النكسة التي شعرت بها الحكومة البريطانية إثر بيان ترومان الذي وصفته بأنه أتعس عمل ، ورغم تأكيدها بأن البيان يحتمل جداً أن يؤدي تسوية قضية فلسطين الصعبة ، غير أن وزير المستعمرات الجديد كريتش جونز صديق الصهيونية ، سعى الآن إلى إبرام اتفاق يهدى حدة التوتر بين حكومته واليهود في فلسطين ، عن طريق استرضاء الصهاينة مقدماً فأوعز بإيقاف جميع إجراءات تفتيش المستعمرات اليهودية أو الأوكار الارهابية ، وإيقاف التحقيق مع من قبض عليهم بتهمة القتل والتدمير ، علماً بأنه بلغ عدد الضحايا البريطانيين بسبب الارهاب الصهيوني في عام واحد ٢٨ قتيلاً من أفراد البوليس ، و٤٥ قتيلاً و ٩٣ جريحاً من القوات البريطانية المسلحة ، بالإضافة إلى ٢١٢ من المدنيين القتلى و ٤٢٨ جريحاً ، بما في ذلك ضحايا فندق الملك داود ، دون أن تثبت الجريمة على مجرم

واحد من الارهابيين عن هذه الجرائم رغم توفر الأدلة في مسرح الجريمة (١). ولم يلق ارهابي واحد جزاءه الذي يستحقه. وكأنما كل ذلك لم يطمس الحكومة البريطانية ووزير مستعمراتها كريتشن جونز فأصدرت أمراً في الوقت نفسه (٢١ تشرين الأول — أكتوبر) بمعاقة المجنى عليه، وإرضاء الجاني : معاقة المجنى عليه بالقبض على أعضاء لجنة المقاطعة العربية في حيفا، الذين لم يكن ذنبهم سوى أنهم كانوا يعملون بدافع وطنيتهم على إحكام قطع الصلات التجارية بين التجار اليهود والمستهلكين العرب، تنفيذاً لقرار جامعة الدول العربية. وإرضاء الجاني بالإعلان عن استدعاء الجنرال باركر قريباً من فلسطين ليشغل وظيفة جديدة في لندن. وإرضاء الجاني في ٥ تشرين الثاني — نوفمبر بإطلاق سراح زعماء الوكالة اليهودية وأكثر من مائة غيرهم ممن جرى اعتقالهم قبل أربعة شهور. ولكن وزارة المستعمرات تفسر ذلك بما أعلنه المجلس الداخلي الصهيوني في ٢٩ تشرين الأول — أكتوبر « بالتبرؤ نهائياً من حملة الإرهاب، وعمل كل ما بوسعه لاستئصال شرورها (٢) ».

وفي الوقت نفسه ولثلاثتهم الحكومة بالتحيز، أعلنت أيضاً عن عزمها على إطلاق سراح عرب فلسطين المعتقلين في جزر سيشل منذ ثورة (١٩٣٦ — ١٩٣٩) والسماح لهم بالعودة إلى فلسطين. ولكن المجلس الداخلي الصهيوني قرر في الوقت نفسه أن العلاج الوحيد لحل المشاكل الثنائية للجماعات اليهودية وفلسطين إنما هو في إنشاء دولة يهودية، وتحذير بريطانيا من أن خرقها التزامات الانتداب في وضع القيود على الهجرة

Parliamentary Debates, Commons. 5th ser. Vol. 482, (١)
coll. 197, 1936.

Suppl. Mem., p. 21 & Hurewitz., p, 266

(٢)

« لن يحول دون وصول المشردين اليهود إلى شواطئ وطنهم القومي (١) ، . ومضت الحكومة البريطانية في استرضاء الجاني الصهيوني فأعلنت في تشرين الثاني - نوفمبر نفسه أن ٢٨٠٠ من المهاجرين اليهود غير الشرعيين المحتجزين في قبرص . سيجرى قبولهم في فلسطين كجزء من الكوتا الشهرية ، وأن السلطات ستمدهم بالمساعدات اللازمة لاستيطان فلسطين (٢) .

وخطت الحكومة البريطانية خطوة جديدة نحو تملق الجاني الصهيوني حين وعدت بتعويض اليهود أصحاب المنشآت التجارية الذين أخلت محلاتهم لتشغلها دوائر الحكومة بعد نفس مبناها في فندق الملك داود ، كما سمحت باستمرار التجنيد في بوليس المستعمرات اليهودية ، وكان قد توقف منذ قيام السلطة بعملياتها ضد البالماح التي يشكل بوليس المستعمرات نواتها ، وكان هذا الترخيص البريطاني بمثابة تشجيع الصهاينة على التمدد في إرهابهم .

غير أن هذا الاسترضاء البريطاني لم يكن من ورائه سوى اشتداد موجة الإرهاب وتفاقم الهجرة :

٩ تشرين الثاني - نوفمبر قتل أربعة أنصار من البريطانيين في قوة البوليس الفلسطيني بسبب انفجار لغم أثناء تفتيشهم لمنزل بالقدس .

١٠ تشرين الثاني - نوفمبر دمرت محطة سكة حديد رأس العين في هجوم إرهابي نجح منه جرح بوليس عربي وثلاثة بريطانيين .

١٣ تشرين الثاني - نوفمبر قتل ستة من أفراد قوة البوليس الفلسطيني ، وجرح عشرة في هجمات إرهابية بالقنابل .

Hurewitz, op. cit., p. 266

(١)

(٢) طباعت المحلة الصهيونية Zion Review, 4 April 1947, p. 6 أنه خلال أربعة عشر شهراً وصلت إلى مباءة فلسطين ٢٤ سفينة تم شراؤها وتجهيزها وإبحارها بواسطة أفراد من الهاغانا ، وقلت إلى فلسطين ٢٣٥٠٠ مهاجر غير شرعي . (٢٦٢ - فلسطين)

— ٤٠٢ —

١٧ تشرين الثاني نوفمبر — قتل ثلاثة من أفراد البوليس البريطانى وضابط صف فى سلاح الجو ، وجرح ستة آخرون من قوات الأمن لآثر نسف سيطرة بوليس بلغم قرب تل أيب .

١٩ تشرين الثاني — نوفمبر أعلن وقف سير القطارات مؤقتاً بعد هجوم الإرهابيين على السكك الحديدية مراراً .

٢٠ تشرين الثاني .. نوفمبر تضرر مكتب ضريبة الدخل بالقدس لآثر محاولة لنسفه .

٢٦ تشرين الثاني — نوفمبر إقتاد الأسطول إلى ميناء حيفا سفينة تحمل ٣٩١٤ مهاجراً غير شرعى ، وأثناء نقلهم إلى مراكب الترحيل بدت منهم مقاومة عنيفة جرح خلالها اثنان منهم ، وتم ترحيل الركاب إلى قبرص .

٢ كانون الأول — ديسمبر : قتل أربعة جنود بريطانيون حين دمرت عربتهم بفعل لغم أرضى .

٤ كانون الأول - ديسمبر : أصدرت تنفيذية كل من الفعاد لثومى والوكالة اليهودية نداء مشتركاً لوقف الهجمات الإرهابية (١).

على أن موجة الإرهاب انحسرت فجأة عندما افتتح فى بال المؤتمر الصهيونى الثانى والعشرون (٩ كانون الأول - ديسمبر) ، ويعتبر الأول من نوعه منذ اندلاع الحرب العالمية الثانية . ويصف وايزمن المؤتمر بأن الجماعتين الأقوى فيه كانتا : اليهود الأمريكيين واليهود الفلسطينيين ؛ الأولى يقودها الحاخام أباهيل سلفر وهى الأقوى ليس بعددها وبمعدوبيها وإنما بضعف الآخرين تجاهها . وقال وايزمن إن المؤتمر كان له مزية خاصة تختلف

عما كانت عليه المؤتمرات الصهيونية السابقة ، ألا وهي انعدام الإيمان — وحتى الأمل في الحكومة البريطانية من جانب الكثرة الكاثرة من المندوبين ، والميل للاعتماد على العنف والتطرف ضدها . وشكاً ، ايزمن في سيرة حياته أنه أصبح هدفاً لهجوم « المتطرفين » عليه ، وكبش الفداء عن ذنوب الحكومة البريطانية ، « وقد علموا أن (هجومهم) على الحكومة البريطانية كان غير مجدى ، ولذا وجهوا سهامهم نحوى . . نصف الوفد الأمريكى بقيادة سلفر وجزء من الوفد الفلسطينى بقيادة بن غوريون قرروا أننى يجب أن أمضى (١) .

والحق أن الخلاف بين الصهاينة « المعتدلين » و « العاملين » كان حول الاستراتيجية التى توصل إلى الهدف عن طريق أقصر ونتائج أضمن ؛ « فالمعتدلون » مثل وايزمن وشرتوك ، كانوا يرون منذ مشولهم أمام اللجنة الانكلو — أمريكية مارآه وايزمن حين أخبر اللجنة بأنه إذا سمحت بريطانيا بهجرة المائة ألف يهودى إلى فلسطين فإنهم على استعداد لنسيان فكرة (الاستقلال) فهم يريدون الهجرة ويرجئون أمر الاستقلال مؤقتاً . أما (العاملون) مثل بن غوريون ، فقد غضبوا من هذا الاقتراح ، وقال بن غوريون إن وايزمن لا يمثل إلا نفسه ، ولم يخوله أحد أن يقترح ما يتعارض مع قرارات الصهيونية فى فلسطين . وفى اليوم التالى ألقى بن غوريون خطاباً بعنوان (الدولة اليهودية أملنا) ، فبعث النزاع من جديد مع وايزمن (٢) . وبعد نشر تقرير اللجنة الانكلو — أمريكية رأى وايزمن وشرتوك فيه بعض مايرضيه ، بينما رفض بن غوريون التقرير برمته ، وأصدر إلى الهاغانا تعليمات سرية يوضح فيها ما يجب عمله ضد البريطانيين كإنشاء مستعمرات جديدة فى مناطق محظورة ، والمضى فى مساندة الهجرة غير الشرعية ، وخاصة من فرنسا حيث يتدرب اليهود هناك على الحرب ،

Weizmann, op. cit., pp. 543-44

(١)

Michael, Bar-Zohar, «The Armed Prophet», London (٢)

1954, p. 86

ثم إعلان عصيان مدني وتنظيم مظاهرات الامتناع عن دفع الضرائب (١).

وكان وايزمن يدافع عن دولة يهودية في قسم من فلسطين، ولكن الصهاينة الأمريكيين برياسة سلفر رأوا أن بريطانيا هي التي يجب أن تقدم التنازلات لليهود ، وفي مواجهة بريطانيا كان سلفر يعول كثيراً على اقناع اليهود للولايات المتحدة الأمريكية بعدم مساعدة بريطانيا وعدم إعطائها القرض عند اللزوم. وفي المؤتمر نادى سلفر بدولة يهودية تضم ضفتي نهر الأردن ، وتوجيه الحركة الصهيونية من الولايات المتحدة . ولكن ناحوم غولدمان قال إن الحركة الصهيونية يجب أن تكون مستعدة للتخلي عن بعض المزايا بغية التغلب على العقبة السياسية الحاضرة ، وبغية التخلص من الحكم الأجنبي وفتح الأبواب أمام الهجرة الواسعة . وقال : « إن برنامج بلنهور يطلبه إقامة دولة فلسطين كلها ، كان قائماً على أساس الافتراض بأن ملايين اليهود يجب أن ينقلوا إلى فلسطين فور انتهاء الحرب ، ولكن ذلك لم يحدث ، ولأنه لوهم أن نفترض بأن الولايات المتحدة سوف تتنازع جدياً مع بريطانيا من أجل المطالب الصهيونية في فلسطين (٢) . وشجب الحاخام سلفر ما دعاه بالمؤامرة المنظمة للحكومة البريطانية في انكارها حق الصهاينة بفلسطين، وعبر عن خشيته من أن خطة تقسيم فلسطين التي اقترحتها الوكالة اليهودية في باريس قد تضعف قوة مساومتها في مؤتمر لندن ، ولذا فلا يجب على الصهاينة حضوره (٣) . وقد وجه وايزمن نقداً لاذعاً إلى « المتطرفين الأمريكيين » ولام نائب رئيس المنظمة الصهيونية ايمانويل نيومان وسلفر لتحريضهما يهود فلسطين على الثورة ، وتأكيدهما بأن الثورة ستلقى كل دعم سياسي ومعنوي من يهود أمريكا . وقال وايزمن إن إنشاء إحدى عشرة مستعمرة جديدة في النقب أهم بكثير من مائة خطاب عن المقاومة

ibid p. 87

(١)

Kirk, Survey for 1945-50, pp. 281-282

(٢)

ibid.

(٣)

وخاصة حين تلقى في واشنطن أو نيويورك، في حين تجرى المقاومة في القدس أو تل أبيب . إن الدعم المالى والسياسى يغدو قليل القيمة حين ترسل آخرين لمواجهة الدبابات البريطانية والسلاح البريطانى (١) . وناشد وايزمن المؤتمر أن يعمل على التفاهم مع بريطانيا لإقامة دولة يهودية قادرة على الحياة في فلسطين ، وحذر من أن رفض ذلك يهدد تقدم الصهيونية وما أحرزته في إحدى وعشرين سنة .

واجه المؤتمر موضوعين أساسيين هما : قبول التقسيم ، وقبول المشاركة في مؤتمر لندن لدى انعقاده في أواخر كانون الثانى - يناير ١٩٤٧ . واحتدم الصراع بين وايزمن وبين غوريون . الأول مع شرتوك ووايزرون وجوب التوصل إلى اتفاق مع الدولة المنتدبة ، ولذا ينبغي أن يوافق المؤتمر على التقسيم، وعلى التفاوض مع بريطانيا . والثانى مع سلفر يريان أنه بالنسبة للتقسيم ، يجب لأسباب تكتيكية - أن يأتى من جانب بريطانيا أو العرب . فالمسألة إذن كما ذكر وايزمن في سيرته ، لم تكن مسألة شخصية بينه وبين بن غوريون ، فالنقاش حى وطيسه حول ما إذا كان علينا أن نرسل أو لا نرسل مندوبين إلى مؤتمر لندن (٢) .

وانقسم المؤتمر تجاه موضوع التقسيم، ولدى الاقتراع ربح بن غوريون وسلفر ١٧ صوتاً ضد ١٥٤ صوتاً ، وحين قرر المؤتمر بأنه في الظروف الحاضرة ، لا يمكن للحركة الصهيونية أن تشارك في مؤتمر لندن ، ولكنه خول المجلس العام بإعادة النظر في قرار المؤتمر ، إذا طرأ تغيير على الحالة (٣) . . وقرر كذلك رفض مشروع موريسون وعارض أية وصاية جديدة تفرض على فلسطين قد تمنع أو تؤجل قيام دولة يهودية فيها ، وأعلن أن الدولة اليهودية فقط هى ما يمكن إنشاؤه في حالة انهاء الانتداب . وأعاد

Kirk, op. cit, p. 232,

(١)

Weizmann, op. cit., p. 544

(٢)

Ilurewitz, op. cit., p. 269

(٣)

المؤتمر تأكيد نقاط برنامج بلمور الثالث (١) . وشجب أعمال الإرهاب دون أن يسمى عصابات الأرغون وشتين باسمها ، وإنما أطلق عليها تسمية ملطفة هي (الجماعات المنشقة) . وهنا استقال وايزمن ، وغادر المؤتمر قبل نهايته دون أن يباد انتخابه لرياسة المنظمة ، لأنه اشترط لقبولها مفاوضة بريطانيا ، ولكن نظراً لمكانته ترك المنصب شاغراً ، واحتفظ بن غوريون برياسة التنفيذية ، وسلف برياسة القسم الأمريكي المؤلف من ٦ أعضاء بينهم شرتوك الذي عيّن منسقاً متجولاً للفشاط الصهيوني السياسي ، على أن يكون مقر عمله في واشنطن (٢) .

والحق ان معارضة بن غوريون لوايزمن حول إحدى الأساليب بلوغ الهدف الصهيوني ، تذكرنا بالمعارضة التي قادها وايزمن ضد هرنسل سنة ١٩٠٣ . أن بن غوريون الذي دعا وايزمن أثناء الحرب العالمية الأولى لقيادة الحركة الصهيونية عملياً ، ثم دعاه سنة ١٩٣٥ ليتكلم باسم اليهودية العالمية ، رأى الآن أن بريطانيا قد غيرت سياستها ، فلماذا يبقى وايزمن سجين اعتداله وولائه لها (٣) ؟

ولكن المطلعين من الصهاينة أقروا بأن جو المؤتمر كان يعكس صلابة أقل بكثير مما تدل عليه المقررات (٤) وكما قال وايزمن ، كان على المندوبين الصهاينة أن يذهبوا لمفاوضة لندن من الباب الخلفي (٥) وبالفعل فإن خطر التفاوض مع بريطانيا الذي صوت عليه المؤتمر لم يمنع بن غوريون وشرتوك وغيرهما من زعماء الوكالة اليهودية من اجراء محادثات استطلاعية مع كريتش جونز ويفن .

Suppl. Mem., pp. 23 - 24

(١)

Hurewitz, p. 269

(٢)

Bar - Zohar, op. cit., p. 100

(٣)

Sacher , op. cit., p. 71

(٤)

Weizmann, p. 544

(٥)

وكانت الحكومة البريطانية ، كما يقول الصهيوني ساكر ، تدافع عن فكرة انشاء دولة فلسطينية موحدة مع مناطق (كانتونات) تتطور وشيكاً نحو الحكم الذاتي . ورأى الصهاينة في ذلك تحديداً للهجرة والاستيطان ، وإخضاع الأقلية اليهودية للغالبية العربية . ولذا قدموا ثلاثة حلول ، يختار البريطانيون إحداها ، وهى :

١ - أن تصبح فلسطين كلها دولة يهودية .

٢ - أو يبقى الانتداب كما كان قبل عام ١٩٣٩ .

٣ - إذا عرضت بريطانيا مشروع انشاء دولة يهودية في جزء مناسب من فلسطين ، فيسكون الصهاينة راغبين في مناقشته . ولا حاجة الى القول بأن هذه الحلول ، كانت مرفوضة من الجانب البريطانى ؛ فقد وضع ييفن للصهاينة أنه ما لم يتم التوصل الى اتفاق فسوف يحيل قضية فلسطين برمتها على هيئة الأمم المتحدة . ويبدو أن بن غوريون كان يتخوف من ذلك ؛ فهو يرى أن الحلاف مع بريطانيا أمر مألوف ، ويضمن للصهاينة غالباً وضعاً متفقاً . أما بالنسبة للنظمة الدولية فهو لا يستطيع أن يجزم بصحة تصرفه ، فضلاً عن أن للعرب فيها قيمة اقتراعية . دع ما كان يخشاه من أن تصبح فلسطين كرة يتقاذفها المعسكران الشرقى والغربى فى الأمم المتحدة . وهكذا فضل أن يتفق مباشرة مع حكومة لندن ، وكان يرى أن الحل الثانى (بقاء الانتداب كما كان قبل ١٩٣٩) هو الحل الأمثل ، وكان فى سبيله مستعداً للتجاوز عن ذكر (الدولة اليهودية) كهدف ، وأن يترك أمرها للزمن (١) .

وفى مقابلة مع ييفن أشار بن غوريون الى احتمال وجود النفط فى النقب ، وعرض على ييفن لإنشاء قواعد بريطانية فى النقب تكون بديلة لقواعد الانكليز

في منطقة قناة السويس ، ويقال إن ييفن تأثر بهذه المقترحات ، ولكن المقابلات كانت غير رسمية وغير مرخصة فلم ينجح عنها شيء (١) .

وقبل أن نعود الى مؤتمر لندن في دورته الثانية لابد من الإشارة الى أن وزير المستعمرات البريطاني حاول أن يطبق سياسة تضمن نجاح من دعاهم « بالمعتدلين » من الصهاينة ، ولكنه مع ييفن لم يتمكن من المضي الى حد تأييد مشروع التقسيم الصهيوني . ولم يكن بوسع سياسة الاسترضاء التي تابعتها كريتس جونز أن تضمن إلا فترة قصيرة من الهدوء . فقد استؤنفت أعمال الارهاب مع مطلع العام الجديد .

وقد لجأ الصهاينة الى استخدام الفتیان ضمن عصاباتهم حتى اذا قبض عليهم متلبسين ، لم تجرؤ السلطات على معاقبتهم أو ادانتهم ، ولا كانت هدفا للتشهير والاثام بالوحشية والقسوة . وقد ضبط أحد شبان العصابات وهو متلبس بجريمة سرقة مسلحة من أحد البنوك ، وحوكم وصدر الحكم بحمله ثمان عشرة جولة . وما أن نفذ عليه الحكم حتى رد الارهابيون باختطاف ضابط بريطاني وثلاثة من ضباط الصف ، في تل أبيب وناطانيا وريشون لزيون (٢) ، وجلدوهم بوحشية حتى أفقدوهم صوابهم . وقام الارهابيون في ٢ كانون الثاني - يناير ١٩٤٧ بهجمات على المنشآت العسكرية ومباني البوليس في تل أبيب والقدس وحيفا وطبريا وغيرها ، وقتل فيها ضابط بريطاني وجرح خمسة جنود . وبعد عشرة أيام أقامت جماعة شتيرن بمحاولة اعتداء مروعة دفعت فيها عربة محملة بعبوات ناسفة الى مجموعة مباني الادارة والبوليس في حيفا ، فأحدثت ضرراً كبيراً ، وقتل من جرائها اثنان من البوليس العربي وجرح تسعة أنصار من البوليس بجراح خطيرة ، بالإضافة الى مائة آخرين أصيبوا بجراح مختلفة .

Litvinoff, Barnet «Bén Gurion of Israel, London 1954, (١)

p. 170

Suppl. Men., op. cit. p 24

(٢)

عندئذ أصدر المجلس الملى (الفعاد لثومى) قراراً فى ٢٠ كانون الثانى - يناير باستهجان القتل كوسيلة من وسائل المعارضة السياسية ، ولكنه أكد دعمه للنضال السياسى ورفض أية فكرة لمعارضة الارهابيين (١) . وعندما سئل متكلم بلسان الوكالة اليهودية فى مؤتمر صحفى عما اذا كان سيطلب من الطائفة التدخل فى الأمر إذا وقع اعتداء من الارهابيين على البريطانيين ، أجاب بأن نص القرار لا يفهم منه ذلك . وقد « حذرت » غولدا مايرسون (مثير) رئيسة القسم السياسى بالوكالة الارهابيين ، ولكن أضافت بأنه لا يصح أن ينتظر من (اليسوف) أن يقوموا بالتجسس عنى بنى جلدتهم (٢) . وزادت جرأة الارهابيين على استخذاء السلطات التى لم تمسهم بأى عقاب ، وفى المرة الوحيدة التى تجرأ فيها الجنرال باركر فوافق على حكم بالاعدام صادر ضد إرهابى أدين إدانة قاطعة لدوره فى الهجوم على مركز بوليس نجم عنه مقتل رجل بوليس ؛ ردت الأرجون باختطاف قاض بريطانى من محكمة تل أبيب كرهينة مع مدنى بريطانى آخر . فأصدر المندوب السامى انذاراً أعلن فيه أنه مالم يفرج عن المخطوفين بغير أذى خلال ٤٨ ساعة ، فإن منطقة تل أبيب ستوضع تحت أوامر الحاكم العرفى العسكرى . وجرى إطلاق سراح الرجاين (٣) .

غير أن الارهابيين أعادوا الكرة فأذاعوا تهديداً بأن يجمعوا فلسطين بحراً من الدماء ، إذ نفذ حكم الاعدام الآنف الذكر ، فكانت نتيجة ذلك أن صدرت السلطات أمرها فى ١ شباط - فبراير بترحيل جميع النساء والأطفال البريطانيين وغيرهم من المدنيين الذين لا توجد حاجة ماسة لبقائهم ، لئلا يجرى اختطافهم ويصبحوا رهائن ، ولئلا يعرفوا عمليات قوات الأمن . وقد تم إجلأؤهم بالفعل بعد ثلاثة أيام . وفى ٤ شباط - فبراير أذيع أن

Kirk, Survey for 1945 - 50, p. 234

(١)

Kirk, A Short History .. p. 218

(٢)

Suppl. Mem. p. 25

(٣)

المتخلفين عن الرحيل سوف يجرى حشد في أماكن عسكرية محمية . وفي اليوم نفسه أعلن أن رسالة وجهت الى الوكالة اليهودية والمجلس الملي في ٣ شباط - فبراير بأنه نظراً لما وقع من رفضهم الصريح المستمر للدعوات ضد الارهابيين ، فإنها تطلب منهم « أن يقرروا في صراحة تامة وفي الحال ، ما إذا كانوا على استعداد لأن يصدروا نداءاً علنياً للطائفة اليهودية بأن تمديد المساعدة للحكومة بالتعاون مع البوليس والقوات المسلحة على كشف أماكن أعضاء الجمعيات الارهابية وتقديمهم للقضاء ، ، فكان جوابهم على ذلك « أن الجالية اليهودية لا تستطيع أن تضع تحت تصرف نفسها الحكومة لمكافحة النتائج السيئة التي نجمت عن سياسة هي من صنع الحكومة نفسها ، وتراها الجالية مهددة لكيانها (١) » .

خاتمة

تحقق برنامج بال (١٨٩٧) بتأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين ، بدعم بريطانية ، وبجهود وايزمن خاصة . وتطلع برنامج بلممور (١٩٤٢) إلى تأسيس دولة يهودية في كامل فلسطين ، بدعم أمريكية ، وبجهود بن غوريون خاصة .

والحق أن نجاح بن غوريون يعكس المزية الفريدة التي تملكها المنظمة الصهيونية العالمية ، كنظام استيطاني يتحرك على أكثر من قاعدة مركزية واحدة ، مع القدرة على استخدام هذه المزية إلى أقصى حد في مواجهة الضغوط الخارجية والداخلية . ويعكس كذلك منطلقات الاستراتيجية الصهيونية بلوغ أهدافها . لم يكن عمل بن غوريون سهلاً أو ميسوراً ، فالصهيونية الأمريكية يسودها الشقاق والانقسام ، واليهودية الأمريكية تبدو غير مكترثة بالأهداف الصهيونية أو حتى بمآزق يهود أوربة . ولذا كان على الاستراتيجية الجديدة بمستوياتها الثلاثة السياسي والدعائي والعسكري أن تعمل في غاية الإحكام والتنسيق من أجل لم شعث الصهيونية الأمريكية المتقاعسة ، وحشد صفوف اليهودية الأمريكية وراءها ، بلا حدود ولا يأس .

كان لإعلان برنامج بلممور الخطوة الأولى على طريق الهدف الأكبر الذي يرمي إلى السيطرة على البيت الأبيض نفسه . وجميع التطورات والأحداث التي جرت في فلسطين منذ عام ١٩٤٢ وحتى اليوم قد تأثرت بالتقدم الناجح الذي سجلته الصهيونية وتسجله على طريق بلوغ الهدف ، أكثر من أي عامل آخر . وتعتبر رسالة ترومان للرئيس الوزارة البريطانية (تموز - يوليو ١٩٤٥) بداية ذات دلالة خطيرة في الضغط الأمريكي على

حكومة لندن من أعلى المستويات الأمريكية ، وقصدت رفع الحظر الذي فرضه الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ على الهجرة اليهودية . وليس كمثل إلغاء الكتاب الأبيض شيء لتحقيق برنامج بلمور في السيطرة السياسية الكاملة على فلسطين ، وهو الحل الوحيد المتوفر على « أسس إنسانية بحجة » لمشكلة يهود أوربة ! وتبرز مهزلة الإلحاح الأمريكي لفتح أبواب فلسطين ، في الوقت الذي توعد فيه أبواب أمريكا في وجوههم ، على الرغم من أن غالبية اليهود الأوروبيين المنكودين كانوا يتحرقون شوقاً للهجرة إلى أمريكا .

ركز الصهاينة جهودهم للسيطرة الفعلية على فلسطين ، بالاعتماد على التقدم السريع الذي أحرزته المؤسسة العسكرية الصهيونية ؛ فالسيطرة السياسية هي الشرط اللازم الكافي لضمان الهجرة الكثيفة والاستيطان المتسع . ومن خلالها يمكن سحق الأكرية العربية العديدة « في أقصر وقت ممكن » .

وضع الصهاينة خططهم للقيام باغتصاب السيطرة السياسية في البلاد على النمط الروديسي ، ولكنهم تحققوا بعد أسابيع من انتهاء الحرب العالمية الثانية ، أن تنفيذ الخطة غير ممكن في التاريخ المحدد (شباط - فبراير ١٩٤٥) ، ولذا عادوا فركزوا على تمزيق الكتاب الأبيض كهدف مرحلي ، وتم لهم ذلك أوائل عام ١٩٤٦ بفضل الرئيس ترومان ، وعلى يد اللجنة الأنكلو أمريكية التي أوصت - ضمن أشياء أخرى - بإدخال مائة ألف يهودي إلى فلسطين ، بشرط حل التنظيمات العسكرية غير المشروعة ، وتعفى بها المؤسسة العسكرية الصهيونية التي جعل البريطانيون حلها شرطاً أساسياً لإدخال مائة ألف يهودي إلى فلسطين .

ولكن حل التنظيمات العسكرية الصهيونية كان من شأنه أن يحول دون تحقيق المخطط الموضوع للسيطرة السياسية على فلسطين ، والذي أرجى به تنفيذه بانتظار فرصة أفضل .

وحين توصل خبراء اللجنة الأنكلو أمريكية إلى الإجماع على خطة الاستقلال الإقليمي العربي اليهودي في فلسطين ، خشي الصهاينة أن يجتذب الخبراء الأمريكيون في اللجنة ، الرئيس ترومان إلى صفهم ، فسارعوا لتعديل استراتيجيتهم . قالوا إنهم لا يصرون على السيطرة السياسية في كل فلسطين وإنما يقبلونها في القسم الأعظم منها . أو كما عبرت عنها صيغتهم : « دولة يهودية قابلة للحياة على مساحة من أرض فلسطين » ، وعنوا بذلك حدود الدولة اليهودية بموجب مشروع لجنة بيل ، مضافاً إليها النقب .

وسرعان ما وافق ترومان على هذا الاقتراح ، وعرضه بدوره على البريطانيين ، وهكذا نجح الصهاينة في نفس آخر محاولة للعمل على حل مشكلة فلسطين ، بعد أن أصبحت أمريكية شريكة بريطانية في الحكم عليها .

وفي غضون ذلك اقترح العرب من جانبهم إيجاد دولة فلسطينية موحدة ذات جنسية فلسطينية ، ولكن ترومان كان قد اختار سبيله في التظاهر بالتوفيق بين الأضداد ، وأعلن في تشرين الأول - أكتوبر عن دعمه لمقترحات السيطرة السياسية الصهيونية ، وبذلك قضى على البادرة العربية الإيجابية في مدها .

إن موافقة ترومان على الخارطة الصهيونية الجديدة كانت تعني منح ثلاثة أرباع فلسطين إلى الصهاينة ، في حين أن الملكية اليهودية للأراضي بفلسطين لم تتجاوز سبعة بالمائة (٧٪) ، أي زيادة أكثر من ألف بالمائة (١٠٠٠٪) على حساب العرب . وأن عدد المستوطنين اليهود الذين سيخضعون للحكم العربي كان حوالي ألفين (٢٠٠٠) يهودي ، أو ١٪ من واحد بالمائة (١٪) من مجموع السكان اليهود بفلسطين . أما عدد المدن والقرى العربية التي سترزح تحت الحكم الصهيوني فكانت (٤٥٠) ، يبلغ مجموع سكانها سبعة آلاف أو ٥٨٪ من مجموع السكان العرب بفلسطين .

كانت موافقة الرئيس ترومان على هذا الغضب الأمريكي تنطوي على دمار عرب فلسطين . وتوقيت إعلانها في يوم عطلة يهودية يتسم بالخزي والعار بسبب ما يحمله من معاني التأييد للعدوان الصهيوني على حقوق عرب فلسطين ، وكل ذلك بتواطؤ مسبق لاستجداء الأصوات اليهودية في المزايدة المحتدمة بينه وبين منافسه في الانتخابات الرئاسية المرتقبة . كان ييان ترومان تنويعاً لنصر الاستراتيجية التي صممها بن غوريون وصحبه عام ١٩٣٩ ، وقد ترتب عليه دفع أمريكا بقوة على طريق تأييد إنشاء الدولة اليهودية . وبالنسبة للبريطانيين كان اليان نذيراً بأن يرفعوا أيديهم عن المؤسسة الصهيونية العسكرية التي طلبوا حل منظماتها الرئيسية (الهاغانا) ، وأن يسلموا بالمطالب الصهيونية .

وقد أتاح اندفاع البيت الأبيض وراء الصهانية فرصة للبريطانيين للتوصل من المشكلة الفلسطينية برمتها ، وعرضها على منظمة الأمم المتحدة .

مطبعة الجيلاوي
٢٠٢ شارع الزمالة البيلاقية

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٧٢/٥٩٦٩

